سلسلة معاجم أهل الحق ٤

إجماعُ أهلِ التَّنزيلِ

على

إثباتِ حقيقةِ التأويلِ

١

الجزء الأول

حفيدُ الرسُول

خادمِ الآثار النبويّة الشّريفة

الشيخ الدكتور جميل محمّد علي حليم الأشعريّ الشّافعيّ

رئيسُ جمعيّة المشايخ الصُوفيّة

غفرَ الله له ولوالديهِ ولمشايخِه

شركة دار المشاريع

إجماع أهل التنزيل على إثبات حقية التأويل

الجزء الأول

حفيد الرسول
خادم الآثار النبوية الشريفة
الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي
رئيس جمعية المشايخ الصوفية
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

شركة دار المشاريع

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ ر

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

ISBN 978-9953-20-823-7

9789953208237

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمـٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما

يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

نقولُ جازمين معتقِدين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أَدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآنَ على ما عليهِ كانَ بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلـٰـه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال (الله جسمٌ لا كالأجسام) وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾، ومن زعم أن إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴿٣﴾﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴿١٦﴾﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة

والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

نبذة تعريفية

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرةَ رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحبيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمٍ التقى -وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ- بعلَّامة العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكَفِلَه.. ورأى فيه فارسًا من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه ولا يترك مدارسة العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه حتى حضر مع الشيخ في إقراء وشرح

كتبه وكتب غيره من العلماء في شتى العلوم والفنون، وسمع منه ءالاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ كثيرًا ما يُعطي الدرسَ ثم يأمر المؤلفَ بإعادته، فشبَّ ينهل المعارف ويسلك سبل السلام متمسكًا بمنهاج شيخه متخلِّقًا بأخلاقه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصرًا لقضايا الأمة.

وفي سنة ١٩٧٩ر استلم الـخَطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتَفَّت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم الناس ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلماؤها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

- الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي.
- الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي.
- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر الـمُعَمَّر عبد الكريم محمد المدرس بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي .
- المحدّث المعمَّر الفقيه عبد الرحمٰن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.
- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق بن الشيخ محمد الطاهر النّيفر.

- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.
- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم -كراتشي-.
- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني.
- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.
- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.
- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.
- الشيخ المعمَّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.
- الشيخ الفرضي نور الدين خزن كاتبي الدمشقي.
- الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.
- الشيخ السيد أبو الفضل عبد الله بن محمد بن صديق الغماري الحسني.
- الشيخ الفقيه المعمَّر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله بن الشيخ إبراهيم الجذبه.
- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.
- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري الشافعي.
- المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.
- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.
- الشيخ المعمَّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.
- الشيخ محمد رجائي بن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.

- الشيخ يحي بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.
- الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملّا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.
- الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.
- الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمَّر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.
- المعمَّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.
- الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.
- الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.
- المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.
- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كَسر شيخ نحاة الحبشة.
- المعمَّر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأوروبي.
- المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.
- الفقيه ملا الطيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي.
- العلّامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.
- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الجرجري الهرري الأوروبي الشافعي.
- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمٰن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
- الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
- الشيخ المعمَّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
- الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.

- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.
- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار محمد الخطيب.
- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور الشيخ بشرى.
- الشيخ المسند الرابغي عبد القادر البخاري.
- الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحليم الداري.
- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.
- العلامة الفقيه عبد الرحمٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمٰن البخاري.
- الشيخ المعمر محمد طاهر ءايت علجت الجزائري.
- الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.
- الشيخ العلّامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.
- الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.
- الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وبالإجمال فإجازاته فاقت السبعمائة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ فلينظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي».

وفي سنة ١٩٨٥ر تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد

محمدًا والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة ١٩٩٥ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺواستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري.
- رسائل السنوسي الأربعة.
- الخريدة البهية للدردير.
- جوهرة التوحيد للقاني.
- الاعتقاد والهداية للبيهقي.
- رسائل أبي حنيفة الخمس.
- بدء الأمالي للفرغاني.
- عقيدة العوام للمرزوقي.
- كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفضالي، وغيرها.

الكتب الحديثية:

- الكتب السبعة.
- الأدب المفرد للبخاري.
- المسند للدارمي.
- سنن أبي داود للطيالسي.
- مسند الإمام الشافعي.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.
- عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.
- شمائل الترمذي.
- الأذكار للنووي.
- رياض الصالحين للنووي.
- المعجم الصغير للطبراني.
- عمل اليوم والليلة للنسائي، وغيرها.

الفقه الشافعي:

- شرح التنبيه للسيوطي.
- المهذب للشيرازي.
- منهاج الطالبين للنووي.
- تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.
- عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.
- الحاوي الصغير للقزويني.
- شرح متن أبي شجاع للغزي.
- شرح متن الزبد للهرري.
- المقدمة الحضرمية للحضرمي.
- مختصر البويطي.
- فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للمليباري.

- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب.

وغيرها الكثير بشتى العلوم والفنون. ويبلغ عدد الكتب التي تلقاها قراءةً أو سماعًا أكثر من مائتي جزءٍ ومجلد.

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات منها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

وهو حائز على شهادة دكتوراه من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس – المغرب بعد أن ناقش أطروحةً تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا ولله الحمد والمنة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندنوسيا وماليزيا وأستراليا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وهرر وبلاد أثيوبيا وتركيا وقبرص للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر

في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

وأولى اهتمامه العلم والمطالعة، يعكف اليوم على تأليفِ الكتب[1] وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من ءاثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[2]

فاسمه جميل ومثله قليل وعلمه جزيل ... فاستفد من علمه بلا تأجيل

---

(١) انظر مصنفات الشيخ الدكتور جميل حليم في ءاخر الكتاب (من ءاثار المؤلف).

(٢) للتواصل مع المؤلف راجع كما يلي:

+ ٩٦١٣٢١٥٣١٦

+ ٩٦١٣٠٠٦٠٧٨

sh.jamil.halim@gmail.com

https://www.facebook.com/Sheikh.Jameel

نسب المؤلّف إلى رسول اللّه ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل[1] بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو بن السيد محمد بن السيد عبد الحليم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسمٰعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم ابن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى بن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد بن السيد على العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد على زين العابدين ابن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين[2].

---

(١) أولاده السيد محمد والسيد عبد الرحمٰن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

(٢) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، المنزه عن الحد والزمان والمكان والزوجة والولد، سبحانه لا يمسّ ولا يحسّ ولا يجسّ، ولا تقاس صفات ذاته بالناس، ولا شريك له في الملك ولا نظير، ولا مشير له في الحكم ولا وزير، فمهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك. ونشهد أن محمدًا عبده المجتبى ورسوله المرتضى، بعثه الله بالنور الساطع والبرهان القاطع، فبلّغ عن الله عزّ وجلّ الرسالة، وأوضح فيما دعا إليه الدلالة، فكان في اتّباع سنته لزوم الهدى وشفاء العليل، وفي قبول ما أتى به وجود السنا وإرواء الغليل، فصلى الله وسلم عليه وعلى ءاله وصحبه النجباء كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

أما بعد، فإن قلم البحث قد تراه مُتَقَلِّبًا متردّدًا بين مداد الرغبة ومداد الرهبة، أمّا الرغبة ففي الظَّفَرِ بحظٍّ من الأجر والقبول في خدمة دين الله تعالى الذي خدمه رجالات العلم الأكابر في هذه الأمة عبر القرون بأرواحهم وأنفسهم وجهودهم ووقتهم، فلم يبخلوا عليه بالنفْس والنفَس والنفيس، ولا غرو، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]. وأما الرهبة فلعظم شأن

=البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص٣٣٢-٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ر - ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة ص١ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية (ص٤٣٣-٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

(١) سورة **المطففين**، ءاية ٢٦.

الموضوع، وعظم شأن من خاض لـججه وأبرز حججه من بدور العلم الزواهر ونجومه الأعلام الأكابر، فحسب أمثالنا في معترك الأقران وحلْبة الفرسان أن نلحق بغبارهم ونَتبَلَّغ بفتاتهم، حافظين للسابق فضل سبقِه، غير أن قلم البحث قد انبرى مُغْرًى مُغْرَمًا بعقد العزم على شد رحاله إلى ساح البحث الفيحاء، مُعمِلا قَنَا الفكر في جسد العلل مما أصاب غيرَ مؤلَّفٍ ومؤلِّفٍ، فمضى يَشْرئِبُّ للذود عن حياض عقيدة الملة الغراء، عقيدة أهل السنة والجماعة، وإحدى أهم ركائزها، أي علم تأويل الكتاب والسنة، إذ كان هذا العلم قطب الرحى الذي دارت حوله أمهات علوم الشريعة، كعلم التفسير، وأصول الفقه، وقواعد الفقه، وتفسير السنة النبوية، والسيرة العطرة المحمدية، وعلم الكلام، فلا تكاد تجد مبحثًا من مباحثها إلا وقد اتصل به بسببٍ أو لحق به بنسب، وحسبُ المطالع عناوين عشرات الكتب والمصنفات في هذه العلوم ليدرك أهمية التأويل في تراث الأمة وهوية ثقافتها العلمية، وإن المطالع لذلك التراث الهائل يجد نفسه أمام حشد عظيم من المصنفات في هذا الشأن تتجاذبها منذ منتصف القرن الثالث الهجري -أي خاتمة العصر الذهبي لهذه الأمة، عصرِ السلف الصالح- عدة اتجاهات هي على طرفي نقيضٍ بين **مفْرِطٍ** في التأويل وصل به الحدُّ إلى إنكار عدد من الثوابت العقدية الراسخة، وآخر **مُفَرِّطٍ** فيه صار يخبط خبط عشواء في مباحث الصفات حتى غرق في أوحال التجسيم والتشبيه، فزاغ كلاهما عن جادَّة الصواب ونهج الرشاد، فكانوا كما قال الشاعر:

وكُـلٌّ يَـدَّعـي وصـلًا بليلى ولـيـلـى لا تُـقِـرُّ لـهـم بـذاكـا

ومردُّ ذلك عند الفريقين -كما سيجيء مُفَصَّلًا وموثقًا في طيات هذا

الكتاب- التَّنكُّب عن جملة من دقائق المفاهيم المتصلة بقواعد العقيدة التي قررها الصحابة والتابعون، وضوابط التأويل وأحكامه، فكثر الغلط واللغط، واختلط الحابل بالنابل، وكان ما كان من فرق الاعتزال والخوارج والتشبيه والباطنية.

ثم إنه من المهم في زاد النظر للباحثين والمحققين التنبيه على جملة من الحقائق المحورية التي لا غنى عنها في معالجة هذه القضايا الدقيقة، ومن أهمها: أنَّ اهتمام علماء السلف والخلف[1] بعلم التأويل كان كبيرًا وملحوظًا فكلا الفريقين من السلف والخلف كانت بحوزتهم الأدلة العقلية للرد على المبتدعة المخالفين لأهل الحق، واشتهر عن الخلف إبراز الدلائل النيرة والحجج الباهرة لإثبات وجوده تعالى وحدوث كل ما سواه، والذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور.

وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها، بسبب انتشار المبتدعة المنتسبين إلى الإسلام والفلاسفة والملاحدة من غير المسلمين، فنشر أولئك المخالفون آراءهم الفاسدة التي لم تكن موجودة في عهد الصحابة ومن جاء بعدهم بزمان وألقَوْها على مسامع المسلمين، فقام أهل الحق الذين عُرفوا باسم علماء الكلام برد تلك الشبه باستحداث اصطلاحات وطرق جديدة لمقارعة المخالفين، إما لكون المخالفين لا يأخذون بالقرءان كالفلاسفة والملاحدة، وإما لكونهم من أهل الأهواء الذين اعتنقوا البدعة وصاروا ينافحون[2] عنها بما زعموه أدلة عقلية.

---

(١) سيأتي مبحث مفصل في التعريف بهما إن شاء الله تعالى.

(٢) النَّفْحُ الذَّبُّ عن الرجل يقال هو يُنافِحُ عن فلان. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ن ف ح، (ج٢،=

وبعد، فإن هذا البحث غايته المرتجاة وثمرته المبتغاة نصرة دين الله عز وجل، وإنَّ تماسكه لعلى قدر بالغ من الأهمية لا يدركه إلا من خاض غمار البحث العلـمي وتعمق فيه، فتبين له مدى الحاجة الملحة في أيامنا هذه للتدرج في سرد الأفكار مع الترابط في الـمحتوى والتناسق في سبك العبارات، لتوثيق عُرى الـمفاهيم الـمطروحة والـمبادئ ذات الصلة.

لذلك كله، كان لا بد من اعتماد منهجية علـمية تقضي بعدم فوات الـمصلحة، وهي الـمراد الأوحد من هذا البحث. وقد عقدنا العزم على ألا نتوانى عن خدمة الدين، كما سبقنا إلى ذلك من كان قبلنا من أهل الحق، فما وصل إلينا هذا العلـم إلا بعد عظيم بذل منهم وتعب وتصميم، والله الـموفّق والـمعين.

= ص٦٢٢).

أهمية الكتاب

اختلف النّاس في قضية أساسية من قضايا التوحيد وهي قضية متصلة بأمر الإيمان، وهي مسألة التأويل، واشتدّ الخلاف، ونبذ كل فريق منهم الآخر بالخروج عن مقتضى صحَّة الـمعتقد، وتعاظم الخلاف، وأدى إلى الفرقة، وسعى كل فريق واجتهد وبذل الوسع في نصرة مذهبه، وادعى كلٌ أنّ الحقَّ إلى جانبه، وكثر التأليف وعمّ الخطب، وذهب الناس في ذلك مذاهب[1]:

فذهب البعض إلى القول بأن الآيات القرءانية الـمتشابهة الـمتعلقة بالصفات محمولة على ظواهرها، وأنه لا يجوز تأويلها ولا التفويض فيها، بل قالوا إن التفويض تعطيل، والتأويل تعطيل وتحريف، مدعين أن السلف الصالح لـم يؤوِّلوا النصوص بل لـم يفوِّضوا بالـمطلق، وقسَّموا التفويض إلى تفويض في اللفظ، وتفويض في الـمعنى، وتفويض في الكيفية، وادعوا أنَّ السَّلف لـم يفوضوا في اللفظ ولا في الـمعنى، ولكن تفويضهم كان في الكيفيَّة، فأثبتوا لله الكيفية وجهلوا حقيقتها، وموّهوا على من لا قدم له راسخ، وهوَّلوا ودلَّسوا وحرَّفوا فإنَّك تسمعهم يقولون: استوى[2] لكن لا ندري كيف، فإن قلت لهم ليس جلوسًا قالوا لك: لا تؤَوّل فتُعطّل، فإنَّ الله أثبت لنفسه الاستواء فـنُثبِتُهُ له كما أثبته لنفسه، ولكن نجهل الكيفية. وهم مرادهم إثبات الجلوس، ولا يسلـمون بأن الجلوس لا يكون إلا من الـمخلوق، فهم

(١) عبد الأمير زاهد، **صحيفة الوسط**، التأويل وتفسير النص، مقاربة في الإشكالية، إصدار ١٣ آذار ٢٠٠٨.

(٢) المقصود في تفسير الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، سورة **طه**، ءاية ٥.

يُرَدِّدُونَ القول: «استوى لا كاستوائنا» وهم في حقيقة أنفسهم يريدون قول: «جلس لا كجلوسنا»، ولكن يهربون من التصريح بهذه اللفظة حتى لا يُنْعَتُوا بالـمجسمة، وإمعانًا في التمويه على العامة وإخفاءً لحقيقة مذهبهم.

وذهب البعض الآخر إلى الـمبالغة في الحذر من التشبيه حتى دفعهم ذلك إلى الـمبالغة في التأويل، حتى إنهم نفوا عن الله اتصافه بالصفات كالقدرة والعلـم ونحوها، بدعوى أن هذا مؤداه إلى القول بتعدد الأزلي، وهو محال، كما نفوا ما أثبته أهل السنّة مما ورد به التنـزيل، وحملوه على تأويلات جانبوا فيها الصواب، ولـم يهتدوا إلى سبيل الرشاد.

وذهب الجمهور إلى إثبات ما ورد به التنـزيل، مع تمسكهم بنفي التشبيه، وسلكوا في ذلك مسلكين:

الأول: إثبات ما ورد به التنـزيل، مع نفي التشبيه وتفويض علـم الـمراد إلى الله تعالى، وهو ما يعرف بالتأويل الإجمالي، وهو مسلك السلف أي أغلب أحوالهم.

الثاني: إثبات ما ورد به التنـزيل مع نفي التشبيه، وهم في ذلك يشتركون مع أصحاب الـمسلك الأول، ولكن يفترقون عنهم بأنهم سلكوا طريق تعيين معنى من الـمعاني التي يحتملها اللفظ بحسب وضع اللغة، ولا يخالف الآيات الـمحكمات، ولا يصف الله بما لا يليق -وهذا على معنى أنه يحتمل أن يكون هذا هو مراد الله، لا على معنى القطع والجزم بأنه الـمراد- وهذا هو مسلك الخلف، وهو ما سمي بالتأويل التفصيلي، وهو ما ثبت عن بعض السلف أيضًا دفعًا لشبه التشبيه وإنقاذًا للعامة من مزالق الشيطان.

فخلاصة ما سبق أن النّاس افترقوا في التأويل ثلاث فرق:

فرقة منعت التأويل مطلقًا وحملت الآيات والأحاديث المتشابهة على ظاهرها، بل وادعوا أن تأويل المتشابهات تعطيل والعياذ بالله تعالى، وهذه فرقة ضالة بلا شك.

وفرقة بالغت في التأويل بدعوى الحذر من التشبيه، ونفت عن الله اتصافه بصفات الذات الثابتة له بالإجماع كالقدرة والعلـم.

وذهب الجمهور إلى إثبات صفات الله على ما يليق به مع تأويل ما كان ظاهره مخالفًا للآيات المحكمات دفعًا للتشبيه، وانقسموا فريقين:

فريق قال بالتأويل الإجمالي، فقالوا على سبيل الـمثال في تأويل الآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر»[2].

أما الفريق الآخر فقد أوّل تأويلًا تفصيليًا، فتناول -على سبيل الـمثال لا الحصر- كلـمة «استوى»، ثمّ عدّد معانيها حسب وضع اللغة العربية، فوجد أنّ من الـمعاني ما يليق بالله فقبلها، ووجد أن بعضًا من الـمعاني لا يليق بالله فرفضها. فمن الـمعاني الـمقبولة: «استولى» و«قهر» و«سيطر» و«حفظ». ومن الـمعاني التي لا تليق بالله: «نضج» و«قعد» و«استقر[3]».

---

(١) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٢) انظر إلى هذه الكلـمة الطيبة وما حوته من التفويض إلى الله الذي لا يعرفه على الحقيقة إلا هو. وراقب كيف أنها نفت عنه كل ما يخطر في بال البشر. هذا هو التأويل الإجمالي، فهو إخراج للنص عن ظاهره، لكن دون الدخول بتحديد الـمعنى الـمراد.

(٣) سنأتي على مزيد من التفصيل بهذا الخصوص لاحقًا، لكن رأينا أنه من الـمفيد تقديم هذا الجزء الآن، تمهيدًا للـموضوع وتأكيدًا على وضوح الـمراد منذ البداية.

فبعد هذا، يظهر أن موضوع التأويل على قَدْرٍ عالٍ من الأهمية. فالناس قد اختلفوا في أمره، وكان لا بد من السعي لإظهار هذا الخلاف، وبيان قول أهل الحق فيه، من سلف وخلف. ولـما كان التأويل مرتبطًا بأصول الدين، وكان الخطأُ في فهْمِ مبادئه مؤديًا إلى الزيغ والوقوع في حبائل الشيطان، ثبتت الحاجة لتوضيح مفاهيمه، وبيان ضوابطه، خشية الأسوأ.

أسباب اختيار الموضوع

جاء جميع الأنبياء عليهم السلام بالبيان الكافي وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج واحدٍ لـم يختلف، فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهًا، وبالدواء سمًا، وبالسبيل الواضح يَهْمَاء مضلة، وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرّق الجاهلية في مذاهب سخيفة وبدع قبيحة فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام ويرَوْن وأد البنات ويمنعونهن الـميراث إلى غير ذلك من الضلال الذي سَوَّلَه لهم إبليس فبعث الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ فرفع المصالح وشرّع المصالح، فسار أصحابه معه وبعده في ضوء هديه، سالـمين من كيد العدو وغروره، ولـما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلـمات فعادت الأهواء تنشئ بدعًا وتضيق سبيلًا ما زال متسعًا، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعًا، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف، فكانت مادة هذا الكتاب التي -بُعَيْدَ اللَّتَيَّا والتي- وقع الاختيار على مضمونها لجملة من الأسباب، أبرزها:

١- **التحذير الشرعي الواجب**؛ ببيان بعض مكايد الزيغ التي سار في ركبها أهل الحشو سعيًا في بث فتنة التشبيه، ولا يخفى أن في تعريف الشر تحذيرًا من الوقوع فيه، ففي الصحيحين[١] من حديث حذيفة[٢] قال:

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الـمناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ج٣، ص١٣١٩)، حديث ٣٤١١. مسلـم بن الحجاج، **صحيح مسلـم**، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة الـمسلـمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، (ص٦، ج٢٠)، حديث ٤٨٩٠.

(٢) حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله، من نجباء أصحاب محمد ﷺ. وهو صاحب السر، واسم اليمان:=

«كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»، وعن ابن عباس[1] رضي الله عنهما قال[2]: «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها».

٢- **بيان أهمية علم التأويل**، وخصائصه ومكانته العظيمة بين علوم الشريعة واللغة، فإن التأويل مرتبط بشريعتنا الغراء من كل جوانبها، فتراه لا ينحصر بالعقيدة فحسب، بل بالفقه وغيره من فروع الشريعة وأصولها. فهو علـم متشعب الأطراف، والنص الـمتشابه الذي يحتمل عدة أوجه قد يكون في باب التوحيد أو الوضوء أو الـميراث أو غيره. فمثل هذا العلـم الذي تمتد جذوره إلى كل أطراف الشريعة يستحق البحث والنشر.

= حسل ويقال: حسيل بن جابر العبسي اليماني. حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين. حدث عنه: أبو وائل وزر بن حبيش، وزيد بن وهب، وربعي بن حراش، وصلة بن زفر، وخلق سواهم. وُلِّيَ حذيفة إمرة المدائن لعُمَرَ، فبقي عليها ما بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة. وكان النبي ﷺ قد أسرّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة. مات حذيفة بالمدائن سنة ست وثلاثين، وقد شاخ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢، ص٣٦١ - ٣٦٩)، رقم الترجمة ٧٦.

(١) ابن عبّاس، حبر الأمّة وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العبّاس عبد الله، ابن عمّ رسول الله ﷺ العبّاس بن عبد المطّلب شيبة بن هاشم، القرشيّ، الهاشميّ، المكيّ، مولده بِشِعب بني هاشم، قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبيّ ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا وحدَّث عنه وعن كثير من الصحابة، وتوفّي سنة ثمانٍ أو سبع وستين هجرية. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص١٦٩ - ١٨١)، رقم الترجمة ٤٠٩.

(٢) اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، (ج١، ص٦١).

٣- **بيان المزية الفريدة لدين الإسلام بعلم التأويل المنهجي المضبوط**؛ فإن ديننا الحنيف يكاد يكون الدين الأوحد الذي يشتمل على مبدأ التأويل كعلـم ثابت الأصول، متماسك الأطراف، معلوم الضوابط، ومصقول الـمبادئ. فإنك قد تجد لهذا الـمبدأ ذكرًا في عقائد غير الـمسلـمين من فلاسفة وغيرهم ممن يدينون بغير دين الإسلام، ولكنك لن تجده فيها علـمًا قائمًا على قواعد وأصول وضوابط وأركان وشروط. فأردت إظهار هذا الـموضوع والإضاءة عليه، علّنا نثبت لديننا مزية لـم يتطرق إليها من سبقنا أو لـم يضئ عليها بما يتناسب مع أهمية هذه الـمزية وعمقها الديني وبُعدها الأصولي.

٤- **بيان خطورة الخوض في غمار التأويل دون فهم لأحكامه وضوابطه التي أقرها الشرع**؛ وسار عليها السلف والخلف، وما أدى إليه الجهل بها من وقوع كثير من الناس والفرق في منزلقات الضلال والتحريف بين مفرِطٍ ومُفَرِّط.

٥- **حلُّ عرى التشويش على عقيدة العامة والخاصة**؛ بسبب تلبيس وتمويه المشوشين عليهم بحشد النصوص المتشابهات، والخلط المتعمد بين المصطلحات، بما يروّج للشبه ويزيف الحقائق، وقد أثرنا الـموضوع وخضنا غماره وشرحنا مواقف الناس منه لنظهر مدى أهمية الأمر وخطورته؛ فإن من أهم ما يبعث على اختيار موضوع التأويل هو اختلاف مواقف الناس منه كما تقدم إذ هو موضوع أثار جدلًا يستدعي أن نقف عنده لنتأمل فيه ونشبعه درسًا وتحليلًا يفي بقدره وأهميته. فقضية التأويل قضية شائكة خاض فيها النّاس قديمًا وحديثًا، وكثر

فيها الخلاف والجدل، وتنوّعت فيها الأسباب والأهداف والغايات، فإننا إذ نجد أنّ اليهود في زمن الرسول ﷺ كانوا يتتبعون فواتح السور ويتأولونها بحساب الجُمَّل[1]، يريدون معرفة موعد زوال هذه الأمة ونبيّها، نرى أنه برزت فيما بعد دعوة المشبهة[2] الذين يتمسكون بظواهر النصوص الـمتشابهة في الصفات ليدعموا مذهبهم في تشبيه الله بخلقه، بصورة مباشرة تارة وصورة مموهة غير مباشرة تارة أخرى. وآخرون يبالغون في حذرهم من التشبيه فيتأولون النصوص، لكنهم إما أن يتأولوها بلا مسوغ شرعي، أو يتأولوها على وجه لا يوافق الأصول. وفئة ادعت أن النصوص كلها لها ظواهر وبواطن[3]، وأن البواطن هي الـمرادة، وأن ذلك لا يعرفه إلا الخواص، فأبطلت بذلك الشريعة وأسقطت الأحكام.

وأمام ذلك كله انتهض قديمًا وحديثًا قوم ينطبق عليهم قول الله تعالى:

---

(١) طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم.

(٢) **الـمشبهة**: من الفرق الخارجة عن الإسلام. والـمشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات البارئ بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون إلى أصناف شتى، وأول ظهور التشبيه صادر عن بعض الغلاة ومنهم السَّبَئية الذين سموا علي بن أبي طالب إلهًا وشبهوه بذات الإله، ومنهم البيانية أتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده نور على صورة الإنسان في أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه، وغيرهم كثير. أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق، (ص٢١٤)**.

(٣) هذه الفرقة هي الباطنية وبعض غلاة الـمتصوفة من أهل الحلول والوحدة الـمطلقة وسيأتي ذكر تفصيل ذلك لاحقًا عند الحديث عن الباطنية حيث قالوا: إن النصوص الشرعية لها باطن وظاهر. وأنهم يستأثرون بعلـم البواطن كلها. وبهذا هدموا الشريعة إذ جعلوها شريعة للخواص يفسرونها على مقتضى أهوائهم ومآرب طائفتهم.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1] سلكوا مسلك المعتدلين يذبون عن حياض الشرع، ويوضحون ما أثير من اشكالات، ويردّون تدليس وشبه أولئك الذين أضمروا للأمة حقدًا وشرًا، فكانوا بحقّ حماة هذا الدّين وفرسانه فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

٦- **التنبيه على خطر التشويش على عقائد المسلمين بما يجرهم إلى الفتن والاضطرابات؛** فإنه لما كان موضوع التأويل من جملة علم الكلام الذي به حفظ العقائد، وقد قام أهل الحق والعلم من السلف والخلف بإيلائه العناية شرحًا وبيانًا وتأليفًا وذبًّا عن حياض الدّين، ولما أضحى حديثًا يشغل أفكار الكثير من المعاصرين الذين تراهم يخوضون فيه مع جهلهم بالقواعد، ويندفعون إلى منازعة أهل العلم واتهام أهل الحقّ بتهم باطلة[2] رأيت وضع هذا الكتاب محذرًا من فتنة استطار شررها اليوم في الأرض ومخوفًا من محنة أهلكت خلقًا كثيرًا والله المعين بجوده كل صادق في مقصوده، والله موفقي فيما قصدت وملهمي للصواب فيما أردت، وقد أحببت أن يكون هذا البحث نافعًا في ردّ ذلك التزوير، وكاشفًا لأغلب تمويهاتهم إن لم يكن كلها، وفاضحًا لأكاذيبهم، قد أسميته: «**إجماع أهل التنزيل على إثبات حقية التأويل**».

---

(١) سورة **التوبة**، ءاية ١٢٢.

(٢) لا يخفى أنَّ مؤدّى ذلك مزيد تفريق وتمزيق لجسد الأمة، مع ما يتضمنه ذلك من نعت للمؤمنين بنعوت التكفير والإخراج عن الملة، واستباحة لما حرّم الله، وتهور في قضية خطيرة، الخطب فيها كبير.

منهج الكتاب

سلك المؤلفون في كتبهم مسالك عدة تتفاوت في طرقها وأساليبها وسبل الوصول إلى النتائج المرجوة منها، وكل له مسوغاته في الطريق التي سلك، فمنهم من سلك المنهج الوصفي، إذ إن هذا المنهج يقوم على مبدأ تجميع الحقائق والمعلومات من مصادر متعددة، ومنهم من سلك المسلك التحليلي حيث يتم تحليل الحقائق حتى الوصول إلى تعميمات مقبولة، ومنهم من سلك المنهج التاريخي لصلة موضوعه وارتباطه بالتاريخ ارتباطًا يسوغ اختياره هذا المنهج، وآخرون سلكوا المنهج التجريبي، وهو منهج عملي صرف.

وفي خضم هذه المناهج المعتمدة في إجراء البحوث، جمعنا بين طريقتي المنهج الاستقرائي الوصفي والمنهج التحليلي، فقمنا باستقراء آراء الفرق الإسلامية من سلف وخلف، واستعراض جملة مذاهب العلماء وأدلتهم وردودهم في موضوع البحث. ثم أعملنا فيه قلم التحليل إذ كان لا بد من التعرض لعدد من المعضلات والمشكلات التي لا مفر من إشباعها نظرًا وتحليلًا.

وكذلك اتبعنا منهج النقل والعقل في مناقشة الأقوال والأدلة، فأوردنا الأقوال وأدلتها لكل مذهب، ثم يأتي دور العقل فيشهد للنقل. ونكون بذلك لازمنا الاتباع لا الابتداع، واتبعنا الشرع ولم نخالف العقل، بل أبرزنا دوره في مساندة قواعد العقيدة الإسلامية.

بيان خطة الكتاب

في سبيل الإحاطة بالـموضوع إحاطة تامّة، كان لا بد من الاطّلاع على كلّ الـمؤلّفات ذاتِ الصّلة، سواء أكانت جديدة أم قديمة. والجديرُ بالذكر أن الـمؤلّفات في هذا الـموضوع كانت كثيرة جدًا، ولا نبالغ إن قلنا إنها بالعشرات بل أكثر، فقد غاص في بحره الخضم الكثيرون ممن ألّفوا وصنّفوا، وذلك بعض مخزون مكتباتنا الإسلامية. وقد كتب في التأويل جماعة من أهل الحق، كما ألّف فيه الـمنكرون والـمثبتون وغيرهم. وقد تعدّدت الـمؤلّفات في قضيّة التأويل لتعدّدِ الـمواقف منها.

وإن هذا التعدّد إن كان يدل على شيء فإنما يدلّ على أهمّية هذا الـموضوع وخطورته البالغة، لأنه يتناول أصلًا من الأصول لا فرعًا من فروع الشريعة التي تحتمل الخلاف والتباين. وإن الـمؤلفات التي تيسّر لنا الحصول عليها تنتمي إلى فترات زمنية تمتد من عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا. وإن هذا الامتداد -لا ريب- يدل على أنه موضوع أساسي قد اجتذب الكُتّاب والـمؤلفين والقرّاء والـمدافعين عن هذا الدين في كل الأزمنة وعلى مر العصور.

وتجد في هذا البحث الكثير من النقول عن الأئمة الـمعتبرين من سلف وخلف لأنَّ ذلك من أهم الأمور التي تستند إليها هذه الدراسة، ولا تخلص إلى نتائجها إلا بعد استيفائها لجل ما ورد عنهم في هذا الباب، الذي أشبعوه درسًا وتعمقوا فيه وتوسعوا، في سبيل الدفاع عن الدين، وردّ شبه الذين في

قلوبهم زيغ والذين لـم يفقهوا حقيقة التأويل. وقد انبرى كثير ممن كان قبلنا لهذه الـمهمة، ودورنا أن نكمل تلك الـمسيرة، عسى نحقق الـمزيد، أو نسهم في توطيد ما سبق، أو نخطو خطوة فنبلور الـمفاهيم التي أرسوا دعائمها وأسسوا لها معرفيًا.

كما وتجد ترجمةً مختصرةً للمشاهير والأعلام، جعلتها في أول موضع ذُكِرَ فيه هذا العلم، الأمر الذي يسهل على القارئ والباحث معرفة الرجال، سائلًا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل ذخرًا لي في أخراي.

وقد قسمت الكتاب هذا إلى ثمانية أبواب، فكلّ باب ينقسم إلى مباحث يتناول كل منها عنوانًا محددًا أتعمق في درسه وبحثه، ثم خاتمة ضمنتها زبدة البحث وجملة من التوصيات على المستويين العلمي النظري والعملي التطبيقي، مذيلًا الكتاب بعدد من الفهارس المنهجية.

الـمقدمة: وتتضمن أهمية البحث وسبب اختياره ومنهجه، ثم ذكر بعض الدراسات السابقة مع بيان الصعوبات التي واجهتني. ثم أصل إلى الأبواب:

الباب الأول في فضل علـم التوحيد: وأنه أفضل العلوم لتضمنه أفضل الـمعلومات التي هي أصول الدين أي معرفة الله ومعرفة أنبيائه. وبيان فضل الإمام أبي الحسنِ الأشعري[1] والإمام أبي منصورٍ

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالـم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبي بُردَةَ عامر بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري وبه فسر حديث رسول الله ﷺ أنه لـما نزلت الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴿٥٤﴾﴾ سورة **المائدة**، ءاية ٥٤. أشار النبي ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: «**هم قوم هذا**». ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين بـالبصرة، وقيل سنة سبعين ومائتين،=

الماتريديّ[1] اللَّذَينِ جدّدا لهذه الأمةِ دينَها فقامَا بإيضاح عقيدة أهل السّنة التي كانَ عَليها الصّحابةُ ومَن تبعَهُم بإيرادِ أدلة نقليّة وعقليّة مع ردّ شبه الـمعتزلة وهُم فرق عديدة بلغ عددهم عشرين فرقة فقاما بالردّ على كلّ هذه الفرق أتم القيام بردّ شبههم وإبطالها. ثم عَرَّفتُ السلف لغةً واصطلاحًا، وبَيَّنتُ الفرق بين السلف وبين أدعياء السلف الـمعاصرين وهم إما فريق يدعي اتباع السلف الصالح وهو على غير طريقته وإما صادق في اتباع السلف، وهو كل موحد لم يخرج عن دعوة سيدنا محمد ﷺ، بعد ذلك عرَّفتُ الخلف لغةً واصطلاحًا، ويتضمن ثمانية مباحث قسمتها بهذا التقسيم:

١- **المبحث الأول**: بيان أهمية علـم التوحيد وأنه أفضل العلوم.

٢- **المبحث الثاني**: منهج علماء الكلام في الدفاع عن العقيدة.

٣- **المبحث الثالث**: بيان نشأة علـم الكلام.

= وفي تاريخ وفاته اختلاف منها أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين، توفي رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة. كان أبو الحسن الأشعري سنّيا من بيت سنّة ثم درس الاعتزال على خاله أبي علي الجبَّائي مدة، ثم ناظره فكسره وصار إمام أهل السنة والمكافح عن عقيدتهم. قال الفقيه أبو بكر الصَّيرَفي: «كانت الـمعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السَّماسم». من أشهر كتبه: «مقالات الإسلاميين واختلاف الـمصلين» و«اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع». قرر عقيدة أهل السنة والجماعة، وقمع أهل البدع وردّ عليهم. الشهرستاني، **المِلَل والنِّحَل**، (ج١، ص٩٤).

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الـماتريدي، نسبة إلى ماترید بسمرقند. إمام عظيم في علـم الكلام. تفقه على أبي بكر أحمد الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد ابن الحسن. وتفقه عليه الحكيم القاضي إسحاق بن محمد السمرقندي وعلي الرستغفني وأبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي. صنف التصانيف الجليلة ورد أكاذيب أهل العقائد الباطلة بالحجج النقلية والعقلية. له كتاب «التوحيد» و«المقالات» وكتاب «أوهام الـمعتزلة» وغير ذلك. توفي سنة ٣٣٣هـ. اللكنوي، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، (ص٣٢٠).

٤- **المبحث الرابع**: التعريف بالسلف.

٥- **المبحث الخامس**: الفرق بين السلف وبين أدعياء السلفية الـمعاصرين.

٦- **المبحث السادس**: التعريف بالخلف.

٧- **المبحث السابع**: مقدّمة في نشأة الفرق الضالة.

٨- **المبحث الثامن**: منهج علـماء الكلام في تقرير العقيدة.

الباب الثاني مدخل إلى علـم التأويل: فإني أُقدِّمُ الموضوع وأعرِّفُهُ وأُطلِقُ العنان لمناقشته. ثم أسرد جملة من المصطلحات المتصلة بالبحث وتعاريفها. بعد ذلك، أتناول لفظة التأويل في اللغة والكتاب والسنة. وبعد أن فَرَغْتُ من ذكر التأويل في اللغة، انتقلتُ إلى التأويل في الكتاب، فَوَجَدْتُ أن هذه الكلمة قد وردت في كتاب الله في سبعة عشر موضعًا، فعددت هذه المواضع، وذكرت ما جاء في تفسيرها ناقلًا عما جاء في «**تفسير الإمام الطبري**» الذي اخترته لكونه من أقدم التفاسير وأعلاها سندًا، إذ الإمام الطبري[1] رحمه الله تعالى من أعيان السلف. وقد استعنت كذلك بتفاسير معروفة بكونها من أشهر الـمراجع، أحدها «**تفسير الإمام الرازي**[2]» والثاني

---

(١) أبو جعفرٍ محمد بن جرير بن يزيد الطبري الـمعروف بابن جرير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، كان حافظًا مجتهدًا مفسرًا فقيهًا ومؤرخًا، رحل في طلب العلـم إلى مصر والري وما جاورها وواسط والكوفة، عرض عليه القضاء فامتنع، سمع من هناد بن السري وعمرو بن علي الفلاس وغيرهما، حدث عنه ابن عَدِيٍّ والطبراني وخلق كثير، من مؤلفاته: «تاريخ الأمم والـملوك»، التفسير الـمعروف بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرءان»، توفي سنة ٣١٠هـ ببغداد. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٤، ص٢٦٧ - ٢٨٢)**.

(٢) فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي الـمعروف بابن الخطيب، كان مفسرًا بارعًا في علـم الكلام والـمعقولات، وله في الوعظ اليد البيضاء، رجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة بـالري، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، أخذ عن الكمال السمناني =

«**الجامع لأحكام القرءان**» للإمام القرطبي[1] والثالث «**تفسير ابن كثير**[2]».

وقد خرَجتُ من هذه الـمواضع بخلاصة جاءت على شكل جدول يستعرض معاني هذه الكلـمة في القرءان الكريم. وبمثل ما تتبَّعْتُ به لفظة التأويل في الكتاب، تتبَّعْتُ الكلـمة نفسها في الحديث. ومن الغريب والمفاجئ أننا لـما استعرضنا «**المعجم المفهرس**» للأحاديث، أثار دهشتنا ما وجدنا من كون الـمواضع التي ورد فيها ذكر التأويل في الحديث سبعة عشر موضعًا تمامًا كعدد الـمواضع التي ورد فيها ذكر «التأويل» في القرءان الكريم!

والجدير بالذكر أننا لـم نجد في القرءان الكريم أيَّ اشتقاق لهذه الكلمة،

=والـمجد الجيلي. من أشهر مؤلفاته: تفسير القرءان الـمسمى «مفاتيح الغيب»، «أساس التقديس»، «الـمحصول في أصول الفقه». توفي بمدينة هراة ٦٠٦هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (ج٤، ص٢٤٨)**، رقم الترجمة ٦٠٠.

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان. وكان تفسيره المذكور مسمى بجامع أحكام القرءان وهو كتاب من أجل الكتب في سفرين وقد اختصره سراج الدين الشيخ عمر بن علي الشهير بابن الملقن المتوفى في سنة أربع وثمانمائة وقد التبس الأصل على المولى أبي الخير صاحب موضوعات العلوم فنسبه إلى الشيخ محمد بن عمر الأنصاري المتوفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة انتهى. وقد صنف المولى المشار إليه الخزرجي كتاب «التذكرة في أحوال الـموتى وأمور الآخرة». أحمد الأدنروي، **طبقات المفسرين، (ص٢٤٧)**.

(٢) ابن كثير (المجسم)، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي، عماد الدين، ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ومات أبوه سنة ٧٠٣هـ ونشأ هو بدمشق وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الآمدي وابن عساكر والمزي وطائفة، وأجاز له من مصر الدبوسي والواني والختني وغيرهم، واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه «البداية والنهاية» وعمل طبقات الشافعية وخرّج أحاديث أدلة التنبيه وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي وشرع في شرح البخاري ولازم المزي وقرأ عليه «تهذيب الكمال» وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه. مات في شعبان سنة ٧٧٤هـ وكان قد أضر في أواخر عمره. ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (ج١، ص٤٤٥)**، رقم الترجمة ٩٤٤.

بل اللفظة كما هي وردت سبع عشرة مرة، دون أن يرد لها أي اشتقاق آخر.

أما في الحديث فالكلـمة ظهرت باشتقاقات عديدة. وجريًا على ما قمنا به في الشق الـمتعلق بالتأويل في الكتاب، عددنا بعض الـمواضع التي في «**الـمعجم الـمفهرس**» مع ما جاء في تفسيرها. ثم خَرَجْتُ بخلاصة تسرد معاني التأويل الواردة في الأحاديث، وبهذا اختَتَمْتُ الـمبحث. ثم في المبحث الذي يليه ذكرتُ آراء العلماء في المحكم والمتشابه ثم أشرت إلى أن التأويل نوعان: إجمالي وتفصيلي، حيث بَـيَّنتُ أن التأويل الإجمالي هو مسلك غالب السلف، أما التفصيلي فمسلك من جاء بعدهم من الخلف. وأتبَعتُ هذا البيان، بجزء خصصته لتحقيق ثبوت التأويل التفصيلي عن بعض السلف مع سرد غير قصير لمن سلك منهم طريق التفصيل في تأويلاته، وكان هذا آخر ما جاء في هذا المبحث. وفي الأخير اختَتَمتُ الفصل بمبحثين كان أولهما عن شروط صحة التأويل والأخير بمثابة تنبيه أساسي بخصوص الصفات الواردة في النصوص الـمتشابهة، ويتضمن ثلاثة عشر مبحثًا بهذا التقسيم:

١- **الـمبحث الأول**: تعريف التأويل والـمحكم والـمتشابه.

٢- **المبحث الثاني**: آراء العلماء في المحكم والمتشابه.

٣- **المبحث الثالث**: الحكمة من وجود المتشابه.

٤- **الـمبحث الرابع**: التأويل في اللغة.

٥- **الـمبحث الخامس**: التأويل في الكتاب.

٦- **الـمبحث السادس**: التأويل في الحديث.

٧- **الـمبحث السابع**: شروط صحة التأويل.

٨- **الـمبحث الثامن**: تنبيه بخصوص الصفات الواردة في النصوص الـمتشابهة.

٩- **المبحث التاسع**: المحكم والمتشابه.

١٠- **المبحث العاشر**: التأويل بين إجمالي وتفصيلي.

١١- **المبحث الحادي عشر**: وجوب الجمع بين النصوص.

١٢- **المبحث الثاني عشر**: خطر حمل المتشابه على الظاهر.

١٣- **المبحث الثالث عشر**: التحذير من قول المشبهة في الآيات المتشابهات «التفويض في الكيفية».

الباب الثالث: تأويل بعض الآيات المتشابهات: وبعد أن بيّنتُ معنى التأويل وتكلّمت عن المحكم والمتشابه، شرعتُ في ذكر أقوال العلماء في تأويل بعض الآيات المتشابهات، وقد استعنت بتفاسير منها: «**النهر الماد**» لأبي حيان[١]، و«**أحكام القرءان**» للجصاص[٢]، و«**تفسير الرازي**» للرازي،

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن حيان بن يوسف، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر النحوي اللغوي فريد الدهر وشيخ النحاة في عصره وإمام المفسرين في وقته، أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الجياني الغرناطي ثم المصري. ولد بغرناطة قيل في سنة اثنتين وخمسين وستمائة وقيل في شوال سنة أربع وخمسين. وشرع في طلب العلم سنة سبعين، وقد أجازه خلق يوفون على ألف وخمسمائة نفر وقد ذكر ذلك في كتاب سماه «التبيان فيمن روى عنه أبو حيان» وكان ظاهريًا فانتمى إلى الشافعية. واختصر منهاج النووي وتصدى لإقراء العربية بعد موت ابن النحاس سنة ثمان وتسعين وصار شيخ النحويين من ذلك الوقت إلى حين وفاته وقرأ الناس عليه طبقة بعد طبقة حتى ألحق الأصاغر بالأكابر وصنف التصانيف المشهورة الكثيرة ذكر بعض الحفاظ أنها تزيد على خمسين مصنفًا منها «البحر المحيط في التفسير» و«النهر من البحر». وترجمته طويلة مشهورة، قال الصلاح الصفدي: وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك ورغبهم فيها وشرح لهم غامضها وكان يقول: في مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء. توفي بالقاهرة في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بمقبرة الصوفية. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج٣، ص٦٧ - ٧٠)، رقم الترجمة ٦٢٦.

(٢) الجصّاص، أحمد بن عليّ الرازيّ، أبو بكر الجصّاص، فاضل من أهل الريّ، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، ألّف كتاب: «أحكام القرءان»، و«أصول الفقه»، ولد سنة ٣٠٥هـ ٩١٧م، وتوفّي سنة ٣٧٠هـ ٩٨٠م. الزركلي، **الأعلام**، الزركلي، (ج١، ص١٧١).

و«**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**» للبيضاوي[١]، و«**مدارك التنزيل**» للنسفي[٢]، و«**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**» للفيروزآبادي[٣]، و«**تفسير الجلالين**» للسيوطي[٤] والمحلي[٥]، و«**الجامع لأحكام القرءان**» للقرطبي،

---

(١) أبو سعيد البيضاويّ الشافعيّ، عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ الشيرازيّ، وهو كذلك أبو الخير، ناصر الدين، قاضٍ ومفسّر وعلامة، ولد في المدينة البيضاء بفارس، قرب شيراز، وولي قضاء شيراز مدة، ورحل إلى تبريز ومات فيها. من تصانيفه: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ويعرف بتفسير البيضاويّ، و«طوالع الأنوار»، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«الغاية القصوى في دراية الفتوى»، في فقه الشافعيّة، توفّي سنة ٦٨٥هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص١١٠).

(٢) أبو البركات النسفيّ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيّ، حافظ الدين، فقيه حنفيّ ومفسّر، من أهل إيذج «من كور أصبهان» ووفاته فيها، نسبته إلى «نَسَف» ببلاد السند، له مصنّفات جليلة منها: «مدارك التنزيل» في تفسير القرءان، و«الوافي» في الفروع، و«الكافي في شرح الوافي»، و«عمدة العقائد» توفّي ٧١٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص٦٧، ٦٨).

(٣) الفيروزابادي صاحب القاموس، محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازيّ، من أئمّة اللغة والأدب، ولد بكارِزين بشيراز، وانتقل إلى العراق وجال في مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند، انتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. توفي بزبيد. ومن أشهر كتبه: «القاموس المحيط»، و«المغانم المطابة في معالم طابة»، و«لطائف ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز». ولد ٧٢٩هـ، وتوفي سنة ٨١٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص١٤٦، ١٤٧).

(٤) السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين الخُضَيْريّ، جلال الدين، إمام، حافظ، مؤرّخ، أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، من كتبه: الإتقان في علوم القرءان، والأحاديث المنيفة، والأرج بعد الفرج، والأشباه والنظائر، والإكليل في استنباط التنزيل، وتاريخ الخلفاء، وتنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك. ولد ٨٤٩هـ ١٤٤٥م، وتوفي سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٣٠١، ٣٠٢).

(٥) جلال الدين المحلي، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي. أصولي، مفسر. مولده ووفاته بالقاهرة. عرفه ابن العماد بتفتازاني العرب. وكان مهيبًا صداعًا بالحق، يواجه بذلك ظلمة الحكام، ويأتون إليه، فلا يأذن لهم. وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع. وصنف كتابًا في التفسير أتمه الجلال السيوطي، فسمي «تفسير الجلالين»، و«كنز الراغبين» وغير ذلك. ولد سنة ٧٩١هـ وتوفي سنة ٨٦٤هـ. الزركلي، **الأعلام**،(ج٥، ص٣٣٣).

و«**تفسير البغوي**» للبغوي[١]، و«**لطائف الإشارات**» للقشيري[٢]، و«**تأويلات أهل السنة**» للماتريدي، و«**حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**» للقونوي[٣]، و«**تفسير الخطيب الشربيني**» للشربيني[٤]، و«**الوسيط في تفسير القرءان المجيد**» للواحدي[٥]، و«**المحرر الوجيز**» لابن عطية[٦]، و«**التحرير**

---

(١) البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفَرّاء البغوي، الشافعيّ، الشيخ، الإمام، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السُّنَّة، المفسّر، صاحب التصانيف مثل: «معالم التنزيل» و«المصابيح» و«التهذيب» و«الجمع بين الصحيحين». توفّي بمَرْو الرُّوذ (مدينة من مدائن خراسان) في شوّال سنة ٥١٦هـ، وعاش بضعًا وسبعين عامًا. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٢، ص٢٤٧، ٢٤٨)**، رقم الترجمة ٤٨٢١.

(٢) أبو القاسم القشيريّ، عبد الكريم بن هَوازِن بن عبد الملك بن طلحة القشيريّ الخراسانيّ النيسابوريّ الشافعيّ، الصوفيّ المفسّر، الإمام القدوة، الأستاذ صاحب الرسالة. ولد سنة ٣٧٥ هـ، صحب العارف أبا عليّ الدّقاق، وتزوّج بابنته، وجاءه منها أولاد نجباء، صنّف التفسير الكبير ولطائف الإشارات والجواهر والمناجاة. توفّي صبيحة يوم الأحد، السادس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ٤٦٥ هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص٢٢٧ - ٢٣٣)**، رقم الترجمة ١٠٩.

(٣) القونوي، إسماعيل بن محمد بن مصطفى، أبو المفدى، عصام الدين، القونوي. مفسر، من فقهاء الحنفية. مولده بقونية ووفاته بدمشق. من كتبه «حاشية على تفسير البيضاوي». **توفي سنة ١١٩٥هـ. الزركلي، الأعلام، (ج٢، ص٢٩٤)**.

(٤) الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، شمس الدين. فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف، منها: «السراج المنير» في تفسير القرءان، و«الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع»، و«مغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي». توفي سنة ٩٧٧هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٦، ص٦)**.

(٥) أبو الحسن الواحديّ، الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عليّ الواحديّ، النيسابوريّ، الشافعيّ، صاحب «التفسير»، وإمام علماء التأويل، أصله من ساوه، له من الكتب الكثير ومنها: «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز» وبتلك الأسماء سمّى الغزاليّ تواليفه الثلاثة في الفقه، ولأبي الحسن كتاب «أسباب النزول»، و«التحبير في الأسماء الحسنى». توفّي بنيسابور سنة ٤٦٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص٥٤٦ - ٥٤٧)**، رقم الترجمة ٤٣٩٣.

(٦) ابن عطيّة، الإمام الحافظ، أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمّام بن عطيّة المحَاربيّ،=

والتنوير» لابن عاشور[1]، و«**جامع البيان في تأويل القرءان**» للطبري، و«**تفسير الآلوسي**» للآلوسي[2] وغيرها. وقد تضمن هذا الباب ستين مبحثًا:

١- **المبحث الأول**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾.

٢- **المبحث الثاني**: تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ۝٦١﴾.

٣- **المبحث الثالث**: تأويل قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾.

٤- **المبحث الرابع**: تأويل قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾.

٥- **المبحث الخامس**: تأويل قوله تعالى ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ۝٣٧﴾.

٦- **المبحث السادس**: تأويل قوله تعالى ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ۝٤٢﴾.

٧- **المبحث السابع**: تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾.

٨- **المبحث الثامن**: تأويل قوله تعالى ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ۝١٤٣﴾.

٩- **المبحث التاسع**: تأويل قوله تعالى ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۝١٠﴾.

= الأندلسيّ، الغرناطيّ، المالكيّ، كان حافظًا للحديث وطرقه وعلله، عارفًا بالرجال، ذاكرًا لمتونه ومعانيه. ولد سنة ٤٤١هـ، وتوفّي في جمادى الآخرة سنة ٥١٨هـ، وله ٧٧ سنة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٦، ص٥٨٦)، رقم الترجمة ٣٣٦.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور. رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين عام ١٩٣٢ شيخًا للإسلام مالكيًّا. وهو من أعضاء مجمعي اللغة العربية في دمشق والقاهرة. له: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، و«التحرير والتنوير»، في تفسير القرءان، صدر منه عشرة أجزاء. ولد سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١٣، ص٤٣٩).

(٢) أبو الثناء، محمود بن عبد الله، شهاب الدين، الحسيني الألوسي. ولد ١٢١٧هـ. مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. من أهل بغداد، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل فانقطع للعلم. توفي سنة ١٢٧٠ هـ. من تصانيفه: «روح المعاني في تفسير القرآن»، و«الأجوبة العراقية»، و«الأسئلة الإيرانية»، و«الخريدة الغيبية»، و«كشف الطرة عن الغرة»، وغيرها. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص١٧٦).

١٠- **المبحث العاشر**: تأويل قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾.

١١- **المبحث الحادي عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾.

١٢- **المبحث الثاني عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾.

١٣- **المبحث الثالث عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾.

١٤- **المبحث الرابع عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٥- **المبحث الخامس عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾.

١٦- **المبحث السادس عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٧- **المبحث السابع عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

١٨- **المبحث الثامن عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴿٥٥﴾﴾.

١٩- **المبحث التاسع عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴿١٨﴾﴾.

٢٠- **المبحث العشرون**: تأويل قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿١١٢﴾﴾.

٢١- **المبحث الحادي العشرون**: تأويل قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى

وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٢- **المبحث الثاني والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗا ﴿٦٦﴾﴾.

٢٣- **المبحث الثالث والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴿٥٦﴾﴾.

٢٤- **المبحث الرابع والعشرون:** تأويل قوله الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٥- **المبحث الخامس والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٦- **المبحث السادس والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

٢٧- **المبحث السابع والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾.

٢٨- **المبحث الثامن والعشرون:** تأويل قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٩- **المبحث التاسع والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾.

٣٠- **المبحث الثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴿١٢﴾﴾.

٣١- **المبحث الحادي والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣٢- **المبحث الثاني والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ

إِلَّا هُوَ ﴿٣١﴾﴾.

٣٣- **المبحث الثالث والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾﴾.

٣٤- **المبحث الرابع والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾.

٣٥- **المبحث الخامس والثلاثون :** تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

٣٦- **المبحث السادس والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

٣٧- **المبحث السابع والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

٣٨- **المبحث الثامن والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾.

٣٩- **المبحث التاسع والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٤٠- **المبحث الأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

٤١- **المبحث الحادي والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٤٢- **المبحث الثاني والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٤٣- **المبحث الثالث والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

٤٤- **المبحث الرابع والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

٤٥- **المبحث الخامس والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٢٦﴾﴾.

٤٦- **المبحث السادس والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

٤٧- **المبحث السابع والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ ﴿٥٨﴾﴾.

٤٨- **المبحث الثامن والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾.

٤٩- **المبحث التاسع والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٥٠- **المبحث الخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

٥١- **المبحث الحادي والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾.

٥٢- **المبحث الثاني والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴿٧٤﴾﴾.

٥٣- **المبحث الثالث والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

٥٤- **المبحث الرابع والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٥٥- **المبحث الخامس والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٧٢﴾﴾.

٥٦- **المبحث السادس والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴿٢٠٦﴾﴾.

٥٧- **المبحث السابع والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴿٧٩﴾﴾.

٥٨- **المبحث الثامن والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

٥٩- **المبحث التاسع والخمسون**: تأويل قوله تعالى ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴿٥١﴾﴾.

٦٠- **المبحث الستون**: تأويل قوله تعالى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴿٩٣﴾﴾.

الباب الرابع: تأويل بعض من الأحاديث المتشابهة: وبعد تأويل آياتٍ متشابهاتٍ من كتاب الله، انتقلتُ إلى تأويل بعض الأحاديث المتشابهة مستعينًا ببعض الشروح منها: «**فتح الباري**» لابن حجر العسقلاني[1]،

(١) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر، مات والده وهو طفل صغير فنشأ يتيما، حفظ القرءان وهو في التاسعة من عمره وألم بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث فبرع فيه حتى لقب شيخ الإسلام وأمير المؤمنين، رحل إلى اليمن والحجاز والشام، من مشايخه الحافظ الهيثمي والبلقيني والعراقي، ومن تلاميذه =

و«**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**» للنووي[1]، و«**إكمال المعلم**» للقاضي عياض[2]، و«**مشكل الحديث وبيانه**» لابن فورك[3]، و«**أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**» للخطابي[4]، و«**شرح الكرماني على**

=السخاوي وزكريا الأنصاري، من مؤلفاته: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، توفي سنة ٨٥٢هـ. السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (ج٢، ص٣٦ - ٤٠)**، رقم الترجمة ١٠٤.

(١) النوويّ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمّد بن حِزام الحِزامي الحورانيّ، النوويّ، الشافعيّ، القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الفقيه الرّبانيّ، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان، ولد في المحرم سنة ٦٣١هـ بنوى، من تصانيفه: «شرح مسلم»، و«رياض الصالحين»، و«الأذكار»، و«مختصر علوم الحديث»، وهو «الإرشاد»، ثم اختصره وسمّاه «التقريب»، و«تحرير ألفاظ التنبيه». توفي سنة ٦٧٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٥، ص٤١١ - ٤١٥)**، رقم الترجمة ٦٦١٨.

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن عياض اليحصبيّ، الأندلسيّ، ثم السَّبْتيّ، المالكيّ، الإمام، العلامة، الحافظ الأوحد، جمَعَ وألَّفَ، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، قال القاضي شمس الدين في «وفيات الأعيان»: هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو واللغة، وكلام العرب، وأيامهم، وأنسابهم، من تواليفه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، و«ترتيب المدارك وتقريب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك»، و«العقيدة»، و«جامع التاريخ». توفي في رمضان سنة ٥٤٤هـ، ودُفِنَ بمراكش. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٢٠، ص٢١٢، ٢١٣)**، رقم الترجمة ١٣٦.

(٣) أبو بكر، محمّد بن الحسن بن فورك الأصبهانيّ، الإمام، العلامة، الصالح، شيخ المتكلمين، حدّث عنه البيهقيّ والقشيريّ وابن خَلَف وغيرهم. قال عبد الغافر في سياق التاريخ: الأستاذ أبو بكر بالحيرة يستسقى به، صنّف تصانيف كثيرة بلغت قريب المائة. توفّي سنة ٤٠٦ هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٧، ص٢١٥، ٢١٦)**، رقم الترجمة ١٢٥.

(٤) أبو سليمان الخطّابيّ، حَمْدُ بن محمّد بن إبراهيم بن خطّاب البُسْتيّ، الإمام، العلامة، الحافظ، اللغويّ، صاحب التصانيف، ولد سنة بضعَ عَشْرَةَ وثلاثمائة هجرية، وإذا وقف منصف على مصنفاته، واطّلع على بديع تصرُّفاته في مؤلَّفاته، تحقّق أمانته وديانته فيما يورد وإمامَتَهُ، وقد شرح «سنن أبي داود»، وله «شرح الأسماء الحسنى»، توفّي بُبُسْتَ في شهر ربيع الآخر، سنة ٣٨٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص١١ - ١٣)**، رقم الترجمة ٣٧٧٨.

صحيح البخاري» للكرماني[1]، و«**عمدة القاري شرح صحيح البخاري»** للعيني[2]، و«**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»** للقسطلاني[3]، وقد تضمن هذا الباب سبعةً وخمسين مبحثًا:

---

(١) محمد بن يوسف بن علي، الإمام، العلامة، شمس الدين، أبو عبد الله، الكرماني ثم البغدادي. مولده في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبعمائة. أخذ عن والده وعن جماعة بكرمان ثم ارتحل إلى الشيخ عضد الدين فلازمه اثنتي عشرة سنة وقرأ عليه تصانيفه ثم طاف البلاد ودخل مصر والشام والعراق وحج ثم استوطن بغداد وصنف كتبًا في علوم شتى في العربية والكلام وشرح البخاري شرحًا جيدًا في أربع مجلدات وفيه أوهام فاحشة وتكرار كثير لا سيما في ضبط أسماء الرواة، وله شرح على مختصر ابن الحاجب، وذكر من شروح الكتاب المشهورة سبعة شروح وسماها «الكواكب السبعة» وذكر من شروحه الخفية ثلاثة فاحتوى كتابه على عشرة شروح، قال الحافظ شهاب الدين بن حجي: كان مشارًا إليه في العراق وتلك البلاد في العلم تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة، وكان مقبلًا على شأنه لا يتردد إلى أبناء الدنيا، قانعًا باليسير، ملازمًا للعلم شريف النفس متواضعًا بارًا لأهل العلم متكبرًا على أهل الدنيا. توفي راجعًا من الحج في المحرم سنة ست وثمانين وسبعمائة ونقل إلى بغداد فدفن بمقبرة باب أبرز عند الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بوصية منه في موضع أعده لنفسه ثم بنى عليه ابنه هناك قبة ومدرسة. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية، (ج٣، ص١٨٠)**، رقم الترجمة ٧٠٧.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب سنة ٧٦٢هـ (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ. من كتبه «عمدة القاري في شرح البخاري» أحد عشر مجلدًا، و«مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار» مجلدان، و«مباني الأخبار في شرح معاني الآثار». السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (ج١٠، ص١٣١ - ١٣٥)**، رقم الترجمة ٥٤٥.

(٣) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. من تصانيفه: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، و«المواهب اللدنية في المنح المحمدية»، و«لطائف الإشارات في علم القراآت»، و«الكنز»، و«الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر»، و«شرح البردة» وغيرها. ولد سنة ٨٥١هـ، وتوفي سنة ٩٢٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج١، ص٢٣٢)**.

١ - **المبحث الأول**: جملة من الأحاديث المتشابهة ورد شبهات المجسمة.

٢ - **المبحث الثاني**: تأويل حديث النزول.

٣ - **المبحث الثالث**: تأويل حديث الرحمة.

٤ - **المبحث الرابع**: تأويل حديث «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**».

٥ - **المبحث الخامس**: تأويل حديث «**لا يوطن الرجل المسجد للصلاة أو لذكر الله إلا تبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب إذا قدم عليهم غائبهم**».

٦ - **المبحث السادس**: تأويل حديث «**يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه**».

٧ - **المبحث السابع**: تأويل حديث «**ضحك الله الليلة**».

٨ - **المبحث الثامن**: تأويل حديث «**وإن اقترب إليَّ شبرًا اقتربت منه ذراعًا، وإن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**».

٩ - **المبحث التاسع**: تأويل حديث «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**».

١٠ - **المبحث العاشر**: تأويل حديث «**لا يمل الله حتى تملوا**».

١١ - **المبحث الحادي عشر**: تأويل حديث «**فاستحيا الله منه**».

١٢ - **المبحث الثاني عشر**: تأويل حديث «**حتى يلقاها ربها**».

١٣ - **المبحث الثالث عشر**: تأويل حديث «**فعتب الله عليه**».

١٤ - **المبحث الرابع عشر**: تأويل حديث «**إن الله لا يستحي من الحق**».

١٥ - **المبحث الخامس عشر**: تأويل حديث «**فارجع إلى ربك**».

١٦- **المبحث السادس عشر**: تأويل حديث «**إن ربه بينه وبين قبلته**».

١٧- **المبحث السابع عشر**: تأويل حديث «**يضحك الله إلى رجلين**».

١٨- **المبحث الثامن عشر**: تأويل حديث «**وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة**».

١٩- **المبحث التاسع عشر**: تأويل حديث «**يدنو أحدكم من ربه**».

٢٠- **المبحث العشرون**: تأويل حديث «**حتى يضع رب العزة فيها قدمه**».

٢١- **المبحث الحادي والعشرون**: تأويل حديث «**يمين الله ملأى**» و«**إن الله لا ينام**».

٢٢- **المبحث الثاني والعشرون**: تأويل حديث زينب «**وزوجني الله من فوق سبع سماوات**».

٢٣- **المبحث الثالث والعشرون**: تأويل حديث «**ولا يصعد إلى الله إلا الطيب**».

٢٤- **المبحث الرابع والعشرون**: تأويل حديث «**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

٢٥- **المبحث الخامس والعشرون**: تأويل حديث «**إن الله جميل يحب الجمال**».

٢٦- **المبحث السادس والعشرون**: تأويل حديث «**إنه** -أي الدجال- **أعور وإنَّ اللّه ليس بأعور**».

٢٧- **المبحث السابع والعشرون**: تأويل حديث «**لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

٢٨- **المبحث الثامن والعشرون**: تأويل حديث «**إذا رأيتم الريح فلا تسبوها فإنها من نفس الرحمن**».

٢٩- **المبحث التاسع والعشرون**: تأويل حديث «**فينادي بصوت إن الله**».

٣٠- **المبحث الثلاثون**: تأويل حديث «**ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

٣١- **المبحث الحادي والثلاثون**: تأويل حديث: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**».

٣٢- **المبحث الثاني والثلاثون**: تأويل حديث «**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض**».

٣٣- **المبحث الثالث والثلاثون**: تأويل حديث «**سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدُّك ولا إله غيرك**».

٣٤- **المبحث الرابع والثلاثون**: تأويل حديث «**صلى الله عليه عشرًا**».

٣٥- **المبحث الخامس والثلاثون**: تأويل حديث «**ألا تصفّون كما تصف الملائكة عند ربها**».

٣٦- **المبحث السادس والثلاثون**: تأويل حديث «**لينتهِينّ أقْوامٌ يرْفعُون أبصارهُم إِلى السّماءِ فِي الصّلاةِ أو لا ترْجِعُ إِليهِم**».

٣٧- **المبحث السابع والثلاثون**: تأويل حديث «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

٣٨- **المبحث الثامن والثلاثون**: تأويل حديث «**وروحٌ منه**».

٣٩- **المبحث التاسع والثلاثون**: تأويل حديث «**يبتغي بذلك وجه الله**».

٤٠- **المبحث الأربعون**: تأويل حديث «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**».

٤١- **المبحث الحادي والأربعون**: تأويل حديث «**له جؤارٌ إلى الله بالتّلبية**».

٤٢- **المبحث الثاني والأربعون**: تأويل حديث «**نورٌ أنّى أراه**».

٤٣- **المبحث الثالث والأربعون**: تأويل حديث «**فيكشف الحجاب**».

٤٤- **المبحث الرابع والأربعون**: تأويل حديث «**فإنكم ترونه كذلك**»، وحديث «**فيأتيهم الله**»، وحديث «**في غير صورته التي يعرفون**»، وحديث «**في الصورة التي يعرفونها**»، وحديث «**في أدنى صورة**»، وحديث «**فيكشف عن ساق**»، وحديث «**حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد**»، وحديث «**فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة**».

٤٥- **المبحث الخامس والأربعون**: تأويل حديث «**من ضَحِكِ رب العالمين**».

٤٦- **المبحث السادس والأربعون**: تأويل حديث الشفاعة.

٤٧- **المبحث الثابع والأربعون**: تأويل حديث «**قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**».

٤٨- **المبحث الثامن والأربعون**: تأويل حديث «**فأوى إلى الله فآواه الله**».

٤٩- **المبحث التاسع والأربعون**: تأويل حديث «**اللهم أنت الصاحب في السفر**».

٥٠- **المبحث الخمسون**: تأويل حديث «**وساعد الله أشد من ساعدك**».

٥١- **المبحث الحادي والخمسون**: تأويل حديث «**لا شخص أغير من الله**».

٥٢- **المبحث الثاني والخمسون**: تأويل حديث «**تعلّقت بحقو الرحمن**».

٥٣- **المبحث الثالث والخمسون**: تأويل حديث «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**».

٥٤- **المبحث الرابع والخمسون**: تأويل حديث «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به**».

٥٥- **المبحث الخامس والخمسون**: تأويل حديث قدسي «**مرضت فلم تعدني**».

٥٦- **المبحث السادس والخمسون**: تأويل حديث «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم، سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**».

الباب الخامس: ردّ شبه المشبهة المجسمة، ويتضمن خمسة مباحث:

١- **المبحث الأول**: تبرئة الإمام أحمد من المشبهة المجسمة.

٢- **المبحث الثاني**: الشبهة الأولى: إن قال قائل: لم أنكرتم أن يكون القديم سبحانه جسمًا.

٣- **المبحث الثالث**: الشبهة الثانية: قولهم بالجسمية والحيز والجهة في حق الله تعالى.

٤- **المبحث الرابع**: الشبهة الثالثة: تمسك المجسمة بحديث الجارية.

٥- **المبحث الخامس**: الشبهة الرابعة: تمسك المجسمة بقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ لإثبات الجلوس بزعمهم في حق الله تعالى.

٦- **المبحث السادس**: الشبهة الخامسة: تمسكهم بقصة المعراج وقول فرعون، وبيان أهل الحق بخصوص ذلك.

الباب السادس: التأويل الفاسد عند الفرق الكلامية وردود علماء الكلام من أهل السنة والجماعة: فقد تعرضت في هذا الباب لنشأة التأويل وبيَّنْتُ

مواقف بعض الفرق منه. فبدأت بمقدمة يسيرة أمهِّدُ من خلالها الفكرة الأساسية للقارئ، ثم في كل مبحث كنت أتناول فرقة من الفرق. فذكرت لكل منهم تعريفًا مع جملة من اعتقاداتهم، وذكر ما انحرفوا فيه من التأويل، ثم الرد عليهم.

وهذه الفرق هي: الخوارج[١]، والمرجئة[٢]، والمعتزلة[٣]، والباطنية[٤].

---

(١) **الخوارج**: خرج معاوية بن أبي سفيان على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسار إليه علي كرم الله وجهه، والتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة، ودام القتال بها أيامًا، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدة من عمرو بن العاص فكَرِهَ الناس الحرب وتداعوا إلى الصلح، وحكَّمُوا الحكمين، فخرجت على سيدنا علي بن أبي طالب الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا: «لا حكم إلا لله» وعسكروا بحروراء وهو موضع بالكوفة، وبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل، فسار إليهم علي فقاتلهم بالنهروان وتشتت الباقون وتوزعوا إلى عشرين فرقة، يجمعهم إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر. السيوطي، **تاريخ الخلفاء، (ص١٣٨)**. أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق، (ص٥٤، ٥٥)**.

(٢) **المرجئة**: جملة المرجئة ثلاث فرق، والإرجاء في اللغة هو التأخير وإنما سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان على معنى أنهم يقولون: «لا تضر المعصية مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر» وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم، وهؤلاء افترقوا خمس فرق: اليونسية، الغسانية، التومنية، الثوبانية والمريسية. أبو المظفر الأسفراييني، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (ص٩٧ - ٩٩)**.

(٣) **المعتزلة**: ينقسمون إلى عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرها، ويجمعها كلها في بدعتها أمور، منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية، ومنها اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله تعالى، ومنها قولهم جميعًا بأن الله غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات ولأجل هذا سماهم المسلمون قدرية، ومنها اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وأنه لا مؤمن ولا كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها، وغيرها من الضلالات. أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق، (ص٩٣، ٩٤)**.

(٤) **الباطنية**: ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر سائر أصناف الكفرة عليهم، ومن الذين أسسوا هذه الجماعة: ميمون بن ديصان المعروف بالقدّاح ومحمد بن الحسين الملقب=

وقد خصّصتُ الـمبحث الخامس لبيان موقف الأشاعرة[1] أهل السنة والجماعة من التأويل. ففي هذا الجزء قمت بسرد معتقدات أهل الحقّ، وذكرت أشهر الـمتشابه من الكتاب والسنة، مما يتعلق بالعقائد وصفات الله، وما يرتبط بصحة العقيدة وما يتعلق بالأحكام، مع بيان معتقد أهل السنة والجماعة وتأويلاتهم الـمعتبرة بهذا الخصوص، ويتضمن خمسة مباحث قسمتها بهذا التقسيم:

١- **الـمبحث الأول**: الخوارج.

٢- **الـمبحث الثاني**: الـمرجئة.

٣- **الـمبحث الثالث**: القدرية «الـمعتزلة».

٤- **الـمبحث الرابع**: الباطنية.

٥- **الـمبحث الخامس**: الأشاعرة وعقيدة أهل السنة والجماعة.

= بذيذان حيث كانا مسجونين مع غيرهم في سجن والي العراق، وظهرت دعوتهم بعد خروجهم وكثر أتباعهم ناحية الـمغرب حيث ادعى ميمون بن ديصان بأنه منسوب للنبي عليه الصلاة والسلام ليجلب الناس إليه، وأساس مذهبهم أنهم كانوا من الـمجوس مائلين إلى دين أسلافهم ولـم يجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف الـمسلـمين، فنافقوا وفضّلوا أديان الـمجوس وتأوّلوا آيات القرءان وسنن النبي ﷺ على موافقة أساسهم، ومن ضلالاتهم أن النور خالق الخيرات والـمنافع، والظلام فاعل الشر والـمضار، ومنها أنهم أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات وأباحوا شرب الخمر وجميع الـمحرمات وأحلُّوا اللواط ومنعوا إطفاء النار لأنها من معبوداتهم الباطلة وأمروا بقطع يد من أطفأ نارًا بيده وبقطع لسان من أطفأها بنفخة. أبو منصور البغدادي. **الفرق بين الفرق**، (ص٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠).

(١) **الأشاعرة**: أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان من الأئمة الـمتكلـمين الـمجتهدين، تلقى مذهب الـمعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، نصر السنة وأحكم الردود على مخالفيها بالحجة البالغة، ورد الشبه وقمع البدع، وكان مقررًا لـمذاهب السلف الصالح، ومناضلًا عما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ وأقام على ذلك الحجج والبراهين وقد أجمعت على مذهبه الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة. تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (ج٢، ص٢٥٤).

الباب السابع: مبادئ وضوابط تتصل بالتأويل: بدأت بمقدمة يسيرة تعرضت فيها إلى السبيل للتمييز بين الآية المُحكمة والآية المتشابهة، ثم بيّنتُ أنَّ القرءان يوصف بأنه محكم ومتشابه، واستعرضت في المبحث التالي شروح الآية التي هي محور دراستنا، وهي قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[٢]

وبعد أن أبحرت في يمِّ هذه الآية الكريمة، ذكرتُ أن لها قراءتين واردتين، ثم أبرزت هاتين القراءتين مع شرح المعنى على كل قراءة، وهما: قراءة الوقف وقراءة الوصل. ثم أتبعت ذلك ببعض تفاسير الآية من تراث مفسري الأمة، ومنهم: «النسفي[٣]»، و«البغوي[٤]» و«الخازن[٥]» وغيرهم. وفي المبحث الذي يلي عرجت على أنواع التأويل وأشهر رجاله. وفي المبحث الأخير أشرت إلى المجاز وعلاقته بالتأويل.

---

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، الشيخ الصالح، علاء الدين، أبو الحسن البغدادي، خازن الكتب بالخانقاه السميساطية. مولده سنة ثمان وسبعين وستمائة. سمع الحديث وكان من أهل العلم، جمع وألف أشياء فمن ذلك تفسير القرءان و«شرح عمدة الأحكام» وأضاف إلى جامع الأصول سنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد وسنن الدارقطني سماه «مقبول المنقول»، وجمع سيرة وحدث ببعض مصنفاته، وكان صوفيًّا بالخانقاه المذكورة. قال ابن رافع: كان بشوش الوجه ذا تودد وسمت حسن. توفي في شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. أبو بكر بن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج٣، ص٤٢)، رقم الترجمة ٦٠٤.

فهذا الباب يتضمن ثمانية مباحث على الشكل التالي:

١- **المبحث الأول**: في وصف القرءان بأنه محكم ومتشابه.

٢- **المبحث الثاني**: الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٧﴾[1] والقراءتان الواردتان.

٣- **المبحث الثالث**: أقوال علماء الملة في تفسير الآية.

٤- **المبحث الرابع**: أنواع التأويل وأشهر من قال به.

٥- **المبحث الخامس**: المجاز وعلاقته بالتأويل.

٦- **المبحث السادس**: شبهات نفاة المجاز والرد عليها.

٧- **المبحث السابع**: إعجاز القرءان.

٨- **المبحث الثامن**: معرفة شروط المفسّر وآدابه.

الباب الثامن: اتفاق السلف والخلف على وجوب تنزيه الله تعالى مع نقل أقوال ثابتة عنهم. ويتضمن ثلاثة مباحث:

١- **المبحث الأول**: تحقيق حول الظاهر المتبادر إلى الأفهام من آيات الصفات.

٢- **المبحث الثاني**: تفويض المعنى لا الكيف في المتشابهات.

٣- **المبحث الثالث**: التأويل صرف اللفظ عن المعنى المتبادر إلى غيره.

وألقى قلمُ البحث عصا الترحالِ، يرجو بلوغ الذُّرى وحمد السُّرى، بخاتمةٍ وضعت فيها زبدة الفحوى وصفوة المحتوى، موردًا توصياتٍ مهماتٍ، جاءت مكنوناتها على النحو التالي:

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

توصيات على الصعيد العملي، أوصي فيها ببعض الإجراءات العملية لتكون ترجمة واقعية ملموسة تضيء طريق العلاج والإصلاح، وأخرى على الصعيد العلـمي، لخّصْتُ فيها موقف السلف والخلف من التأويل بوضوح لا لبس فيه، كي يكون عمدة في مقام تقرير القواعد النظرية في منهجية العمل والتطبيق وضابطًا أساسًا في معالجة القضايا المستجدة التي طال فيها حبل الجدل العقيم بين أطرافٍ تفتقر إلى الميزان السليم ولا سيما في هذا العصر.

وبعد، فذا صباح الرشاد وذي شمس الهدى من خير زاد أوصى به خير العباد، كتاب الله وسنة رسوله، وذي خلاصة درر الأكابر قد انتظمتْ فرائدها وتألقت فراقدها في عقدِ بحثٍ وقف صاحبه في مقام الاعتراف بالقصور والتقصير، إذ قلمهُ قلم غير معصوم، وقديمًا قالوا: «العلمُ إن أعطيتَهُ كُلَّكَ أعطاك بعضَهُ»، فكيف بك إذا أعطيته بعضَك؟! غير أني ألتمس بصدق النية وصافي الغاية ونبيل المقصد في خدمة الأصلين الجليلين -الكتاب والسنة- الأجر والقبول من الله سبحانه وتعالى، عسى أن يكون ذخرًا لي في يومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني عملي، ويجعل فيه مزيد هدًى للهداة، وطريق اعتدال للغلاة، وصراط توبة للنفاة، إنه على ذلك لقدير وبالإجابة جدير، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وعليه تكلاننا وإليه المصير.

الباب الأول
في فضل علم التوحيد

ويتضمن ثمانية مباحث:

١- **المبحث الأول**: بيان أهمية علـم التوحيد وأنه أفضل العلوم.

٢- **المبحث الثاني**: منهج علماء الكلام في الدفاع عن العقيدة.

٣- **المبحث الثالث**: بيان نشأة علـم الكلام.

٤- **المبحث الرابع**: التعريف بالسلف.

٥- **المبحث الخامس**: الفرق بين السلف وبين أدعياء السلفية الـمعاصرين.

٦- **المبحث السادس**: التعريف بالخلف.

٧- **المبحث السابع**: مقدّمة في نشأة الفرق الضالة.

٨- **المبحث الثامن**: منهج علـماء الكلام في تقرير العقيدة.

الـمبحث الأول

بيان أهمية علـم التوحيد وأنه أفضل العلوم

بيانُ مقامِ العلـم والعلـماءِ في قولهِ تَعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾﴾[1]، واللهُ تعالى ما أمرَ نبيَّهُ ﷺ في القرءان بطَلَبِ الازديادِ مِن شيء إلا مِنَ العلـم فقالَ عَزَّ مِن قائلٍ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[2].

ليعلـم أن أعلى العلوم وأوجبها وأفضلها هو علـم التوحيد ذلك لأن شرف العلـم بشرف الـمعلوم، حيث إن علـم التوحيد هو العلـم الذي يفيد معرفة الله على ما يليق به ومعرفة رسله على ما يليق بهم، وتنزيه الله عما لا يجوز عليه، وتبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم، أو يقال: هو العلـم الذي يعرف به ما يجوز على الله وما يليق به وما لا يجوز عليه وما يجب له من أن يعرف في حقه سبحانه وتعالى.

ولـما كان علـم التوحيد يفيد معرفة الله على ما يليق به وتنزيه الله عما لا يجوز عليه وتبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم كان أفضل من علـم الأحكام قال الله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴿١٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة **المجادلة**، ءاية ١١.

(٢) سورة **طه**، ءاية ١١٤.

(٣) سورة **محمد**، ءاية ١٩.

وقال الإمام أبو حنيفة[1] في كتابه «**الفقه الأبسط**»[2]: «اعلـم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، والفقه معرفة النفس ما لها وما عليها».

وقال أيضًا[3]: «أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه وما يتعلق منها بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر».

وكان الإمامُ الشافعيُّ[4] رضي الله عنه يتقنُ علم التّوحيد حتى قال «أحكمْنا ذاك قبل هذا» أي أتقنّا علم التّوحيد قبل فروع الفقه، أخرجه البيهقيّ[5]

---

(١) أبو حنيفة، الإمام، فقيه الملة، النعمان بن ثابت بن زُوْطَى التيميّ، الكوفيّ، مولى بني تيم الله ابن ثعلبة، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة، ورأى أنسَ بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، ولم يثبت له رواية عن أحد منهم، روى عن التابعين أمثال: عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له، والشعبيّ وغيرهما. عُنِيَ بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك، وقد صلّى العشاء والصبح بوضوءٍ واحد أربعين سنة، فكان لا ينام الليل بل يحييه صلاة وتضرعًا ودعاءً. توفّي شهيدًا مَسقيًّا، في سنة ١٥٠هـ وله سبعون عامًا ببغداد. **الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٥٣١ - ٥٣٨)**، رقم الترجمة ١١٢٩.

(٢) الإمام أبو حنيفة، **الفقه الأبسط، (ص٤٠)**. (العقيدة وعلـم الكلام من أعمال محمد زاهد الكوثري).

(٣) الإمام أبو حنيفة، **الفقه الأبسط، (ص٤٠)**.

(٤) محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عُبَيْد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مناف، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه المِلّة، أبو عبد الله القرشيّ، ثم المطلبيّ، الشافعيّ، المكيّ، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، ولد بغزة، وانتقل إلى مكّة ونشأ فيها، وأقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك وتقدّم، ثم حُبّب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، حمل عن مالك بن أنس «الموطّأ» وصنّف التصانيف، ودوّن العلم، وصنّف في أصول الفقه وفروعه، وبَعُد صيته، وتكاثر عليه الطلبة. ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفّي سنة ٢٠٤هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٧، ص٣٣٥ - ٣٧٠)**، رقم الترجمة ١٦٧٤.

(٥) الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين الفقيه الشافعي، ولد في نيسابور سنة ٣٨٤ هـ، ويكون بذلك من الخلف لأنه ولد في القرن الرابع الهجري ولـم يدرك القرن الثالث. وقد تلقى العلـم عن أبي عبد الله الحاكم صاحب «الـمستدرك على الصحيحين في الحديث» وأبي علي الروذباري وابن فورك وغيرهم. وله العديد من الـمصنفات منها: «السنن الكبرى»، «دلائل النبوة»، «الأسماء=

في «**مناقب الشّافعيّ**»[1].

وذلك لأن أفضل العلم العلم بالله ورسوله ويسمى علم التوحيد وسماه الإمام أبو حنيفة الفقه الأكبر كما في بعض رسائله[2] لأنه أهم أمور الدين، وهو أساس علم الدين أساس الإسلام، لا يحصل الإسلام بدونه. فمن مزاياه أن من عرف الله على مذهب أهل السنة والجماعة وعرف نبيه ﷺ ومات على هذا الاعتقاد يدخل جنة الله مهما كان عليه من الذنوب، فهؤلاء الذين يموتون على التوحيد بعضهم إن كان عليهم ذنوب كبيرة يسامحهم الله ولا يعذبهم والبعض يعذبهم ثم يخرجهم إلى الجنة، هذا مزية علم التوحيد، أما سائر العلوم علم الصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من علوم الأحكام فليس له هذه المزية، فكم من أناس حفظوا القرءان ويكثرون الصلاة والصيام ماتوا من غير أن يعرفوا التوحيد على مذهب أهل السنة ماتوا وهم يعتقدون أن الله جسم، فهؤلاء ما عرفوا الله ولا ينفعهم قول لا إله إلا الله باللفظ ولا حفظ القرءان، وكل أعمالهم غير مقبولة عند الله، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[3] ذلك أن الإيمان بالله ورسوله على الوجه الصحيح شرط لقبول الأعمال الصالحة أي لصحتها ونيل ثوابها في الآخرة.

= والصفات»، وهي كتب عظيمة النفع سارية النور إلى يومنا هذا. وقد توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٨، ص١٦٣ - ١٧٠)، رقم الترجمة ٨٦.

(١) البيهقي، **مناقب الشافعي**، (ج١، ص٤٥٧).

(٢) كمال الدين البياضي، **إشارات المرام من عبارات الإمام**، (ص٢٩، ٣٠).

(٣) سورة **إبراهيم**، ءاية ١٨.

فهذا العلـم علـم التوحيد كان الـمسلـمون في العصر الأول يعتنون به أكثر ممن بعدهم، فهذا أبو حنيفة رضي الله عنه مات سنة مائة وخمسين هجرية وقد ألّف خمس رسائل في علـم التوحيد وهي: **الفقه الأكبر والفقه الأبسط والوصية والعالم والمتعلم ورسالة إلى عثمان البتي**.

وقد ألّف كثير من العلـماء رسائل في التوحيد ليعرفوا عقيدتهم التي بعث الله بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولتحصين الناس من شُبَه الـمبتدعة على اختلاف أصنافهم ومشاربهم أعاذنا الله منهم.

قال الإمام الجنيد البغدادي[1] سيد الطائفة الصوفية[2] رضي الله عنه: «التوحيد إفراد القديم من الـمحدَث».

وقال الشيخ أبو علي الرّوذباري[3] تلـميذ الإمام الجنيد[4]: «التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه، والتوحيد في كلـمة

---

(١) الجنيد البغدادي، الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم، صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وعرف الجنيد بالخزاز لانه كان يعمل الخز. له «رسائل» منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، ومسائل أخرى، وله «دواء الأرواح». توفي سنة ٢٩٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٢، ص١٤١).

(٢) القشيري، **الرسالة القشيرية في علـم التصوف**، (ص٣).

(٣) أبو علي الروذباري، شيخ الصوفية. قيل: اسمه: أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور، وقيل: اسمه حسن بن هارون. سكن مصر، صحب الجنيد، وأبا الحسين النوري، وأبا حمزة البغدادي، وابن الجلاء. وحدث عن: مسعود الرملي وغيره، وقال: «أستاذي في الفقه ابن سريج، وفي الأدب ثعلب، وفي الحديث إبراهيم الحربي». توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. أخذ عنه: ابن أخته، ومحمد بن عبد الله الرازي، وأحمد بن علي الوجيهي، ومعروف الزنجاني، وآخرون. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٤، ص٥٣٥، ٥٣٦).

(٤) القشيري، **الرسالة القشيرية**، (ص٥).

واحدة كل ما صورته الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري[2] [3]: «أهل السنة فسّروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل».

فالعلـم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمى علـم الأصول وعلـم التوحيد وعلـم العقيدة، وقد خصّ النبي ﷺ نفسه بالترقّي في هذا العلـم فقال: «**أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له**»[4] فكان هذا العلـم أهمّ العلوم تحصيلًا وأحقّها تبجيلًا وتعظيمًا قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾﴾[5] قدّم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار لتعلّق التوحيد بعلـم الأصول، وتعلق الاستغفار بعلـم الفروع.

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) أبو عبد الله البخاريّ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه، وهي لفظة فارسيَّة، معناها الزرّاع، الإمام، العالم، الحافظ، صاحب «الجامع الصحيح»، تنقّل في البلدان وسمع أكابر المحدّثين في بخارى، وبلخ، ونيسابور، والريّ، وبغداد، والبصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة، ومصر، والشام، وقد كتب عن ألف وثمانين رجلًا ليس فيهم إلا صاحب حديث، ومن أعلى شيوخه الذين حدّثوه عن التابعين، وأوساطهم الذين رووا عن الأوزاعي وغيره، وعدة طبقات من الناس. ومن مؤلفاته العظيمة: «التاريخ الكبير». ولد في شوّال سنة ١٩٤هـ، توفّي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ١٣ يومًا. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٨، ص٥٣٦ ٥٧٠)، رقم الترجمة ٢٢٧٤. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٣٤).

(٣) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. (ج١٣، ص٣٤٤).

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**»، (ج١، ص٣٢).

(٥) سورة **محمّد**، ءاية ١٩.

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة[1] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أيّ العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»[2].

وصحّ عن جندب بن عبد الله[3] رضي الله عنه أنه قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[4]، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرءان ثم تعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه ابن ماجه[5] في سننه[6].

فهذا يدل على أهمية علم التوحيد الذي كان لعلماء السلف اهتمام بالغ في تحصيله وتعليمه للناس.

---

(١) أبو هريرة، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، الدوسيُّ، اليماني، سيد الحفّاظ الأثبات، اختلف في اسمه على أقوال، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر، حمل عن النبيّ عليه الصلاة والسلام علمًا كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه، لم يُلحق في كثرته. حدّث عنه كثير من الصحابة والتابعين، فبلغ عدد أصحابه ٨٠٠، وقد كان وثيق الحفظ، ما عُلِم أنه أخطأ في حديث، توفّي سنة ٥٩هـ، وله ثمان وسبعون سنة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٣، ص٥١٣ - ٥٣٤)، رقم الترجمة ٣٥٨.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، (ج١، ص٤٤).

(٣) جندب بن عبد الله، ويقال: جندب بن كعب، أبو عبد الله الأزدي صاحب النبي ﷺ. روى عن النبي، وعن علي، وسلمان الفارسي. حدث عنه: أبو عثمان النهدي، والحسن البصري، وتميم ابن الحارث، وحارثة بن وهب. قدم دمشق، ويقال له: جندب الخير، وهو الذي قتل المشعوذ. روى خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي: أن ساحرًا كان يلعب عند الوليد بن عقبة الأمير، فكان يأخذ سيفه، فيذبح نفسه ولا يضره، فقام جندب إلى السيف، فأخذه، فضرب عنقه، ثم قرأ: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٣، ص١٧٥)، رقم الترجمة ٣١.

(٤) حزاورة: جمع حزوّر وهو الغلام إذا اشتد وقوي.

(٥) محمّد بن يزيد الربعيّ القزوينيّ، أبو عبد الله، ابن ماجه، أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث، وصنَّف كتابه «سنن ابن ماجه» وهو أحد الكتب الستة المعتمدة، وله: «تفسير القرءان»، و«تاريخ قزوين». ولد سنة ٢٠٩ هـ ٨٢٤م، وتوفّي سنة ٢٧٣ هـ ٨٨٧ م. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص١٤٤).

(٦) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، باب في الإيمان، (ج١، ص٢٣).

وفي «**فتاوى قاضيخان**[1]»[2] على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ما يدل على أهمية الاعتناء بعلـم التوحيد وتعليمه للناس، فقد ورد فيه ما نصه: «تعليم صفة الخالق مولانا جل جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدّوا للوعظ أن يلقّنوا الناس في مجالسهم على منابرهم ذلك قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾[3] وعلى الذين يؤمّون في الـمساجد أن يعلـموا جماعتهم شرائط الصلاة وشرائع الإسلام وخصائص مذاهب الحق، وإذا علـموا في جماعتهم مبتدعًا أرشدوه وإن كان داعيًا إلى بدعته منعوه وإن لـم يقدروا رفعوا الأمر إلى الحكام حتى يجلوه عن البلدة إن لـم يمتنع، وعلى العالـم إذا علـم من قاض أو من آخر يدعو الناس إلى خلاف السنة أو ظن منه ذلك أن يعلـم الناس بأنه لا يجوز اتباعه ولا الأخذ عنه فعسى يخلط في أثناء الحق باطلًا يعتقده العوامّ حقًّا ويعسر إزالته».

---

(١) أبو المحاسن حسن بن منصور بن محمود البخاري الحنفي، الـمعروف بقاضي خان الأوزجندي، صاحب التصانيف. سمع الكثير من الإمام ظهير الدين الحسن بن علي بن عبد العزيز، ومن إبراهيم بن عثمان الصفاري وطائفة. وأملى مجالس كثيرة. روى عنه: العلامة جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري، أحد تلامذته. بقي إلى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فإنه أملى في هذا العام. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢١، ص٢٣٢)، رقم الترجمة ١١٧.

(٢) قاضيخان الأوزجندي الفرغاني، **فتاوى قاضيخان في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان**، الباب الثاني فيما يكون كفرًا من الـمسلـم وما لا يكون، (ج٢، ص٣٢٠).

(٣) سورة **الذاريات**، ءاية ٥٥.

قال الحافظ ابن عساكر[1] ما نصه[2]: «سئل الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله فقيل له: أرباب التوحيد هل يتفاوتون فيه؟ فقال: إن فرقت بين مُصَلٍّ ومُصَلٍّ وعلمت أن هذا يصلي قلبه مشحون بالغفلات وذاك يصلي وقلبه حاضر ففرق بين عالم وعالم، هذا لو طرأت عليه مشكلة لم يمكنه الخروج منها، وهذا يقاوم كل عدو للإسلام ويحل كل معضلة تعز في مقام الخصام، وهذا هو الجهاد الأكبر، فإن الجهاد في الظاهر مع أقوام معينين وهذا جهاد مع جميع أعداء الدين، وهو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وللخراج في البلد قانون معروف إذا أشكل خراج بقعة رجع الناس إلى ذلك القانون، وقانون العلم بالله قلوب العارفين به، فرواة الأخبار خزان الشرع والقراء من الخواص والفقهاء حفظة الشرع وعلماء الأصول هم الذين يعرفون ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الصانع وهم الأقلون اليوم، وفي هذا قال الشاعر: [الطويل]

رمى الدهرُ بالفتيانِ حتَى كأنهم بأَكنافِ أطْرافِ السَماءِ نُجومُ

قَلَّت عناية الناس بعلم الأصول إذ ليس فيه وقف ورفق يأكلونه فميلهم إلى ما يقربهم من الدنيا ويوليهم الأوقاف والقضاء.

---

(١) ابن عساكر، الإمام العلامة، الحافظ الكبير، محدّث الشام، ثقة الدين، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقيّ الشافعيّ، صاحب «تاريخ دمشق». ولد في المحرّم في أول الشهر سنة ٤٩٩هـ، عدد شيوخه الذين في «معجمه» ألف وثلاثمائة شيخ، وبضع وثمانون امرأة، وكان فهمًا حافظًا متقنًا، لا يلحق شأوه ولا يشقّ غباره. ومن كتبه: «الموافقات»، و«عوالي مالك»، و«تبيين كذب المفتري فيما يُنْسَبُ إلى الأشعريّ» وغيرها كثير. توفي سنة ٥٧١هـ، وصلى عليه القطب النيسابوريّ، وحضره السلطان صلاح الدين ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٢، ص٦٦٩-٦٧٧)، رقم الترجمة ٥٢٩٥.

(٢) ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري**، (ص ٣٥٦، ٣٥٧).

والطريق أيضًا مشكل فهو علـم عزيز، والطريق إلى الأعزة عزيز، وقد يرى بعض الجواهر أثبت له درة من العز فلا توجد إلا عند الخواص فهو وإن كان حجرًا غير مبتذل فما الظن بجوهر الـمعرفة.

قال أبو عبد الله بن مجاهد[1] الـمتكلـم لبعضهم: [الخفيف]

أيُّـها الـمقتدي لـيَـطْـلُبَ عـلـمًا كـلُ علم عـبـدٌ لعلم الـكـلامِ
تطلبُ الفقهَ كي تصححَ حكمًا ثم أغـفلت مـنزلَ الأحـكامِ».

فظهر من ذلك أن صرف الهمّة لتحصيل هذا العلـم وتعليمه للناس مقدم على غيره من العلوم، لأن العبادة لا تصح إلا بعد معرفة الـمعبود كما قال الغزالي[2]، وذلك لأنه من يشبّه الله تعالى بشيء ما لـم تصح عبادته لأنه يعبد شيئًا تخيّله وتوهّمه في مخيلته وأوهامه، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[3]، قال الإمام عليٌّ رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: «علـموا أنفسكم وأهليكم

---

(١) أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري، صاحب أبي الحسن الأشعري. قدم بغداد، وصنف التصانيف، ودرس علم الكلام، اشتغل عليه القاضي أبو بكر بن الطيب. روى عنه: عبد الوهاب الداراني، وعلي بن بشرى، ومكي بن الغمر وآخرون. ووثقه عبد العزيز الكتاني. وقد أملى بجامع دمشق. توفي في شوال سنة ثمان وستين وثلاثمائة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**،(ج١٦، ص٣٠٥، ٣٠٦)، رقم الترجمة ٢١٤.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الشيخ، البحر، صاحب التصانيف. ولد سنة ٤٥٠هـ. وله من المصنفات نحو ٢٠٠ مصنف، وقد أخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام. ومن كتبه «إحياء علوم الدين»، و«الـمستصفى»، و«الـمنخول»، و«تهافت الفلاسفة»، و«الـمنقذ من الضلال». توفي سنة ٥٠٥هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٩، ص٣٢٢)، رقم الترجمة ٢٠٤.

(٣) سورة **التحريم**، ءاية ٦.

الخير» رواه الحاكم[1] في «**المستدرك**»[2]، يعني أن حفظ النفس والأهل من النار التي عظّم الله أمرها يكون بتعلـم الأمور الدينية أي معرفة ما فرض الله فعله أو اجتنابه أي الواجبات والمحرمات وذلك كي لا يقع في عبادة فاسدةٍ، وبتعلـم ما يجوز اعتقاده وما لا يجوز وذلك كي لا يقع في التشبيه والتمثيل والكفر والضلال.

(١) أبو عبد الله الحاكم، محمّد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضّبّيّ، الطهمانيّ، النيسابوريّ، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيّع، من أكابر حفّاظ الحديث والمصنّفين فيه، مولده ووفاته في نيسابور، أخذ عن نحو ألفي شيخ، وولي قضاء نيسابور ثم قُلِّد قضاء جرجان فامتنع، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه، من تصانيفه: «تاريخ نيسابور»، و«المستدرك على الصحيحين»، و«الإكليل»، و«معرفة علوم الحديث». ولد ٣٢١هـ ٩٣٣م، مات ٤٠٥هـ ١٠١٤م. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٢٧).

(٢) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (ج٢، ص٤٩٤).

المبحث الثاني
منهج علماء الكلام في الدفاع عن العقيدة

كما يسمّى هذا العلم علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، ويسمى أيضًا مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة علم الكلام؛ والسبب في تسميته بهذا الاسم كثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام وطول الكلام فيه من أهل السنّة لتقرير الحقّ؛ وقيل لأن أشهر الخلافات فيه مسئلة كلام الله تعالى أنه قديم -وهو الحقّ- أو حادث[1]. فالحشوية قالت: كلامه صوت وحرف، حتى بالغ بعضهم فقال: إن هذا الصوت أزلي قديم، وإن أشكال الحروف التي في المصحف أزلية قديمة، فخرجوا عن دائرة العقل، وقالت طائفة أخرى: إن الله تعالى متكلم بمعنى أنه خالق الكلام في غيره كالشجرة التي سمع عندها موسى كلام الله لا بمعنى أنه قام بذات الله كلام هو صفة من صفاته وهم المعتزلة قبّحهم الله، وقال أهل السنّة: إن الله متكلم بكلام ذاتي أزلي أبدي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا يختلف باختلاف اللغات.

وموضوع علم الكلام هو النظر أي الاستدلال بخلق الله تعالى لإثبات وجوده وصفاته الكمالية وبالنصوص الشرعية المستخرج منها البراهين، وهو على قانون الإسلام لا على أصول الفلاسفة، لأن الفلاسفة لهم كلام في ذلك يعرف عندهم بالإلهيات.

---

(١) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ص١٢).

وعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله تعالى وفي حق الـملائكة وغير ذلك اعتمادًا على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلـمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ؛ فالعقل عند علـماء التوحيد شاهد للشرع ليس أصلًا للدين، وأما الفلاسفة فجعلوه أصلًا من غير التفات إلى ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام، فلا يتقيّدون بالجمع بين النظر العقلي وبين ما جاء عن الأنبياء، على أن النظر العقلي السليم لا يخرج عمّا جاء به الشرع ولا يتناقض معه.

قال الغزالي في «**الإحياء**» ما نصه[1]: «وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير».

قال الحافظ ابن عساكر[2]: «قال الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني[3]: رأيت إبراهيم الخليل عليه السلام في الـمنام فأهويت لأن أقبل رجليه فمنعني من ذلك تكرمًا لي فاستدبرت فقبلت عقبيه، فأوّلته الرفعة

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، باب بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة، (ج١، ص٥٢).

(٢) ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، (ص٣٥٥، ٣٥٦).

(٣) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، أبو محمد الجويني، وكان يلقب بركن الإسلام. أصله من قبيلة من العرب، قرأ الأدب بناحية جوين على والده والفقه على أبي يعقوب الأبيوردي ثم خرج إلى نيسابور فلازم أبا الطيب الصعلوكي ثم رحل إلى مرو لقصد القفّال فلازمه حتى برع عليه مذهبًا وخلافًا وعاد إلى نيسابور سنة سبع وأربعمائة وقعد للتدريس والفتوى، وكان إمامًا في التفسير والفقه والأدب مجتهدًا في العبادة ورعًا مهيبًا صاحب جد ووقار. توفي بنيسابور في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة. وصنف تفسيرًا كبيرًا يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل ءاية وله تعليقة في الفقه متوسطة و«الفروق» مجلد ضخم و«السلسلة» مجلد وكتاب «المختصر» وهو مختصر المزني وكتاب «التبصرة» مجلد لطيف غالبه في العبادات وغير ذلك. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج٣، ص٤٢)، رقم الترجمة ١٧١.

والبركة تبقى في عقبي، ثم قلت: يا خليل الله ما تقول في علـم الكلام، فقال: يدفع به الشّبه والأباطيل».

فعلماء الكلام من أهل السنة ذكروا الأدلة العقلية على إثبات وجود الله تعالى وإثبات حدوث العالـم وهو كل ما سوى الله، وما يجب لله تعالى من صفات الكمال التي تليق به، وما يجب تنزيهه عنه من صفات الـمخلوقين كالجسمية والـمكان ومشابهة الخلق وغير ذلك مما لا يجوز أن يوصف الله به.

فمثلًا قالوا[1]: من البراهين العقلية على حدوث العالـم أن الجسم لا يخلو من الحركة والسكون وهما حادثان لأنه بحدوث أحدهما ينعدم الآخر، فما لا يخلو من الحادث حادث فالأجسام حادثة.

ولهم دليل آخر على إثبات حدوث العالـم بإثبات حدوث الأعيان والأعراض، فقالوا[2]: العالم بجميع أجزائه محدث إذ هو أعيان وأعراض، فالأعيان ما له قيام بذاته، وهو إما مركب وهو الجسم، أو غير مركب كالجوهر الفرد، وهو الجزء الذي لا يتجزأ، أي قسموا العالم إلى أعيان وأعراض ولا ثالث لهما، لأن الأعيان ما له قيام بذاته، والقيام بالذات في حق المخلوق معناه التحيز بنفسه أي ليس تحيزه تابعًا لتحيز شيء آخر كالشخص من الأشخاص من بني آدم، وكالفرد من أفراد الحجر والفرد من أفراد الشجر إلى غير ذلك، هذه الأشياء أعيان لأنها متحيزة تحيزًا مستقلًا أي غير تابع لتحيز شيء آخر.

---

(١) الباقلاني، **الإنصاف**، (ص٥٧).

(٢) التفتازاني، **شرح التفتازاني على العقائد النسفية**، (ص ٢٨).

والأعيان إما مركبة من جزءين فأكثر، ويسمى الـمركب جسمًا، أو غير مركب كالجوهر، والجوهر في اللغة الأصل، وفي اصطلاحهم الجزء الذي لا يقبل الانقسام من التناهي في القلة ويقال له الجوهر الفرد، وإنما سمي الجوهر لأنه أصل الأجسام، والأجسام تحصل من جوهرين فأكثر فتصير قابلة للانقسام ويعبر عنه بالجزء الذي لا يتجزأ.

والعرض ما لا يقوم بذاته يعني أن العرض الذي هو أحد قسمي الحادثات ما لا يقوم بذاته بل بغيره كبياض الجسم الأبيض وسواد الجسم الأسود وحركة الجرم وسكونه ونحو ذلك، فهذه الأعراض حادثة، والخالق لهذه الأعيان والأعراض هو الله تعالى.

وقالوا في الرد على الـمشبهة[1]: لو كان الله يشبه شيئًا من الأشياء لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من كل صفاته أو يشبهه من بعض صفاته، فإن كان يشبهه من كل صفاته وجب أن يكون محدثًا من كل صفاته، وإن كان يشبهه من بعض صفاته وجب أن يكون محدثًا مثله من حيث أشبهه، لأن كلّ مشتبهين حكمهما واحدٌ فيما اشتبها به، ويستحيل أن يكون الـمحدث قديمًا والقديم محدثًا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[3].

وفي هذا ردٌّ على الـمشبهة الذين يشبهون الله تعالى بالبشر فيقولون الله متكلـم بحرف وصوت قديم النوع حادث الأفراد، ويقولون بأن الله يتحرك

---

(١) فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب الـمعروف بتفسير الرازي**، (ج٢٦، ص٤٠٩ - ٤١١).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **الإخلاص**، ءاية ٤.

وغير ذلك من ضلالهم والعياذ بالله تعالى، لذلك نراهم يذمون هذا العلم الذي يقض مضجعهم ويبين فساد عقيدتهم، ولقد أحسن القائل[1]: [البسيط]

عابَ الكلامَ أنسٌ لا عقولَ لهم وما عليه إذا عابوهُ منْ ضررِ
ما ضرَّ شمس الضحى في الأفقِ طالعةً أن لا يرى ضوءَها من ليسَ ذا بصرِ

(١) ينسب هذا القول للقاضي أبي الطيب. ابن حجر الهيتمي، **الفتاوى الحديثية**، (ج١، ص٤٨٩).

المبحث الثالث
بيان نشأة علم الكلام

كان الحجاز وما حوله من فلسطين والشام وبلاد الروم والعراق وأرض الفرس والهند وبلاد إفريقية وما والاها حين بعث النبي ﷺ على الشرك من عبادة الأوثان والأصنام والكواكب وغير ذلك، فقام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة إلى الإسلام وأقام الحجة لدعوته بحيث لا يدع لمعاند عذرًا، وأيقظ العقول بطريقة لا تعلو عن مدارك العامة ولا يستنكرها الخاصة فدانوا له تباعًا، وعلمهم طريق التنزيه وفقههم في أبواب العمل ودربهم على الفضيلة والسجايا الكريمة فانتشرت دعوته ﷺ إلى جميع الآفاق، فدانت الأمم بنور هدايته في مشارق الأرض ومغاربها. وأمهات ما تلقت الأمة من النبي ﷺ هنّ العلم بالله وصفاته والعلم بالأحكام العملية من عبادات ومعاملات.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة، ويسألونه عن الباطل والشر للتمكن من المجانبة لأن من لم يعلم الشر يوشك أن يقع فيه كما قال الشاعر[1]: [الهزج]

عرفت الشرّ لا للشرّ (م) لكنْ لِتوَقِّيهِ
ومنْ لا يَعرفُ الشَّرَ (م) منَ النَّاسِ يَقعْ فيهِ

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيظهر في زمن الإسلام فرق مختلفة تخالف

(١) لأبي نواس.

ما عليه الـمتمسكون بالكتاب والسنة فقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة**» رواه أبو داود[1] في سننه[2].

فظهرت بعد وفاته ﷺ فرق عديدة منها الـمعتزلة ويسمّون القدرية لإنكارهم القدر، والجهمية[3] ويسمّون الجبرية أتباع جهم بن صفوان[4] يقولون إن العبد مجبور في أفعاله لا اختيار له وإنما هو كالريشة الـمعلقة في الهواء يأخذها الهواء يمنة ويسرة، والخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ويكفرون مرتكب الـمعصية الكبيرة، والـمرجئة الذين

---

(١) أبو داود السِّجِسْتانيّ، سليمان بن الأشعث بن شدّاد بن عمرو بن عامر، وقيل: سليمان بن الأشعث بن بشْر بن شدّاد، الإمام، شيخ السُّنَّة، مقدّم الحفّاظ، محدّث البصرة. ولد سنة ٢٠٢هـ، ورحل وجمع وصنّف وبرع في هذا الشأن. قال الخطيب أبو بكر: يقال: إنه صنّف كتابه السنن قديمًا، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده، واستحسنه، وقيل عنه إنه كان من فرسان الحديث. توفّي في سادس عشر شوّال، سنة ٢٧٥هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٣، ص٢٠٣ - ٢٢١)**، رقم الترجمة ١١٧.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب السنة، باب شرح السّنة، **(ج٤، ص٣١٠)**.

(٣) **الجهمية**: أتباع جهم بن صفوان الذي زعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن علـم الله تعالى حادث، وامتنع من وصف الله عز وجل بأنه عالـم أو حيّ، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالت بعض القدرية الذين أكفروه في قوله: «إن الله خالق أعمال العباد» فاتفق أصناف الناس على تكفيره هو وجماعته. أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق، (ص١٩٩، ٢٠٠)**.

(٤) جهْم بن صفوان، أبو مُحْرِز الراسبيّ، مولاهم، السمرقنديّ الـمتكلـم، أسُّ الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب جدال، كان ينكر صفات الله، وينـزّه البارئ عنها بزعمه، ويقول بخلق القرءان، وأن الله في الأمكنة كلّها، ومن عقائد الجهمية أنّ الجنة والنار تفنيان، وأنَّ الإيمان هو الـمعرفة فقط دون سائر الطاعات، وأنّه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله، والإنسان مجبر على أفعاله. قال الذهبيّ عنه: الضالّ، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرًّا عظيمًا. مات سنة ١٢٨هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٦، ص٢٦)**، رقم الترجمة ٨.

يقولون[1]: «لا يضر مع الإيمان ذنب» بمعنى لا يعاقب عصاة الـمؤمنين في الآخرة، والكرّاميّة الذين يقولون «إن الله تقوم به الحوادث في ذاته» ويقولون بأن الله ليس له نهاية من الجهات الخمس وله نهاية من الأسفل[2]، والـمشبهة والـمجسمة الذين يتقوّلون في الله ما لا يُجوِّزه الشرع ولا العقل[3] من إثبات الحركة له والنقلة والحد والجهة والقعود والاستلقاء والاستقرار إلى نحوها مما تلقوه بالقبول من دجاجلة الـملبسين من الثنوية وعباد الأوثان ومما ورثوه من أمم قد خلت، ويؤلفون في ذلك كتبًا يملأونها بالوقيعة في أهل السنة ويتسترون بالسلف مستغلين ما ينقل عن بعض السلف من الأقوال الـمجملة التي لا حجة فيها، نعم لهم سلف ولكن من غير هذه الأمة وهم على سنة ضلالة ولكن على من سنها الأوزار إلى يوم القيامة.

وكان أناس يواصلون السعي في نشر الإلحاد بين الـمسلـمين وترجمة كتب الفلاسفة والـملاحدة والثنوية من الفرس حتى استفحل أمرهم، فأمر الـمهدي العلـماء من الـمتكلـمين بتصنيف الكتب في الرد على هؤلاء، فأقاموا البراهين وأزالوا الشبه وأوضحوا الحق وخدموا الدين. وكان لخصماء الدين من الأسلحة ما لا يمكن مقابلته إلا بمثل أسنتهم، وجروا مع الـمسلـمين على طريق التدرج في مراحل العداء، فلو ترك الأمر وشأنه لكاد أن تتسرب شكوكهم إلى قلوب جماعة الـمسلـمين فيطم الخطب.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص٢٠٢، ٢٠٣).

(٣) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، (ص٢١٤ - ٢١٦).

قال القاضي البياضي[1] شارحًا كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه[2]: «**وأصحاب رسول الله ﷺ إنما لـم يدخلوا فيه**[3] أي فيما فيه اختلاف الأمة من الاعتقادات **لأن مَثَلَهم** بإفنائهم الزائغين بعد كشف شبههم لإصرارهم في اللجاج لـم يحوج إلى التوغل في الاحتجاج، وصار مثلهم فيه وحالهم **كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم** ويبرز لهم **فلا يتكلفون** ولا يظهرون الكلفة والـمشقة في تعاطيهم **السلاح** لدفع من لـم يقاتلهم».

ثم قال: «**ونحن قد ابتلينا** في عصرنا **بمن يطعن** في الاعتقاديات **علينا** من أهل البدع والأهواء **ويستحلّ الدماء منا** ويستطيلون علينا لشيوع بدعتهم، ونصرة بعض ملوك السوء لهم كيزيد بن الوليد[4] ومروان بن محمد[5] من

---

(١) أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضي، قاض فاضل، بوسنوي الأصل. ولد في إستانبول سنة ١٠٤٤هـ وأخذ عن علـمائها، وولي قضاء حلب، ثم بروسه، ثم مكة، فإستانبول، وتوفي في قرية قريبة منها سنة ١٠٩٨هـ. له تآليف بالعربية. منها «إشارات الـمرام من عبارات الإمام»، و«سوانح العلوم» في ستة فنون، لعله «سوانح الـمطارحات» في إستنابول، و«الفقه الأبسط» وحواشٍ وتعليقات. الزركلي، **الأعلام، (ج١، ص١١٢)**.

(٢) البياضي، **إشارات الـمرام، (ص٣٢)**.

(٣) ما تميز بالأسود فهو كلام الإمام أبي حنيفة.

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الـملك بن مروان، أبو خالد من ملوك الدولة الـمروانية الأموية بالشام. ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الـملك لسوء سيرته، فبويع بالـمزة، واستولى على دمشق، وكان الوليد بتدمر، فأرسل إليه يزيد من قاتله في نواحيها. وقتل الوليد، فتم ليزيد أمر الخلافة (في مستهل رجب ١٢٦هـ) ومات في ذي الحجة بالطاعون، وقيل: مسمومًا. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٣٧٤ - ٣٧٦)**، رقم الترجمة ١٧٠.

(٥) مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك، الخليفة الأموي، يعرف بمروان الحمار. وكان بطلًا شجاعًا داهية، مولده بالجزيرة، في سنة اثنتين وسبعين، إذ أبوه متوليها، وأمه أم ولد. وقد افتتح في سنة خمس ومائة قونية. وولي إمرة الجزيرة وأذربيجان لهشام في سنة أربع عشرة ومائة. بويع بالإمامة في نصف صفر، سنة سبع وعشرين ومائة، ولما سمع بمقتل الوليد في العام الماضي، دعا إلى بيعة من رضيه المسلمون، =

الأموية كما في «**تاريخ الخلفاء**» للسيوطي وغيره، **فلا يسعنا أن لا نعلم** بإقامة البراهين اليقينية **من المخطِئُ منا** أي من المتخالفين **ومن المصيب، وأن لا نذب** ونمنع المخالفين بإقامة الحجج عليهم وإبطال نحلهم **عن** الاستطالة على **أنفسنا وحرمنا، فقد ابتلينا بمن يقاتلنا** من أهل الأهواء بإظهار الشبه والإغراء الذي هو القتال المعنوي **فلا بدّ لنا** في دفعهم وإزالة شبههم **من** إقامة الحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي في معنى **السلاح** فقد أشار إلى أن البحث فيه والمحاجة صارت من الفروض على الكفاية دون البدع المنهية، وصرّح به في «**الملتقط**» و«**التتار خانية**»».

وفي كلام المتقدمين من المتكلمين ما ينبغي أن يسترشد به القائمون بالدفاع عن الدين في كل عصر، ومن البيّن أن طرق الدفاع عن عقائد الإسلام ووسائل الوقاية عن تسرب الفساد إلى الأخلاق والأحكام مما يتجدد في كل عصر بتجدد أساليب الأخصام وهي في نفسها ثابتة عند ما حده الشرع لا تتبدل حقائقها، فيجب على المسلمين في جميع أدوار بقائهم أن يتفرغ منهم جماعة لتتبع الآراء السائدة في طوائف البشر والعلوم المنتشرة بينهم وفحص كل ما يمكن أن يأتي من قبله ضرر للمسلمين، لا سيما في المعتقد الذي لا يزال ينبوع كل خير ما دام راسخًا رصينًا، ويصير منشأ كل فساد إن استحال واهنًا واهيًا، فيدرسون هذه الآراء والعلوم دراسة أصحابها أو فوق دراستهم ليجدوا فيها ما يدفعون به الشكوك التي يستثيرها أعداء الدين بوسائط عصرية حتى إذا فوّق متقصد سهامًا منها نحو التعاليم

=فبايعوه. عاش اثنتين وستين سنة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**،(ج٦، ص٧٤ – ٧٧)، رقم الترجمة ١٧.

الإسلامية من معتقد وأحكام ردوها إلى نحره، وإن لـم يفعلوا ذلك يسهل على الأعداء أن يجدوا سبيلًا إلى مراتع خصبة بين الـمسلـمين تنبت فيها بذور تلبيساتهم بحيث يصعب اجتثاث عروقها الفوضوية، بل تسري سموم الإلحاد في قلوب خالية تتمكن فيها فيهلك الحرث والنسل وقانا الله شر ذلك.

فتبين من ذلك أن نشأة علـم الكلام كان ضرورة للرد على أهل البدع من الـمعتزلة والـمجسمة وغيرهما من الفرق الضالة، وللرد على الفلاسفة والـملاحدة والـمخالفين لأهل الحق في الـمعتقد.

قال القاضي أبو المعالي[1] عبد الملك[2]: «من اعتقد أن السلف الصالح رضي الله عنهم نهوا عن معرفة الأصول وتجنبوها أو تغافلوا عنها وأهملوها فقد اعتقد فيهم عجزًا وأساء بهم ظنًا لأنه يستحيل في العقل والدين عند كل من أنصف من نفسه أن الواحد منهم يتكلـم في مسئلة العول[3] وقضايا الجد[4] وكمية الحدود وكيفية القصاص بفصول ويباهل عليها ويلاعن ويجافي فيها ويبالغ ويذكر في إزالة النجاسات عشرين دليلًا لنفسه وللـمخالف

(١) أبو المعالي الجُوَيْنيّ، عبد الملك ابن الإمام أبي محمّد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن محمّد بنِ حَيُّوَيْه الجوينيّ، ثم النيسابوريّ، ضياء الدين، الإمام الكبير، شيخ الشافعيّة، إمام الحرمين، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤١٩هـ. له من الكتب: «نهاية المطلب في الـمَذْهَب»، و«الإرشاد في أصول الدين»، و«الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية»، و«الشامل في أصول الدين»، و«غُنْية المسترشدين» وغيرها. توفّي سنة ٤٧٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص٦٢١ - ٦٢٥)**، رقم الترجمة ٤٤٧٥.

(٢) ابن عساكر، **تبيين كذب الـمفتري، (ص٣٥٤، ٣٥٥)**.

(٣) العول هو نقص من قدر السهام وزيادة في عددها عند قسمة تركة ميت. زكريا الأنصاري، **فتح الوهاب، (ج٣، ص٢٧٩)**.

(٤) أي ميراث الجد مع الإخوة.

ويشقق الشعر في النظر فيها ثم لا يعرف ربه الآمر خلقه بالتحليل والتحريم والـمكلّف عباده للترك والتعظيم فهيهات أن يكون ذلك، وإنما أهملوا تحرير أدلته وإقرار أسئلته وأجوبته فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبينا محمدًا صلوات الله عليه وسلامه فأيده بالآيات الباهرة والـمعجزات القاهرة حتى أوضح الشريعة وبيّنها وعلـمهم مواقيتها وعينها فلـم يترك لهم أصلًا من الأصول إلا بناه وشيده ولا حكمًا من الأحكام إلا أوضحه ومهده لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1] فاطمأنت قلوب الصحابة لـما عاينوا من عجائب الرسول وشاهدوا من صدق التنزيل ببدائه العقول والشريعة غضة طرية متداولة بينهم في مواسمهم ومجالسهم يعرفون التوحيد مشاهدة بالوحي والسماع ويتكلـمون في أدلة الوحدانية بالطباع مستغنين عن تحرير أدلتها وتقويم حجتها وعللها، كما أنهم كانوا يعرفون تفسير القرءان ومعاني الشعر والبيان وترتيب النحو والعروض وفتاوى النوافل والفروض من غير تحرير العلة ولا تقويم الأدلة. ثم لـما انقرضت أيامهم وتغيرت طباع من بعدهم وكلامهم وخالطهم من غير جنسهم وطال بالسلف الصالح والعرب العرباء عهدهم أشكل عليهم تفسير القرءان ومرن[2] عليهم غلط اللسان وكثر الـمخالفون في الأصول والفروع واضطروا إلى جمع العروض والنحو وتمييز الـمراسيل من الـمسانيد والآحاد من التواتر وصنفوا التفسير والتعليق وبينوا التدقيق والتحقيق، ولـم يقل قائل إن هذه كلها بدع ظهرت أو إنها محالات جمعت

(١) سورة **النحل**، ءاية ٤٤.

(٢) مرن على الشيء مرونًا ومرانة: تعوّده. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (ج٢، ص١٥٩).

ودونت بل هو الشرع الصحيح والرأي الصريح، وكذلك هذه الطائفة[1] -كثّر الله عددهم وقوى عددهم-، بل هذه العلوم أولى بجمعها لحرمة معلومها فإن مراتب العلوم تترتب على حسب معلوماتها والصنائع تكرم على قدر مصنوعاتها، فهي من فرائض الأعيان، وغيرها إما من فرائض الكفايات أو كالمندوب والمستحب، فإن من جهل صفة من صفات معلومه لم يعرف المعلوم على ما هو به، ومن لم يعرف البارئ سبحانه على ما هو به لم يستحق اسم الإيمان ولا الخروج يوم القيامة من النيران».

وقد كفَّرَ الإمام فخر الدين الرازي من ذمّ علم الكلام في كتابه «**مناقب الإمام الشافعي**» قائلًا[2]: «الطاعن في علم الكلام، والمبغض له جاهلٌ بالله ورسوله واليوم والآخر، ومن كان كذلك، لم يكن من المسلمين».

ثم قال ما نصه[3]: «ما قدمنا أن الطعن في علم الكلام، طعن في معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، واليوم الآخر».

(١) أي المتكلمون على طريقة أهل السنة والجماعة.

(٢) فخر الدين الرازي، **مناقب الإمام الشافعي**، (ص٩٨).

(٣) فخر الدين الرازي، **مناقب الإمام الشافعي**، (ص٩٩).

المبحث الرابع
التعريف بالسلف

من هم السلف:

السلف لغةً: كما قال[1] ابن فارس[2]: «سلف، السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون».

وقال الراغب الأصفهاني[3] في «**المفردات في غريب القرءان**» ما نصه[4]:

«السلف المتقدم، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[5] أي معتبرًا متقدمًا. ولفلان سلف كريم أي آباء متقدمون، جمعه: أسلاف وسلوف».

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة، (ج٣، ص٩٥)**.

(٢) أحمد بن فارس، الإمام العلامة اللغويّ المحدّث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن محمّد بن حبيب القَزْوينيّ، المعروف بالرازيّ المالكيّ، نزيل هَمَذان، وصاحب كتاب «المجْمَل»، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقه مالك، مناظرًا متكلمًا على طريقة أهل الحقّ، وله مصنّفات ورسائل وتخرّج على يديه الأئمة. توفّي بالرَّيّ في صفر سنة ٣٩٥هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٧، ص١٠٣ - ١٠٦)**، رقم الترجمة ٦٥.

(٣) أبو القاسم، الحسين بن محمّد بن المفضَّل الأصبهانيّ الملقّب بالراغب، العلامة الماهر، المحقّق الباهر، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، حتى إنه كان يقرن بالغزاليّ، من كتبه: «محاضرات الأدباء» و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» و«حلّ متشابهات القرءان». توفّي ٥٠٢ هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص١٢٠)**، رقم الترجمة ٦٠.

(٤) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرءان، (ص٤٢٠)**.

(٥) سورة **الزخرف**، ءاية ٥٦.

وقال ابن منظور[1] في «**لسان العرب**» ما نصه[2]: «والسلف من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السبق والفضل، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح».

ومنه ما قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة: «**فإنه نعم السلف أنا لك**»[3] أخرجه مسلم[4].

ورُوِيَ عنه ﷺ قوله لابنته رقية رضي الله عنها عندما توفيت: «**الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون**[5]»[6].

---

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرّم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ، صاحب «لسان العرب» الإمام اللغويّ الحجّة، ولد بمصر، وقيل في طرابلس الغرب، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره، وله كذلك: «مختصر مفردات ابن البيطار»، و«نثار الأزهار في الليل والنهار»، و«مختصر تاريخ بغداد للسمعانيّ». ولد سنة ٦٣٠هـ، وتوفي سنة ٧١١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص١٠٨).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: س ل ف، (ج٩، ص١٠٩).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم: فضائل فاطمة رضي الله عنها، (ج١٦، ص٥، ٦).

(٤) مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ، أبو الحسين، حافظ، من أئمة المحدّثين. ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفّي بظاهر نيسابور، أشهر كتبه: «صحيح مسلم» جمع فيه ١٢٠٠٠ حديثًا، كتبها في ١٥ سنة، وهو أحد «الصحيحين» المعوّل عليهما عند أهل السُّنَّة في الحديث، وقد شرحه كثيرون، ومن كتبه «المسند الكبير» و«الجامع» و«الكنى والأسماء» و«الأفراد والوحدان» و«مشايخ الثوري» و«كتاب أولاد الصحابة» وغيرها. وتوفّي سنة ٢٦١هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٢، ص٥٦٦)، رقم الترجمة ٢١٧.

(٥) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين. وأراد التبتل والسياحة في الأرض زُهدًا بالحياة، فمنعه رسول الله، فاتخذ بيتًا يتعبد فيه، شهد بدرًا. ولما مات جاءه النبي ﷺ فقبله ميتًا، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١، ص١٥٣ - ١٦٠)، رقم الترجمة ٩.

(٦) أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (ج١، ص١٠٥).

أما اصطلاحًا: فالسلف هم الصحابة ابتداء ويشاركهم التابعون وتابعوهم من أهل القرون الثلاثة الأُول. قال الإمام بدر الدين بن جماعة[1] في «**إيضاح الدليل**»[2]: السلف هم العلماء العدول الوارثون عن رسول الله الحقائق والمعارف والعقائد ويمكن أن يقال هم السادة الأخيار إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة المباركة وانتهى إليه تقريبًا دور تدوين الحديث الشريف والكلام على رجاله وأعني بأولئك السادة الأخيار كبار الأئمة الفقهاء والمحدثين والأصوليين والمفسرين وأمثالهم من علماء الإسلام وتلامذتهم وأتباعهم في عصرهم وبعدهم وعليه الكثير من العلماء وأتباعهم إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله تعالى.

وقد تناقل أهل العلم في القرون المفضلة هذا المصطلح للدلالة على منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان. قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» رواه البخاري[3]. فعلى تفسير القرن بمائة

---

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي قاضي القضاة شيخ الإسلام. ولد في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة، وسمع الكثير وأفتى ودرس وأخذ أكثر علومه بالقاهرة عن القاضي تقي الدين بن رزين وقرأ النحو على الشيخ جمال الدين بن مالك وولي قضاء القدس سنة سبع وثمانين، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية سنة تسعين وجمع له بين القضاء ومشيخة الشيوخ، ثم نقل إلى دمشق وجمع له بين القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ ثم أعيد إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة ابن دقيق العيد ولما عاد الناصر من الكرك عزله مدة سنة ثم أعيد وعمي في أثناء سنة سبع وعشرين فصرف عن القضاء واستمر معه تدريس الزاوية بمصر وانقطع بمنزله قريبًا من ست سنين يسمع عليه ويتبرك به إلى أن توفي. توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ودفن قريبًا من الشافعي رضي الله عنه. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج١، ص٢٨٠ - ٢٨٢)، رقم الترجمة ٥٥٨.

(٢) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ج١، ص٤٠).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، (ج٣، ص١٣٣٥).

سنة فالسلف هم من كانوا ضمن الثلاثمائة، ومنهم أي من العلماء من جعل منتهى السلف سنة مائتين وعشرين، والأول هو المشهور كما قال الحافظ ابن حجر في «**فتح الباري**»[١]، واختار ذلك الحافظ ابن عساكر في رسالته التي ألفها في الدفاع عن الإمام أبي الحسن الأشعري[٢]، ويقوي ذلك رواية ابن حبان[٣] [٤] لحديث «**خير الناس**» التي فيها ذكر «**ثم الذين يلونهم**» ثلاث مرات.

فيتبين من ذلك أن السلف هم أهل القرون الثلاثة الأولى أي جيل الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأما الجيل الرابع ففيه خلاف، وأما الجيل الخامس فليسوا من السلف باتفاق العلماء بل هم من الخلف.

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج٧، ص٥).

(٢) ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، (ص١٤٤).

(٣) ابن حبّان، الإمام، العلامة، الحافظ، المجدِّد، شيخ خراسان، أبو حاتم، محمّد بن حبان بن أحمد بن حبّان بن مُعاذ بن معبد التميميّ الدارميّ، البُسْتيّ، صاحب الكتب المشهورة، ولد سنة مائتين وبضع وسبعين، كان من حفّاظ الآثار وفقهاء الدين، عالـمًا بالطب وبالنجوم وفنون العلم، صنّف «المسند الصحيح»، وله: «تاريخ الثقات»، و«علل أوهام المؤرخين»، و«مناقب مالك»، و«مناقب الشافعيّ»، وغيرها. توفّي بسجستان بمدينة بُسْت في شوّال سنة ٣٥٤هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٣٨٤ - ٣٨٩)، رقم الترجمة ٣٤٠٨.

(٤) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، باب فضل الأمة: ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «**خير الناس قرني**» أراد به الصحابة الذين كانوا قبله وبعده، وذكر البيان بأن عموم هذا الخطاب أريد به بعض الأمة لا الكل، (ج١٦، ص٢٠٦).

الـمبحث الخامس

الفرق بين السلف وبين أدعياء السلفية الـمعاصرين

قد تبيّن أنَّ السلف هم أهل القرون الثلاثة الذين ذكرهم الرسول ﷺ بقوله: «**خير النّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1].

فعلى تفسير القرن بمائة سنة، السلف هم من كانوا ضمن الثلاثمائة، ومنهم أي من العلـماء من جعل منتهى السلف سنة مائتين وعشرين، والأول هو الـمشهور[2] كما سبق.

فيكون الصحابة كلهم والتابعون من السلف. وتجد فيما يلي لائحة بأشهرهم:

فمن الصحابة:

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- بقية العشرة الـمبشرين وأهل بدر وأُحُد[3] والحديبية رضي الله عنهم.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب ما يُحْذَر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (ج٤، ص١٥٩).

(٢) ابن عساكر، **تبيين كذب الـمفتري**، (ج١، ص١٤٤).

(٣) غزوة أُحُد: حصلت في السابع من شوال في السنة الثالثة للهجرة، وكان الذي هاجها الثأر لوقعة بدر، حيث أقبلت قريش بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل، وخرج إليهم رسول الله ﷺ في ألف رجل، ثم تركه الـمنافقون فبقي في سبعمائة، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وأمر الرماة=

- أبو موسى الأشعري[1] رضي الله عنه.
- عائشة[2] أم المؤمنين وسائر زوجات النبي ﷺ الـمطهرات رضي الله عنهن.
- أبو هريرة رضي الله عنه.
- ابن عباس رضي الله عنهما.

وممن جاء بعد الصحابة:

- سفيان الثوري[3] رضي الله عنه.

= بأن يحموا الـمسلـمين، وكانت الهزيمة على الـمشركين بادئ الأمر، ولـما ترك بعض الرماة أماكنهم أخذهم الـمشركون وتغيّرت النتيجة، قُتِلَ فيها حمزة رضي الله عنه وَكُسِرَتْ رباعية النبي ﷺ وشُقَّتْ شَفَتُهُ وركبته الشريفتان، ولـم ينل الـمشركون مأربهم من هذه الـمعركة. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ، (ج٢، ص١٤٨)**. ذكر غزوة أُحُد.

(١) أبو موسى الأشعريّ، عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ وهو التميميّ، الفقيه، الـمقرئ. حدّث عنه أبو أمامة الباهليّ، وبُرَيْدة ابن الحصيب، وأبو سعيد الخدريّ وأنس بن مالك وغيرهم، جاهد مع النبيّ ﷺ وحمل عنه علمًا كثيرًا، وقد افتتح أصبهان زمنَ عمر، ولـم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتًا منه. توفّي سنة ٤٢هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٣، ص٤١٩ - ٤٢٧)**، رقم الترجمة ٣١٤.

(٢) عائشة أمّ المؤمنين، بنت أبي بكر الصدّيق عبد الله بن عثمان، من قريش، أفقه نساء المسلمين، وأعلمهنّ بالدين والأدب، كانت تكنى بأم عبد الله، كانت أحبّ نسائه إليه بعد السيدة خديجة وأكثرهنّ رواية للحديث عنه، ولها خطب ومواقف، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، روي عنها ٢٢١٠ أحاديث، ولبدر الدين الزركشيّ كتاب «الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة». ولدت سنة ٩ قبل الهجرة، وتوفيت سنة ٥٨هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٣، ص٢٤٠)**.

(٣) سفيان الثوريّ بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة، وفي أجداده ثور فَنُسِب إليه، شيخ الإسلام، إمام الحفّاظ، سيّد العلـماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوريّ، الكوفيّ الـمجتهد، مصنِّف كتاب «الجامع». ولد سنة ٩٧ هـ. كان والده من أصحاب الشعبيّ، وخيثمة بن عبد الرحمن فتلقّى علومًا نافعة في مجالات شتّى، ووصل عدد شيوخه إلى ٦٠٠ شيخ، وأما الرواة عنه فبالألوف. وقال شعبة وابن عُيينة وغيرهم: سفيان الثوريّ أمير الـمؤمنين=

- أبو حنيفة رضي الله عنه.
- مالك[1] بن أنس رضي الله عنه.
- محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه.
- أحمد بن حنبل[2] وغيرهم من الـمجتهدين رضي الله عنهم.
- البخاري وغيره من الحفاظ والـمحدثين رضي الله عنهم.

هؤلاء هم السلف الحقيقيون ومن هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ.

أما أدعياء السلفية المعاصرين فهم فريقان: فريق يدعي اتباع السلف

= في الحديث. توفّي سنة ١٢٦ هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٦، ص١٣٠ - ١٥٦)**، رقم الترجمة ٨٢.

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث بن غَيْمان بن خُثَيْل بن عمرو بن الحارث، الحِمْيري، ثم الأَصْبحِيّ، المدنيّ، حليف بني تَيْم من قريش، الإمام، هو شيخ الإسلام، حجّة الأمّة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله، ولد سنة ٩٣هـ، عامَ موت أنس خادم رسول الله ﷺ، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة. وتأهّل للفُتْيَا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدّث عنه جماعة وهو حيّ شابّ طريّ، وَقَصَدَهُ طَلَبَة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور، وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد وإلى أن مات، قال ابن عُيَيْنة: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجّة زمانه، وقال الشافعيّ: إذا ذُكِرَ العلماء فمالك النجم. له نحو ١٠٠٠ حديث، وعمل «الموطّأ» الذي اهتمّ به العلماء قديمًا وحديثًا معرفةً وتحصيلًا، ولمالك مؤلَّف في النجوم ومنازل القمر، ورسالة في الأقضية، ورسالة آداب إلى الرشيد، وله جزء في التفسير، وكتاب السّرّ، توفّي سنة ١٧٩هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٦، ص٣٠٣ - ٣٤١)**، رقم الترجمة ١٣١٥.

(٢) أبو عبد الله، أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان الذُّهْليّ، الشيبانيّ، المروزيّ، ثم البغداديّ، أحد الأئمّة الأعلام، وهو الإمام حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، ولد في ربيع الأول سنة ١٦٤هـ. طلب العلم وهو ابن ١٥ سنة، في العام الذي مات فيه مالك، حدّث عنه البخاريّ ومسلم وأبو داود والنسائيّ والترمذيّ وابن ماجه وغيرهم. قال إبراهيم الحربيّ: رأيت أبا عبد الله، كأنّ الله جمع له علم الأوّلين والآخرين. توفّي في العاشر من ربيع الأول سنة ٢٤١هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، **(ج٨، ص١١٥-٢٠٤)**، رقم الترجمة ٢٠١٤.

الصالح وهو على غير طريقته وفريق ثان صادق في اتباع السلف، وهو كل موحد لـم يخرج عن دعوة سيدنا محمد ﷺ. أما الفريق الأول فهم على دعوى اتباع السلف الصالح لكن مذهبهم التشبيه والتجسيم، وإنكار التأويل والقول بأن التأويل تعطيل، ويشتركون جميعًا بدعواهم أنهم حنابلة[1] على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وخير ما يصف هذه الفرقة حق الوصف ما قاله الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي[2] الـمالكي الأندلسي في كتابه الشهير «**العواصم من القواصم**»[3] في سياق ذكره لـما أورده القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء[4] في كتابه «**إبطال التأويلات**»: «... وأخبرني

---

(١) **الحنابلة**: هم أتباع أحمد بن حنبل، وهو أحد الأئمة الأربعة الكبار من أهل السنة وصاحب الـمذهب الحنبلي الـمشهور، وفي أيامه دعا الـمأمون إلى القول بخلق القرءان ومات قبل أن يناظر ابن حنبل وتولى الـمعتصم فَسَجَن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرًا وأطلق سنة ٢٢٠ للهجرة، كان ابن حنبل منزِّهًا وحذر من التجسيم والتشبيه، -وسيأتي مبحثٌ إن شاء الله في تبرُّئ الإمام رضي الله عنه من المجسمة المشبهة- الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص١٧٧، ٣٥٨)**، رقم الترجمة ٧٨.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد الـمعافري الإشبيلي الـمالكي، أبو بكر بن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٩ هـ، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبًا في الحديث والفقه والاصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علـماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. من كتبه «العواصم من القواصم» جزآن، و«عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» و«أحكام القرءان » مجلدان، و«المسالك على موطأ مالك» جزء منه في القرويين، و«الـمحصول» في أصول الفقه، وهو غير محيي الدين بن عربي. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (ج٤، ص٢٩٦)**، رقم الترجمة ٦٢٦.

(٣) ابن العربي، **العواصم من القواصم، (ص٢٠٩)**.

(٤) أبو يَعْلى القاضي (المجسّم)، محمّد بن الحسين بن محمّد بن خلف بن أحمد البغداديّ، الحنبليّ، ابن الفَرّاء، صاحب التعليقة الكبرى. ولد في أول سنة ٣٨٠هـ. وله من الكتب: «أحكام القرءان»، و«مسائل الإيمان»، و«الـمعتَمد»، و«مختصر» و«الـمقتبس»، و«عيون الـمسائل»، و«الردّ على الكرّاميّة والردّ على السالـميّة والـمجسّمة والردّ على الجهميّة»،=

من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة في بغداد كان يقول إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته يقول: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة».

فتأمل هذه الكلمة وانظر أي تشبيه هو هذا. وما مردُّ ذلك إلا أن هؤلاء ألغوا مبدأ التأويل فوصلوا إلى هذا الحد من أخذ المتشابهات على ظواهرها.

وقد رد الإمام الشهير الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي[1] الحنبلي على صاحب هذه الكلمة الشنيعة في كتابه الجليل «**دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**»[2] فقال ما نصه: «ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد[3]، وصاحبه القاضي أبو يعلى، وابن الزاغوني[4]، فصنفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد

= و«الكلام في الاستواء» وغيرها. توفّي سنة ٤٥٨هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص٨٩ - ٩٢)**، رقم الترجمة ٤٠.

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، ويصل نسبه إلى الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف الكثيرة. ولد سنة ٥٠٩هـ. من تصانيفه: «المغني»، و«زاد المسير»، و«تذكرة الأريب»، و«الوجوه والنظائر»، و«جامع المسانيد»، و«المنتظم في التاريخ» وغيرها كثير. ولد سنة ٥٠٩هـ، توفي سنة ٥٩٧هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٢١، ص٣٦٥ - ٣٧٩)**، رقم الترجمة ١٩٢.

(٢) ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، (ص٣٣، ٣٤)**.

(٣) ابن حامد (المجسم)، الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، أبو عبد الله. من أهل بغداد. عاش طويلًا، وتوفي راجعًا من الحج بقرب «واقصة». له مصنفات في الفقه وغيره، منها «الجامع» في فقه ابن حنبل، والمسمى «شرح أصول الدين»، والمسمى «تهذيب الأجوبة». وكان ينسخ الكتب، ويقتات من أجرتها. توفي سنة ٤٠٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٢، ص١٨٧)**.

(٤) ابن الزاغونيّ (المجسم)، أبو الحسن عليّ بن عُبَيْد الله بن نصر بن عُبَيْدِ الله بن سهل بن=

نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجهًا زائدًا على الذات، وعينين وفمًا ولهوات وأضراسًا وأضواء لوجهه هي السبحات، ويدين وأصابع وكفًا وخنصرًا وإبهامًا، وصدرًا وفخذًا وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس! وقالوا: يجوز أن يَمَسَّ ويُمَسَّ! ويدني العبد من ذاته وقال بعضهم: ويتنفس، ثم إنهم يُرضون العوام بقولهم: لا كما يُعقل!».

= الزاغونيّ البغداديّ، صاحب التصانيف. ولد سنة ٤٥٥هـ، وتوفي في ١٧ من المحرّم سنة ٥٢٧هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٩، ص٦٠٥ - ٦٠٧)، رقم الترجمة ٣٥٤.

الـمبحث السادس
التعريف بالخلف

من هم الخلف:

نبدأ بتعريف الخلف لغةً ثم اصطلاحًا.

أما من حيث اللغة: فقد قال ابن منظور الإفريقي ما نصه[1]:

«الخَلْف ضدُّ قُدَّام

خَلَفَه يخْلُفه: صار خَلْفَهُ.

خَلْفَ فلان: أي بَعْدَه

الخَلْفُ: الظّهْر والنّسْل وحدُّ الفأس والفأسُ العظيمة.

الخَلْف: الباقي بعد الهالك والتابع له.

الخَلَف: ما استَخْلَفْتَهُ من شيء.

الخَلَف: الولد الصالح يبقى بعد الإنسان.

الخَلَف: كل من يجيء بعد من مَضَى إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين (يعني: الخَلْف) في الشرّ».

أما في الاصطلاح: الخلف هم من جاء بعد السلف من الـمسلـمين أي

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (ج٩، ص٨٣ – ٩٧). وقد رتّبناه بهذه الطريقة لتعميم الفائدة، فذكرنا أولًا معاني الخَلْف بتسكين اللام، ثم معاني الخَلَف.

بعد انقضاء القرون الهجرية الثلاثة، ومنهم من قال: بعد مائتين وعشرين عامًا هجرية[1].

ومن أشهر الخلف:

- أبو الحسن علي الرستغفني[2].
- أبو بكر الباقلاني[3].
- أبو بكر بن فُورَك.
- أبو إسحاق الأسفراييني[4].
- البيهقي.
- النووي.

---

(١) عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم، (ص١٧٢)**.

(٢) أبو الحسن عليّ بن سعيد الرُّسْتُغْفَنيّ، فقيه حنفيّ، من أهل سمرقند، نسبته إلى إحدى قراها، كان من أصحاب الماتريديّ، له كتب منها الزوائد والفوائد في أنواع العلوم، وإرشاد المهتدي. توفّي نحو ٣٤٥ هـ. عبد القادر القرشي، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (ج١، ص٣٦٣)**، رقم الترجمة ١٠٠١.

(٣) أبو بكر الباقلانيّ، محمّد بن الطيّب بن محمّد بن جعفر بن قاسم البصريّ، ثم البغداديّ، ابنُ الباقلانيّ، الإمام، العلامة، أوحد المتكلّمين، مقدّم الأصوليين، القاضي، صاحب التصانيف، ضُرب المثل بفهمه وذكائه، كان ثقة إمامًا بارعًا، صنّف في الردّ على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرّاميّة، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعريّ، ذكره القاضي عياض في «طبقات المالكيّة»، مات في ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص٩٦ - ٩٨)**، رقم الترجمة ٣٨٧٦.

(٤) ركن الدين أبو إسحاق الأسفراييني، إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن مِهْرَان، الأصوليّ، الشافعيّ، أحد المجتهدين في عصره وصاحب المصنّفات الباهرة، حدّث عنه: أبو بكر البيهقيّ، وأبو القاسم القشيريّ، وأبو الطيّب الطبريّ، ومن تصانيفه: «جامع الحُلي في أصول الدين والردّ على الملحدين» في خمس مجلدات. توفّي يوم عاشوراء سنة ٤١٨ هجرية. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٧، ص٣٥٣ - ٣٥٦)**، رقم الترجمة ٢٢٠.

- تقي الدين السبكي[1].
- السيوطي.
- الزبيدي[2].

وغيرهم كثير وكثير من جهابذة ميادين العلـم، ومن ذا الذي يُحصي نجوم السماء!

(١) تقيّ الدين السبكيّ، عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمام السبكيّ، الأنصاريّ، الخزرجيّ، أبو الحسن، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفّاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكيّ صاحب الطبقات، ولد في سُبْك (من أعمال المنوفية بمصر) وانتقل إلى القاهرة، ثم إلى الشام، وولي قضاءها سنة ٧٣٩هـ، واعتلّ فعاد إلى القاهرة فتوفي فيها، من كتبه: «الدرّ النظيم» في التفسير، لم يكمله، و«مختصر طبقات الفقهاء»، و«إحياء النفوس في صنعة إلقاء الدروس»، و«الإغريض، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض»، و«التمهيد فيما يجب فيه التحديد»، و«السيف المسلول على من سبّ الرسول»، و«شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، و«الاعتبار ببقاء الجنة والنار». ولد سنة ٦٨٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٤، ص٣٠٢)**.

(٢) مرتضى الزبيدي، محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ الزبيديّ، أبو الفيض، الـملقبّ بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار الـمصنّفين، أصله من واسط في العراق ومولده بـالهند في بلجرام ومنشؤه في زَبيد بـاليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بـمصر، فاشتهر فضله وكاتَبَهُ الـملوك والأمراء، وتوفّي بالطاعون في مصر، من كتبه: «تاج العروس في شرح القاموس»، و«إتحاف السادة الـمتقين في شرح إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي و«أسانيد الكتب الستة» و«عقود الجواهر الـمنيفة في أدلّة مذهب الإمام أبي حنيفة» و«كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام» و«ألفية السند» في الحديث ١٥٠٠ بيت وشرحها و«مختصر العين» في اللغة، وغيرها كثير. ولد سنة ١١٤٥ هـ وتوفّي سنة ١٢٠٥هـ. الزركليّ، **الأعلام، (ج٧، ص٧٠)**.

الـمبحث السابع
مقدمة في نشأة الفرق الضالة

جاء في مقدمة «**تبيين كذب المفتري**»[1] ما نصه: «لـما حدثت الفتن في خلافة عثمان رضي الله عنه استخفّ جانبه أعداء الدين الـمندسّون بين الـمسلـمين فخفوا إلى السعاية بينهم وإثارة خواطرهم بما يمكن أن يروج عليهم لسلامة صدورهم وبعدهم عن معرفة طرائق تمويه الفاتنين غير الـمتظاهرين بما يمس بالدين ينتقلون في البلاد لهذه الغاية ويمهدون السبيل إلى القضاء على هذا الدين ببث بزور الدمار وما عمله أمثال عبد الله بن سبأ[2] في ذلك العهد مشهور» ثم ذكر الـمرجئة إلى أن قال: «وكان عدة من أحبار اليهود ورهبان النصارى وموابذة الـمجوس أظهروا الإسلام في عهد الراشدين، ثم أخذوا بعدهم في بث ما عندهم من الأساطير بين

---

(١) ابن عساكر، **تبيين كذب الـمفتري**، (ص١٤).

(٢) عبد الله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية. قال ابن عساكر في تاريخه: أصله من اليمن، قيل: كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. قال أبو إسحاق الفزاري عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي في غمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ وكان عبد الله أول من أظهر ذلك، فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن وقال: لا يساكنني في بلدة أبدا، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخره: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري. وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ، وليس له رواية ولله الحمد. وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون ألوهية علي بن أبي طالب وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته. ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، (ج٣، ص٢٨٩)، رقم الترجمة ١٢٢٥.

من تروج عليهم ممن لـم يتهذب بالعلـم من أعراب الرواة وبسطاء مواليهم فتلقفوها منهم ورووها لآخرين بسلامة باطن معتقدين ما في أخبارهم في جانب الله من التجسيم والتشبيه، ومستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم، وقد يرفعونها افتراء إلى الرسول ﷺ أو خطأ، فأخذ التشبيه يتسرب إلى معتقد الطوائف ويشيع شيوع الفاحشة، ولـم يكن بنو أمية كالراشدين في السهر على معتقد الـمسلـمين إلا فيما يمس بسياستهم. وأهل السنة من الفقهاء والـمحدثين يواصلون العمل في علومهم في غير جلبة ولا ضوضاء والحشوية[1] يجرون على طيشهم وعمايتهم واستتباعهم الرعاع والغوغاء ويتقولون في الله ما لا يجوزه الشرع ولا العقل من إثبات الحركة له والنقلة والحد والجهة والقعود والإقعاد[2] والاستلقاء والاستقرار إلى نحوها مما تلقوه بالقبول من دجاجلة الـملبسين من الثنوية وأهل الكتاب ومما ورثوه من أمم قد خلت، ويؤلفون في ذلك كتبًا يملأونها بالوقيعة في الآخرين، ويخرقون حجاب الهيبة في الإكفار متبرقعين بالسنة ومعتزين إلى السلف يستغلون ما ينقل عن بعض السلف من الأقوال الـمجملة التي لا حجة فيها. نعم لهم سلف ولكن من غير هذه الأمة وهم على سنة ولكن على من سنها الأوزار إلى يوم القيامة، وليس هذا محل بسط مخازيهم.

وكانت الـمعتزلة تتغلب على عقول الـمفكرين من العلـماء ويسعون في استعادة سلطانهم على الأمة وأصناف الـملاحدة والقرامطة توغلوا في الفساد واحتلوا البلاد حيث لـم يبق في ثغور الدفاع عن الدين من يرابط

(١) وهم المشبهة المجسمة. أهل السنة إذا استخدموا كلمة «الحشوية» يعنون بذلك المشبهة.
(٢) أي قول المشبهة «إن الله يقعد النبي معه على العرش» والعياذ بالله.

بحجج دامغة تمحق مخرقتهم لانشغالهم بنفوسهم بما جد من الأحوال.

ففي مثل هذه الظروف الحرجة غار الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه على ما حلّ بالـمسلـمين من ضروب النكال وقام لنصرة السنة وقمع البدعة فسعى أولًا للإصلاح بين الفريقين من الأمة بإرجاعهما عن تطرفهما إلى الوسط العدل قائلًا للأولين أنتم على الحق إذا كنتم تريدون بخلق القرءان اللفظ والتلاوة والرسم، وللآخرين أنتم مصيبون إذا كان مقصودكم بالقديم الصفة القائمة بذات البارئ غير البائنة منه -كما يقول[1] ابن المبارك[2]- يعني الكلام النفسي وليس لكم مجال أن تنكروا حدوث لفظ اللافظ وتلاوة التالي كما أنه ليس للأولين نفي الصفة القائمة به تعالى من غير لفظ ولا صوت وقائلًا للأولين أيضًا: نفي الـمحاذاة والصورة صواب غير أنه يجب عليكم الاعتراف بالتجلي من غير كيف، وللآخرين: إياكم من إثبات الصورة والـمحاذاة وكل ما يفيد الحدوث وأنتم على صواب إن اقتصرتم على إثبات الرؤية للـمؤمنين في الآخرة من غير كيف.

وهكذا حتى وفقه الله لجمع كلـمة الـمسلـمين وتوحيد صفوفهم وقمع المعاندين وكسر تطرفهم وتواردت عليه الـمسائل من أقطار العالـم فأجاب

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الـمسلـمين رضي الله عنهم في أن القرءان كلام الله غير مخلوق، (ص٢٦٤).

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، الإمام، شيخ الإسلام، عالـم زمانه، التركي ثم الـمروزي، الحافظ، الغازي، ولد سنة ١١٨هـ، صنف التصانيف النافعة الكثيرة، وحديثه حجة بالإجماع وهو في الـمسانيد والأصول، وروي عن علي بن الـمديني أنه قال: انتهى العلـم إلى رجلين: إلى ابن الـمبارك، ثم إلى ابن معين. له كتاب في الجهاد وهو أوّل من صنف فيه، توفي سنة ١٨١هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٨، ص٣٧٨ - ٤١٩)، رقم الترجمة ١١٢.

عنها فطبق ذكره الآفاق وملأ العالـم بكتبه وكتب أصحابه في السنة والرد على أصناف الـمبتدعة والـملاحدة وأهل الكتاب، وتفرق أصحابه في بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد الـمغرب ومضى لسبيله وبعد وفاته بيسير استعاد الـمعتزلة بعض قوتهم في عهد بني بويه لكن الإمام ناصر السنة أبا بكر بن الباقلاني قام في وجههم وقمعهم بحججه ودانت للسنة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد أفريقية وقد بعث ابن الباقلاني في جملة من بعث من أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأزدي إلى الشام ثم إلى قيروان وبلاد الـمغرب فدان له أهل العلـم من أئمة الـمغاربة وانتشر الـمذهب إلى صقلية والأندلس، ولابن أبي زيد وأبي عمران الفاسي[1] وأبي الحسن القابسي[2] وأبي الوليد بن الباجي[3]

---

(١) أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي المعروف بأبي عمران الفاسي. ينتسب إلى أسرة فاسية من أبي الحاج، وبيته بها يعرف ببني الحاج. ولد سنة ٣٥٦هـ، وتوفي سنة ٤٣٠هـ. القاضي عياض، **المدارك، (ج٢، ص٢٧)**.

(٢) علي بن محمد بن خلف الـمعافري القيرواني، أبو الحسن بن القابسي، عالـم الـمالكية بإفريقية في عصره. ولد سنة ٣٢٤هـ كان حافظًا للحديث وعلله ورجاله، فقيهًا أصوليًا من أهل القيروان. نسبته إلى «الـمعافرين» من قرى قابس، خليت قبل القرن التاسع للهجرة. رحل إلى الـمشرق سنة ٣٥٢هـ وعاد إلى القيروان سنة ٣٥٧هـ، وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ. وكان أعمى أو عمي في كبره، له كتاب «ملخص الـموطأ» وغيره. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (ج٣، ص٣٢٢)**، رقم الترجمة ٤٤٦.

(٣) أبو الوليد الباجي الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي، صاحب التصانيف. أصله من مدينة بطليوس، فتحول جده إلى باجة -بليدة بقرب إشبيلية- فنسب إليها، ولد في سنة ثلاث وأربعمائة. وأخذ عن: يونس بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، ومحمد بن إسماعيل، وأبي بكر محمد بن الحسن بن عبد الوارث. حدث عنه: أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، وأبو بكر الخطيب، وخلق سواهم. رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦ هـ فمكث ثلاثة أعوام. وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالـموصل عاما، وفي دمشق وحلب مدة. وعاد إلى الأندلس، فولي=

وأبي بكر بن العربي وتلامذتهم أياد بيضاء في ذلك، وقام بنشر الـمذهب في الحجاز راوية الجامع الصحيح الحافظ أبو ذر الهروي[1]، وأخذ عنه من ارتحل إليه من علـماء الآفاق وكان انتشاره بالشام قبل ذلك بواسطة صاحب الأشعري أبي الحسن عبد العزيز الطبري راوية تفسير ابن جرير[2] عن مؤلفه، وكان أهل الشام يجتلبون كبار الأئمة من الـمذهب الأشعري حينا بعد حين

= القضاء في بعض أنحائها. وتفقه به أئمة، واشتهر اسمه، وصنف التصانيف النفيسة. منها «شرح المدونة » في الفقه، وكتاب «الـمنتقى في شرح الموطأ»، و«الإشارة» رسالة في أصول الفقه، و«التسديد إلى معرفة التوحيد» و«إحكام الفصول في أحكام الأصول» و«الحدود» و«فرق الفقهاء» وغيرها. توفي بالمرية سنة ٤٧٤هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص٥٣٥ – ٥٤٥)**، رقم الترجمة ٢٧٤.

(١) أبو ذر الهروي، الحافظ الإمام المجود، العلامة، شيخ الحرم، أحمد بن محمد بن عبد الله ابن غفير بن محمد، المعروف ببلده بابن السماك، الأنصاري الخراساني الهروي المالكي، صاحب التصانيف، وراوي «الصحيح» عن الثلاثة: المستملي، والحموي، والكشميهني. ولد سنة خمس أو ست وخمسين وثلاثمائة. حدث عنه: ابنه أبو مكتوم عيسى، وموسى بن علي الصقلي، وعلي بن محمد بن أبي الهول، والقاضي أبو الوليد الباجي وعدة. وله كتاب «فضائل مالك»، كبير، وكتاب «الصحيح المسند المخرج على الصحيحين»، و«مسانيد الموطأ» و«كرامات الأولياء»، وكتاب «فضائل القرءان»، وكتاب «دلائل النبوة». توفي سنة ٤٣٥هـ. الذهبيّ. **سير أعلام النبلاء، (ج١٧، ص٥٥٤ – ٥٦٣)**، رقم الترجمة ٣٧٠.

(٢) ابن جرير، محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبريّ، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمُل طبرستان. ولد ٢٢٤هـ، كان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً وكثرة تصانيف، له الكتاب المشهور «أخبار الأمم وتاريخهم»، و«التفسير»، وكتاب سمّاه «تهذيب الآثار». قرأ القرءان ببيروت على العبّاس بن الوليد. توفّي سنة ٣١٠هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٩، ص٤٨٤ – ٤٩٢)**، رقم الترجمة ٢٨٣٤.

كالإمام قطب الدين النيسابوري[1] اجتلبه نور الدين الشهيد[2] على طلب العلـماء.

وبعض الحنابلة على مسلك السلف في التفويض وترك الخوض

---

(١) مسعود بن محمد بن مسعود، قطب الدين، أبو المعالي النيسابوري، نزيل دمشق، مولده سنة مات الغزالي سنة خمس وخمسمائة في رجب. أخذ عن والده علم الأدب ثم رحل إلى مرو فتفقه على إبراهيم المروذي وتفقه بنيسابور على محمد بن يحيى وبرع في المذهب ودرّس في نظامية نيسابور نيابة وورد بغداد فوعظ بها وحصل له قبول تام، ثم ورد دمشق سنة أربعين فأقبل عليه أهلها لدينه وعلمه وتفننه ودرس بالمجاهدية وبالغزالية بعد نصر الله المصيصي ثم رحل إلى حلب ودرس بالنورية والأسدية ثم مضى إلى همدان وولي بها التدريس مدة ثم عاد إلى دمشق ودرس بالغزالية والجاروخية وتفرد برئاسة المذهب وحصل له قبول جيد في الوعظ، وكان فصيحًا بليغًا كثير النوادر فقيهًا نحريرًا، قال ابن خلكان: كان عالمًا ورعًا متواضعًا قليل التصنع مطرحًا للتكلف، صنف مختصرًا في الفقه سماه «الهادي» قال الإسنوي: «مختصر قريب من مختصر التبريزي في الحجم كانت المتفقهة في بعض النواحي من الأعصار المتقدمة يحفظونه». توفي بدمشق في رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ودفن بمقابر الصوفية. قال الذهبي: بتربة أنشأها غربيها. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية، (ج٢، ص٢١)**، رقم الترجمة ٣١٩.

(٢) محمود بن زنكي، عماد الدين، ابن آق سنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. كان من المماليك (جده من موالي السلجوقيين). ولد في حلب سنة ٥١١هـ وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١هـ وكان ملحقًا بالسلاجقة، فاستقل. وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة. وامتدت سلطته في الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسمًا من سورية الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانبًا من اليمن. وخطب له بالحرمين. وكان معتنيًا بمصالح رعيته، مداومًا للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقًا في حروبه مع الصليبيين، أيام زحفهم على بلاد الشام. وهو الذي حصن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها، كدمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبك وحلب. وبنى مدارس كثيرة منها (العادلية) أتمها بعده العادل أخو صلاح الدين، و(دار الحديث) كلتاهما في دمشق، وهو أول من بنى دارًا للحديث. وبنى الجامع (النوري) بالـموصل، والخانات في الطريق، والخوانق للصوفية. وكان متواضعًا مهيبًا وقورًا، مكرمًا للعلـماء ينهض للقائهم ويؤنسهم ولا يرد لهم قولًا، عارفًا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ولا تعصب عنده. وسمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع منه جماعة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٢٠، ص٥٣١ - ٥٣٩)**، رقم الترجمة ٣٤٠.

وبعضهم انحاز إلى الـمعتزلة، وكان غالبهم على تعاقب القرون حشوية على الطريقة السالـمية والكرامية إلى أن جعل الظاهر بيبرس[1] قضاء القضاة في الـمذاهب الأربعة لأول مرة فاتصلوا بعلـماء أهل السنة يفاوضونهم في العلـم فأخذت تزول أمراضهم البدعية وكاد أن لا يبقى بينهم حشوي لولا جالية حران بعد نكبة بغداد حطوا رحلهم بالشام ونبغ من بينهم رجل حسنت نشأته وتمكن من اجتلاب ثقة شيوخ العلـم إلى نفسه وثنائهم عليه وكان واعظًا طلق اللسان فإذا هو يجري على خطة مدبرة في إحلال الـمذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف محل مذهب أهل السنة ولـم يعلـم أن مذهب أهل السنة من الأشاعرة والـماتريدية[2] بلغ من التمحيص العلـمي

---

(١) الملك الظاهر، ركن الدين، بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، أبو الفتوح. تسلطن بعد قتل الملك المظفر قطز في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة. وأصل الملك الظاهر بيبرس هذا أنه كان تركي الجنس، أخذ من بلاده، وبيع بدمشق للعماد الصائغ، ثم اشتراه منه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري وبه عرف بالبندقداري. ثم لما صادر الملك الصالح علاء الدين أيدكين البندقداري أخذ بيبرس هذا منه في جملة ما أخذ. وجعله من جملة مماليكه البحرية. ولا زال بيبرس يترقى إلى أن ملك مصر بعد أمور وقعت له ومحن، ولقب بالملك الظاهر ومن عجيب الاتفاق أن أستاذه أيدكين البندقداري صار في سلطنته من جملة أمرائه. ولما ملك الظاهر بيبرس الديار المصرية وتم أمره واستفحل أخذ في الجهاد، وفتح البلاد من يد العدو؛ فافتتح غالب بلاد الساحل بالبلاد الشامية، ومهد الممالك، وطالت أيامه وحسنت. وهو الذي استجد بمصر القضاة الأربعة. ودام الملك الظاهر في الملك، إلى أن مات بدمشق في يوم الخميس الثامن والعشرين من محرم سنة ست وسبعين وستمائة. وملك بعده ابنه الملك السعيد محمد، المدعو بركة خان وكان تسلطن الملك السعيد في حياة أبيه الملك الظاهر. وكانت مدة سلطنة الملك الظاهر بيبرس على مصر تسعة عشرة سنة وشهرين ونصف. وفي أيام الملك الظاهر هذا ورد الخبر من نواحي عكا أن سبع جزائر في البحر خسف بها وبأهلها بعد أن أمطرت ودامت سبعة أيام، وهلك منهم خلق كثير. يوسف الأتابكي، **مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، (ج٢، ص٣٣)**.

(٢) قال الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «شرح إحياء علوم الدين» ما نصه: «الفصل الثاني: إذا اطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية».

على تعاقب القرون بأيدي نوابغ أهل النظر والفقه في الدين ممن لا يعد هذا الحشوي من تلامذتهم إلى مستوى من قوة الحجج بحيث إذا حاول مثله أن يصطدم بها لا يقع إلا على أم رأسه فيردى ولا يودى وحيث لـم يكن له شيخ يرشده في العلوم النظرية أصبح علـمه لا يرتكز على شيء وثيق خليطًا كثير التناقض، وتوزعت مواهبه في أهواء متبعة ثم أفضى إلى ما عمل وزالت فتنه بردّ العلـماء عليه.

والأشعرية هم العدل الوسط بين الـمعتزلة والحشوية لا ابتعدوا عن النقل كما فعل الـمعتزلة ولا عن العقل[1] كعادة الحشوية، ورثوا خير من تقدمهم وهجروا باطل كل فرقة، حافظوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وملؤُوا العالـم علـمًا، ويوجد بينهم من ينتمي إلى التصوف من مناصرة بعض الأئمة من الصوفية للسنة على الطريقة الأشعرية منذ القرن الخامس.

قال الحافظ الكبير مؤرخ الشام أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي ما نصه[2]: «ثم إن الله وله الحمد أكمل دينه وأتمه إتمامًا، ونصب له من العلـماء به أئمة يقتدى بهم وأعلامًا، وآتاهم بصائر نافذة عند الشبهات ورزقهم أفهامًا، فانتدبوا لتبصير الـمستبصرين حتى أصبحوا متحيرين إيضاحًا وإفهامًا، لـما

---

(١) فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس. قال الراغب الأصفهاني في «**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**»: «في تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر: اعلـم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن يغني أسٌّ ما لـم يكن بناءٌ، ولن يثبت بناءٌ ما لـم يكن أسٌ. وأيضًا فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لـم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لـم يكن بصر ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴿١٦﴾﴾».

(٢) ابن عساكر، **تبيين كذب الـمفتري**، (ص٢٥ وما بعدها).

همى سحاب الباطل وهطل بعدما صار ركامًا، وقام سوق البدع عند ولاة المسلمين في الخافقين قيامًا، وحاد أهل الاعتزال عن سنن الاعتدال جرأة منهم على ردّ السنن وإقدامًا فنفوا عن الرب سبحانه ما أثبت لنفسه من صفاته فلم يثبتوا صفة ولا كلامًا، وتمادى أهل التشبيه في طرق التمويه وأحجموا عن الحق إحجامًا، فشبهوا ربهم حتى توهموه جسمًا يقبل تحيزًا وافتراقًا وانضمامًا، وغلوا في إثبات كلامه حتى حسبوه يحتمل بجهلهم تجزيًا وانقسامًا، وظنوا اسم الله القديم ألفًا وهاء تتلوا لامًا ولامًا، فامتعض العلماء من المثبتين من تفاوت مذهبيهم واعتصموا بالسنة اعتصامًا، وألجموا العوام عن الخوض في علم الكلام[1] خوف العثار إلجامًا، فكان أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه ورضوانه أشدهم بذلك اهتمامًا، وألدهم لمن حاول الإلحاد في أسماء الله وصفاته خصامًا، وأمدهم سنانًا لمن عاند السنة وأحدهم حسامًا، وأمضاهم جنانًا عند وقوع المحنة وأصعبهم مرامًا، ألزم الحجة لمن خالف السنة والمحجة إلزامًا، فلم يسرف في التعطيل ولم يغل في التشبيه، وابتغى بين ذلك قوامًا، وألهمه الله نصرة السنة بحجج العقول حتى انتظم شمل أهلها به انتظامًا، وقسم الموجودات من المحدثات أعراضًا وجواهر وأجسامًا، وأثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات إعظامًا، ونفى عنه ما لا يليق بجلاله من شبه خلقه إجلالًا له وإكرامًا، ونزهه عن سمات الحدث تغيرًا وانتقالًا وإدبارًا وإقبالًا وأعضاءً وأجرامًا، وائْتَمَّ به من وفقه الله لاتباع الحق في التمسك بالسنة ائتمامًا، فلما انتقم من أصناف أهل البدع بإيضاح الحجج والأدلة انتقامًا، ووجدوه لدى

(١) والمقصود كلام أهل الأهواء وسيأتي تفصيل ذلك في محله إن شاء الله.

الحجاج في تبيين الاحتجاج عليه فيما ابتدعوه همامًا، قالوا فيه حسدًا من البهتان ما لا يجوز لـمسلـم أن ينطق به استعظامًا، وقذفوه بنحو ما قذفت به اليهود عبد الله بن سلام[1] وأباه سلامًا[2]، فلـم ينقصوه بذلك عند أهل التحقيق، بل زادوه بما قالوا فيه تمامًا، ومدحوه بنفس ذمهم وقد قيل في الـمثل (لن تعدم الحسناء ذامًّا)، وقلـما انفك عصر من الأعصار من غاوٍ يقدح في الدين ويغوي إبهامًا، وعاوٍ يجرح بلسانه أئمة الـمسلـمين ويعوي إيهامًا، ويستنزل من العامة طوائف جهالًا وزعانف أغتامًا، ويحمل بجهله على سب العلـماء والتشنيع عليهم سفهاء طغامًا، لكن العلـماء إذا سمعوا بمكرهم عدوه منهم عرامًا، وإذا ما مروا بلغوهم في الكبار من الأئمة مروا كرامًا، وإذا خاطبهم الجاهلون منهم قالوا لهم سلامًا، ولن يعبأ الله بتقوّلهم فيه وتكذيبهم عليه».

وقال[3]: «وهل من الفقهاء من الحنفية والـمالكية والشافعية إلا موافق له أي للإمام الأشعري أو منتسب إليه أو راضٍ بحميد سعيه في دين الله أو مثنٍ بكثرة العلـم عليه غير شرذمة يسيرة تضمر التشبيه وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه».

---

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلـم عند قدوم النبي ﷺ الـمدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وشهد مع عمر فتح بيت الـمقدس والجابية. ولـما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفًا من خشب، واعتزلها. وأقام بالـمدينة إلى أن مات سنة ٤٣هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٢، ص٤١٣ ٤٢٦)**، رقم الترجمة ٨٤.

(٢) حيث قال اليهود هو شرنا وابن شرنا وتنقصوه حين علـموا أنه أسلـم بعد أن كانوا يقولون فيه هو خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا، وهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور على ما جاء في صحيح البخاري وغيره.

(٣) ابن عساكر، **تبيين كذب الـمفتري، (ص٤١)**.

وأنشد الحافظ ابن عساكر لبعضهم في المعنى المتقدم[1]: [الكامل]

«إنّ اعتقادَ الأشعريِّ مسددٌ ... لا يمتري في الحقِ إلا ممتري
وبه يقولُ العالمونَ بأسرِهم ... من بين ذي قلم وصاحبِ منبرِ
والمدعونَ عليهِ غير مقاله ... ما فيهمُ إلا جهولٌ مفتري
فذرِ التعامي واعتصمْ بِمقالِه ... واعلم يقينًا أنّه القولُ السّري
وارفض ملامةَ من نهاكَ بجهله ... عمّا يراهُ لأنه لم يَشعُرِ
وإذا لحاكَ العاذلون فقُل لهم ... قولَ امرئٍ في دينه مستبصِرِ
إن كان من ينفي النقائِصَ كلَّها ... عن ربه ترمونه بتمشعُرِ
وترونَه ذا بدعةٍ في عقلِهِ ... فليشهَدِ الثقلانِ أني أشعري».

ثم إن بعض مشبهة العصر يزيفون الحقائق والمفاهيم الصحيحة كما تلاحظ ذلك في كلام الحافظ الكبير ابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه.

فهم يوردون آيات يتوهمون من ظاهرها أن الله جسم وأن الله تعالى له صفات كصفات الخلق كالحركة والسكون والنزول والصعود، فيحملون تلك الآيات على حسب الوهم والحس والخيال ويحتجون بها على الناس فيوهمون بهذا من ليس عنده علم بالتوحيد أن كلامهم صحيح فيتبعهم فيهلك كما هلكوا، خطرهم عظيم لأنهم يوردون الآيات والأحاديث المتشابهة ويوهمون العامي بأن معناها على ما تبادر إلى أذهانهم فيستسلم لهم من ليس عنده معرفة بالعقيدة الصحيحة.

فكان من الواجب كشف الحقيقة بالأدلة من القرءان والسنة ولسان العرب وتقريب ذلك لأفهام طلاب النجاة قدر الاستطاعة إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، (ص٣٦٣).

المبحث الثامن
منهج علماء الكلام في تقرير العقيدة

اعلم أن أصول التوحيد وسائر أمور العقيدة الحقة قامت على حقيتها حجج الكتاب والسنة الواضحة وإجماع الأمة الهادية، وبراهين العقول المستقيمة التي هي شاهدة للشرع، وذلك مما اختص به الإسلام من بين الأديان لأنه لم يأت بشيء إلا والعقل شاهد له، أما سائر الأديان فعلى خلاف ذلك، لذا كانت مصنفات أهل الحق في ترتيب الأدلة للرد على المبتدعة والملحدين والمنحرفين مبنية على ما ذكرنا، وتفصيل ذلك ما يلي:

١- **القرءان الكريم**: وهو أصل الحجج، وبه ثبتت الرسالة، وتقوم الحجة على دحض الضلال، وهو المهيمن على الكتب السماوية[١]، وبه يميّز الحق من الباطل، وقد أمر الله برد المتنازع فيه إليه وإلى رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ٥٩﴾[٢] والرد إلى الله هو الرد إلى القرءان، والرد إلى الرسول هو الرد إلى الأحاديث الصحاح الثابتة عن رسول الله محمد ﷺ.

٢- **السّنة**: اعلم أن الاحتجاج بالحديث في أمور الاعتقاديات يشترط فيه أن يكون الراوي متفقًا على ثقته، أي أن يرد الحديث بإسناد غير مختلف فيه، فلا يكفي الاحتجاج بالحديث الذي ورد من طريق ضعيف ولو

---

(١) كما قال تعالى ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ٤٨﴾.

(٢) سورة **النساء**، ءاية ٥٩.

اعتضد، كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**شرح صحيح البخاري**»[1] ونص عبارته: «لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو اعتضدت»، أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد.

واعلم أنَّ الخبر إما أن يرد بطريقٍ مقطوعٍ به أو لا، فأما المقطوع به فهو على قسمين: متواتر ومشهور، فأما المتواتر فهو ما أخبر به جمع كثير عن مشاهدة وإحساس واستمرت هذه الكثرة في الطبقة الأولى وهي التي شاهدت الـمخبر به والثانية والثالثة، فهذا الخبر لا يحتمل الكذب، وهو أعلى درجات الحديث الصحيح.

وأمّا ما نزل عن التواتر فهو مستفيض ويقال له الـمشهور، ومنه ما هو دون ذلك، فالـمستفيض الذي هو الـمشهور حجة في الاعتقاديات لإفادته العلـم كالـمتواتر، والـمشهور هو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، وقد اشترط أبو حنيفة وأتباعه من الـماتريدية أن يكون الحديث في درجة الـمشهور للاحتجاج به في أمور العقيدة، واحتج في رسائله التي ألّفها في الاعتقاد بنحو أربعين حديثًا من قبيل الـمشهور جمعها القاضي كمال الدين البياضي[2].

وأما ما نزل عن المشهور فلا يحتج به لإثبات الصفات إذ لا يفيد القطع.

وهل يُحتج به في الاعتقاديات؟

قال الحنفية: «لا يصلح ما نزل عن المشهور لذلك» كما تقدم.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١، ص١٧٤).

(٢) البياضي، **إشارات الـمرام**، (ص٢٥).

وقال بعض الشافعية: «إذا ورد الحديث بطريق صحيح غير مختلف في توثيق أي من رواته صح الاستدلال به في العقيدة، وإلا فلا» كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني.

قال ابن الجوزي في كتابه «**دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**»[1]: «قال أبو سليمان الخطابي لا تثبت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته يستند إلى أصل في الكتاب أو في السنة الـمقطوع على صحتها وما بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعاني الأصول الـمتفق عليها من أقوال أهل العلـم من نفي التشبيه». ومثل ذلك نقل الحافظ البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[2] عن أبي سليمان الخطابي.

٣- **الإجماع**: وهو إجماع أهل الحق في مسئلة دينية، وذلك كإجماعهم على حدوث كل ما سوى الله وأن العالم كله حادث ولا أزلي إلا الله،

---

(١) ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، (ج١، ص٩٧).

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٣٥).

قال التاج السبكي[1] [2] في «**شرح عقيدة ابن الحاجب**[3]»: «اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث فإذًا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل ومن خالف في هذا فهو كافر لمخالفته الإجماع القطعي».

٤- **العقل الصحيح**: اعلم أن الله تبارك وتعالى حث عباده في القرءان على النظر في ملكوته لمعرفة جبروته فقال تعالى:

---

(١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، العلامة قاضي القضاة، تاج الدين، أبو نصر ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن الأنصاري الخزرجي السبكي، مولده بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة وقيل سنة ثمان. حضر وسمع بمصر من جماعة ثم قدم دمشق مع والده في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسمع بها من جماعة واشتغل على والده وطلب بنفسه ودأب، قال الحافظ شهاب الدين بن حجي: أخبرني أن الشيخ شمس الدين بن النقيب أجازه بالإفتاء والتدريس ولما مات ابن النقيب كان عمر القاضي تاج الدين ثمانية عشر سنة وأفتى ودرس وحدث وصنف. جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله وحصل له من المناصب ما لم يحصل لأحد. توفي شهيدًا بالطاعون في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة. من تصانيفه شرح مختصر ابن الحاجب في مجلدين سماه «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب» و«طبقات الفقهاء الكبرى» في ثلاثة أجزاء، وجمع مختصرًا في الأصول سماه «جمع الجوامع». ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج٣، ص١٠٤-١٠٦)، رقم الترجمة ٦٤٩.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين**، (ج٢، ص٩٤).

(٣) ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الشيخ، الإمام، العلامة، المقرئ، الأصولي، الفقيه، النحوي، الدويني الأصل، الإسنائي المولد، المالكي، صاحب التصانيف. ولد ٥٧٠هـ، اشتغل أبو عمرو بالقاهرة، وحفظ القرءان، وأخذ بعض القراءات عن الشاطبي، وسمع منه «التيسير»، وقرأ بطرق «المبهج» على الشهاب الغرنوي، وتلا بالسبع على أبي الجود، وسمع من أبي القاسم البوصيري، وإسماعيل بن ياسين، وبهاء الدين القاسم بن عساكر، وفاطمة بنت سعد الخير، وطائفة، وتفقه على أبي المنصور الأبياري وغيره. وكان من أذكياء العالم، رأسًا في العربية وعلم النظر. وتوفي سنة ٦٤٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢٣، ص٢٦٤)، رقم الترجمة ١٧٥.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٨٥﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴿٥٣﴾﴾[2].

وعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله وفي حق الملائكة وغير ذلك اعتمادًا على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ، فالعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع ليس أصلًا للدين، على أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه.

واعلم أيضًا أن علماء الحديث ذكروا أن الحديث إذا خالف النص القرءاني أو الحديث المتواتر أو صريح العقل ولم يقبل تأويلًا فهو باطل، وذكر ذلك الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في «**جمع الجوامع**».

وقال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي[3] في كتابه «**الفقيه والمتفقه**»[4] ما نصه: «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الإسناد رد بأمور: أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يَرِد بمجوّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا».

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ١٨٥.

(٢) سورة **فصلت**، ءاية ٥٣.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في غزية بصيغة التصغير، منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشؤه ووفاته ببغداد. ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث. وكان فصيح اللهجة عارفًا بالأدب، يقول الشعر، ولوعًا بالمطالعة والتأليف، ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتابًا له. من مصنفاته: «تاريخ بغداد». ولد سنة ٣٩٢هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص١٧٢).

(٤) الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**، (ص١٣٢).

وليعلـم أن العقل مفيد للعلـم خلافًا للسّمنية[1] في جميع النظريات وبعض الفلاسفة في الإلـهيات. فإن قيل: لو كان هذا يفيد العلـم القطعي لتحقق في كل من نظر فيه والواقع خلاف ذلك فإن كثيرًا من الناظرين فيه لا يتحقق لهم ذلك العلـم القطعي، فالجواب أن يقال: إنما لـم يحصل لهم العلـم به لفساد نظرهم، وأما النظر الصحيح وهو الذي استوفى شرط النظر فهو في حد ذاته مفيد للعلـم القطعي.

تنبيه: قال الشيخ شرف الدين التلمساني[2] في «**شرح لـمع الأدلة**»[3] ما نصه: «إن الشرع إنما ثبت بالعقل فلا يتصور وروده بما يكذب العقل فإنه شاهده فلو أتى بذلك لبطل الشرع والعقل، فإذا تقرّر هذا فنقول: كل لفظ يرد من الشرع في الذات والأسماء والصفات مما يوهم خلاف العقل فلا يخلو إما أن يكون متواترًا أو آحادًا، فإن كان آحادًا وهو نص لا يحتمل التأويل فلا يتصور أن يكون نصًّا لا يحتمل التأويل فلا بد أن يكون ظاهرًا أو محتملًا فحينئذ نقول: الاحتمال الذي دل العقل على خلافه ليس بمراد منه، فإن بقي بعد إزالته احتمال واحد تعين أنه الـمراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان

---

(١) **السُّمَنِيَّةُ**: بضم السين وفتح الميم مخففة فرقة تعبد الأصنام وتقول بالتناسخ وتنكر حصول العلم بالأخبار قيل نسبة إلى «سومنات» بلدة من الهند. الفيومي، **المصباح المنير**، كتاب السين، (ج١، ص٢٩٠).

(٢) عبد الله بن محمد بن علي، شرف الدين، أبو محمد، الفهري المصري المعروف بابن التلمساني، كان إمامًا عالمًا بالفقه والأصلين، ذكيًّا فصيحًا حسن التعبير. تصدر للإقراء بمصر وانتفع به الناس وصنف التصانيف المفيدة منها «شرح الـمعالـم في أصول الدين» و«شرح التنبيه» في فروع الفقه، توفي في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج٢، ص١٠٧)، رقم الترجمة ٤٠٩.

(٣) شرف الدين التلـمساني، **شرح لـمع الأدلة** (مخطوط)، (ص٧٦).

فصاعدًا فلا يخلو إما أن يدل قاطع على تعيين واحد منها أو لا، فإن دلّ حمل عليه، وإن لـم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالظن والاجتهاد؟ اختلف فيه فمذهب السلف عدم التعيين».

وقول ابن التلـمساني إن مذهب السلف عدم التعيين لعله يريد بذلك عدم كثرة ذلك بالنسبة للخلف وإلا فقد ثبت عن السلف كما ثبت عن الخلف، فمن نفى التأويل عن السلف غالط لثبوت ذلك عن أحمد بالإسناد الصحيح[1]، وكذلك ثبت عن الإمام البخاري[2] وغيرهم.

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، (ج١٠، ص٣٢٧).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، أول سورة القصص، (ج٤، ص١٧٨٧).

الباب الثاني
مدخل إلى علم التأويل

ويتضمن ثلاثة عشر مبحثًا:

١- **المبحث الأول**: تعريف التأويل والمحكم والمتشابه.

٢- **المبحث الثاني**: آراء العلماء في المحكم والمتشابه.

٣- **المبحث الثالث**: الحكمة من وجود المتشابه.

٤- **المبحث الرابع**: التأويل في اللغة.

٥- **المبحث الخامس**: التأويل في الكتاب.

٦- **المبحث السادس**: التأويل في الحديث.

٧- **المبحث السابع**: شروط صحة التأويل.

٨- **المبحث الثامن**: تنبيه بخصوص الصفات الواردة في النصوص المتشابهة.

٩- **المبحث التاسع**: المحكم والمتشابه.

١٠- **المبحث العاشر**: التأويل بين إجمالي وتفصيلي.

١١- **المبحث الحادي عشر**: وجوب الجمع بين النصوص.

١٢- **المبحث الثاني عشر**: خطر حمل المتشابه على الظاهر.

١٣- **المبحث الثالث عشر**: التحذير من قول المشبهة في الآيات المتشابهات «التفويض في الكيفية».

المبحث الأول
تعريف التأويل والمحكم والمتشابه

التعريف اللغوي:

قال ابن فارس في «**فقه العربية**»[1] ما نصه: «التأويل آخر الأمر وعاقبته. يقال: مآل هذا الأمر مصيره. وهو مشتق من الأَوْل وهو العاقبة والمصير ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾[2] أي عاقبته. وسيأتي مبحث مفصل عن التأويل في اللغة بإذن الله.

التعريف الاصطلاحي:

قسّم محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير[3] التأويل ثلاثة أقسام[4]:

التأويل عند الأصوليين: ترجيح المرجوح لدليل.

التأويل عند المفسّرين: التفسير.

---

(١) ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، (ص١٩٣).

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٣) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الهادي بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب العز، أبو عبد الله الحسني اليماني الصنعاني أخو الهادي الآتي. ولد تقريبًا سنة خمس وستين وسبعمائة. صنف في الرد على الزيدية «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» واختصره في «الروض الباسم عن سنة أبي القاسم» وغيره؛ مات في المحرم سنة أربعين وأرخه بعضهم في التي قبلها بصنعاء اليمن. السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (ج٦، ص٢٧٢)، رقم الترجمة ٩٠٦.

(٤) ابن الوزير اليماني، **ترجيح أساليب القرءان على أساليب اليونان**، (ص١٢٣).

التأويل عند المتكلمين: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

وبما أن كلمة التأويل تشترك بشيء من دلالاتها اللغوية مع هاتين الكلمتين (المعنى والتفسير) كان لا بد من بيان مفهوم هذه الألفاظ وقد أفرد ابن فارس في كتابه «**الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**» بابًا أسماه: «باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء» فقال ما نصه[1]: «ومرجعها إلى ثلاثة: وهي المعنى والتفسير والتأويل. وهي إن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة. فأما المعنى فهو القصد والمراد.

وقال قوم: اشتقاق المعنى من الإظهار، يقال: عنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، وعنوان الكتاب من هذا.

وأما التفسير فإنه التفصيل، كذا قال ابن عباس[2] في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[3] قال: تفصيلًا.

وأما التأويل فآخر الأمر وعاقبته يقال: إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟ أي مصيره وآخره وعقباه».

والخلاصة نقول: إن الوصول إلى معنى الآية المراد إما أن يكون من طريق التفسير أو من طريق التأويل. فإذا كان النص يحتاج في بيان معناه إلى أن يصرف عن ظاهره فلا سبيل إلى المعنى إلا من خلال التأويل وإلا فالتفسير. فإذا تبين ذلك ساغ أن نقول: إن كل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا.

---

(١) ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، (ص١٩٢).

(٢) ابن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرءان**، (ج١٩، ص١١).

(٣) سورة **الفرقان**، ءاية ٣٣.

ويمكننا القول بأن التأويل نوعان: تأويل ممدوح وتأويل مذموم:

فالممدوح: إذا كان عن علمٍ ودراية وتنزيه لله تعالى ودفع لشبهة التشبيه إذا اتفق مع لغة العرب، وهو المراد من قوله ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[١].

والمذموم: هو التأويل عن غير علمٍ، إذا كان فيه تحريف وزيادة ومخالفة للنصوص القطعية كتشبيه الله تعالى بخلقه[٢].

المحكم في اللغة:

العرب تقول: حكمت وأحكمت وحكّمت بمعنى رددت ومنعت، ومن هذا قيل للحاكم بين النّاس حاكم لأنه يمنع الظالم عن الظلم[٣].

وحكمة اللجام ما أحاط بالحنك أي ما يمنع الفرس عن الاضطراب[٤].

وفي حديث النّخعي[٥]: «**حكّم اليتيم كما تحكّم ولدك**»[٦] أي امنعه من

---

(١) أحمد، **مسند أحمد**، (ج١، ص٢٦٦).

(٢) وهو كتأويلات الخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والباطنية كما سيأتي.

(٣) أبو منصور الأزهري، **تهذيب اللغة**، مادة: ح ك م، (ص٤٧٥).

(٤) راجع المصادر السابقة نفسها.

(٥) إبراهيم النَّخَعيّ، الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عِمْران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، اليماني، ثم الكوفيّ، أحد الأعلام، وهو ابن مُلَيْكَة، أخت الأسود بن يزيد. روى عن خاله، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلمانيّ، وأبي زُرْعَة البجَليّ، وخلق سواهم من كبار التابعين، وكان بصيرًا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن. روى عنه: الحكم بن عُتَيْبَة، وعمرو بن مُرَّة، وحمّاد بن أبي سليمان، وسماك بن حرب وآخرون، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبيّ في زمانهما، وقال مغيرة: «كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير». توفي سنة ٩٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٦١٧ -٦٢٢)، رقم الترجمة ٧١٦.

(٦) رواه بإسناده القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، **غريب الحديث**، (ج٤، ص٤٢).

الفساد وأصلحه كما تصلح ولدك، قاله أبو عبيد[1] [2].

وبناء محكم: أي وثيق يمنع من تعرّض له[3]. وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكمًا، واحتكم الأمر واستحكم وثق[4]. قال الأزهري[5] ما نصه[6]: «وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ١﴾[7] فإن التفسير جاء أنه أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام ثم فصّلت بالوعد والوعيد».

وحكّمت فلانًا أي أطلقت يده فيما شاء[8]. والحِكمة هذا قياسُها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكَّمت فلانًا تحكيمًا منعتُه عمّا يريد. وحُكِّم فلانٌ

---

(١) أبو عُبَيْد، الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، القاسم بن سلّام بن عبد الله، ولد سنة ١٥٧هـ. سمع: إسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وهُشَيْمًا، وإسماعيل بن عيّاش، وسفيان بن عُيَيْنَة، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم. وحدّث عنه: نصر بن داود، وأبو بكر الصّاغانيّ، وأحمد ابن يوسف التغلبيّ، والحسن بن مُكْرَم، وأبو بكر بن أبي الدنيا، والحارث بن أبي أسامة، وآخرون، ومن تصانيفه: «الأموال»، و«الغريب»، و«فضائل القرآن»، و«الطهور»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«الغريب المصنَّف في علم اللسان» وغيرها. مات سنة ٢٢٤هـ. الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، (ج٧، ص٥٩٣ - ٦٠١)، رقم الترجمة ١٨٣٧.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، م. س. مادة ح ك م. **النهاية**، (ج١، ص٤٢٠).

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ح ك م.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ح ك م.

(٥) أبو منصور الأزهريّ، محمّد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهريّ الهَرَويّ اللغويّ الشافعيّ، العلامة، كان رأسًا في اللغة والفقه، ثقة، ثبتا، ديّنا. وله من كتبه: «تهذيب اللغة» و«التفسير» و«تفسير ألفاظ المزَنيّ» و«علل القراءات» و«الأسماء الحسنى» و«تفسير إصلاح المنطق» وغيرها. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٦، ص٣١٥ - ٣١٧)، رقم الترجمة ٢٢٢.

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ح ك م، (ج١٢، ص١٤٠).

(٧) سورة **هود**، ءاية ١.

(٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ح ك م، (ص١٢، ج١٤٠).

في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه[1].

قال الفقيه الزركشي[2] نقلًا عن ابن دقيق العيد[3] أنه قال[4]: «من أوّل شيئًا منها فإن كان تأويله قريبًا على ما يقتضيه لسان العرب لم ينكر عليه ولم نبدّعه، وإن كان تأويله بعيدًا توقفنا عنه واستبعدناه، ورجعناه إلى القاعدة في الإيمان بمعناه والتصديق به على الوجه الذي أريد مع التنزيه».

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** مادة ح ك م، **(ج٢، ص٩١)**.

(٢) بدر الدين الزركشي، أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله، العالم العلامة المصنف المحرر المصري، مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة. أخذ عن الشيخين جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البلقيني ورحل إلى حلب إلى شهاب الدين الأذرعي وتخرج بمغلطاي في الحديث وسمع الحديث بدمشق وغيرها. قال بعض المؤرخين: كان فقيهًا أصوليًا أديبًا فاضلًا في جميع ذلك ودرس وأفتى وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى. توفي في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة الأمير بكتمر الساقي. ومن تصانيفه تكملة شرح المنهاج للإسنوي و«خادم الشرح والروضة» وهو كتاب كبير و«النكت على البخاري» و«البحر في الأصول» في ثلاثة أجزاء جمع و«شرح جمع الجوامع للسبكي» في مجلدين وتخريج أحاديث الرافعي وله مصنفات أخر منها مصنف في الأدب سماه «ربيع الغزلان». ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية، (ج٣، ص١٦٧)**، رقم الترجمة ٧٠٠.

(٣) ابن دقيق العيد، أبو الفتح، تقي الدين، محمد بن علي بن وهب، القشيري الشافعي العالم الفقيه الجامع بين العلم والدين. ولد سنة ٦٢٥هـ، سمع بمصر والشام والحجاز، أخذ عن والده وعبد العظيم المنذري، كان مالكي المذهب ثم تفقه على عز الدين بن عبد السلام فحقق المذهبين، من مصنفاته كتاب «الإلمام» وشرحه، و«شرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية» ولم يكملهما. توفي سنة ٧٠٢هـ. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى، (ج٩، ص٢٠٧ - ٢٥٠)**، رقم الترجمة ١٣٢٦.

(٤) بدر الدين الزركشي، **تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، (ج٤، ص٦٧٨)**.

قال عبد السلام اللقاني[1] ما نصه[2]: «ورد في القرءان والسنة ما يُشعِر بإثبات الجهة والجسمية له تعالى، وكان مذهب أهل الحقّ من السلف والخلف تأويل تلك الظواهر لوجوب تنـزيهه تعالى عما يدل عليه ذلك الظاهر اتفاقًا من أهل الحقّ، وكل نصٍ أوهم تشبيهًا أوّله وجوبا».

المتشابه في اللغة:

الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا يقال: شبه وشبه وشبيه، والمشبّهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا[3]. **واشتبه الأمر اذا اختلط، وتقول أشبه فلان أباه وأنت مثله في الشبه**[4].

والمتشابه أو المتشابهات المتماثلات بمعنى أن يكون أحد الشيئين مشابهًا للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز[5]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴿٧٠﴾﴾[6] وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿١١٨﴾﴾[7] ومنه اشتبه الأمران إذا

---

(١) عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري، شيخ المالكية في وقته بالقاهرة. ولد سنة ٩٧١هـ وتوفي سنة ١٠٧٨هـ. له «شرح المنظومة الجزائرية» في العقائد، و«إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد» أما الجوهرة فمن تصنيف والده، و«السراج الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج». الزركلي، **الأعلام، (ج٣، ص٣٥٥)**.

(٢) اللقاني، **حاشية الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد، (ص١٠٣)**.

(٣) الرازي، **مختار الصحاح**، مادة ش ب هـ.

(٤) الرازي، **مختار الصحاح**، مادة ش ب هـ.

(٥) الرازي، **مختار الصحاح**. ابن منظور. **لسان العرب**. م. س. مادة ش ب هـ. أحمد بن يوسف الشافعي، **عمدة الحفاظ، (ج٢، ص٢٨٤)**.

(٦) سورة **البقرة**، ءاية ٧٠.

(٧) سورة **البقرة**، ءاية ١١٨.

لـم يفرق بينهما، ويقال لأصحاب الـمخاريق[1] أصحاب الشبهات، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الحلال بيّنٌ وإن الحرام بيّنٌ وبينهما مشتبهات**»[2] وفي رواية أخرى: «**متشابهات**». فهذا تحقيق الكلام في الـمحكم والـمتشابه بحسب أهل اللغة[3]. وقيل غير ذلك.

الـمحكم والـمتشابه في الاصطلاح:

قال الإمام الجصاص ما نصه[4]: «أما ما روي عن جابر بن عبد الله[5] أن الـمحكم ما يعلـم تعيين تأويله والـمتشابه ما لا يعلـم تأويله كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿١٨٧﴾﴾[6] وما جرى مجرى ذلك، فإنّ إطلاق اسم الـمحكم والـمتشابه سائغ فيه، لأن ما علـم وقته ومعناه فلا تشابه فيه وقد أحكم بيانه، وما لا يعلـم تأويله ومعناه ووقته فهو مشتبه على

---

(١) المخاريق جمع مِخراق. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (ج٢، ص٢٦). ونصه: «وفي حديث علي «**البرق مخارِيق الـملائكة**» هي جمع مِخراق، وهو في الأصل ثوب يلف ويضرِب به الصِّبيان بعضهم بعضًا، أراد أنه آلة تزجر بها الـملائكة السّحاب وتسوقه، ويفسره حديث ابن عباس: **البرق سوط من نور تزجر به الـملائكة السحاب**».

(٢) مسلـم، **صحيح مسلـم**، كتاب الـمساقاة والـمزارعة، باب الربا، (ج١١، ص٢٦، ٢٧).

(٣) الرازي، **أساس التقديس في علـم الكلام**، (ص١٣٥).

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٢، ص٢٨٠).

(٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلـمة، الإمام الكبير، الـمجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاريّ، الخزرجيّ، السلـميّ، الـمدنيّ، الفقيه من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا. روى علـمًا كثيرًا عن النبيّ ﷺ وعن عمر وعليّ وأبي بكر وأبي عُبَيْدة وطائفة. كان مفتي الـمدينة في زمانه، وعاش بعد ابن عمر أعوامًا، وتفرَّد، بلغ مسنده ١٥٤٠ حديثًا، ومات سنة ٧٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٩٩ - ١٠٢)، رقم الترجمة ٣٩٦.

(٦) سورة **الأعراف**، ءاية ١٨٧.

سامعه فجائز أن يسمى بهذا الاسم، فجميع هذه الوجوه يحتمله اللفظ على ما روي فيه، ولولا احتمال اللفظ لـما ذكروا لـما تأولوه عليه. وما ذكرناه من قول من قال: إن الـمحكم هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، والـمتشابه ما يحتمل معنيين، فهو أحد الوجوه الذي ينتظمها هذا الاسم، لأن الـمحكم من هذا القسم سمي محكمًا لإحكام دلالته وإيضاح معناه وإبانته، والـمتشابه منه سمي بذلك لأنه أشبه الـمحكم من وجه واحتمل معناه، وأشبه غيره مما يخالف معناه معنى الـمحكم، فسمي متشابهًا من هذا الوجه».

وقال البغوي: «وهو أي استئثار الله بعلم المتشابه قول أبيّ بن كعب[1]، وعائشة، وعروة بن الزبير[2] رضي الله عنهما، ورواية طاوس[3] عن ابن عباس

---

(١) أَبَيُّ بن كَعْب بن قيس بن عُبَيْد، سيد القرّاء، أبو منذر الأنصاريّ، النجّاري، الـمدنيّ، الـمقرئ، البدري، ويكنى أيضًا: أبا الطُّفَيْل. شهد العقبة، وبدرًا، وجمع القرءان في حياة رسول الله ﷺ وحفظ عنه علمًا مباركًا، وكان رأسًا في العلـم والعمل رضي الله عنه، وقال عنه النبيّ عليه الصلاة والسلام: «**أقرأ أمتي أُبَيّ**». وله في الكتب الستة نيّف وستون حديثًا. يقال إنه توفي سنة ٢٢هـ بـالـمدينة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٣، ص١٧١-١٧٧)**، رقم الترجمة ٢٢٣.

(٢) عروة بن الزُّبَيْر بن العَوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب، ابن حواريّ رسول الله ﷺ وابن عمته صفية، الإمام، عالـم الـمدينة، أبو عبد الله القرشيّ، الأسديّ، الـمدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة. ولد سنة ٢٣هـ، قال العجلي عنه: تابعي، ثقة، رجل صالح. توفي سنة ٩٣هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٥٥٧-٥٦٥)**، رقم الترجمة ٦٧١.

(٣) أبو عبد الرحمن، طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني، من أبناء الفرس؛ أحد الأعلام التابعين، سمع ابن عباس وأبا هريرة رضي الله عنهما، وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار، وكان فقيهًا جليل القدر نبيه الذكر. قال ابن عيينة: قلت لعبيد الله بن يزيد: مع من تدخل على ابن عباس قال: مع عطاء وأصحابه. قلت: وطاوس؟ قال: أيهات، كان ذاك يدخل مع الخواص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا قط مثل طاوس. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس المذكور: إن أردت أن يكون عملك خيرًا كله فاستعمل أهل الخير، فقال عمر: كفى بها موعظة. وتوفي حاجًا بمكة قبل يوم التروية بيوم، وصلى عليه هشام بن عبد الملك وذلك في سنة ست ومائة رضي الله عنه، وقيل سنة أربع ومائة، والله أعلم. قال بعض العلماء: مات طاوس بمكة فلم يتهيأ إخراج جنازته لكثرة الناس، حتى وجه إبراهيم بن هشام المخزومي أمير=

رضي الله عنهما، وبه قال الحسن، وأكثر التابعين، واختاره الكسائي[1]، والفراء[2]، والأخفش[3]، وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويجوز أن يكون في القرءان تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها، والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان والعمل به»[4].

= مكة بالحرس، فلقد رأيت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، واضع السرير على كاهله، وقد سقطت قلنسوة كانت على رأسه ومزق رداؤه من خلفه. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (ج٢، ص٥٠٩ -٥١١)**، رقم الترجمة ٣٠٦.

(١) الكسائي، الإمام، شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه. ولد في إحدى قرى الكوفة، وتنقّل في البادية، وسكن بغداد، أخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة، له تصانيف، منها: «معاني القرءان» و«القراءات» و«النوادر» وغير ذلك. توفّي سنة ١٨٩هـ بالري بقرية أرنبوية. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٩، ص١٣١-١٣٤)**، رقم الترجمة ٤٤.

(٢) أبو زكريا الفرّاء، العلامة، صاحب التصانيف، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأَسَديّ مولاهم، الكوفيّ النحويّ، صاحب الكِسائيّ، وَرَدَ عن ثعلب أنه قال: لولا الفرّاء لما كانت عربية، ولسقطت لأنه خلّصها، ولأنها كانت تُتَنازَع ويدّعيها كلّ أحد، وله من الكتب: «معاني القرءان» و«البهيّ»، وقال بعضهم: «الفرّاء أمير المؤمنين في النحو». توفّي بطريق الحج سنة ٢٠٧هـ وله ٦٣ سنة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٠، ص١١٨-١٢١)**، رقم الترجمة ١٢.

(٣) الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الاوسط. نحوي، عالم باللغة والأدب. من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه، وصنف كتبًا، منها: «تفسير معاني القرآن، و«شرح أبيات المعاني»، و«الاشتقاق»، و«معاني الشعر»، وغيرهم. وزاد في العروض بحر (الخبب)، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر، فأصبحت ستة عشر. توفي سنة ٢١٥هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٣، ص١٠١، ١٠٢)**. أقول وأنه إذا ذُكِرَ الأخفش بالإطلاق فإن المراد به الأوسط.

(٤) البغوي، **معالم التنزيل، (ج١، ص٢٨٠)**.

وقيل: المحكم ما تأويله تنزيله، والمتشابه ما لا يدرك إلا بالتأويل[1].

وقد اختلف في تعريف المحكم والمتشابه على أقوال[2] فقيل: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل[3]: المحكم ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه.

وقيل[4]: المحكم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهًا واحدًا، أو ما عرف بوضوح المعنى المراد منه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[5]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[6]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[7].

والمتشابه هو الذي دلالته على المراد غير واضحة، أو كان يحتمل بحسب وضع اللغة العربية أوجهًا عديدةً، واحتيج لمعرفة المعنى المراد منه لنظر أهل النّظر والفهم الذين لهم دراية بالنصوص ومعانيها ولهم دراية بلغة العرب فلا تخفى عليهم المعاني، إذ ليس لكلّ إنسانٍ يقرأ القرءان أن

---

(١) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (ج١، ص٣٥٠، ٣٥١). القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٤، ص٩، ١٠). بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرءان**، (ج٢، ص١٩٩). السيوطي، **الإتقان في علوم القرءان**، (ج٢، ص٢).

(٢) عبد الله الهرري، **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**،(ص١٨٠-١٨٣).

(٣) السيوطي، **الإتقان في علوم القرءان**، (ج٢، ص٥).

(٤) السيوطي، **الإتقان في علوم القرءان**، (ج٢، ص٥).

(٥) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٦) سورة **الإخلاص**، ءاية ٤.

(٧) سورة **مريم**، ءاية ٦٥.

يفسّره. فالـمتشابه كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1].

وقال في كتاب «**المسامرة بشرح المسايرة**»[2]: «وقال سلفنا في جملة المتشابه: نؤمن به، ونفوض تأويله إلى الله تعالى، مع تنزيهه عما يوجب التشبيه والحدّ، بشرط ألا يذكر إلا ما في القرءان، ولا نبدله بلفظ آخر، حكاه التكساري وغيره».

وللدلالة على ارتباط التأويل بهذه الألفاظ وباختصار نقول أن التأويل لا يكون إلا للآية الـمتشابهة التي تحتمل عدة معانٍ بحسب وضع اللغة العربية فيأتي التأويل للدلالة على الـمعاني التي تليق ولنفي كل ما يجانب الحق. أما الآية الـمحكمة فهي واضحة لا لبس فيها، لا تحتاج إلى تأويل يُبرز معناها الباطن إذ النص الـمحكم ظاهره وباطنه واحد، أما النص الـمتشابه فهو ما له ظاهر موهم وباطن مقصود. كما أنه لا بد لكل تأويل ألا يخرج عن إجماع العلـماء إذ يتحتم أن لا يتعارض مع توحيد الله وتنزيهه.

(١) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٢) ابن أبي شريف، **المسامرة**، (ص٣٢).

المبحث الثاني
آراء العلماء في المحكم والمتشابه

اختلف العلماء في بيان المحكم والمتشابه اختلافًا لا يخرج عن المعنى الواسع للمحكم والمتشابه، وسوف أذكر آراءهم بادئًا بتعريف الطبري لهما:

١ - رأي الطبري[١]:

وأما المحكمات: فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأُثبتت حججهنَّ وأدلّتهن على ما جُعلنَ أدلّةً من حلالٍ، وحرامٍ، ووعدٍ، ووعيدٍ، وثوابٍ، وعقابٍ، وأمرٍ، وزجرٍ، وخبرٍ، ومثلٍ، ووعظةٍ، وما أشبه ذلك.

فهو رحمه الله يرى أن المحكم ما كان أصلًا واضحًا بيّنًا وعليه عماد الأمة في دينها، وفي ذلك يقول: «فتأويل الكلام إذًا: أن الذي أُنْزِل عليك يا محمد القرءان منه آيات محكمات بالبيان هنَّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمّتكَ في الدّين وإليه مفزَعُك ومفزعهم فيما افترضتُ عليك وعليهم من شرائع الإسلام»[٢].

وأما المتشابه ففسره بقوله: «متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى»[٣].

وهذا التفسير للمتشابه أليق بالمعاني اللغوية، ويظهر ذلك من بيان

---

(١) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١١٣).

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١١٤).

(٣) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١١٤).

مقصده حيث قال: «كما قال جلّ ثناؤه ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴿٢٥﴾﴾[1] يعني في المنظر مختلفًا في المطعم، وكما قال مخبرًا عمن أخبر عنه من بني إسرائيل أنه قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴿٧٠﴾﴾[2] يعنون بذلك: تشابه علينا في الصفة وإن اختلفت أنواعه»[3].

وقد يكون مراده من التشابه في الإشكال، ويظهر ذلك حينما أورد قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴿٧٠﴾﴾[4] إذ إن وجود الإشكال في معرفة المراد دعا بني إسرائيل إلى استيضاح ذلك.

٢- رأي ابن عباسٍ، وابن مسعودٍ[5]، وقتادة[6]:

---

(١) سورة **البقرة**، ءاية ٢٥.

(٢) سورة **البقرة**، ءاية ٧٠.

(٣) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١١٤).

(٤) سورة **البقرة**، ءاية ٧٠.

(٥) ابن مسعود، الإمام الحبر، فقيه الأمة، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار ابن مخزوم الهُذَليّ، المكيّ، المهاجريّ، البدريّ. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، ومناقبه غزيرة، روى علما كثيرا. له في «الصحيحين» أربعة وستون حديثا، وكان معدودا من أذكياء العلماء. توفّي بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة ٣٢هـ، وعاش ثلاثًا وستين سنة. كان خادم رسول الله ﷺ وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوما وقال: وعاء ملئ علمًا. وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٣، ص٢٠٤ - ٢٢٠)، رقم الترجمة ٢٢٨.

(٦) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، الأمير المجاهد، أبو عمر الأنصاري الظفري البدري. من نجباء الصحابة. وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه. وهو الذي وقعت عينه على خده يوم أحد، فأتى بها إلى النبي ﷺ، فغمزها رسول الله ﷺ بيده الشريفة، فردها فكانت أصح عينيه. له أحاديث. روى عنه: أخوه أبو سعيد، وابنه عمر، ومحمود بن لبيد، وغيرهم. وكان على مقدمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما سار إلى الشام، وكان من الرماة المعدودين. عاش خمسا وستين سنة. توفي في سنة ثلاث وعشرين بالمدينة، ونزل عمر يومئذ في قبره. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢، ص٣٣١ - ٣٣٣)، رقم الترجمة ٦٦.

المحكمات من آي القرءان: المعمول بهنّ: وهنّ النّاسخات أو المثبتات الأحكام.

والمتشابهات من ءايِهِ: المتروك العمل بهنّ المنسوخات[١].

وقد وثّق الإمام الطبريّ هذا الرأي فقال: «فقال بعضهم: المحكمات من آي القرءان المعمول بهنّ وهنّ النّاسخات أو المثبتات الأحكام، والمتشابهات من آيه: المتروك العمل بهنّ المنسوخات»[٢].

وقال الإمام القرطبي: «وقال ابن عبّاسٍ: المحكمات: هو قوله في سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿١٥١﴾﴾[٣] إلى ثلاث آيات، وقوله في بني إسرائيل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٢٣﴾﴾[٤]، قال ابن عطية: وهذا عندي مثالٌ أعطاه في المحكمات، وقال ابن عبّاسٍ أيضًا: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به»[٥].

وقال: «قال ابن مسعودٍ وغيره: المحكمات: النّاسخات، والمتشابهات: المنسوخات ومقدّمه ومؤخّره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به»[٦].

---

(١) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١٧٢).

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١٧٣).

(٣) سورة **الأنعام**، ءاية ١٥١.

(٤) سورة **الإسراء**، ءاية ٢٣.

(٥) القرطبي، **تفسير القرطبي**، (ج٤، ص١٠).

(٦) القرطبي، **تفسير القرطبي**، (ج٤، ص١٠).

٣- رأي مجاهدٍ[١]:

قال الإمام البخاري: «بابٌ منه آيات محكمات. وقال مجاهد: الحلال والحرام، وأخر متشابهات: يصدّق بعضه بعضًا»[٢].

٤- رأي جابر بن عبد الله:

قال الإمام القرطبي: «فقال جابر بن عبد الله وهو مقتضى قول الشعبيّ[٣] وسفيان الثوري وغيرهم: المحكمات من آي القرءان: ما عُرف تأويله وفُهم معناه وتفسيره.

والمتشابه: ما لم يكن لأحدٍ إلى علمه سبيلٌ مما استأثره الله تعالى بعلمه دون خلقه»[٤].

٥- رأي محمد بن جعفر بن الزبير:

المحكمات من آي الكتاب: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحدٍ. والمتشابه منها ما احتمل من التأويل أوجهًا.

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. ولد سنة ٢١هـ قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل ءاية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقّل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى «بئر برهوت» بحضرموت. أما كتابه في «التفسير» فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: إنه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ. الذهبيّ. **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٤٤٩-٤٥٧)**، رقم الترجمة ١٧٥.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري، (ج٤، ص١٦٥٤)**.

(٣) الشعبي، عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كِبَار، إمام، علامة العصر، أبو عمرو الهَمْداني، ثم الشعبي، ويقال عامر بن عبد الله، ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١٠٥هـ. سمع من عدة من كبراء الصحابة، وحدّث عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وغيرهم كثير. وروى عنه الحكم وحماد وأبو إسحاق، وآخرون، وعن أبي بكر الهذلي: قال لي ابن سيرين: الزم الشعبي، فلقد رأيته يستفتى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٢٩٤)**، رقم الترجمة ١١٣.

(٤) القرطبي، **تفسير القرطبي، (ج٤، ص٩، ١٠)**.

٦- رأي عبد الرحمن بن زيد[١]:

المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرءان وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم ففصّله ببيان ذلك لمحمدٍ ﷺ وأمته.

والمتشابه: هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التّكرير في السّور، بقصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني[٢].

٧- رأي الماوردي[٣]:

المحكم: ما كانت معاني أحكامه معقولة، والمتشابه ما كانت معاني أحكامه غير معقولة، كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام بشهر رمضان دون شعبان[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي المدني. مولى عمر بن الخطاب، أخو عبد الله ابن زيد بن أسلم، وأسامة بن زيد بن أسلم. روى عن: أبيه زيد بن أسلم، وأبي حازم سلمة بن دينار، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر. روى عنه: إسحاق بن عيسى بن الطباع، وأصبغ ابن الفرج المصري، وبشر الحافي، وابنه زيد بن عبد الرحمن بن زيد، وآخرون. وعن أحمد: ضعيف. وعن يحيى: ليس حديثه بشيء. قال النسائي: ضعيف. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، وكان فى نفسه صالحًا، وفى الحديث واهيًا. وقال ابن عدي: له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله وصدقه بعضهم، وهو ممن يُكتب حديثه، روى له الترمذي، وابن ماجه، وأبو جعفر الطحاوي. توفي سنة ١٨٢هـ. بدر الدين العيني، **مغاني الأخيار، (ج٣، ص٢١٥)**.

(٢) الطبري، **تفسير الطبري، (ج٣، ص١٧٤)**.

(٣) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي. وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللًا أو يزيل خلافًا. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد سنة ٤٥٠هـ. من كتبه «أدب الدنيا والدين» و«الأحكام السلطانية» و«النكت والعيون» في تفسير القرءان، و«الحاوي» في فقه الشافعية وغير ذلك. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص٦٤-٦٨)**، رقم الترجمة ٢٩.

(٤) الزركشي، **تفسير البحر المحيط، (ج١، ص٤٥١)**.

٨- وقال آخرون:

المحكم من آي القرءان: ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره.

والمتشابه: ما لم يكن لأحدٍ إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشّمس من مغربها، وقيام السّاعة، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك، فإن ذلك لا يعلمه أحدٌ إلا الله، وقالوا: إنما سمَّى الله من آي الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرءان من نحو ﴿الٓمٓ ۝١﴾[١] و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾[٢] و﴿الٓمٓر ۝١﴾[٣] و﴿الٓر ۝١﴾[٤] وما أشبه ذلك لأنهن متشابهات في الألفاظ وموافقات حروف حساب الجمل، وكان قومٌ من اليهود على عهد رسول الله ﷺ طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الإسلام وأهله ويعلموا نهاية أجل محمدٍّ وأمته، فأكذب الله أحدوثتهم بذلك وأعلمهم أنّ ما ابتغوا علمه من ذلك لا يعلمه إلا الله، وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب أن هذه الآية نزلت فيه[٥].

---

(١) سورة **البقرة**، ءاية ١.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ١.

(٣) سورة **الرعد**، ءاية ١.

(٤) سورة **يونس**، ءاية ١.

(٥) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٣، ص١٧٤، ١٧٥).

المبحث الثالث
الحكمة من وجود المتشابه

لقد ذكر العلماء في فوائد وحِكم المتشابه وجوهًا منها:

أولًا: أن القرءان نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليها إلا اللَّقِن، وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي. ولو كان القرءان مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر.

ثانيًا: إثبات عجز الإنسان، وقصوره، وإقامة الدليل القاطع على قدرة الله، وعلمه المحيط بكل شيء، وأنه السميع العليم، وأنه العليم الحكيم.

مصداق قوله تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[1].

وقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وإذا علم الإنسان بشيء، أو تعلم علمًا إنما بفضل ما أفاض عليه رب العلم ورب العالمين، مصداق قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴿٢٥٥﴾﴾[3].

---

(١) سورة **يوسف**، ءاية ٧٦.

(٢) سورة **يوسف**، ءاية ٣٤.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ٢٥٥.

وقوله تعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

أي الذي لم يعلمه من قبل دلالة على جهله المطبق عن حقائق الكون والنفس المصاحب لبداية خلقه وتكوينه، وإن أعطي الإنسان عقلًا فهو مبتلى به. قال بعض العارفين: «العقل مبتلى باعتقاد أحقية المتشابه، كابتلاء البدن بأداء العبادة». كالحكيم إذا صنّف كتابًا أجمل فيه أحيانًا، ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، وكذلك يتخذ علامةً يمتاز بها من يطلعه على سره. وقيل: لو لم يُبْتَل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد، فبذلك يستأنس إلى التذلل بذل العبودية.

والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها، استسلامًا، واعترافًا بقصورها، ولهذا ختم ءاية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾ بقوله ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[2].

وذلك تعريضٌ للزائغين ومدحٌ للراسخين، يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقول، ومن ثَمَّ قال الراسخون في العلم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾[3].

فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدنيّ بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني[4].

---

(١) سورة **العلق**، ءاية ٥.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٨.

(٤) الزرقاني، **مناهل العرفان**، (ج٢، ص٢٨٤).

ثالثًا: قال الرازي: «واعلم أن العلماء المحققين ذكروا أنواعًا من الفوائد في إنزال المتشابهات:

الأول: أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أي إلى معرفة المعنى المراد من النص أصعب وأشق. قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[1].

والثاني: أن القرءان إذا كان مشتملًا على المحكم والمتشابه، افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدلائل العقل، والاستكثار من سائر العلوم، وحينئذ يتخلص من ظلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال والحجة، أما لو كان كله محكمًا، لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية، وحينئذٍ يبقى في الجهل والتقليد.

والثالث: أن القرءان لما كان مشتملًا على المحكم والمتشابه، افتقر إلى تعلم طريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلّم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة، من علم اللغة، والنحو، وعلم أصول الفقه، ومعرفة طرق الترجيحات، ولو لم يكن القرءان مشتملًا على هذه المتشابهات لم يفتقر إلى شيء من ذلك، فكان لإيراد المتشابهات هذه الفوائد».

رابعًا: الابتلاء والاختبار، فالمؤمنون المهتدون يؤمنون، وإن لم يعرفوا على التعيين، بينما الكفار يكفرون، ويشككون، ويتبعون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة، والخروج من الدين بالجملة، وهذا مصداق قوله تعالى

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ١٤٢.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ٧﴾[1].

خامسًا: اللطف والرحمة بالإنسان الضعيف الذي لا يستطيع بل لا يقدر ولا يطيق معرفة كل شيء[2].

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) الرازي، **أساس التقديس**، (ص٢١٨، ٢١٩).

المبحث الرابع
التأويل في اللغة

لـما كان موضوع التأويل من الـمواضيع الأساسية التي يتضمنها هذا الكتاب، كان لا بد من ذكر معنى التأويل لغةً بشكل شبه مفصّل. وقد اعتمدنا ثلاثة معاجم تعتبر من أهم معاجم اللغة العربية وأشهرها وأشملها. فاختيارنا لـمعجم «**العين**» للخليل بن أحمد الفراهيدي[1] مبني على كون الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب وهو أستاذ سيبويه[2] النحوي، واعتمادنا «**لسان العرب**» مبنيٌ على كون الكتاب محيطًا، شاملًا، مشهورًا بين اللغويين. وأما اعتماد «**تاج العروس**» فذاك لأن مرتضى الزبيدي مؤلف الكتاب جمع إلى علـمه باللغة الفقه والحديث. وتجد في ختام كل فقرة خلاصة الـمعاني الواردة في الكتاب. وفي ختام هذا الباب خلاصة لـمعاني التأويل في المعاجم الثلاث.

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبد الرحمن. حدث عن: أيوب السختياني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطان. أخذ عنه سيبويه النحو، وكان رأسًا في لسان العرب، دينًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا، ولد سنة مائة، ومات سنة بضع وستين ومائة، وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في العربية، ومات ولم يتمم كتاب «العين»، ولا هذبه، ولكن العلماء يغرفون من بحره. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء (ج٧، ص٤٢٩)**، رقم الترجمة ١٦١.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَرَ الفارسيّ، ثم البصريّ، إمام النحو، حجّة العرب. طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، وألّف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شَأْوُهُ فيه، وقيل كان فيه مع فرط ذكائه حبسةٌ في عبارته، وانطلاق في قلـمه. مات سنة ١٨٠هـ وعمره نحو الأربعين عامًا. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٣٥١، ٣٥٢)**، رقم الترجمة ٩٧.

العين – مادة: أ و ل

أورد الفراهيدي[1] عدة معان للتأويل نختار منها ما يتصل بموضوع بحثنا:

«التَّأَوُّل والتَّأْويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه».

لسان العرب – مادة أ و ل

الـمعاني التي أوردها صاحب اللسان في معجمه[2] في مادة: أ و ل بلغت تسعةً وخمسين معنىً، نختار منها ما له علاقة بموضوع بحثنا:

الأَوْلُ الرجوع.

- وأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله دَبَّره وقدَّره، وأَوَّله وتَأَوَّله فَسَّره.

- ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ٣٩﴾[3] أي لـم يأْتهم ما يؤُول إِليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة.

- والـمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ.

- التأويل والـمعنى والتفسير واحد.

- التأويل جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إشكال فيه.

---

(١) الفراهيدي، **كتاب العين**، مادة: أ و ل، (ج٨، ص٣٥٩).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: أ و ل، (ج١١، ص٣٢).

(٣) سورة **يونس**، ءاية ٣٩.

- **التأَوُّل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إِلّا ببيان غير لفظه.**

- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[1] **ما يَؤُول إِليه أمرهم من البَعْث.**

- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[2] **مَتَى يكون أمر البعث وما يؤول إِليه الأمر عند قيام الساعة.**

- **تأْويله جزاؤه.**

- **التأويل المرجِع والمصير.**

- **التأويل تفسير ما يؤول إِليه الشيء.**

- **والتأويل عبارة الرؤيا.**

تاج العروس – مادة: أ و ل

تجد فيما يلي خلاصة المعاني التي قد جاء على ذكرها مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى في «**تاج العروس في شرح القاموس**»[3] وهي تبلغ اثنين وستين أي بزيادة ثلاثة عمّا ورد في «**لسان العرب**» نختار منها ما يلي:

- **رَجَعَ.**

- **وأَوَّلَ الكَلامَ تَأْوِيلًا وتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وقَدَّرَه وفَسَّره.**

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٣) مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة: أ و ل، (ج٢٨، ص٣٢).

- **التأويل والتفسير واحِدٌ.**
- **التأويل تفسيرُ ما يَؤُولُ إليه الشيء.**
- **التأويل تَبيِينُ مَعْنَى الـمتَشابِه.**
- **التأويل رَدّ الشيء إلى الغايةِ الـمرادَةِ منه قَوْلًا كان أو فِعْلا.**
- **حَمْلُ الظّاهِرِ على الـمحْتَمَلِ الـمرجُوح.**
- **التأويل صَرفُ الآيةِ عن معناها الظاهِرِ إلى معنى تَحْتَمِلُه إذا كان الـمحْتَمَلُ الذي تُصْرَفُ إليه مُوافِقًا للكِتابِ والسُّنَّة.**
- **التأويل نَقلُ الكلامِ عن مَوضعِه إلى ما يُحتاجُ في إثباته إلى دَليلٍ لولاه ما تُرِكَ ظاهِرُ اللَّفظِ.**
- **التأويل رَدُّ أحدِ الـمحْتَمِلَين إلى ما يُطابِقُ الظَّاهِرَ.**
- **عِبارَةُ الرُّؤيا وتفسيرُها وتأويلُها.**
- **وقولُهم: تَقْوَى اللّهِ أحْسَنُ تَأوِيلًا أي عاقِبةً.**

خلاصة الـمعاني الواردة في المعاجم الثلاث

بعد عرضنا لكل هذه الـمعاني الواردة في هذه المعاجم يتلخص مما سبق أن كلـمة التأويل وهي محور هذه الدراسة تشتمل على العديد من الـمعاني، وهي كما يلي:

١- الأَوْلُ الرجوع، والتأويل الـمرجع والـمصير والجزاء والعاقبة.

٢- وأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله دَبَّره وقدَّره، وأَوَّله وتَأَوَّله فَسَّره، فالتأويل والـمعنى والتفسير واحد.

٣- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[١] ما يَؤُول إِليه أمرهم من البَعْث، ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[٢] مَتَى يكون أمر البعث وما يؤول إِليه الأمر عند قيام الساعة، ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ ﴿٣٩﴾﴾[٣] أي لـم يأْتهم ما يؤُول إِليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة.

٤- التأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ.

٥- التأويل جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إشكال فيه.

٦- التأَوُّل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إِلّا ببيان غير لفظه.

٧- التأويل تَبيِينُ مَعْنَى الـمتَشابِه.

٨- التأويل رَدّ الشيء إلى الغايةِ الـمرادة منه قولًا كان أو فعلا.

٩- التأويل حمل الظّاهر على الـمحتمل الـمرجُوح.

١٠- التأويل صرفُ الآيةِ عن معناها الظاهر إلى معنى تحتملُه إذا كان الـمحتَمَلُ الذي تُصْرَفُ إليه مُوافقًا للكتاب والسّنّة.

١١- التأويل ردّ أحد الـمحتملين إلى ما يطابق الظّاهر.

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٣) سورة **يونس**، ءاية ٣٩.

١٢- التأويل عبارة الرؤيا.

هذا، وإن معظم تلك الـمعاني الواردة للفظة التأويل معانٍ اصطلاحية، صارت حقائقَ عرفيةً لأهل الاصطلاح، لكنها كما نلاحظ غدت امتدادًا تفرَّعَ من أصول دلالتها اللغوية الوضعية التي تدور حول معنيي الرجوع والانتقال.

الـمبحث الخامس
التأويل في الكتاب

بداية أُعرّج على حديث لرسول الله ﷺ يذكر فيه من تأول القرءان على الوجه الخاطئ ويحذرنا من مغبة القيام بذلك، وبغض النظر عن قوة الحديث وضعفه إلا أن فيه إشارة لعاقبة التورط في التأويل لـمن لا باع له فيه وهي إشارة لا بد من التوقف عندها مليًا. فهو موضوع لا نصيب لعوام الـمسلـمين من خوضه على معنى الانخراط في صفوف الـمتأولين أو الراسخين في العلـم الباحثين عن تأويل النصوص الـمتشابهة. إنما لا يخلو الأمر من إفهام العوام أن النصوص على نوعين: نصوص محكمة ونصوص متشابهة.

أما الـمحكمة فلا يختلف مسلـمان في معناها.

أما الـمتشابه فهو ما يحتمل العديد من الـمعاني والتي يجب علينا ألا نعتقد فيها إلا الـمعاني التي لا تتعارض مع النصوص الـمحكمة.

ولا ضير في ذلك الشيء القليل من الإيضاح الذي يـُمكّن الـمسلـم من سد باب الشيطان الذي قد يدخل من باب تمويه الـمتشابه. فإن ادعى مدع أن التأويل ينبغي ألا يخوض العوام به وألا يُتحدث به معهم فقد أخطأ لأن في ذلك تركهم غير محصّنين.

فالواجب الشرعي علينا تعليمهم القدر الكافي الذي يحصنهم في وجه تمويهات الشيطان الذي قد يوسوس لهم ويلقي في صدورهم التشبيه بانيًا على ما تشابه من نصوص الكتاب والسنة. ولا يعني ذلك فتح باب الخوض

في التأويل وأنواعه وما تشعب منه وما قيل فيه ونحوه. لكن يُكتفى بالقدر اللازم الذي لا يُستغنى عنه لدرء مفاسد الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

أما عن الحديث، فقد روى الطبراني[1] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي، رجل يتأول القرءان، يضعه على غير مواضعه، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره**»[2].

فبالنظر إلى هذا الحديث نرى أننا منهيُّون عن تأول القرءان بما يضعه في غير موضعه، ولكي يتم ذلك لا بد لنا من دراسة أسس التأويل وقواعده وضوابطه وأنواعه قبل الغوص في بحاره، لذلك حرصت على أن أبدأ بالبحث عن المواطن التي وردت فيها كلمة التأويل. ولما كان لمدلول لفظة التأويل الأثر الأكبر في مسار هذا البحث، كان لا بد من استعراض المواضع، حيث جاء القرءان على ذكر التأويل دون الغوص في مشتقات هذه الكلمة، والتي منها: الأوْل، والمآل، وآل، والموئل وغير ذلك.

---

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ولد بعكا سنة ستين ومائتين هجرية، كان حافظًا ثبتًا بصيرًا بالعلل والرجال، رحل الى بيت المقدس ومدائن الشام والعراق، حدث عنه ألف شيخ أو يزيدون منهم أبو زرعة الدمشقي وعلي بن عبد العزيز البغوي والنسائي وأحمد ابن حنبل، روى عنه أبو نعيم الأصبهاني وأبو بكر بن مردويه. من مؤلفاته: «المعجم الكبير» و«المعجم الأوسط» و«المعجم الصغير»، توفي سنة ٣٦٠هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٦، ص١١٩-١٣٠)**، رقم الترجمة ٨٦.

(٢) الطبراني، **المعجم الأوسط**، باب من اسمه أحمد، **(ج٤، ص٣٩٦)، حديث ١٩٣٦**. والحديث أشار إلى ضعفه الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ج٢، ص٢٥٤)**.

ويعرض الجدول التالي مواضع من القرءان الكريم حيث وردت كلـمة تأويل.

جدول الآيات

إن كلـمة التأويل وردت في كتاب الله عزّ وجلّ في سبعة عشر موضعًا. وفي كل موضع من هذه الـمواضع كان لها مدلولها. لذلك كان لا بد من استعراض هذه الـمواضع ثم بيان هذه الـمعاني بالإجمال. والجدول التالي يعرض الـمواضع التي ورد فيها لفظ التأويل في القرءان الكريم:

تسلسل السورة	السورة	عدد ورود اللفظ فيها	رقم الآية	نص الآية
٣٣	ءال عمران	٢	٧	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

٤	النساء	١	٥٩	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾
٧	الأعراف	٢	٥٣	﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِى تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾
١٠	يونس	١	٣٩	﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾
١٢	يوسف	١	٦	﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَـٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

١٢	يوسف	١	٢١	﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٢	يوسف	١	٣٦	﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾
١٢	يوسف	١	٣٧	﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾
١٢	يوسف	١	٤٤	﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾
١٢	يوسف	١	٤٥	﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾

١٢	يوسف	١	١٠٠	﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾
١٢	يوسف	١	١٠١	﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾
٦	الإسراء	١	٣٥	﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾
٧	الكهف	١	٧٨	﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾

٧	الكهف	١	٨٢	﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾

تفسير بعض الآيات التي ورد فيها لفظ التأويل

وفيما يلي بعض الـمواضع التي ورد فيها لفظ التأويل في القرءان الكريم، وقد قمنا باختيار هذه الـمواضع دون غيرها للشبه الذي يجمع بين مجموعات الآيات، فاخترنا من كل مجموعة متحدةِ الـمعنى موضعًا واحدًا نقف عنده. وتجد عند كل ءاية تفسيرها في كتب التفسير التي سبقت الإشارة إليها.

ءال عمران ٧

تفسير الطبري[١]

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[٢].

اختلف أهل التأويل في معنى التأويل الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[٣].

فقال بعضهم: معنى ذلك الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر محمّد ﷺ وأمر أمته، من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل كقوله: ﴿الٓمٓ ۝١﴾[٤] وقوله: ﴿الٓمَٓصٓ ۝١﴾[٥] وقوله: ﴿الٓرٰ ۝١﴾[٦] وقوله: ﴿الٓمٓرٰ ۝١﴾[٧] وما أشبه ذلك من الآجال. ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى،

---

(١) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٥، ص٢١٥-٢١٧).

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **البقرة**، ءاية ١.

(٥) سورة **الأعراف**، ءاية ١.

(٦) سورة **يوسف**، ءاية ١.

(٧) سورة **الرعد**، ءاية ١.

قال حدثنا عبد الله بن صالح[1] قال حدثني معاوية[2] عن علي عن ابن عباس: «أما قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[3] يعني تأويله يوم القيامة».

وقال آخرون: بل معنى ذلك عواقب القرءان، وقالوا: إنما أرادوا أن يعلـموا متى يجيء ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك. ذكر من قال ذلك: حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السُّدي[4]: «﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾[5] أرادوا أن يعلـموا تأويل القرءان وهو عواقبه، قال الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[6] وتأويله عواقبه، متى يأتي النّاسخ منه فينسخ الـمنسوخ».

---

(١) عبد الله بن صالح بن مسلـم بن صالح، الإمام، الثقة، الـمقرئ، أبو أحمد العِجليّ، الكوفيّ، والد الحافظ أحمد بن عبد الله العجليّ، صاحب «التاريخ». ولد سنة ١٤١هـ. وثّقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن حبّان: مستقيم الحديث، ويقال: إن البخاريّ روى عنه، ولـم يصحَّ ذلك، بل إنما روى عن كاتب الليث، ولـم يقع لهذا الشيخ رواية في الدواوين الستة. توفّي سنة ٢١١هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٠، ٤٠٣-٤٠٥)**، رقم الترجمة ١١٤.

(٢) معاوية بن صالح بن حُدَيْر الحضرميّ الحمصيّ، قاضٍ، من أعلام رجال الحديث، أصله من حضرموت، ونشأ بحمص، وخرج منها سنة ١٢٥ هـ، فمرّ بمصر، وانتهى إلى الأندلس، حيث تولّى القضاء هناك؛ توفّي سنة ١٥٨هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٧، ص٢٦١)**.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) السُّدِّيّ، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام، الـمفسِّر، أبو محمّد الحجازيّ، ثم الكوفيّ، الأمويّ، السُّدِّي، أحدُ موالي قريش، حدّث عن أنس بن مالك، وابن عبّاس، وعدد كثير، وحدّث عنه شعبة، وسفيان الثوريّ وآخرون، قال النَّسائيّ عنه: صالح الحديث، أما يحيى بن معين فقال: ضعيف. توفّي سنة ١٢٧هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٢٦٤، ٢٦٥)**، رقم الترجمة ١٢٤.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية٧.

وقال آخرون: «معنى ذلك: وابتغاء تأويل ما تشابه من آي القرءان، يتأولونه إذ كان ذا وجوه وتصاريف في التأويلات على ما في قلوبهم من الزيغ وما ركبوه من الضلالة». ذكر من قال ذلك: «حدثنا ابن حميد[1] قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمّد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[2]، وذلك على ما ركبوا من الضلالة».

والقول الذي قاله ابن عباس من أن ابتغاء التأويل الذي طلبه القوم من الـمتشابه هو معرفة انقضاء الـمدة ووقت قيام الساعة والذي ذكرنا عن السُّدي من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هو جاء قبل مجيئه أولى بالصواب، وإن كان السُّدي قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه إلى حصره على أن معناه أن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء النّاسخ لـما قد أحكم قبل ذلك.

وإنما قلنا إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه الـمحجوب علـمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه ءاي القرءان أولى بتأويل قوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[3]، لـما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلـمه إلا الله.

خلاصة المعنى

القول الأول: طلب معرفة الآجال كانقضاء مدة أمره ﷺ وأمر أمته.

---

(١) ابن حُمَيْد، العلامة، الحافظ الكبير، محمّد بن حُمَيْد بن حيّان الرازيّ، أبو عبد الله، ولد في حدود سنة ١٦٠هـ، تكلّم فيه الكثيرون وقيل إنَّ البخاريّ قال عنه «إنّ في حديثه نظرًا»، وإن النَّسائيَّ قال فيه: «إنه ليس بثقة». توفّي سنة ٢٤٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، (ج٨، ص٢٩٢-٢٩٤)، رقم الترجمة ٢٠٧٣.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

القول الثاني: طلب معرفة عواقب القرءان، أي متى يجيء ناسخ الأحكام.

القول الثالث: طلب معرفة معاني الـمتشابه ابتغاء الفتنة.

تفسير الرازي[1]

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٧﴾[2] فالـمراد به هو القرءان ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ ۝٧﴾[3] وهي التي يكون مدلولاتها متأكدة إما بالدلائل العقلية القاطعة وذلك في الـمسائل القطعية، أو يكون مدلولاتها خالية عن معارضات أقوى منها.

ثم قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٧﴾[4] وفيه سؤالان:

السؤال الأول: ما معنى كون الـمحكم أمًّا للـمتشابه؟

الجواب: الأم في حقيقة اللغة الأصل الذي منه يكون الشيء، فلـما كانت الـمحكمات مفهومة بذواتها، والـمتشابهات إنما تصير مفهومة بإعانة الـمحكمات، لا جرم صارت الـمحكمات كالأم للـمتشابهات؟!

السؤال الثاني: لم قال: ﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ولم يقل: أمهات الكتاب؟.

الجواب: أن مجموع الـمحكمات في تقدير شيء واحد، ومجموع الـمتشابهات في تقدير شيء آخر وأحدهما أم الآخر، ونظيره قوله تعالى:

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (ج٧، ص١٥٠-١٥٢).

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ۝٥٠﴾[1] ولـم يقل آيتين، وإنما قال ذلك على معنى أن مجموعهما ءاية واحدة، فكذلك ههنا.

ثم قال: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾[2] وقد عرفت حقيقة الـمتشابهات.

ثم قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ۝٧﴾[3] اعلـم أنه تعالى لـما بيّن أن الكتاب ينقسم إلى قسمين منه محكم ومنه متشابه، بيّن أن أهل الزيغ لا يتمسكون إلا بالـمتشابه، والزيغ الـميل عن الحق، يقال: زاغ زيغًا: أي مال ميلًا واختلفوا في هؤلاء الذين أُريدوا بقوله: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ۝٧﴾[4]، فقال الربيع[5]: هم وفد نجران لـما حاجّوا رسول الله ﷺ في الـمسيح فقالوا: «أليس هو كلـمة الله وروح منه» قال: «**بلى**»، فقالوا: «حسبنا». فأنزل الله هذه الآية، ثم أنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۝٥٩﴾[6]، وقال الكلبي[7]: «هم اليهود طلبوا علـم مدة بقاء هذه الأمة واستخراجه من

---

(١) سورة **المؤمنون**، ءاية ٥٠.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) الربيع بن أنس بن زياد البكريّ الخراسانيّ، الـمروزيّ، البصريُّ، سمع أنس بن مالك، وأبا العالية الرياحيّ وأكثر عنه وعن الحسن البصريّ، كان عالـم مرو في زمانه، قال أبو حاتم عنه: صدوق، حديثه في السنن الأربعة. توفّي سنة ١٣٩هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص١٦٩)، رقم الترجمة ٧٩.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٥٩.

(٧) الكلبيّ، الأخباريّ، أبو النضْر محمد بن السائب بن بشر الكلبيِّ، المفسّر، وكان أيضًا رأسًا في الأنساب، إلا أنه كما قال الذهبي: «شيعيّ، متروك الحديث». يَرْوِي عنه: ولده هشام، وطائفة، أخذ عن: أبي صالح، وجرير، والفرزدق، وجماعة، وكان الثوريّ يروي عنه، ويدلِّسُهُ، فيقول: حدّثنا أبو النضر، مات سنة ١٤٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص٤٥٢)، رقم الترجمة ١٠٧٧.

الحروف المقطعة في أوائل السور»، وقال قتادة والزجاج: «هم الكفار الذين ينكرون البعث، لأنه قال في آخر الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[1]، وما ذاك إلا وقت القيامة لأنه تعالى أخفاه عن كل الخلق حتى عن الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

وقال المحققون: إن هذا يعم جميع المبطلين، وكل من احتج لباطله بالمتشابه، لأن اللفظ عام، وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة وما أوعد الكفار من النقمة ويقولون ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[2] و﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ﴾[3] و﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ۖ﴾[4]، فموهوا الأمر على الضعفة، ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۖ﴾[5] فإنه لما ثبت بصريح العقل أن كل ما كان مختصًّا بالحيز فإما أن يكون في الصغر كالجزء الذي لا يتجزأ وهو باطل بالاتفاق وإما أن يكون أكبر فيكون منقسمًا مركبًا وكل مركب فإنه ممكن ومحدث، فبهذا الدليل الظاهر يمتنع أن يكون الإله في مكان، فيكون قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۖ﴾[6] متشابهًا، فمن تمسك به كان متمسكًا بالمتشابهات. ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **العنكبوت**، ءاية ٢٩.

(٣) سورة **سبأ**، ءاية ٣.

(٤) سورة **الحجر**، ءاية ٧.

(٥) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٦) سورة **طه**، ءاية ٥.

إلى العبد، فإنه لـما ثبت بالبرهان العقلي أن صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي، وثبت أن حصول ذلك الداعي من الله تعالى، وثبت متى كان الأمر كذلك كان حصول الفعل عند تلك الداعية واجبًا، وعدمه عند عدم هذه الداعية واجبًا، فحينئذ يبطل ذلك التفويض، وثبت أن الكل بقضاء الله تعالى وقدره ومشيئته، فيصير استدلال الـمعتزلة بتلك الظواهر وإن كثرت استدلالًا بالـمتشابهات، فبيّن الله تعالى في كل هؤلاء الذين يعرضون عن الدلائل القاطعة ويقتصرون على الظواهر الـموهمة أنهم يتمسكون بالـمتشابهات لأجل أن في قلوبهم زيغًا عن الحق وطلبًا لتقرير الباطل.

واعلـم أنك لا ترى طائفة في الدنيا إلا وتسمي الآيات الـمطابقة لـمذهبهم محكمة، والآيات الـمطابقة لـمذهب خصمهم متشابهة، ألا ترى إلى الجبائي[1] فإنه يقول: «الـمجبرة الذين يضيفون الظلـم والكذب وتكليف ما لا يطاق إلى الله تعالى هم الـمتمسكون بالـمتشابهات». وقال أبو مسلـم الأصفهاني[2]: «الزائغ الطالب للفتنة هو من يتعلق بآيات الضلال، ولا

(١) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، رأس الـمعتزلة ومن انتهت إليه رئاستهم وصاحب مقالاتهم، ولد سنة ٢٣٥هـ، أخذ عن أبي يعقوب الشحام الـمعتزلي وغيره، وأخذ عنه ابنه وغيره، وأتباعه يعرفون بـالجبائية، من ضلالاته نفي صفات الله تعالى وأنه لا يرى في الآخرة. البغدادي، **الفرق بين الفرق، (ص١٨٣)**.

(٢) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلـم: وال، من أهل أصفهان. ولد سنة ٢٥٤هـ. معتزلي. من كبار الكتاب.اشتغل بالتفسير وبغيره من صنوف العلـم، وله شعر. ولي أصفهان وبلاد فارس للـمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١هـ فعزل. توفي سنة ٣٢٢هـ. من كتبه «جامع التأويل» في التفسير، أربعة عشر مجلدًا، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في «مفاتيح الغيب» الـمعروف بتفسير الفخر الرازي، وسماها «ملتقط جامع التأويل لـمحكم التنزيل» في جزء صغير. ومن كتبه «الناسخ والـمنسوخ» وكتاب في «النحو». الزركلي، **الأعلام، (ج٦، ص٥٠)**.

يتأوله على المحكم الذي بيّنه الله تعالى بقوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾[1] و﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾[2] و﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[3] وفسروا أيضًا قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[4] على أنه تعالى أهلكهم وأراد فسقهم، وأن الله تعالى يطلب العلل على خلقه ليهلكهم مع أنه تعالى قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾[5] و﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴿٢٦﴾﴾[6] وتأولوا قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾[7] على أنه تعالى زين لهم النعمة ونقضوا بذلك ما في القرءان كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾[8] ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[9] وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴿١٧﴾﴾[10]

---

(١) سورة **طه**، ءاية ٨٥.

(٢) سورة **طه**، ءاية ٧٩.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ٢٦.

(٤) سورة **الإسراء**، ءاية ١٦.

(٥) سورة **البقرة**، ءاية ١٨٥.

(٦) سورة **النساء**، ءاية ٢٦.

(٧) سورة **النمل**، ءاية ٤.

(٨) سورة **الرعد**، ءاية ١١.

(٩) سورة **القصص**، ءاية ٥٩.

(١٠) سورة **فصلت**، ءاية ١٧.

وقال: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ١٠٨﴾[1] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ٧﴾[2] فكيف يزين النعمة؟»

فهذا ما قاله أبو مسلم، وليت شعري لم حكم على الآيات الموافقة لمذهبه بأنها محكمات، وعلى الآيات المخالفة لمذهبه بأنها متشابهات، ولم أوجب في تلك الآيات المطابقة لمذهبه إجراءها على الظاهر، وفي الآيات المخالفة لمذهبه صرفها عن الظاهر؟ ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالرجوع إلى الدلائل العقلية الباهرة، فإذا دلّ على بطلان مذهب المعتزلة الأدلة العقلية، فإن مذهبهم لا يتم إلا إذا قلنا بأنه صدر عن أحد الفعلين دون الثاني من غير مرجح، وذلك تصريح بنفي الصانع، ولا يتم إلا إذا قلنا بأن صدور الفعل المحكم المتقن عن العبد لا يدل على علم فاعله به، فحينئذ يكون قد تخصص ذلك العدد بالوقوع دون الأزيد والأنقص لا لمخصص، وذلك نفي للصانع، ولزم منه أيضًا أن لا يدل صدور الفعل المحكم على كون الفاعل عالمًا، وحينئذ ينسد باب الاستدلال بأحكام أفعال الله تعالى على كون فاعلها عالمًا، ولو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على هذه الدلائل لم يقدروا على دفعها، فإذا لاحت هذه الدلائل العقلية الباهرة فكيف يجوز لعاقل أن يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه، فظهر بما ذكرناه أن القانون المستمر عند جمهور الناس أن كل ءاية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل ءاية تخالفهم فهي المتشابهة.

وأما المحقق المنصف، فإنه يحمل الأمر في الآيات على أقسام ثلاثة:

---

(١) سورة **يونس**، ءاية ١٠٨.

(٢) سورة **الحجرات**، ءاية ٧.

أحدها: ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية، فذاك هو الـمحكم حقًا.

وثانيها: الذي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها، فذاك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهره.

وثالثها: الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه، فيكون من حقه التوقف فيه، ويكون ذلك متشابهًا بمعنى أن الأمر اشتبه فيه، ولـم يتميز أحد الجانبين عن الآخر، إلا أن الظن الراجح حاصل في إجرائها على ظواهرها فهذا ما عندي في هذا الباب والله أعلـم بمراده.

واعلـم أنه تعالى لـما بيّن أن الزائغين يتبعون الـمتشابه، بيّن أن لهم فيه غرضين، فالأول: هو قوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ۝٧﴾[٣] والثاني: هو قوله ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ۝٧﴾[٤].

فأما الأول: فاعلـم أن الفتنة في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه، يقال: فلان مفتون بطلب الدنيا، أي قد غلا في طلبها وتجاوز القدر، وذكر الـمفسرون في تفسير هذه الفتنة وجوهًا:

أولها: قال الأصم: إنهم متى أوقعوا تلك الـمتشابهات في الدين، صار بعضهم مخالفًا للبعض في الدين، وذلك يفضي إلى التقاتل والهرج والـمرج فذاك هو الفتنة.

وثانيها: أن التمسك بذلك الـمتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونًا بذلك الباطل عاكفًا عليه لا ينقلع عنه بحيلة ألبتة.

---

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

وثالثها: أن الفتنة في الدين هو الضلال عنه ومعلوم أنه لا فتنة ولا فساد أعظم من الفتنة في الدين والفساد فيه.

وأما الغرض الثاني لهم: وهو قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ۝٧﴾[1] فاعلم أن التأويل هو التفسير وأصله في اللغة المرجع والمصير، من قولك آل الأمر إلى كذا إذا صار إليه، وأولته تأويلًا إذا صيرته إليه، هذا معنى التأويل في اللغة، ثم يسمى التفسير تأويلًا، قال تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ۝٧٨﴾[2] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[3] وذلك أنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى، واعلم أن المراد منه أنهم يطلبون التأويل الذي ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان، مثل طلبهم أن الساعة متى تقوم؟ وأن مقادير الثواب والعقاب لكل مطيع وعاص كم تكون؟ **قال القاضي: هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين:**

أحدهما: أن يحملوه على غير الحق: وهو المراد من قوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ۝٧﴾[4].

والثاني: أن يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه، وهو المراد من قوله: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ۝٧﴾[5] ثم بيّن تعالى ما يكون زيادة في ذم طريقة هؤلاء الزائغين فقال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۝٧﴾[6].

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **الكهف**، ءاية ٧٨.

(٣) سورة **النساء**، ءاية ٥٩.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

خلاصة المعنى

التأويل بمعنى التفسير.

تفسير القرطبي[1]

فيه تسع مسائل:

الأولى: أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[2] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم**»[3]. وعن أبي غالب قال: كنت أمشي مع أبي أمامة[4] وهو على حمار له، حتى إذا انتهى إلى درج مسجد دمشق فإذا رؤوس منصوبة، فقال: «ما هذه الرؤوس؟» قيل: «هذه رؤوس خوارج يُجاء بهم من العراق»، فقال أبو أمامة: «كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار! شر قتلى تحت ظل

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٤، ص٩ ١١).

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) الدارمي، **سنن الدارمي**، باب مَنْ هاب الفتيا وكره التنطُّع والتبدُّع، (ص٤٢)، **حديث** ١٤٧.

(٤) أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله ﷺ، ونزيل حمص. روى علما كثيرًا، وحدث عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة. روى عنه: خالد بن معدان، والقاسم أبو عبد الرحمن، وسالم بن أبي الجعد، وشرحبيل بن مسلم، وآخرون. وروي أنه بايع تحت الشجرة. قال المدائني وجماعة: توفي أبو أمامة سنة ست وثمانين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٣، ص٣٦٠)، رقم الترجمة ٥٢.

السماء، طوبى لمن قتلهم وقتلوه» يقولها ثلاثًا ثم بكى. فقلت: «ما يبكيك يا أبا أمامة؟» قال: «رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه»، ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ۝٧﴾[1] إلى آخر الآيات. ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۝١٠٥﴾[2] فقلت: «يا أبا أمامة، هم هؤلاء؟» قال: «نعم» قلت: «أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟» فقال: «إني إذا لجريء، إني إذا لجريء! بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ولا ست ولا سبع»، ووضع أصبعيه في أذنيه، قال: «وإلا فصمتًا» قالها ثلاثا ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهم في النار ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة، واحدة في الجنة وسائرهم في النار**».

الثانية: اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة، فقال جابر بن عبد الله وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما: «المحكمات من آي القرءان ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه»، قال بعضهم: «وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور». قلت: «هذا أحسن ما قيل في المتشابه». وقد قدمنا في أوائل سورة البقرة عن الربيع ابن خثيم أن الله تعالى أنزل هذا القرءان فاستأثر منه بعلم ما شاء، الحديث.

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ١٠٥.

وقال أبو عثمان: «المحكم فاتحة الكتاب التي لا تجزئ الصلاة إلا بها».
وقال محمد بن الفضل: «سورة الإخلاص، لأنه ليس فيها إلا التوحيد فقط».
وقيل: القرءان كله محكم: لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ۝١﴾[1].
وقيل: كله متشابه، لقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ۝٢٣﴾[2]. قلت: «وليس هذا من معنى الآية في شيء، فإن قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ۝١﴾[3] أي في النظم والوصف وأنه حق من عند الله، ومعنى ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ۝٢٣﴾[4]: أي يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضًا». وليس المراد بقوله: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ۝٧﴾[5] و﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾[6] هذا المعنى، وإنما المتشابه في هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه، من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۝٧٠﴾[7] أي التبس علينا، أي يحتمل أنواعًا كثيرة من البقر. والمراد بالمحكم ما في مقابلة هذا، وهو ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهًا واحدًا. وقيل: إن المتشابه ما يحتمل وجوهًا، ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكمًا. فالمحكم أبدا أصل ترد إليه الفروع، والمتشابه هو الفرع. وقال ابن عباس: المحكمات هو قوله في سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۝١٥١﴾[8] إلى ثلاث

---

(١) سورة **هود**، ءاية ١.
(٢) سورة **الزمر**، ءاية ٢٣.
(٣) سورة **هود**، ءاية ١.
(٤) سورة **الزمر**، ءاية ٢٣.
(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.
(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.
(٧) سورة **البقرة**، ءاية ٧٠.
(٨) سورة **الأنعام**، ءاية ١٥١.

آيات، وقوله في بني إسرائيل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٢٣﴾﴾[1]. وقال محمد بن جعفر بن الزبير: «المحكمات هي التي فيها حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه، والمتشابهات لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد»، وقاله مجاهد وابن إسحاق. قال ابن عطية: «وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية».

قال النحاس[2]: «أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات أن المحكمات ما كان قائمًا بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره، نحو ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[3] و﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴿٨٢﴾﴾[4]، والمتشابهات نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴿٥٣﴾﴾[5] يرجع فيه إلى قوله جل وعلا: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴿٨٢﴾﴾[6] وإلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴿٤٨﴾﴾[7]. قلت[8]: ما قاله النحاس يبين ما

---

(١) سورة **الإسراء**، ءاية ٢٣.

(٢) النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر. مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. ومن كتبه: «تفسير القرآن»، و«إعراب القرآن»، و«تفسير أبيات سيبويه»، و«ناسخ القرآن ومنسوخه». توفي سنة ٣٣٨هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٠٨).

(٣) سورة **الإخلاص**، ءاية ٤.

(٤) سورة **طه**، ءاية ٨٢.

(٥) سورة **الزمر**، ءاية ٥٣.

(٦) سورة **طه**، ءاية ٨٢.

(٧) سورة **النساء**، ءاية ٤٨.

(٨) هذا من كلام القرطبي.

اختاره ابن عطية، وهو الجاري على وضع اللسان، وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام الإتقان، ولا شك في أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها، ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال. والله أعلم.

الثالثة: روى البخاري عن سعيد بن جبير[1]، قال: قال رجل لابن عباس: «إني أجد في القرءان أشياء تختلف علي»، قال: «ما هو؟» قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2] وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3] وقال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[4] وقال: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾[5] فقد كتموا في هذه الآية. وفي النازعات ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾[6] إلى قوله ﴿دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[7] فذكر خلق السماء قبل خلق

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله تابعي، ولد سنة ٤٥هـ وتوفي سنة ٩٥هـ. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدًا. ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدًا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٣٢١-٣٤٣)**، رقم الترجمة ١١٦.

(٢) سورة **المؤمنون**، ءاية ١٠١.

(٣) سورة **الصافات**، ءاية ٢٧.

(٤) سورة **النساء**، ءاية ٤٢.

(٥) سورة **الأنعام**، ءاية ٢٣.

(٦) سورة **النازعات**، ءاية ٢٧.

(٧) سورة **النازعات**، ءاية ٣٠.

الأرض، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ۝٩﴾[1] إلى: ﴿طَآئِعِينَ ۝١١﴾[2] فذكر في هذا خلق الأرض قبل خلق السماء. وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾[3] و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾[4] و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾[5] فكأنه كان ثم مضى. فقال ابن عباس: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ۝١٠١﴾[6] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۝٦٨﴾[7]، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ۝١٠١﴾[8] عند ذلك ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾[9]، ثم في النفخة الآخرة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧﴾[10]. وأما قول: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾[11] و﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢﴾[12] فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: «تعالوا نقول: لم نكن مشركين»، فختم الله على أفواههم فتنطق جوارحهم بأعمالهم، فعند ذلك عرف أن

---

(١) سورة **فصلت**، ءاية ٩.

(٢) سورة **فصلت**، ءاية ١١.

(٣) سورة **النساء**، ءاية ٩٦.

(٤) سورة **النساء**، ءاية ١٥٨.

(٥) سورة **النساء**، ءاية ١٣٤.

(٦) سورة **المؤمنون**، ءاية ١٠١.

(٧) سورة **الزمر**، ءاية ٦٨.

(٨) سورة **المؤمنون**، ءاية ١٠١.

(٩) سورة **المؤمنون**، ءاية ١٠١.

(١٠) سورة **الصافات**، ءاية ٢٧.

(١١) سورة **الأنعام**، ءاية ٢٣.

(١٢) سورة **النساء**، ءاية ٤٢.

الله لا يكتم حديثًا، وعنده يود الذين كفروا لو كانوا مسلـمين. وخلق الله الأرض في يومين، ثم ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴿٢٩﴾﴾[1] في يومين، ثم دحا الأرض أي بسطها فأخرج منها الماء والـمرعى، وخلق فيها الجبال والأشجار والآكام وما بينها في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[2]، فخلقت الأرض وما فيها في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين. وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[3] سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لـم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد. ويحك! فلا يختلف عليك القرءان، فإن كلا من عند الله.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴿٧﴾﴾[4]. لـم تصرف «أخر» لأنها عدلت عن الألف واللام، لأن أصلها أن تكون صفة بالألف واللام كالكبر والصغر، فلـما عدلت عن مجرى الألف واللام منعت الصرف.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴿٧﴾﴾[5]، الذين: رفع بالابتداء، والخبر ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ ﴿٧﴾﴾[6]. والزيغ الـميل، ومنه زاغت الشمس، وزاغت الأبصار. ويقال: «زاغ يزيغ زيغًا إذا ترك القصد»، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿٥﴾﴾[7] وهذه الآية تعم كل طائفة

---

(١) سورة **البقرة**، ءاية ٢٩.

(٢) سورة **النازعات**، ءاية ٣٠.

(٣) سورة **النساء**، ءاية ٩٦.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٧) سورة **الصف**، ءاية ٥.

من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران. وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ۝٧﴾[1]: إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا أدري من هم. قلت: قد مر هذا التفسير عن أبي أمامة مرفوعا[2]، وحسبك.

السادسة: قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[3]. قال شيخنا[4] أبو العباس رحمة الله عليه: متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرءان وإضلال العوام، كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرءان، أو طلبًا لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورِجْل وأصبع، تعالى الله عن ذلك، أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها، أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر فيه السؤال. وقال أبو بكر الأنباري[5]: وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلات في القرءان، لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير وأعظم

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) أي مر في تفسير القرطبي.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) وهو من مشايخ القرطبي.

(٥) ابن الأنباري، أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشار، الإمام، الحافظ اللغويّ، المقرئ النحويّ. ألّف الدواوين الكبار مع الصدق والدين، وسعة الحفظ، وصنّف في علوم القرآن والغريب. من تصانيفه: «الوقف والابتداء»، و«المُشْكل»، و«غريب الغريب النبوي»، و«الكافي». ولد ٢٧٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص١٤٢-١٤٤)، رقم الترجمة ٣١٠٨.

التعزير، وإن لـم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب، إذ أوجد للـمنافقين الـملحدين في ذلك الوقت سبيلًا إلى أن يقصدوا ضعفة الـمسلـمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرءان عن مناهج التنزيل وحقائق التأويل، ومعنى ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ۝٧﴾[1] طلب الشبهات واللبس على الـمؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم، ويردوا الناس إلى زيغهم. وقال أبو إسحاق الزجاج[2]: معنى ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ۝٧﴾[3] أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلـم الله عز وجل أن تأويل ذلك ووقته لا يعلـمه إلا الله.

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۝٧﴾[4] يقال: إن جماعة من اليهود منهم حيي بن أخطب[5] دخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا: «بلغنا أنه نزل عليك: ﴿الٓمٓ ۝١﴾[6]، فإن كنت صادقًا في مقالتك فإن ملك أمتك

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) الزجاج، الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مصنف كتاب «معاني القرءان»، وله تآليف جمة. لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهمًا، فنصحه وعلمه. ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد. مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة. وله كتاب «الإنسان وأعضائه»، وكتاب «الفرس»، وكتاب «العروض»، وكتاب «الاشتقاق»، وكتاب «النوادر» و«فعلت وأفعلت». وكان عزيزًا على المعتضد، له رزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، ورزق في الندماء، نحو ثلاثمائة دينار. ويقال: توفي سنة ست عشرة. أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي، وجماعة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٤، ص٣٦٠)**، رقم الترجمة ٢٠٩.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) حيي بن أخطب النضريّ، وهو والد أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، كان من أعلم اليهود بدينهم، من الأشدّاء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وآذى الـمسلـمين، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه سنة ٥ هجرية. الزركليّ، **الأعلام، (ج٢، ص٢٩٢)**.

(٦) سورة **البقرة**، ءاية ١.

يكون إحدى وسبعين سنة، لأن الألف في حساب الجمل واحد، واللام ثلاثون، والـميم أربعون» فنزل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[1]، والتأويل يكون بمعنى التفسير، كقولك: تأويل هذه الكلـمة على كذا. ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه، واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه، أي صار، وأولته تأويلًا أي صيرته. وقد حده بعض الفقهاء فقالوا: «هو إبداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه». فالتفسير بيان اللفظ، كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ۛ﴾[2] أي لا شك، وأصله من الفسر وهو البيان، يقال: «فسرت الشيء (مخففًا) أفسره (بالكسر) فسرًا»، والتأويل بيان الـمعنى، كقوله: «لا شك فيه عند الـمؤمنين»، أو لأنه حق في نفسه فلا يقبل ذاته الشك وإنما الشك وصف الشاك، وكقول ابن عباس في الجد أبا، لأنه تأول قول الله عز وجل: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ ۚ﴾[3].

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ۗ﴾[4] اختلف العلـماء في ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ۗ﴾[5]: هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع، فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[6] هذا قول ابن عمر[7]

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **البقرة**، ءاية ٢.

(٣) سورة **الأعراف**، ءاية ٢٦.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٧) ابن عمر، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزّى بن رياح، القرشيّ، العَدَويّ، المكي ثم المدنيّ. روى علمًا نافعًا عن النبيّ ﷺ وعن أبيه وكثير من =

وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز[1] وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد وغيرهم...

التاسعة: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾[2] فيه ضمير عائد على كتاب الله تعالى محكمه ومتشابهه، والتقدير: كله من عند ربنا، وحذف الضمير لدلالة «كل» عليه، إذ هي لفظة تقتضي الإضافة، ثم قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾[3] أي ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع الـمتشابه إلا ذو لب، وهو العقل.

خلاصة المعنى

- التأويل يكون بمعنى التفسير، وقد يفرق بينهما فيقال: التفسير بيان اللفظ والتأويل بيان الـمعنى.
- ما يؤول الأمر إليه.
- التأويل إبداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه.

=الصحابة الأجلاء، شهد الفتح وله عشرون سنة، قال عنه النبيّ: «**نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلّي من الليل**»، فكان بعْدُ لا ينام من الليل إلا القليل، مات بمكّة سنة أربع وتسعين للهجرة، وهو ابن أربع وثمانين سنة رضي الله عنه. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص ١٠٧-١٢٥)، رقم الترجمة ٤٠٣.

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأمويّ القرشيّ، أبو حفص، الخليفة الصالح، والـملك العادل، من ملوك الدولة الأموية بالشام، بويع له بالخلافة سنة ٩٩هـ، وسكت الناس في أيامه فمنع مسبّة عليّ بن أبي طالب (وكانَ مَنْ تقدَّمَهُ من الأمويين يسبّونه على الـمنابر) ولـم تطل مدّته إذ كانت خلافته سنتين ونصف سنة، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، وكان يدعى «أشج بني أمية»، رمحته دابة وهو غلام فشجَّته، ولد سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١٠١هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص١١٤-١٤٧)، رقم الترجمة ٤٨.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

تفسير ابن كثير[1]

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[2].

يـخبر الله تعالى أن في القرءان آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس. ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٧﴾[3] أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾[4] أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٢، ص٦ ١٣).

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه، فروي عن السلف عبارات كثيرة، فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: «المحكمات ناسخه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وما يؤمر به ويعمل به». وكذا روي عن عكرمة[1]، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومُقاتل بن حَيّان، والربيع بن أنس، والسُّدِّي أنهم قالوا: المحكم الذي يعمل به.

وعن ابن عباس أيضًا أنه قال: المحكمات في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿١٥١﴾﴾[2] والآيتان بعدها، وقوله تعالى:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٢٣﴾﴾[3] إلى ثلاث آيات بعدها. رواه ابن أبي حاتم[4]، وحكاه عن سعيد بن جُبَيْر ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا

---

(١) عكرمة، العلامة، الحافظ، المفسّر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدنيّ، البربريّ الأصل، كان لحُصَين بن أبي الحرّ العنبريّ، فوهبه لابن عباس. حدّث عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم. وحدّث عنه: إبراهيم النخعي، والشعبيّ، وعمرو بن دينار، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو الأشهب العُطارديّ وغيرهم كثير، وكان يفتي على باب ابن عباس، وابن عباس في الدار، وقد أجازه بالفتوى. قال البخاريّ: «ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة». توفي سنة ١٠٥. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٢٠)**، رقم الترجمة ٧٥٩.

(٢) سورة **الأنعام**، ءاية ١٥١.

(٣) سورة **الإسراء**، ءاية ٢٣.

(٤) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمّد بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميميّ، الحنظليّ، الرازيّ، أبو محمّد، حافظ للحديث، من كبارهم، له تصانيف، منها: «الجرح والتعديل»، و«التفسير»، و«الردّ على الجهميّة»، و«علل الحديث»، و«آداب الشافعي ومناقبه»، وغيرها. ولد سنة ٢٤٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٣، ص٣٢٤)**.

سليمان بن حرب[1]، حدّثنا حماد بن زيد[2]، عن إسحاق بن سُوَيْد[3] أن يحيى بن يَعْمَر[4] وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٧﴾[5] فقال أبو فاختة: فواتح السور. وقال يحيى بن يَعْمَر: الفرائض، والأمر والنهي، والحلال والحرام.

---

(١) سليمان بن حرب بن بجيل، الإمام الثقة الحافظ، شيخ الاسلام، أبو أيوب الواشحي، الأزدي، البصري، قاضي مكة. حدث عن: شعبة، وحوشب بن عقيل، والأسود بن شيبان، وعدة. وعنه: البخاري، وأبو داود، والحميدي، ومات قبله، وعمرو بن علي الفلاس، وخلق كثير، ومن القدماء: يحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل. وقال ابن سعد وغيره: رجع من مكة، وصرف من قضائها، ومات بالبصرة في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٧، ص٣٣٠-٣٣٤)**، رقم الترجمة ٨١.

(٢) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الاعلام، أصله من سجستان، سبي جده درهم منها. سمع منه: أنس بن سيرين، وعمرو بن دينار، وأبو عمران الجوني، وخلق كثير. روى عنه: إبراهيم بن أبي عبلة، وسفيان، وشعبة - وهم من شيوخه - وعبد الوارث بن سعيد، وعدة. قال يحيى بن معين: ليس أحد أثبت من حماد بن زيد. وقال يحيى بن يحيى النيسابوري: ما رأيت شيخًا أحفظ من حماد بن زيد. وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين، هو أحب إلي من حماد بن سلمة. مات في سنة تسع وسبعين ومائة، وفاقا في شهر رمضان. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٣، ص٤٥٦-٤٦٦)**، رقم الترجمة ١٦٩.

(٣) إسحاق بن سويد، ابن هبيرة التميمي، البصري، أحد الثقات. حدث عن ابن عمر، ومعاذة العدوية، وأبي قتادة تميم بن نذير العدوي، وعبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، وطائفة. حدث عنه الحمادان وإسماعيل بن علية، وعلي بن عاصم، وآخرون. وثّقَهُ أحمد، وابن معين، وكان كبير السن. توفّي سنة **١٣١هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج٦، ص٤٧)**.

(٤) يحيى بن يعمر، الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو ويكنى أبا عدي. حدث عن أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر مرسلًا، وعن عائشة وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعدة. وقرأ القرءان على أبي الأسود الدؤلي. حدث عنه عبد الله بن بريدة وهو من طبقته، وقتادة، وعطاء الخراساني، وسليمان التيمي، وآخرون. وكان من أوعية العلم وحملة الحجة. وهو أول من نقط المصاحف، وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، وكان ذا لسان وفصاحة، أخذ ذلك عن أبي الأسود. قال خليفة بن خياط: توفي يحيى بن يعمر قبل التسعين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٤٤١-٤٤٣)**، رقم الترجمة ١٧٠.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

وقال ابن لَهِيعَة[1]، عن عطاء بن دينار[2]، عن سعيد بن جبير: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٧﴾[3] يقول: أصل الكتاب، وإنما سماهن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب.

قال: والمتشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألّا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرّفن عن الحق. ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ۝٧﴾[4] أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ۝٧﴾[5] أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ۝٧﴾[6] أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرءان، وهذا حجة عليهم

---

(١) عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان، القاضي، الإمام، العلامة، محدث ديار مصر مع الليث، أبو عبد الرحمن الحضرمي، ويقال: الغافقي، المصري، ويقال: يكنى أبا النضر، ولم يصح. ولد سنة خمس أو ست وتسعين. وطلب العلم في صباه، ولقي الكبار بمصر، والحرمين. وسمع من عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، صاحب أبي هريرة، ومن موسى ابن وردان، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن شعيب، وعمرو بن دينار، وخلق كثير. وعنه: حفيده أحمد بن عيسى بن عبد الله، وعمرو بن الحارث، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، وماتوا قبله، والليث بن سعد، وخلق كثير. مات بمصر في نصف ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص١١-٣١)**، رقم الترجمة ٤.

(٢) عطاء بن دينار الهذلي، مولاهم، المصري، من رجال الحديث. له كتاب في «التفسير» يرويه عن سعيد بن جبير. توفي بمصر. **الزركلي، الأعلام، (ج٤، ص٢٣٥)**.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرءان قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[1] وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[2] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد، ورسول من رسل الله.

وقوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴿٧﴾﴾[3] أي: تحريفه على ما يريدون. وقال مقاتل والسدي: يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرءان.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل[4]، حدثنا أيوب[5] عن عبد الله بن

---

(١) سورة **الزخرف**، ءاية ٥٩.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٥٩.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) ابن علية، إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الإمام، العلامة، الحافظ، الثبت، أبو بشر الأسدي، مولاهم البصري الكوفي الأصل، المشهور بابن علية، وهي أمه. ولد سنة مات الحسن البصري سنة عشر ومائة. قال أبو أحمد الحاكم: أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن سهم بن مقسم البصري مولى بني أسد بن خزيمة، وأمه علية مولاة لبني أسد. سمع أبا بكر محمد بن المنكدر التيمي، وأبا بكر أيوب بن أبي تميمة، ويونس بن عبيد. وخلقًا كثيرًا. روى عنه: ابن جريج، وشعبة وهما من شيوخه وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير، وكان فقيها، إمامًا، مفتيًا، من أئمة الحديث، قال يحيى بن معين: كان ابن علية ثقة تقيًا ورعًا. توفي يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة، سنة ثلاث وتسعين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٩، ص١٠٧-١٢٠)، رقم الترجمة ٣٨.

(٥) أيوب السختياني، الإمام الحافظ، سيد العلماء، أبو بكر بن أبي تميمة كيسان، العنزي، مولاهم، البصري، عداده في صغار التابعين. سمع من أبي يزيد عمرو بن سلمة الجرمي، وأبي عثمان النهدي، وسعيد بن جبير، وأبي العالية الرياحي، وخلق سواهم. حدث عنه: محمد بن سيرين، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة - وهم من شيوخه - ويحيى بن أبي كثير، وشعبة، وسفيان، ومالك، ومعمر وأمم سواهم. مولده عام توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين. وقد رأى أنس بن=

أبي مُلَيْكَة[1]، عن عائشة قالت: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ۝٧﴾[2] إلى قوله: ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[3] فقال: «**فإذا رأيتم الذين يُجَادِلُون فيه فهم الذين عَنَى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**». هكذا وقع هذا الحديث في «**مسند الإمام أحمد**»[4]، رحمه الله، من رواية ابن أبي مُلَيْكَة، عن عائشة، ليس بينهما أحد.

وهكذا رواه ابن ماجه[5] من طريق إسماعيل بن عُلَيَّة وعبد الوهاب الثقفي[6]، كلاهما عن أيوب، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، عنها.

= مالك، وما وجدنا له عنه رواية، مع كونه معه في بلد، وكونه أدركه وهو ابن بضع وعشرين سنة. اتفقوا على أنه توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة، زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص١٥-٢٦)، رقم الترجمة ٧.

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن، ولد في خلافة علي أو قبلها. وحدث عن عائشة أم المؤمنين، وأختها أسماء، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو السهمي، وابن عمر، وابن الزبير، وعقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة، وأم سلمة، وطائفة. وكان عالمًا مفتيًا صاحب حديث وإتقان، معدود في طبقة عطاء، وقد ولي القضاء لابن الزبير، والأذان أيضا. حدث عنه رفيقه عطاء بن أبي رباح، وذلك في «صحيح مسلم» وعمرو بن دينار، وعبد العزيز بن رفيع، وأيوب السختياني، وحميد الطويل، وعدة. وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم. مات سنة سبع عشرة ومائة. وكان من أبناء الثمانين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص٨٨-٩٠)، رقم الترجمة ٣٠.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (ج٦، ص٤٨).

(٥) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، باب اجتناب البدع والجدل، (ج١، ص٥٧). الحديث ٤٩.

(٦) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصَّلْت بن عبد الله بن صاحب النبي ﷺ الحكم ابن أبي العاص الثقفيّ، البصري، الإمام، الأنبل، الحافظ، الحُجَّة، أبو محمد، والحكم هو أخو الأمير عثمان بن=

ثم قال[1]: وقد روى هذا الحديث البخاري[2]، رحمه الله، عند تفسير هذه الآية، ومسلم[3] في كتاب القدر من صحيحه، وأبو داود في السنة من سننه، ثلاثتهم، عن القَعْنَبِيِّ[4]، عن يزيد بن إبراهيم التُّسْتَرِيّ[5]، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: تلا رسول الله ﷺ:

= أبي العاص. حدّث عن: أيوب، وحُمَيْد، ويونس بن عُبَيْد، والحذّاء، ويحيى بن سعيد، وإسحاق بن سويد، وأبي هارون العبدي، وخلق، وعنه: أحمد، وإسحاق، ويحيى، وعليّ، والفلاس، وبُندار، وقتيبة، وابن مثنّى، ومحمد بن يحيى العَدَنيّ، وغيرهم. قال محمد بن سعد: «كان ثقة، وفيه ضعف». وقال العُقَيليّ: «تغيّر في آخر عمره». وقال الذهبيّ: «ولكن ما ضرَّه تغيُّره فإنه لم يحدِّث زمن التغيُّر بشيء». ولد سنة ١٠٨هـ، وتوفي سنة ١٩٤هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٧، ص ١٣٢-١٣٤)، رقم الترجمة ١٥١٦.

(١) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٢، ص٩).

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير، باب قوله ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ۝٧﴾، (ج٤، ص١٦٥٥).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرءان والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرءان، (ج٨، ص٥٦).

(٤) القعنبي، عبد الله بن مسلمة بن قعنب، الإمام الثبت القدوة، شيخ الاسلام، أبو عبد الرحمن الحارثي القعنبي المدني، نزيل البصرة، ثم مكة. مولده بعد سنة ثلاثين ومائة بيسير. وسمع من: أفلح بن حميد، وابن أبي ذئب، وشعبة بن الحجاج، وأسامة بن زيد بن أسلم، وعدة. وعنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والخريبي وهو من شيوخه، وخلق كثير. مات القعنبي في المحرم سنة إحدى وعشرين ومائتين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٢٥٧-٢٦٤)، رقم الترجمة ٦٨.

(٥) يزيد بن إبراهيم التستري، الإمام الثقة، أبو سعيد البصري، مولى بني تميم، ولد في خلافة عبد الملك، في آخرها. وحدث عن: محمد بن سيرين، والحسن، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وأبي الزبير، وقتادة، وأيوب، وطائفة. وعنه: ابن المبارك، ووكيع، وابن مهدي، ويزيد بن هارون، وأبو داود، وخلق سواهم. وثقه أحمد وغيره. قال أبو الوليد: توفي سنة إحدى وستين ومائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٧، ص٢٩٢-٢٩٣)، رقم الترجمة ٩٠.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾[1] إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[2] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيتَ الذين يتَّبِعُون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**» لفظ البخاري.

ثم قال[3]: وقال الإمام أحمد[4]: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ۝٧﴾[5] قال: «**هم الخوارج**»، وفي قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۝١٠٦﴾[6] قال: «**هم الخوارج**».

ثم قال[7]: وقوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۝٧﴾[8] اختلف القراء في الوقف ههنا، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل. ويروى هذا القول عن عائشة، وعروة، وأبي الشعثاء، وأبي نَهِيك، وغيرهم.

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٢، ص٩).

(٤) أحمد بن حنبل. **مسند أحمد**، (ج٥، ص٢٦٢).

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ١٠٦.

(٧) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٢، ص١٠).

(٨) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

وقد قال الحافظ أبو القاسم في «**المعجم الكبير**»[1]: حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَم بن زُرْعَة، عن شُرَيْح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا أخاف على أمّتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله،** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[2] الآية، **وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه**» غريب جدا».

ثم قال[3]: ومنهم من يقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ۝٧﴾[4] وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد.

وقد روى ابن أبي نجيح[5]، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

---

(١) الطبراني، **المعجم الكبير**، (ج٣، ص٢٩٣).

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٢، ص١١).

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) عبد الله بن أبي نجيح، أبو يسار، الثقفي، المكي، واسم أبيه يسار، مولى الأخنس بن شريق الصحابي. حدث عن مجاهد، وطاووس، وعطاء، ونحوهم. حدث عنه: شعبة، والثوري، وعبد الوارث، وسفيان بن عيينة، وابن علية، وآخرون. وثقه يحيى بن معين وغيره. قال ابن عيينة: هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار. وكان جميلًا فصيحًا، حسن الوجه، لم يتزوج قط. وقال يحيى بن القطان: كان معتزليًّا. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة. ظهر له من المرفوع نحو مائة حديث. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٩، ص١٢٥، ١٢٦)، رقم الترجمة ٣٨.

والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ۝٧﴾[1] الذي أراد ما أراد ﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۝٧﴾[2] ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل الـمُحْكَمَة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتسق بقولهم الكتاب، وصدق بعضه بعضًا، فنفذت الحجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودفع به الكفر.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: «**اللهم فَقِّهْهُ في الدين وعلمه التأويل**»[3].

ومن العلماء من فصل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرءان معنيان، أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۝١٠٠﴾[4] وقوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ۝٥٣﴾[5] أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ۝٧﴾[6]

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) الحاكم، **الـمستدرك**، (ج٣، ص٦١٥)، **حديث** ٦٢٨٠.

(٤) سورة **يوسف**، ءاية ١٠٠.

(٥) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

مبتدأ و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۝٧﴾[1] خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۝٣٦﴾[2] أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ۝٧﴾[3] لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۝٧﴾[4] حالا منهم، وساغ هذا، وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ۝٨﴾[5] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ۝١٠﴾[6] الآية، وكقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾[7] أي: وجاءت الملائكة صفوفًا صفوفا.

وقوله إخبارًا عنهم أنهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۝٧﴾[8] أي: بالمتشابه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۝٧﴾[9] أي: الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق،

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) سورة **يوسف**، ءاية ٣٦.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) سورة **الحشر**، ءاية ٨.

(٦) سورة **الحشر**، ءاية ١٠.

(٧) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

(٨) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٩) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد لقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[2] أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحِمْصِيّ[3]، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا فياض الرَّقِّيّ، حدّثنا عبد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ: أنسًا، وأبا أمامة، وأبا الدرداء[4]، رضي الله عنهم قال:

---

(١) سورة **النساء**، ءاية ٨٢.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) محمد بن عوف بن سفيان، الإمام الحافظ المجود، محدث حمص، أبو جعفر الطائي الحمصي. حدث عنه: أبو داود، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، وأبو زرعة الدمشقي، وابن أبي داود، وابن صاعد، وابن جوصا، ومكحول البيروتي، وأبو عروبة، وأبو بشر الدولابي، وعبد الغافر ابن سلامة، وخيثمة الطرابلسي، وحفيده حسن بن عبد الرحمن، وآخرون. قال أبو حاتم: «هو صدوق». **وقيل لابن معين في حديث لابن عوف، فقال**: «هو أعرف بحديث أهل بلده». **وقال ابن عدي**: «هو عالم بحديث الشام صحيحًا وضعيفًا». توفي سنة ٢٧٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٢، ص٦١٣)**.

(٤) الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس، ويقال: عويمر بن عامر، ويقال: ابن عبد الله. وقيل: ابن ثعلبة بن عبد الله الأنصاري الخزرجي. حكيم هذه الأمة. وسيد القراء بدمشق. وقال ابن أبي حاتم: هو عويمر بن قيس بن زيد بن قيس ابن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج. قال: ويقال: اسمه عامر بن مالك. روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث. وهو معدود فيمن تلا على النبي ﷺ، ولم يبلغنا أبدًا أنه قرأ على غيره. وهو معدود فيمن جمع القرءان في حياة رسول الله ﷺ. وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك. روى عنه: أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد، وابن عباس، وأبو أمامة، وولي القضاء بدمشق، في دولة عثمان. ويروى له مائة وتسعة وسبعون حديثًا. وعن خالد بن معدان قال: مات سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٢، ص٣٣٥-٣٥٣)**، رقم الترجمة ٦٨.

حدثنا أبو الدرداء، أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم، فقال: «**من بَرَّت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن أَعَفَّ بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم**»[1].

وقال الإمام أحمد[2]: حدثنا عبد الرزاق[3]، حدثنا مَعْمَر[4]، عن الزهري[5]،

---

(١) الطبراني، **الـمعجم الكبير**، (ج٨، ص١٥٢).

(٢) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (ج٢، ص١٨٥).

(٣) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحوًا من سبعة عشر ألف حديث. له «الجامع الكبير» في الحديث، قال الذهبي: «وهو خزانة علم» وكتاب «تفسير القرءان»، و«المصنف في الحديث». ولد سنة ١٢٦هـ، وتوفي سنة ٢١١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٣٥٣).

(٤) معمر بن راشد، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرٍو الأزديّ مولاهم، البصريّ، نزيل اليمن، مولده سنة خمسٍ أو ستّ وتسعين، وشهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حَدَث، حدّث عن قتادة، والزهريّ، وعمرو بن دينار، وهَمَّام بن منبّه، وأبي إسحاق السبيعيّ، وعبد الله بن طاووس، ومطر الورّاق، وطبقتهم، وكان من أوعية العلم، مع الصدق، والتحري، والورع، والجلالة، وحسن التصنيف، وحدّث عنه: أيوب، وأبو إسحاق، وسعيد بن أبي عَرْوُبة، والسفيانان، وابن المبارك، ويزيد بن زُرَيع، وغُنْدَر وخلق سواهم. قال أبو حفص الفلاس: «معمر من أصدق الناس». قال عبد الرزاق: «قيل للثوريّ: ما منعك من الزهريّ؟ قال: قلة الدراهم، وقد كفانا معمر». وقال الفضل بن زياد: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: لستَ تضمّ معمرًا إلى أحد، إلا وجدته فوقه». مات في شهر رمضان سنة ١٥٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص٣-٩)، رقم الترجمة ١١٣٧.

(٥) الزهري، محمد بن مسلـم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر القرشي، الزهري، الـمدني، نزيل الشام، ولد سنة ٥٠هـ. روى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله شيئًا قليلًا، وروى عن سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبي الطفيل عامر، وسعيد بن الـمسيب وغيرهم، وحدث عنه عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، وسواهم كثير، له نحو من ألفي حديث. توفي سنة ١٢٣هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص٣٢٦)، رقم الترجمة ١٦٠.

عن عمرو بن شعيب[1] عن أبيه، عن جده[2] قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فَكِلُوهُ إلى عَالِمِه**». وقد تقدم رواية ابن مردويه[3] لهذا الحديث، من طريق هشام بن عمار[4]، عن ابن أبي حازم[5] عن أبيه، عن عمرو بن شعيب، به.

---

(١) عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القرشي، أبو إبراهيم. من بني عمرو بن العاص، من رجال الحديث. كان يسكن مكة وتوفي بالطائف. توفي سنة ١١٨هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٥، ص٧٩)**.

(٢) المراد بالجد المذكور في هذا السند هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص لأن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو يقصد برواية أبيه عن جده، كما قال الذهبي في «السير» تعقيبًا على قول ابن عدي، قال ابن عدي: هو في نفسه ثقة إلا إذا روى عن أبيه عن جده يكون مرسلًا لأن جده عنده محمد بن عبد الله بن عمرو ولا صحبة له. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص١٧٣)**.

(٣) ابن مَرْدَوَيْه، الشيخ الإمام، المحدّث، العالم، أبو بكر أحمد بن محمّد ابن الحافظ الكبير أبي بكرٍ أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى الأصبهانيّ، ولد سنة ٤٠٩هـ، ومات سنة ٤٩٨هـ وله تسع وثمانون عامًا. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٢، ص١١٩-١٢٠)**، رقم الترجمة ٤٦٨٩.

(٤) هشام بن عمار بن نصير بن أبان بن ميسرة السلمي القاضي الدمشقي، ويكنى أبا الوليد، وتوفي بها سنة خمس وأربعين ومائتين، روى القراءة عن ابن عامر بإسناد. الداني، **التيسير في القراءات السبع، (ج١، ص٤)**.

(٥) عبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار، الإمام، الفقيه، أبو تمّام المدنيّ، حدّث عن أبيه، وزيد ابن أسلم، والعلاء بن عبد الرحمن، وسُهَيْل بن أبي صالح، ويزيد بن الهاد، وموسى بن عقبة، وخلق. وحدّث عنه: الحُمَيْديّ، وسعيد بن منصور، وأبو مُصْعَب، والقعنبيّ، وعليّ بن حُجْر، وعمرو الناقد، وبشر كثير، وكان من أئمة العلم بالمدينة، وقال يحيى بن معين: «صدوق»، وقال أحمد بن حنبل: لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من عبد العزيز بن أبي حازم، وحديثه في الصحاح. ولد سنة ١٠٧هـ، وتوفي وهو ساجد، في سنة ١٨٤هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٦، ص ٤٧٨ -٤٧٩)**، رقم الترجمة ١٤١٢.

وقد قال الحافظ أبو يعلى[1] أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في «**مسنده**»[2]، حدثنا زهير بن حرب[3]، حدثنا أنس بن عياض[4]، عن أبي حازم، عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**نزل القرءان على سبعة أحرف، والـمِرَاءُ في القرءان كفر ثلاثًا ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**». وهذا إسناد صحيح، ولكن فيه علة بسبب قول الراوي: «لا أعلمه إلّا عن أبي هريرة».

---

(١) أبو يعلى، الإمام الحافظ، شيخ الاسلام، أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى ابن هلال التميمي الموصلي، محدث الموصل، وصاحب المسند والمعجم. لقي الكبار، وارتحل في حداثته إلى الأمصار باعتناء أبيه وخاله. وسمع من أحمد بن حاتم الطويل، وأحمد ابن جميل، وأحمد بن عيسى التستري، وأحمد بن إبراهيم الموصلي وغيرهم. قال السلمي: «سألت الدارقطني عن أبي يعلى، فقال: ثقة مأمون». ولد سنة ٢١٠هـ، توفي سنة ٣٠٧هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٤، ص١٧٤-١٨٢)**. **الزركلي، الأعلام، (ج١، ص١٧١)**.

(٢) أبو يعلى، **مسند أبي يعلى، (ج١٠، ص٤١٠)**.

(٣) أبو خيثمة، زهير بن حرب بن شداد النسائي البغدادي. محدث بغداد في عصره. أصله من «نسا» وشهرته ببغداد. قال الخطيب البغدادي: «كان اسم جده أشتال، فعرب وجعل شداد». **له كتاب**: «العلم». **ولد سنة ١٦٠هـ، وتوفي سنة ٢٣٤هـ. الزركلي، الأعلام، (ج٣، ص٥١)**.

(٤) أبو ضَمْرَة، الإمام، المحدّث، الصدوق، المعمَّر، بقيّة المشايخ، أنس بن عياض الليثي، المدنيّ. حدّث عن صفوان بن سُلَيْم، وأبي حازم الأعرج، وسُهَيل بن أبي صالح، وربيعة الرأي وعدة، وعُمِّر دهرًا، وتفرّد في زمانه، حدّث عنه: أحمد بن حنبل، وعلي بن المدينيّ، وأحمد بن صالح، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وخلق كثير، قال أبو زرعة والنسائي: «لا بأس به»، وقال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا أحسن خلقًا من أبي ضمرة (أي في زمانه) ولا أسمح بعلمه منه». ولد سنة ١٠٤هـ، وتوفي سنة ٢٠٠هـ، وعاش ٩٦ عامًا. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٧، ص٤٨-٤٩)**، رقم الترجمة ١٤٧٤.

وقال ابن المنذر[1] في تفسيره: «أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[2]، أخبرنا ابن وهب[3] قال: أخبرني نافع بن يزيد قال: يقال: الراسخون في العلم المتواضعون لله، المتذللون لله في مرضاته، لا يتعاطون من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[4] أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة أو الفهوم المستقيمة».

---

(١) ابن المنذر، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر محمّد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ الفقيه، نزيل مكة. له تصانيف منها «الإشراف في اختلاف العلماء»، و«الإجماع»، و«المبسوط» وغير ذلك. ولد في حدود موت أحمد بن حنبل، وعداده في الفقهاء الشافعيّة، توفّي سنة ٣١٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٩، ص٦١٠-٦١٢)**، رقم الترجمة ٢٩٣٤.

(٢) ابن عبد الحكم، محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، المصري، أبو عبد الله، فقيه عصره. انتهت إليه الرياسة في العلم بمصر. كان مالكي المذهب، ولازم الإمام الشافعي، ثم رجع إلى مذهب مالك. وحُمِلَ في فتنة القول بخلق القرآن إلى بغداد، فلم يجب لما طلبوه، فرد إلى مصر، وتوفي بها. له كتب كثيرة منها: «أحكام القرآن»، و«رد على فقهاء العراق»، و«أدب القضاة»، و«سيرة عمر بن عبد العزيز». ولد سنة ١٨٢هـ، وتوفي سنة ٢٦٨هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٦، ص٢٢٣)**.

(٣) عبد الله بن وهب بن مسلم، شيخ الإسلام، أبو محمد الفِهْرِيّ مولاهم، المصريّ، الحافظ. روى عن ابن جُرَيْج، ويونس بن يزيد، وحنظلة بن أبي سفيان، وحُيَيّ بن عبد الله المعافريّ، وحيوة بن شريح وخلق كثير، لقي بعض صغار التابعين، وكان من أوعية العلم، ومن كنوز العمل، وروى عنه: الليث بن سعد شيخه وعبد الرحمن بن مهديّ، وأصبغ بن الفَرَج، وسعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن صالح، وحرملة بن يحيى وغيرهم. قال أبو زُرْعَة: «نظرتُ في نحوٍ من ثلاثين ألف حديث لابن وهب، ولا أعلم أني رأيت له حديثًا لا أصل له، وهو ثقة». وله كتاب: «الموطّأ»، و«الجامع»، و«البيعة»، و«المناسك»، و«تفسير غريب الموطّأ» وغيرها. وقال أبو حاتم الرازي: «هو صدوق، صالح الحديث». ولد سنة ١٢٥هـ، وتوفي سنة ١٩٧هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٧، ص١٢٤-١٣٠)**، رقم الترجمة ١٥١٢.

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

خلاصة المعنى

- التأويل يكون بمعنى التفسير: التفسير بيان اللفظ والتأويل بيان المعنى.
- ما يؤول الأمر إليه.
- التأويل إبداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه.

الأعراف ٥٣

تفسير الطبري[١]

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

يقول تعالى ذكره: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴿٥٣﴾﴾[٣] هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله. يقول: إلّا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر

---

(١) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج١٠، ص٢٤٠-٢٤٢).

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٣) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

ابن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۝٥٣﴾[1] أي ثوابه، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ۝٥٣﴾[2] أي ثوابه. حدثنا محمّد ابن عبد الأعلى[3] قال حدثنا محمّد بن ثور[4] قال حدثنا معمر عن قتادة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ۝٥٣﴾[5] قال: «تأويله عاقبته». حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۝٥٣﴾[6] قال: «جزاؤه» ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ۝٥٣﴾[7] قال: «جزاؤه».

حدثني محمّد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السُّدي: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۝٥٣﴾[8] أما تأويله فعواقبه مثل وقعة بدر[9] والقيامة وما وعد فيه من موعد.

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٣) محمّد بن عبد الأعلى بن محمّد الأنصاريّ مولاهم، الدمشقيّ، الإمام، الـمعمَّر، إمام جامع دمشق، أبو هاشم، الـمعروف بابن عليل، حدّث ورُويَ عنه. توفّي في ربيع الآخر سنة ٣٢٣هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**.، (ج١٤، ص٥٢٩)، رقم الترجمة ٣٠٣.

(٤) محمّد بن ثَوْر، الإمام، القانت، الرّبانيّ، أبو عبد الله الصّنْعانيّ. حدّث عن عوفٍ الأعرابي، وابن جُرَيْج، ومعمر بن راشد. وعنه نُعَيْم بن حمّاد، ومحمّد بن عُبَيْد بن حساب وغيرهما، وثَّقَهُ يحيى ابن معين وغيره، وكان صوّامًا، قوّامًا، قانتًا لله. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٩، ص٣٠٢)، رقم الترجمة ٨٧.

(٥) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٦) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٧) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٨) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٩) غزوة بدر الكبرى: وقعت يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، وكان رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر من الـمهاجرين والأنصار، وكان سببها قتل عمرو=

حدثني المثنى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٥٣﴾﴾[1] فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتم تأويله يوم القيامة، ففي ذلك أُنزل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴿٥٣﴾﴾[2] حيث أثاب الله[3] تبارك وتعالى أولياءه[4] وأعداءه[5] ثواب أعمالهم، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٥٣﴾﴾[6] الآية.

حدثني محمّد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[7] قال: «يوم القيامة». حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[8] قال: «يوم يأتي تحقيقه» وقرأ قول الله تعالى:

= ابن الحضرمي وإقبال أبي سفيان بن حرب في عِيرٍ لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة، وقُتِلَ بها أبو جهل وكانت الغلبة فيها للمسلمين. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (ج٢، ص١١٦)، ذكر غزوة بدر الكبرى.

(١) سورة **الأعراف**، اية ٥٣.

(٢) سورة **الأعراف**، اية ٥٣.

(٣) قال الله تعالى ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾، فالتثويب هنا المجازاة والمعاقبة وليس من الثواب الذي هو الأجر.

(٤) بالنعيم والإكرام.

(٥) بالعذاب والهوان.

(٦) سورة **الأعراف**، اية ٥٣.

(٧) سورة **الأعراف**، اية ٥٣.

(٨) سورة **الأعراف**، اية ٥٣.

﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ ١٠٠﴾[1] قال: «هذا تحقيقها» وقرأ قول الله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ٧﴾[2] قال: «ما يعلم حقيقته ومتى يأتي إلا الله تعالى». وأما قوله: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ ٥٣﴾[3] فإن معناه يوم يجيء ما يؤول إليه أمرهم من عقاب الله[4].

خلاصة المعنى

- ما يؤول إِلَيهِ الأمر.
- الثواب.
- العاقبة.
- الجزاء.
- حقيقة الشيء أو تحقيقه.

تفسير الرازي[5]

اعلم أنه تعالى لما بين إزاحة العلة بسبب إنزال هذا الكتاب المفَصَّل الموجب للهداية والرحمة، بين بعده حال من كذب فقال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ٥٣﴾[6] والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع.

---

(١) سورة **يوسف**، ءاية ١٠٠.

(٢) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٣) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٤) الطبري، **جامع البيان**، ج٨، ص١٤٥.

(٥) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤، ص٧٨ ٨٠.

(٦) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

فإن قيل: كيف يتوقعون وينتظرون مع جَحدِهم له وإنكارِهم؟

قلنا: لعل فيهم أقوامًا تشككوا وتوقفوا، فلهذا السبب انتظروه وأيضًا إنهم وإن كانوا جاحدين إلا أنهم بمنزلة الـمنتظرين من حيث إن تلك الأحوال تأتيهم لا محالةَ، وقوله: ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾[1] قال الفراء: الضمير في قوله: ﴿تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾[2] للكتاب يريد عاقبة ما وعدوا به على أَلْسِنَةِ الرسل من الثواب والعقاب. والتأويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤول وقد احتج بهذه الآية من ذهب إلى قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ٧﴾[3] أي ما يعلـم عاقبة الأمر فيه إلا الله وقوله: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ٥٣﴾[4] يريد يوم القيامة.

خلاصة المعنى

- العاقبة والـمصير وما يؤول إِلَيْهِ الأمر.

تفسير القرطبي[5]

قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ٥٣﴾[6]. بالهمز، من آل، وأهل الـمدينة يخففون الهمزة. والنظر: الانتظار، أي: هل ينتظرون إلّا ما وعدوا به في القرءان من العقاب والحساب. وقيل: «ينظرون» من النظر إلى يوم

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٣) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٤) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٧، ص٢١٧).

(٦) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

القيامة. فالكناية في «تأويله» ترجع إلى الكتاب. وعاقبة الكتاب ما وعد الله فيه من البعث والحساب.

وقال مجاهد: «تأويله» جزاؤه، أي جزاء تكذيبهم بالكتاب.

قال قتادة: «تأويله» عاقبته.

والـمعنى متقارب.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴿٥٣﴾﴾[1] أي تبدو عواقبه يوم القيامة. و«يوم» منصوب بـ «يقول»، أي يقول الذين نسوه من قبل يوم يأتي تأويله.

خلاصة المعنى

- العاقبة والجزاء

تفسير ابن كثير[2]

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[3].

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ ﴿٥٣﴾﴾[4] أي ما وعد من العذاب

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٣، ص٤٢٥).

(٣) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٤) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

والنكال والجنة والنار. قاله مجاهد وغير واحد.

وقال الإمام مالك: ثوابه. وقال الربيع: لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ۝٥٣﴾[1] أي: يوم القيامة، قاله ابن عباس.

خلاصة المعنى

- الثواب.
- العاقبة.
- الجزاء.

يوسف ٦

تفسير الطبري[2]

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾[3].

حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۝٦﴾[4]: «فاجتباه

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٣.

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج١٣، ص١٥).

(٣) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٤) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

واصطفاه وعلـمه من عبر الأحاديث وهو تأويل الأحاديث». قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ٦﴾[1] يقول: «ويعلـمك ربك من علـم ما يؤول إليه أحاديث النّاس عما يرونه في منامهم وذلك تعبير الرؤيا». حدثنا القاسم[2] قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج[3] عن مجاهد: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ٦﴾[4] قال: «عبارة الرؤيا». حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ٦﴾[5] قال: «تأويل الكلام، العلـم والحلـم[6]».

---

(١) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٢) الصائغ، العلامة، الثقة، أبو محمد، القاسم بن الحسن الهمداني البغدادي، المتكلم، ويعرف بالصائغ. سمع: يزيد بن هارون، وعبد الله بن بكر السهمي. وعنه: ابن مجاهد، والهيثم الشاشي، وعلي بن إسحاق المادرائي، وآخرون. وثقه الخطيب. توفي بمصر سنة ٢٧٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٣، ص١٥٨)**.

(٣) ابن جُرَيْج، عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشيّ، الأموي، المكيّ، صاحب التصانيف، وأول مَنْ دوّن العلم بمكة. حدّث عن: عطاء بن أبي رباح فأكثر وجوّد وعن ابن أبي مُلَيْكة، ونافع مولى ابن عمر، وطاووس، وميمون ابن مهران، وعمرو بن شعيب، وابن المنكدر وغيرهم، وحدّث عنه: ثور بن يزيد، والأوزاعيّ، والليث، والسفيانان، والحمّادان، وابن عُلَيّة، وابن وهب، وخالد بن الحارث، وهمّام بن يحيى وأمم سواهم، وعن يحيى بن سعيد قال: كان ابن جريج صدوقًا، وعن عبد الرزاق قال: ما رأيت أحدًا أحسن صلاة من ابن جُرَيْج، وقد تفقه عليه مسلم بن خالد الزنجيّ، وتفقه بالزنجيّ الإمام أبو عبد الله الشافعيّ، وكان الشافعيّ بصيرًا بعلم ابن جريج، عالـمًا بدقائقه، وبعلم سفيان بن عُيَيْنة، وروايات ابن جريج وافرة في الكتب الستة، وفي «مسند أحمد»، و«المعجم الطبراني الأكبر». ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٤٩هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٤٩٤-٤٩٩)**، رقم الترجمة ١١٠٤.

(٤) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٥) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٦) الطبري، **جامع البيان، (ج١٢، ص٩٢)**.

خلاصة المعنى

- علـم ما يؤول إليه أحاديث النّاس عما يرونه في منامهم، وذلك تعبير الرؤيا.

تفسير الرازي[1]

فيه وجوه:

- **الأول**: الـمراد منه تعبير الرؤيا، سماه تأويلًا لأنه يؤول أمره إلى ما رآه في الـمنام يعني تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم. قالوا: إنه عليه السلام كان في علـم التعبير غاية.
- **والثاني**: تأويل الأحاديث في كتب الله تعالى والأخبار الـمروية عن الأنبياء الـمتقدمين، كما أن الواحد من علـماء زماننا يشتغل بتفسير القرءان وتأويله، وتأويل الأحاديث الـمروية عن الرسول ﷺ.
- **والثالث**: الأحاديث جمع حديث، والحديث هو الحادث، وتأويلها مآلها، ومآل الحوادث إلى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته، والـمراد من تأويل الأحاديث كيفية الاستدلال بأصناف الـمخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته.

خلاصة المعنى

- تعبير الرؤيا.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (ج١٨، ص٤٢٠).

- التفسير.

- الاستدلال على قدرة الله وحكمته.

تفسير القرطبي[1]

هذا ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام، وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله تعالى، من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا.

قال عبد الله بن شداد بن الهاد[2]: كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة، وذلك منتهى الرؤيا. وعنى بالأحاديث ما يراه الناس في المنام، وهي معجزة له، فإنه لم يلحقه فيها خطأ.

وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا ﷺ نحو ذلك، وكان الصديق رضي الله عنه من أعبر الناس لها، وحصل لابن سيرين[3]

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٩، ص١٢٩).

(٢) عبد الله بن شدّاد بن الهادِ الليثيّ الفقيه، أبو الوليد المدنيّ، ثم الكوفيّ، وأمه: هي سُلْمَى، أخت أسماء بنت عُمَيْس، وكانت سُلْمَى تحت حمزة رضي الله عنه فلما استشهد، تزوّجها شدّاد، رضي الله عنه فولدت له عبد الله في زمن النبي ﷺ. حدّث عن أبيه، ومعاذ بن جبل، وعليّ، وابن مسعود، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة، وأم سلمة وآخرين. وحدّث عنه الحكم بن عُتَيْبة، ومنصور بن المعتمر، وعبد الله بن شُبْرُمة، وأبو إسحاق الشيبانيّ وغيرهم، وقد أخرج في الكتب الستة، ولا نزاع في ثقته. مات سنة ٨٢هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٢٦٠-٢٦١)، رقم الترجمة ٤٦٨.

(٣) محمد بن سيرين، الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. وكان أبوه من سبي جَرْجَرَايا، تملّكه أنس، ثم كاتبه على ألوف من المال، فوفّاه. سمع أبا هريرة وعمران بن الحُصَيْن، وابن عباس، وعديّ بن حاتم، وابن عمر وخلقًا سواهم. وروى عنه: قتادة، وابن عون، وقُرَّة بن خالد وغيرهم، وقد أدرك ثلاثين صحابيًا. وقال=

فيها التقدم العظيم والطبع والإحسان، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب[1] فيما ذكروا.

وقد قيل في تأويل قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۝٦﴾[2] أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد، فهو إشارة إلى النبوة، وهو المقصود بقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ۝٦﴾[3] أي بالنبوة.

خلاصة المعنى

- تعبير الرؤيا.

تفسير ابن كثير[4]

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾[5].

= هشام: «حدثني أصدق من رأيت: محمد بن سيرين». وقال حُلَيّف بن عقبة: «كان ابن سيرين نسيج وحده، وكان فقيهًا، عالـمًا، ورعًا، كثير الحديث، صدوقًا، وهو حجة». ومن أقواله: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم». مات سنة ١١٠هـ، لتسع مضين من شوال. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٦٦٨-٦٧٦)**، رقم الترجمة ٧٤٩.

(١) سعيد بن المسيب بن حَزْنٍ بن أبي وَهْب بن عمرو، الإمام العلم، أبو محمد القرشي، المخزومي، عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه وقيل لأربع مضين منها، بالمدينة. رأى من الصحابة الكثيرين ومنهم: عمر وسمع عثمان وعليًا وزيد ابن ثابت، وأبا موسى رضوان الله عليهم. وكان زوج بنت أبي هريرة وأعلم الناس بحديثه. روى عنه خلق: منهم إدريس بن صبيح، وأسامة بن زيد الليثي، وإسماعيل بن أمية، وغيرهم. توفي سنة ٩٤هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٢١٩-٢٤٦)**، رقم الترجمة ٨٨.

(٢) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٣) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٤) ابن كثير، **تفسير القرءان العظيم، (ج٤، ص٣٧١)**.

(٥) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

يقول الله تبارك وتعالى مخبرًا عن قول يعقوب عليه السلام لولده يوسف: إنه كما اختارك ربك، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ٦﴾[1] أي: يختارك ويصطفيك لنبوته، ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ ٦﴾[2] قال مجاهد وغير واحد: يعني تعبير الرؤيا.

خلاصة المعنى

- تعبير الرؤيا.

خلاصة معاني لفظ التأويل الوارد في القرءان

يتبين من جملة ما سبق ذكره من تفسير أن لفظ «التأويل» كما ورد في القرءان يفيد بعض الـمعاني التالية:

١- طلب معرفة ما لا سبيل للخلق إلى معرفته.

٢- طلب معرفة عواقب القرءان أي متى يجيء ناسخ الأحكام.

٣- طلب معرفة الآجال، كانقضاء مدة أمره ﷺ وأمته ووقت قيام الساعة.

٤- ما تؤول إليه وترجع الأفعال.

٥- الـموئل والـمغبة والعاقبة والجزاء والثواب.

٦- علـم ما يؤول إليه أحاديث النّاس عما يرونه في منامهم وذلك تعبير الرؤيا، وما ءالت إليه الرؤيا تحقيقها.

---

(١) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

(٢) سورة **يوسف**، ءاية ٦.

٧- تأويل الشيء هو الشيء.

٨- التأويل يكون بمعنى التفسير: التفسير بيان اللفظ والتأويل بيان المعنى.

٩- الاستدلال على قدرة الله وحكمته.

وهنا نلفت النظر إلى قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1] فلا مراء في أن معاني لفظة التأويل لن تخرج عما سبق ذكره من دلالات لغوية وكذا سائر ألفاظ القرءان الكريم، ولذلك نجد أن معانيها الواردة في القرءان تدور في فلك معاني الرجوع والانتقال.

(١) سورة **الشعراء**، ءاية ١٩٥.

الـمبحث السادس
التأويل في الحديث

كما سبق البيان في الـمواضع التي تم تناولها من القرءان الكريم، كذلك وقع الاختيار على بعض النصوص الحديثية التي جاء فيها ذكر التأويل. وقد تم تناول البعض دون البعض الآخر على قاعدة الشبه، فمن كل مجموعة متشابهة من الأحاديث، نستعرض واحدًا ونتناول شرحه وتفسيره كما جاء في عدد من كتب شروح الحديث ومنها: «**شرح النووي على صحيح مسلـم**» و«**فتح الباري**» و«**عمدة القاري**» و«**إرشاد الساري**» وما هذا إلا بغية استعراض أشمل واستنارة أكمل فإن تنوع الشُراح وتعددهم يضفي مزيدًا من الوضوح بالـمعنى الـمراد ويسلط الضوء بشكل أوفى وإحاطة أعم.

الـموضع الأول[1]

نص الحديث

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني أخي

(١) أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (ج٢، ص٢١، ٧٢، ١١٧، ١٣٧).

عبد الحميد عن سليمان بن بلال عن موسى بن عقبة[1] عن سالم بن عبد الله[2] عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**رأيت كأن امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة[3] وهي الجحفة[4] فأولت أن وباء المدينة نقل إليها**».

شرح الحديث من «فتح الباري»[5]

قوله: «**فأولت أنه وباء المدينة نقل إليها**»، في رواية ابن جريج «**فأولتها وباء المدينة ينقل إلى الجحفة**» قال المهلب[6]: «هذه الرؤيا من قسم الرؤيا

---

(١) موسى بن عقبة بن أبي عيّاش، الإمام، الثقة، الكبير، أبو محمد القرشيّ، مولاهم، الأسديّ، المِطْرَقيّ، مولى آل الزبير، وكان بصيرًا بالمغازي النبوية، ألّفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك، حدّث عن علقمة بن وقّاص، وأبي سلمة، وكُرَيْب، وسالم بن عبد الله، وعبد الرحمن بن هرْمُز الأعرج، ونافع بن جبير بن مطعم، وخلق سواهم، وعنه: بُكَيْر بن عبد الله بن الأشجّ، وشعبة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جُريج وخلق كثير. قال ابن سعد: كان ثقة، قليل الحديث. وعن محمد بن طلحة: سمعت مالكًا يقول: «عليكم بمغازي موسى، فإنه رجل ثقة». مات سنة ١٤١هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٣٧٠-٣٧٣)**، رقم الترجمة ٩٩٧.

(٢) سالم بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الإمام الزاهد، الحافظ، مفتي المدينة، القرشي، العدوي، المدني، وأمه أم ولد. مولده في خلافة عثمان. حدث عن أبيه فجود وأكثر وعن عائشة وأبي هريرة وعن زيد بن الخطاب العدوي، وغيرهم. وحدث عنه ابنه أبو بكر، وسالم بن أبي الجعد، وعمرو بن دينار، وغيرهم. دخل على سليمان بن عبد الملك فما زال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره. توفي في المدينة سنة ١٠٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٤٥٧-٤٦٧)**، رقم الترجمة ١٧٦.

(٣) مَهْيَعَة: هي الجُحْفَة: وقيل قريب من الجُحْفَة، وهي ميقات أهل الشام. ياقوت الحموي، **معجم البلدان، (ج٥، ص٢٣٥)**.

(٤) الجُحْفَة: بالحجاز، قرية جامعة بينها وبين البحر ستة أميال، وبينها وبين مكة نحو ستة وسبعين ميلا، وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب. محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار، (ص١٥٦)**.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري، (ج١٢، ص٤٢٦)**.

(٦) المهلّب بن أحمد بن أبي صُفْرَة أسيد بن عبد الله الأسَديّ، الأندلسيّ، المريسيّ، مصنّف «شرح صحيح البخاريّ»، وكان أحدَ الأئمّة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء. توفي في شوّال=

المعبرة وهي مما ضرب به الـمثل، ووجه التمثيل أنه شق من اسم السوداء السوء والداء فتأول خروجها بما جمع اسمها، وتأول من ثوران شعر رأسها أن الذي يسوء ويثير الشر يخرج من الـمدينة، وقيل لأن ثوران الشعر من اقشعرار الجسد ومعنى الاقشعرار الاستيحاش فلذلك يخرج ما تستوحش النفوس منه كالحمى». قلت: «وكأن مراده بالاستيحاش أن رؤيته موحشة، وإلا فالاقشعرار في اللغة تجمع الشعر وتقبضه، وكل شيء تغير عن هيئته، يقال: «اقشعر كاقشعرت الأرض بالجدب والنبات من العطش»، وقد قال القيرواني الـمعبر: «كل شيء غلبت عليه السوداء في أكثر وجوهها فهو مكروه»، وقال غيره: «ثوران الرأس يؤول بالحمى لأنها تثير البدن بالاقشعرار وارتفاع الرأس لا سيما من السوداء فإنها أكثر استيحاشا».

شرح الحديث من «عمدة القاري»[1]

.. قوله: «**فأولتها أنه وباء المدينة**» وفي رواية ابن جريج «**فأولتها وباء بالمدينة فنقل إلى الجحفة**» والوباء مقصور وممدود وقال الـمهلب: «هذه الرؤيا من قسم الرؤيا الـمعبرة وهي مما ضرب به الـمثل».

شرح الحديث من «إرشاد الساري»[2]

.. وأظن قوله: «**وهي الجحفة**» مدرجًا من قول موسى بن عقبة: «**فأولت**» ذلك «**أنه وباء المدينة نقل إليها**» أي نقل من المدينة إلى الجحفة لعدوان

= سنة ٤٣٥هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٧، ص٥٧٩)، رقم الترجمة ٣٨٤.

(١) بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج٢٤، ص١٦٥).

(٢) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج١٤، ص٥٤٩).

أهلها وأذاهم للناس، وكانوا يهودًا، وهذه الرؤيا كما قاله الـمهلب من قسم الرؤيا الـمعبرة وهي مما ضرب به الـمثل، ووجه التمثيل أنه شق من اسم السوداء السوء والداء فتأول خروجها بما جمع اسمها، وتأول من ثوران شعر رأسها أن الذي يسوء ويثير الشر يخرج من الـمدينة، وقيل: لـما كانت الحمى مثيرة للبدن بالاقشعرار وارتفاع الشعر عبّر عن حالها في النوم بارتفاع شعر رأسها فكأنه قيل: الذي يسوء ويثير الشر يخرج من الـمدينة.

خلاصة المعنى

- التأويل: تعبير الرؤيا.

الـموضع الثاني[1]

نص الحديث

حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني حمزة بن عبد الله أن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي**» يعني عمر قالوا: «فما أوّلته يا رسول الله» قال: «**العلم**».

شرح الحديث من «فتح الباري»[2]

قوله: «باب اللبن» أي: إذا رُئي في الـمنام بماذا يعبر؟ قال الـمهلب: «يدل

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التعبير، باب اللبن، (ج٦، ص٢٥٧١)، حديث ٦٦٠٤.
(٢) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج٧، ص٤٥).

على الفطرة والسنة والقرءان والعلـم». قلت: وقد جاء في بعض الأحاديث الـمرفوعة تأويله بالفطرة كما أخرجه البزار[1] من حديث أبي هريرة رفعه: «**اللبن في المنام فطرة**»، وعند الطبراني من حديث أبي بكرة[2] رفعه: «**من رأى أنه شرب لبنًا فهو الفطرة**» ومضى في حديث أبي هريرة في أول الأشربة: أنه ﷺ لما أخذ قدح اللبن قال له جبريل: «الحمد لله الذي هداك للفطرة»، وذكر الدينوري[3] أن اللبن الـمذكور في هذا يختص بالإبل، وأنه لشاربه مال حلال وعلـم وحكمة، قال: «ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة

---

(١) البَزَّار، الشيخ، الإمام، الحافظ الكبير، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصريّ، البزّار، صاحب «المسند» الكبير، ولد سنة نيّف عشرة ومائتين. وسمع: هُدْبَة بن خالد، وعبد الأعلى ابن حمّاد، وعبد الله بن معاوية الجُمَحِيّ، ومحمد بن يحيى بن فيّاض الزِّمَّانيّ، وخلقًا كثيرًا. حدّث عنه: ابن نافع، وابن نَجِيع، وأبو بكر الخُتُّلِيّ، وأبو القاسم الطبرانيّ، وأبو الشيخ، وأحمد ابن الحسن بن أيوب التميميّ، وأبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن سياه، وخلق سواهم، ذكره أبو الحسن الدارقطنيّ، فقال: ثقة، يخطئ ويتّكل على حفظه، جرّحه النسائي، وقال أبو سعيد ابن يونس: «حافظ للحديث». توفي بالرملة سنة ٢٩٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٩، ص٣٠٧-٣٠٩)**، رقم الترجمة ٢٦٣٧.

(٢) أبو بكرة الثقفي الطائفي مولى النبي ﷺ. اسمه نفيع بن الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي ﷺ، وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. روى جملة أحاديث. حدث عنه بنوه الأربعة: عبيد الله، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، ومسلم، وأبو عثمان النهدي، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وغيرهم. سكن البصرة. قال ابن سعد: مات أبو بكرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالبصرة. فقيل: مات سنة إحدى وخمسين. وقيل: مات سنة اثنتين وخمسين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٣، ص٥ ١٠)**، رقم الترجمة ١.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: الـمروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد وصنف وجمع، إلّا أنَّ في كلامه ما يُحذر، فإنه كان يميل إلى التشبيه، وادعى أنَّ من شكَّ في قدرة الله لا يكفر وهو خلاف ما عليه إجماع المسلمين كما نقله ابن الجوزي وغيره. ومن تصانيفه: «غريب الحديث»، و«الـمعارف»، و«عيون الأخبار»، و«الرد على من يقول بخلق القرءان»، وغيرها. مات سنة ٢٧٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٣، ص٢٩٦-٢٩٩)**، رقم الترجمة ١٣٨.

أيضًا، ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم، وألبان الوحش شك في الدين، وألبان السباع غير محمودة، إلا أن لبن اللبوة مال مع عداوة لذي أمر».

قوله: «قالوا فما أوَّلته»، في رواية صالح: «فقال من حوله»، وفي رواية سفيان بن عيينة[1] عن الزهري عند سعيد بن منصور[2]: «ثم ناول فضله عمر»، قال: «ما أولته؟» وظاهره أن السائل عمر، ووقع في رواية أبي بكر ابن سالم أنه ﷺ قال لهم: «**أوّلوها**»، قالوا: «يا نبي الله هذا علم أعطاكه الله فملأك منه، ففضلت فضلة فأعطيتها عمر»، قال: «**أصبتم**»، ويجمع بأن هذا وقع أولا ثم احتمل عندهم أن يكون عنده في تأويلها زيادة على ذلك فقالوا: «ما أولته» إلخ، وقد تقدم بعض شرح هذا الحديث في كتاب العلم وبعضه في مناقب عمر، قال ابن العربي: «اللبن رزق يخلقه الله طيبا بين أخباث من دم وفرث كالعلم نور يظهره الله في ظلمة الجهل، فضرب به المثل في

---

(١) ابن عُيَيْنة، الإمام الكبير، شيخ الإسلام، سفيان بن عُيَيْنَة بن أبي عِمْرَان ميمونٍ مولى محمّد بن مزاحم، أبو محمّد الهلاليّ الكوفيّ ثم المكّيّ، مولده بالكوفة سنة ١٠٧هـ. لقي الكبار وحمل عنهم علمًا جمًّا، وأتقن وجوّد، وجمع وصنّف، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علوّ الإسناد، ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحُمَيْدي والشافعيّ وابن المديني. توفّي سنة ١٩٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٤٥٧-٤٧٥)**، رقم الترجمة ١٢٠.

(٢) سعيد بن منصور بن شعبة، الحافظ، الإمام، شيخ الحرم، أبو عثمان الخراسانيّ، المروزيّ، ويقال: الطالقانيّ، ثم البلخيّ، ثم المكيّ المجاور، مؤلف كتاب «السنن». سمع من مالك بن أنس، والليث بن سعد، وفُلَيْح بن سليمان، وأبي معشر السِّنْديّ، وعبيد الله بن إياد بن لَقيط، وخلق سواهم، وكان ثقة، صادقًا، من أوعية العلم، وروى عنه: أحمد بن حنبل، وأبو ثور الكلبي، وأبو محمد الدارميّ، وسلمة بن شبيب، وأبو بكر الأثرم، وأبو داود، ومسلم وغيرهم، قال أبو حاتم الرازي: هو ثقة، من المتقنين الأثبات، ممن جمع وصنف، وقال حرب الكرماني: «أملى علينا سعيد بن منصور نحوًا من عشرة آلاف حديث من حفظه». وقال أبو عبد الله الحاكم: «سكن سعيد مكة مجاورًا، فنسب إليها، وهو راوية سفيان بن عُيَيْنة، وأحد أئمة الحديث». له مصنّفات كثيرة، متفق على إخراجه في «الصحيحين». مات سنة ٢٢٧هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٧، ص٦٤٧-٦٥٠)**، رقم الترجمة ١٨٨٠.

الـمنام». قال بعض العارفين: الذي خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على أن يخلق الـمعرفة من بين شك وجهل ويحفظ العمل عن غفلة وزلل»، وهو كما قال، لكن اطردت العادة بأن العلـم بالتعلـم، والذي ذكره قد يقع خارقًا للعادة فيكون من باب الكرامة. وقال ابن أبي جمرة[1]: تأول النبي ﷺ اللبن بالعلـم اعتبارًا بما بين له أول الأمر حين أتي بقدح خمر وقدح لبن فأخذ اللبن، فقال له جبريل: «أخذت الفطرة» الحديث، قال: وفي الحديث مشروعية قص الكبير رؤياه على من دونه، وإلقاء العالـم الـمسائل واختبار أصحابه في تأويلها، وأن من الأدب أن يردّ الطالب علـم ذلك إلى معلـمه. قال: «والذي يظهر أنه لـم يرد منهم أن يعبروها وإنما أراد أن يسألوه عن تعبيرها، ففهموا مراده فسألوه فأفادهم، وكذلك ينبغي أن يسلك هذا الأدب في جميع الحالات». قال: «وفيه أن علـم النبي ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه، لأنه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه، وأما إعطاؤه فضله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلـم بالله بحيث كان لا يأخذه في الله لومة لائم». قال: «وفيه أن من الرؤيا ما يدل على الـماضي والحال والـمستقبل»، قال: «وهذه أُولت على الـماضي، فإن رؤياه هذه تمثيل بأمر قد وقع، لأن الذي أعطيه من العلـم كان قد حصل له وكذلك أعطيه عمر، فكانت فائدة هذه الرؤيا تعريف قدر النسبة بين ما أعطيه من العلـم وما أعطيه عمر».

---

(١) ابن أبي جمرة، الإمام، الـمعمّر، الـمسنِد، أبو العبّاس أحمد بن عبد الـملك بن موسى بن أبي جمرة الأموي مولاهم، الـمرسي، الـمالكيّ. توفّي سنة ٥٣٣هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٢٠، ص٩١)**، رقم الترجمة ٥١.

شرح الحديث من «عمدة القاري»[1]

«باب اللبن» أي: هذا باب في حكم رؤية اللبن إذا رآه في الـمنام بماذا يعبر به...

شرح الحديث من «إرشاد الساري»[2]

.. وفي رواية صالح بن كيسان[3] فأعطيت فضلي عمر بن الخطاب بالجزم من غير شك، (قالوا) أي من حوله من الصحابة (فما أولته) أي عبرته (يا رسول الله؟ قال: **أولته العلـم**) لاشتراك اللبن والعلـم في كثرة النفع بهما وكونهما مبنى الصلاح، ذاك في الأشباح والآخر في الأرواح...

خلاصة المعنى

- التأويل تعبير الرؤيا.

---

(١) بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج٢٤، ص١٤٦).

(٢) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج١٤، ص٥١٣).

(٣) صالح بن كيسان، الإمام الحافظ الثقة، أبو محمد، ويقال: أبو الحارث المدني المؤدب، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، يقال: مولى بني غفار، ويقال: مولى بني عامر، ويقال: مولى آل معيقيب الدوسي. رأى عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر. وقد قال يحيى بن معين: إنه سمع منهما. وحدث عن عبيد الله بن عبد الله، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله، ونافع بن جبير، ونافع مولى ابن عمر، وعدة. وكان من أئمة الأثر. حدث عنه عمرو بن دينار وهو أكبر منه، وموسى بن عقبة وهو من طبقته، وابن عجلان، وخلق سواهم. وكان صالح جامعًا بين الحديث والفقه والمروءة. توفي سنة ١٤٠هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص٤٥٤-٤٥٦)، رقم الترجمة ٢٠٣.

الـموضع الثالث[1]

نص الحديث

حدثنا أبو اليمان[2] عن أسامة بن زيد[3] رضي الله عنهما أخبره: «أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلـما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش. قال ابن أبي بن سلول ومن معه من الـمشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلـموا».

شرح الحديث من «فتح الباري»[4]

.. قوله: «وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب»

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿١٨٦﴾﴾ الآية، (ج١٤، ص٢٤٥)، **حديث ٤٢٠٠**.

(٢) أبو اليَمَان، الحَكَم بن نافع، الحافظ، الحجّة، الإمام، البهرانيّ، الحمصيّ، مولى امرأة بهرانية تدعى أمّ سَلـمة، كانت عند عمر بن رُوبة التغلبيّ. ولد في حدود سنة ١٣٨ هـ، قال أحمد بن حنبل: أما حديث أبي اليمانِ عن حريزٍ وصفوانَ بن عمرو فصحيح، وفي الصحيحين نـحوٌ من أربعين حديثًا عند البخاريّ عن أبي اليمانِ، قد أخرجها. توفّي سنة ٢٢١ هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٣١٩-٤٩٤)، رقم الترجمة ٧٧.

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العُزّى بن امرئ القيس الـمولى، الأمير الكبير، حِبّ رسول الله ﷺ ومولاه وابن مولاه. استعمله النبيّ عليه الصلاة والسلام على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار، حدّث عنه أبو هريرة، وابن عباس، وعروة بن الزبير وغيرهم، وكان شجاعًا وهو ابن حاضنة النبيّ ﷺ أم أيمن، وله في «الصحيحين» وغيرهما أحاديث كثيرة. مات في آخر خلافة معاوية. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٣، ص٤٧٢-٤٧٦)، رقم الترجمة ٣٣٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج٨، ص٢٣١).

هذا حديث آخر أفرده ابن أبي حاتم في التفسير عن الذي قبله وإن كان الإسناد متحدًا، وقد أخرج مسلم الحديث الذي قبله مقتصرًا عليه ولم يخرج شيئًا من هذا الحديث الآخر.

قوله: وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴿١٠٩﴾﴾[1] إلى آخر الآية.

ساق في رواية أبي نعيم[2] في «**المستخرج**» من وجه آخر عن أبي اليمان بالإسناد المذكور الآية وبما بعد ما ساقه المصنف منها تتبين المناسبة وهو قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ ﴿١٠٩﴾﴾[3].

قوله: «**حتى أذن الله فيهم**» أي في قتالهم، أي فترك العفو عنهم، وليس المراد أنه تركه أصلًا بل بالنسبة إلى ترك القتال أولًا ووقوعه آخرًا، وإلا فعفوه ﷺ عن كثير من المشركين واليهود بالمن والفداء وصفحه عن المنافقين مشهور في الأحاديث والسير.

---

(١) سورة **البقرة**، ءاية ١٠٩.

(٢) أبو نُعَيْم المهْرَانيّ صاحب كتاب الحِلْية، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مِهْران، الإمام، الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام، الأصبهانيّ، الصوفيّ. ولد سنة ٣٣٦هـ. كان أبوه من علماء المحدّثين والرحّالين، فاستجاز له جماعة من كبار المسندين، وعمل معجم شيوخه، وكتاب «الحِلْية»، و«المستخرج على الصحيحين»، و«تاريخ أصبهان»، و«صفة الجنة»، و«دلائل النبوّة»، و«فضائل الصحابة» ومصنفاته كثيرة جِدًّا. توفّي في العشرين من المحرّم سنة ٤٣٠هـ وله أربع وتسعون سنة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٧، ص٤٥٤ -٤٦٤)، رقم الترجمة ٣٠٥.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ١٠٩.

شرح الحديث من «عمدة القاري»[1]

كما هو الحال مع «**فتح الباري**»، فإن الشارح في «**عمدة القاري**» لـم يتوقف عند معنى لفظ التأول بيد أن الـمعنى يُعرف من مراد رسول الله ﷺ إذ كان عليه الصلاة والسلام أَمْيَلَ إلى العفو ما لـم يكن مأمورًا بخلافه. لذلك فمعنى «يتأول العفو» أي يراه ما لـم يكن من داع يدعو إلى خلافه.

شرح الحديث من «إرشاد الساري»[2]

.. هذا حديث آخر أفرده ابن أبي حاتم في تفسيره عن السابق بسند البخاري، وقال في آخره: وكان رسول الله ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فكل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله والاستعانة به والرجوع إليه.

خلاصة المعنى

يتأوَّل أي يرى ما أُمر به.

---

(١) بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج١٨، ص١٥٧).

(٢) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج١٠، ص١٣٨).

الـموضع الرابع[1]

نص الحديث

باب ما جاء في المتأولين: قال أبو عبد الله وقال الليث[2]: حدثني يونس عن ابن شهاب: أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة[3] وعبد الرحمن ابن عبد القاري[4]، أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: «سمعت هشام ابن حكيم[5] يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته،

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، (ج١٥، ص٣٩٢)، كتاب فضائل القرءان، باب أنزل القرءان على سبعة أحرف، حديث ٤٦٠٨، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالـم الديار الـمصرية، أبو الحارث الفهْمِيّ، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن. ولد بـقَرْمَشَنْدَة (قرية من أسفل أعمال مصر) سنة ٩٤هـ، وروي عن الربيع بن سليمان أنه قال: قال ابن وهب: لولا مالك، والليث، لضلّ الناس، وقال الفضل بن زياد: قال أحمد: ليث كثير العلـم، صحيح الحديث. توفّي ليلة النصف من شعبان، سنة ١٧٥هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٨، ص١٣٦) وما بعدها، رقم الترجمة ١٢.

(٣) الـمسْوَر بن مَخْرَمة بن نوفل بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرة بن قصيّ بن كلاب، الإمام الجليل، أبو عبد الرحمن، وأبو عثمان القرشيّ، الزُّهْرِيّ، له صحبة ورواية وعداده في صغار الصحابة، وكان ممّن يلزم عمر ويحفظ عنه. ولد بـمكّة بعد الهجرة بعامين، وبها توفي لهلال ربيع الآخر، سنة ٦٤هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص١٩٨-٢٠٠)، رقم الترجمة ٤١٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ الـمدنيّ، يقال: له صحبة، وإنما ولد في أيام النبوة، قال أبو داود: «أُتيَ به إلى النبيّ ﷺ وهو صغير»، وثّقه ابن معين، وتوفي سنة ٨٠هـ بـالـمدينة وله ٧٨ سنة. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٣٠٤، ٣٠٥)، رقم الترجمة ٥٠٦.

(٥) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشيّ الأسديّ، صحابيّ ابن صحابيّ، أسلـم يوم فتح مكة، حدث عنه جبير بن نفير، وعروة بن الزبير، وغيرهما. وقال الزهري: كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فكان عمر إذا رأى منكرًا قال: أما ما عشت أنا وهشام بن حكيم، فلا يكون هذا. وقيل: إن النبي ﷺ صارعه مرة، فصرعه. قال ابن سعد: توفي في أول خلافة معاوية. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٣، ص٥١)، رقم الترجمة ١٣.

فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لـم يُقرئْنيها رسول الله ﷺ كذلك... ».

شرح الحديث من «فتح الباري»[1]

قوله: «باب ما جاء في المتأولين»

تقدم في «باب كل من أكفرَ أخاه بغير تأويل» من كتابِ الأدب وفي الباب الذي يليه كل من لـم ير إكفار من قال ذلك متأولًا، وبيان الـمراد بذلك. والحاصلُ أن من أكفرَ الـمسلـم نُظر، فإن كان بغير تأويل استحق الذم (و) كان هو الكافر. وإن كان بتأويل نظر إن كان غير سائغٍ استحق الذم أيضًا ولا يصل إلى الكفر، بل يُبين له وجه خطئه ويزجرُ بما يليق به. ولا يلتحق بالأول عند الجمهور.

وخلاصة المسألة أنَّ من كفَّر مسلمًا بلا تأويلٍ هو الكافر، وإن كفَّره متأوِّلًا لا يكفر لكن لا يُسلَمُ من الكبيرة في بعض الأحوال.

شرح الحديث من «عمدة القاري»[2]

أي هذا باب في بيان ما جاء من الأخبار في حق الـمتأولين ولا خلاف بين العلـماء أن كل متأول معذور بتأويله غير ملوم فيه إذا كان تأويله ذلك سائغًا في لسان العرب أو كان له وجه في العلـم...

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٢، ص٣٠٣).

(٢) بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج٢٣، ص٩٠).

شرح الحديث من «إرشاد الساري»[1]

(عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (يقول: سمعت هشام بن حكيم) بفتح الحاء المهملة ابن حزام الأسدي (يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها) ولأبي ذر[2] يقرؤها بالواو وصورة الهمز بدل الألف (على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ كذلك فكدت أساوره) بضم الهمزة بعدها سين مهملة أي أواثبه وأحمل عليه وهو (في الصلاة فانتظرته حتى سلم) منها (ثم) ولأبي ذر فلما سلم (لببته بردائه) بتشديد الموحدة الأولى مفتوحة وسكون الثانية جمعته عند صدره وبالتخفيف أيضًا (أو بردائي) شك من الراوي (فقلت: من أقرأك هذه السورة، قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، قلت:) ولأبي ذر فقلت (له كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها) ولأبي ذر تقرؤها بالواو بدل الهمزة وفيه إطلاق التكذيب على غلبة الظن فإن عمر إنما فعل ذلك عن اجتهاد منه لظنه أن هشامًا خالف الصواب، قال عمر (فانطلقت) به (أقوده) أجره بردائه (إلى رسول الله ﷺ، فقلت:) له (يا رسول الله، إني سمعت هذا) هشامًا (يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر) بهمزة قطع أي أطلقه ثم قال عليه الصلاة والسلام (اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها، قال) ولأبي ذر فقال (رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر فقرأت فقال: هكذا أنزلت، ثم قال:) ﷺ تطييبًا

---

(١) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج١٠، ص٨٩).

(٢) أبو ذَرٍّ الهروي أحد رواة صحيح البخاري وقد تقدمت ترجمته.

لقلب عمر لئلا ينكر تصويب الشيئين الـمختلفين (إن هذا القرءان أنزل على سبعة أحرف) أي لغات (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من الـمنزل.

خلاصة المعنى

- التأويل الاستناد إلى شيء والرجوع إليه.

خلاصة معاني لفظ التأويل الوارد في الحديث

يظهر مما سبق بيانه أن لفظ «التأويل» الوارد في النصوص الحديثية مشتمل على الـمعاني التالية:

١- تعبير الرؤيا.

٢- رَدّ الشيء إلى الغايةِ المرادَةِ منه.

٣- يتأوَّل أي يرى ما أُمر به.

٤- التأويل الاستناد إلى شيء والرجوع إليه.

وكما أسلفنا بالنسبة لـمعاني التأويل الواردة في القرءان وارتباطها بدلالاتها الوضعية في لغة العرب، فإن الشأن ذاته يتعين في معانيها الواردة في الحديث ودورانها حول الفلك نفسه.

وبالخلاصة فإن لفظ التأويل كما ظهر من استعراض الآيات القرءانية والأحاديث النبوية، لا يخرج عن إطار أحد الـمعاني التالية والتي نختصر بها جملة ما سبق بيانه من معان:

١- طلب معرفة ما لا سبيل للخلق إلى معرفته.

٢- الـموئل والـمغبة والعاقبة والجزاء والثواب.

٣- تعبير الرؤيا.

٤- التأويل بيان الـمعنى والتفسير بيان اللفظ.

٥- الاستدلال على قدرة الله وحكمته.

٦- يتأوَّل أي يرى ما أُمر به.

٧- التأويل الاستناد إلى شيء والرجوع إليه.

وللتعمق أكثر في موضوع بحثنا، انظر في المبحث العاشر حيث تناولنا فيه التأويل بشقيه الإجمالي والتفصيلي.

الـمبحث السابع
شروط صحة التأويل

إن التأويل علـم له شروط ومبادئ وقواعد لا يقبل تجاهلها ولا يسوغ تخطيها لأن ذلك مؤداه الوقوع بالـمحظور والله أعلـم. لذلك كان لا بد من تقصي الشروط التي تجب والـمبادئ التي تتحتم مراعاتها على كل من أراد الخوض في غمار هذا العلـم والغوص في بحاره. إنه حقًّا علـم مُنظّم الضوابط، محكم الـمفاهيم، لا لبس فيه ولا لغط. وتجد فيما يلي بعض النقول التي حاولت رسم الـمحاور الأساسية والأطُر العلـمية التي يتمحور حولها علـم التأويل.

ونبدأ بما قاله النسفي[1] في «**العقيدة النسفية**» ونصه[2]:

«والنصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها، والعدولُ عنها إلى معانٍ يَدّعيها أهل الباطن إلحاد، ورد النصوصِ كفر».

يعني أن النص القرءانيَّ والنص الحديثي يُحملان على الظاهر ما لـم يدلّ دليل عقلي أو سمعي على وجوب العدول عن ذلك، فعندئذ يحمل على غير الظاهر للضرورة، فالتأويل لغير ذلك عبث.

---

(١) أبو حفص، نجم الدين عمر بن أحمد بن لقمان النسفي، الحنفي، الزاهد، من أهل سمرقند. ولد نحو سنة ٤٦١هـ، قال فيه الـمؤرخ ابن شاكر الكتبي: كان فقيهًا فاضلًا مفسرًا أديبًا محدثًا مفننًا، وقال السمعاني: فقيه فاضل عارف بالـمذهب والأدب. أما مؤلفاته فهي تقارب الـمائة منها «العقيدة النسفية» الـمشهورة. توفي سنة ٥٣٧هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٢٠، ص١٢٦)**، ١٢٧، رقم الترجمة ٧٦.

(٢) نجم الدين النسفي، **العقيدة النسفية، (ص١٦٨)**.

وقوله: «والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهلُ الباطن إلحاد» يعني أن تأويلات الباطنية ومن أشبههم من غلاة الـمتصوفة، مما يؤدي إلى مخالفة الضروريات هو إلحاد وكفر.

وقوله: «ورد النصوص كفر» يعني أن رد النصِّ القرءاني أو النصِّ الحديثي مع اعتقاده أنه كلام الله وكلام رسول الله ﷺ كفر.

ففي هذا تنبيه إلى عدد من الضوابط ذات الصلة وهي:

١- أن تحميل كل نص من النصوص باطنًا لا يحتمله هو خروج عن جادة الصواب.

٢- أن النصوص تحمل على الظاهر إلا إن دعا داع لحملها على غيره.

٣- أن النصوص الشرعية لا تتناقض، فلذا أي تأويل لأي متشابه ينبغي ألا يتعارض مع الـمحكمات، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

فتأمل مدى أهمية هذه الضوابط وكيف أنها صراط مستقيم لـمن أراد سلوك طريق التأويل. فهي الضامن ألا يؤخذ التأويل عصا يتكئ عليه كل ذي مأرب. وهي الضامن ألا يتقرر تأويل ما لـم يَدْعُ إليه داعٍ. وهي الضامن أن تتعاضد النصوص فيما بينها ولا تتعارض.

وانظر إلى الحافظ ابن حجر يقول في «**فتح الباري**» ما نصه[2]:

«قال ابن دقيق العيد في العقيدة: نقول في الصفات الـمشكلة إنها حق

---

(١) سورة **النساء**، ءاية ٨٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٣٨٣).

وصدق على الـمعنى الذي أراده الله ومن تأولها نظرنا فإن كان تأويله قريبا على مقتضى لسان العرب لـم ننكر عليه وإن كان بعيدا توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه وما كان منها معناه ظاهرًا مفهومًا من تخاطب العرب حملناه عليه لقوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾[1] فإن الـمراد به في استعمالهم الشائع حق الله فلا يتوقف في حمله عليه، وكذا قوله: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[2] فإن الـمراد به إرادة قلب ابن آدم مصرفة بقدرة الله وما يوقعه فيه، وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾﴾[3] معناه: خرب الله بنيانهم، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ﴿٩﴾﴾[4] معناه: لأجل الله، وقس على ذلك وهو تفصيل بالغ قل من تيقظ له».

وقال الإمام بدر الدين بن جماعة في «**إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التأويل**»[5] ما نصه: « ومن شروط التأويل أن يكون وفق أصول العربية وأساليب البيان عند العرب وأن ما خرج على أصول العربية وأساليب البيان عند العرب ليس تأويلًا مشروعًا ولا مقبولا.

قال ابن دقيق العيد: إن كان التأويل قريبًا من لسان العرب لم ينكر أو بعيدًا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه وما كان من هذه

---

(١) سورة **الزمر**، ءاية ٥٦.

(٢) مسلـم، **صحيح مسلـم**، كتاب القَدَر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (ج١٦، ص٢٠٣، ٢٠٤). أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (ج٢، ص١٦٨).

(٣) سورة **النحل**، ءاية ٢٦.

(٤) سورة **الإنسان**، ءاية ٩.

(٥) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في حجج أهل التعطيل**، (ج١، ص٦٢).

الألفاظ ظاهرًا مفهومًا من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف كما في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾[1] فنحمله على حق الله تعالى وما يجب له.

وقال عند شرح قوله «**وأنا أغير منه والله أغير مني**»[2] الحديث، المنزهون لله تعالى إما ساكت وإما مؤول، والثاني يقول المراد بالغيرة المنع من الشيء والحماية وهما من لوازم الغيرة فأطلقت على سبيل المجاز كالملازمة وغيرها من الأوجه الشائعة في لسان العرب».

وقال أيضا[3]: «لما انتشر الإسلام في الأرض ودخل فيه من لا يعرف تصاريف لسان العرب من الأعاجم والأنباط والتبس عليهم اللسان العربي بالعرفي لعدم علمهم بتصاريفه من حقيقة ومجاز وكناية واستعارة وحذف وإضمار وغير ذلك وقع من وقع في التجسيم وطائفة في التعطيل وتفرقت الآراء في الكلام على الذات والصفات كما أخبر الصادق عن فرق الأمة الكائنة بعده فاحتاج أهل الحق إلى الرد على ما ابتدعوه وإقامة الحجج على ما تقولوه وانقسموا إلى قسمين:

أحدهما: أهل التأويل وهم الذين تجردوا للرد على المبتدعة من المجسمة والمعطلة ونحوهم من المعتزلة والمشبهة والخوارج لما أظهر كل منهم بدعته ودعا إليها فقام أهل الحق بنصرته ودفع عنه الدافع بإبطال بدعته وردوا تلك الآيات المحتملة والأحاديث إلى ما يليق بجلال الله من

---

(١) سورة **الزمر**، ءاية ٥٦.

(٢) البيهقي، **السنن الكبرى**، (ج١٠، ص١٤٧).

(٣) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في حجج أهل التعطيل**، (ج١، ص٤٠).

المعاني بلسان العرب وأدلة العقل والنقل ليحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل بحججه ودلالاته.

والقسم الثاني القائلون بالقول المعروف بقول السلف وهو القطع بأن ما لا يليق بجلال الله تعالى غير مراد والسكوت عن تعيين المراد من المعاني اللائقة بجلال الله تعالى إذا كان اللفظ محتملا لمعانٍ تليق بجلال الله تعالى.

فالصنفان قاطعان بأن ما لا يليق بجلال الله تعالى من صفات المحدَثين غير مراد وكل منهما على الحق.

وقد رجح قوم من الأكابر الأعلام قول السلف لأنه أسلم وقوم منهم قول أهل التأويل للحاجة إليه والله أعلم.

ومن انتحل قول السلف وقال بتشبيه أو تكييف أو حمل اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من صفات المحدثين فهو كاذب في انتحاله بريء من قول السلف واعتداله.

وإذا ثبت أن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب وأن ما لا يليق بجلاله غير مراد فنقول إن اللفظ العربي المتعلق بالذات المقدس أو الصفات العلية إما أن يحتمل معاني عدة أو لا يحتمل إلا معنًى واحدًا فإن لم يحتمل إلا معنًى واحدًا يليق بجلاله تعالى كالعلم تعين حمله عليه وإن احتمل معاني تليق بجلاله تعالى فهذا محل الكلام بين قول السلف والتأويل كما تقدم».

فإذن لا بد أن يدلّ دليل عقلي أو سمعي على وجوب العدول عن ظاهر اللفظ إلى المعنى المؤول ثم لا بد أن يكون المعنى على مقتضى لسان العرب فلا يصلح أن يكون مما لا تحتمله لغة الضاد. وها هو د. مصطفى شلبي

قد جاء في كتابه «**أصول الفقه الإسلامي**»[1] على ذكر شروط تحقيق التأويل ونورد فيما يلي نص ما قال بمثابة الخلاصة الوافية لكونه موجزًا من غير خلل وكافيًا من دون إطالة:

«**اشترط العلماء في تحقيق التأويل الصحيح أمورًا منها**:

- أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلًا للتأويل، بأن يكون يحتمل بحسب وضع اللغة ذلك.
- أن يكون المعنى الذي صرف إليه اللفظ من المعاني التي يحتملها اللفظ لغةً أو استعمل فيه شرعا.
- أن يكون الصرف عن ظاهره بدليل صحيح، إما نص أو إجماع أو قياس، أو غير ذلك من الأدلة الصحيحة.
- أن يكون المؤوِّل أهلًا لذلك، كأن يكون من المجتهدين أصحاب الملكات الفقهية الذين يستنبطون من النصوص».

كانت هذه بعض الشروط التي ذكرها أهل الحق والتي لا بد منها لاستحقاق أهلية التأويل. كيف لا! والتأويل موضوع على درجة عالية من الأهمية لا يسوغ لكلٍ الخوض فيه ما لم يكن تأهل لذلك وحصّل التمكن المطلوب والرسوخ اللازم.

(١) د. مصطفى شلبي، **أصول الفقه الإسلامي**، (ج١، ص٤٦٩).

المبحث الثامن
تنبيه بخصوص الصفات الواردة في النصوص المتشابهة

أفصح الكتاب ونطقت السنة وقرر الشرع وأكدت النصوص المتواترة وشهد العقل أن صفات الله تعالى لا تشبه صفات خلقه. وإذا ثبت هذا في عقول المسلمين وقلوبهم سهل عليهم فهم ما تشابه من كتاب الله عز وجل بما يتعلق بصفات الذات المقدس. فالاستواء معناه الاستيلاء والمعية معية نصرة لا تحيز وعلوه علو مَكَانَةٍ لا مكان، هذا ما يليق بصفاته عز وجل ولا يليق تفسير الاستواء بالجلوس لأن ذلك لا يجادل اثنان في كونه تشبيهًا محضا. ولا يصح تفسير المعية بالمعية الحسية أو التحيز إذ مقتضى ذلك كون الله مع الخلق في كل مكان بما يشمل الأماكن القذرة ونحوه وهذا حلول بلا ريب. لذا تقرر أنه مهما ورد في الشرع من نصوص فإن كانت ظواهرها تخالف تنزيه صفات الله عن صفات الخلق فإنها إن صحت تحمل على معنى غير الظاهر. وهذه عقيدة كل المسلمين خلفهم وسلفهم: كل ما أوهم التشبيه وجب تأويله بما ينفي عن صفات الله ما لا يليق بجلاله. وها هو عبد السلام اللقاني يقول[1]: «فظهر مما قررنا اتفاق السلف والخلف على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال الذي دلّ عليه ذلك الظاهر وعلى تأويله وإخراجه عن ظاهره المحال وعلى الإيمان بأنه من عند الله جاء به رسوله

(١) اللقاني، **حاشية الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد**، (ص١٠٤).

لكنهم اختلفوا في تعيين محمل له معنى صحيح وعدم تعيينه أي التأويل الإجمالي والتأويل التفصيلي».

وقال[1] البيجوري[2]: «وقد اتفق السلف والخلف على صرف النصوص الـمتشابهة عن ظواهرها الـمستحيلة واعتقاد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعا». وقال: «قال السبكي: أجمع السلف والخلف على تأويل الآيات الـمتشابهة تأويلًا إجماليًا بصرف اللفظ عن ظاهره الـمحال على الله تعالى لقيام الأدلة القاطعة على أنه تعالى مخالف للحوادث» وقال: «السلف أوّلوا من غير تعيين معاني وأما الخلف فعينوا وطريقة الخلف تشتمل على مزيد إيضاح ولا يلجأ إليها إلا عند الضرورة بأن نخشى على عقيدة إنسان».

وقال حبيب الله الشنقيطي[3]: «طريق السلف والخلف متفقان على تنزيه الله تعالى عن أن يشابه شيئًا من خلقه أو يحتاج لشيء منه، لا لعرشٍ ولا لغيره، ومتفقان أيضًا على صرف كل لفظٍ أوهم تشبيهه سبحانه بشيء من خلقه عن ظاهره إجماعًا، والتفويض أسلم لمن عصمه الله تعالى من وسوسة الشيطان، ومن سلطه الله تعالى عليه فطريق التأويل أنفع له وأولى به بطرد

---

(١) البيجوري، **شرح جوهرة التوحيد الـمسماة تحفة الـمريد، (ص١٥٣)**.

(٢) إبراهيم محمد البيجوري (الباجوري) الشافعيّ، نسبته إلى الباجور (من قرى الـمنوفية بـمصر) له: «حاشية على مختصر السنوسيّ» و«تحفة الـمريد على جوهرة التوحيد» و«تحقيق الـمقام». ولد ١١٩٨هـ، وتوفي ١٢٧٧هـ. الزركليّ، **الأعلام، (ج١، ص٧١)**.

(٣) الشنقيطي، محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد ما يابي الجكني الشنقيطي، عالم بالحديث. ولد وتعلم بشنقيط، وانتقل إلى مراكش، فالمدينة المنورة، واستوطن مكة. ثم استقر بالقاهرة مدرسًا في كلية أصول الدين، بالأزهر، وتوفي بها. من كتبه: «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم»، و«إيقاظ الأعلام»، و«دليل السالك إلى موطأ مالك»، و«إضاءة الحالك»، و«أصح ما ورد في المهدي وعيسى»، و«هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث». ولد سنة ١٢٩٥هـ، وتوفي سنة ١٣٦٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٦، ص٧٩)**.

الوسواس بها عنه، فالطريقتان منجيتان بإذن الله تعالى ولا مانع من الجمع بينهما. ولا ثمة طريقةً لفهم القرءان إلا بمعرفة مجازه واستعاراته وكناياته ونحوها، وبالرسوخ في فنها يتضح بطلان مذهب المجسمة»[1].

ثم إن الرسول نفسه ﷺ أوّل بعض الآيات والأحاديث، ومن ذلك ما قاله في قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[2] حيث قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويرفع قومًا ويخفض آخرين**»[3].

ونقل الإمام الزركشي[4] عن ابن دقيق العيد أنه قال: «من أوّل شيئًا منها فإن كان تأويله قريبًا على ما يقتضيه لسان العرب لم ينكر عليه ولم نبدّعه، وإن كان تأويله بعيدًا توقفنا عنه واستبعدناه، ورجعناه إلى القاعدة في الإيمان بمعناه والتصديق به على الوجه الذي أريد مع التنزيه».

واحتج ابن عطية للمتأولين بأن الكل أجمعوا على تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾[5] أن معناه قدرته وعلمه، وهذه ءاية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها وأنها تخرجه عن معنى لفظها المعهود، وتأولهم هذا حجة عليهم في غيره[6].

قال عبد السلام اللقاني[7]: «ورد في القرءان والسنة ما يشعر بإثبات الجهة

---

(١) الشنقيطي، **زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**، (ج٥، ص١٩٠).

(٢) سورة **الرحمن**، ءاية ٢٩.

(٣) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهيمة، (ج١، ص٧٣)، **حديث ٢٠٢**.

(٤) الزركشي، **تشنيف المسامع بجمع الجوامع**، (ج٤، ص٦٧٨).

(٥) سورة **الحديد**، ءاية ٤.

(٦) الزركشي، **تشنيف المسامع بجمع الجوامع**، (ج٤، ص٦٧٨).

(٧) اللقاني، **حاشية الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد**، (ص١٠٣).

والجسمية له تعالى، وكان مذهب أهل الحقّ من السلف والخلف تأويل تلك الظواهر لوجوب تنـزيهه تعالى عما يدل عليه ذلك الظاهر اتفاقًا من أهل الحقّ، وكل نصٍ أوهم تشبيهًا أوّله وجوبا ».

فتأمل هذه البينة، وتحقّق بها، وقس على ذلك كل ما ورد في القرءان الكريم والأحاديث النبوية، من الأسماء والصفات، مما يوهم الحدوث أو مشابهةَ صفات الحوادث، كالاستواء[1] واليد واليدين واليمين والوجه والعين والقدم والضحك[2] والغضب والغيرة والفرح والتعجب والنـزول والـمجيء، وما شابه ذلك، فآمن به، ونزّه الحقّ عن مشابهته للحوادث، في ذاته وأسمائه وصفاته، وتحقّق أن القديم الخالق جل وعز لا يشبه شيئًا من الحوادث بوجه من الوجوه، والمخلوق يمتنع عليه أن يدرك حقيقة خالقه وموجده، ومعرفة حقيقة صفاته الـمقدسة.

وإذا كان العبد عاجزًا عن إدراك حقيقة نفسه، وحواسه الظاهرة والباطنة، وتركيب أعضائه وأعصابه، فكيف يمكن أن يدرك القديم الخالق، جل وعز وتقدست أسماؤه وصفاته، وله الـمثل الأعلى ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۝٧٤﴾[3].

---

(١) قال الغزالي عن تفسير الاستواء: «اضطر إلى التأويل لنفي الجسمية». الغزالي. **إحياء علوم الدين، (ج١، ص١٠٨)**. وقال أحمد الرفاعي: «صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر». وقال: «نزهوا الله عن سمات الـمحدثين وصفات الـمخلوقين، وسبيل الـمتقين من السلف تنـزيه الله تعالى عما دلّ عليه ظاهره وتفويض معناه الـمراد إلى الحق تعالى». الإمام السيد أحمد الرفاعي، **البرهان الـمؤيد، (ص٤٩، ٥٠)**.

(٢) أَوَّلَ الضَّحِكَ الواردَ في حق الله بالرحمةِ، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه: «قال الخطابي وقد تأوَّل البخاري الضحك في موضع ءاخر على معنى الرحمة وهو قريب وتأويله على معنى الرضا أقرب». ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري، (ج١٩، ص٥٧)**.

(٣) سورة **النحل**، ءاية ٧٤.

المبحث التاسع
المحكم والمتشابه

جَعَلت المشبهة هذه المسألة مدخلًا لها لتلبّس على العامة وطلاب العلم من خلال منهجها الذي ادعت أنه منهج السلف لبثّ فهمهم للنصوص على حسب ما تخيلوا وتوهموا لا برده إلى المحكم الذي أمرنا الله بالرجوع إليه، **فالمتشابهات لا تؤخذ بظواهرها** وقد تبين أن للعلماء فيها مسلكين:

فالسلف منهم غالبًا ما يؤولونها تأويلًا إجماليًا بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ولم يعينوا ذلك المعنى بل فوضوه إلى الله تعالى وتبارك أي كما في قولهم[1]: «أمروها كما جاءت بلا كيف». والخلف يؤولونها بتعيين معانيها بما تفهمه لغة العرب ويصرفونها عن ظاهرها أيضا كالسلف.

وقد تقدم أن الناس ذهبت في أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

أحدها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾[2] أي جاء أمره وهذا مذهب السلف[3].

المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر على ما سبق بيانه إذ لا بد أن يكون هذا التأويل مناسبًا تساعد عليه قواعد الشرع وتسعه اللغة العربية أيضًا لأنها

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج١٣، ص٤٠٧).

(٢) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

(٣) روى البيهقي في **مناقب أحمد** بالإسناد المتصل إلى أحمد أنه أوّل هذه الآية فقال: «جاءت قدرته أي أثر من آثار قدرته». ابن كثير، **البداية والنهاية**، (ج١٠، ص٣٢٧). وهذا تأويل تفصيلي.

قالب الشرع ووعاء معانيه، وأنه إنما يصار إليه لدرء الخطر عن عقائد العوام أن يلحقها لوث وفساد، وهي تأويلات ظنية احتمالية تنسجم مع المحكم وهي أولى من التشبيه الذي تدور حوله تمويهات المشبهة[1].

والمرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحس، وقد عمّ جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظٌ من علوم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس[2].

ثم إن المنظور إليهم هم الأئمة القدوة والعلماء الجلّة ولا عبرة بالمقلدة الواقفة مع ظاهر المنقول الذين لم يفرّقوا بين المحكم والمتشابه[3].

أولًا: كلام أعلام أهل العلم من أهل السنة والجماعة في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾[4].

قال أبو بكر الرازي الجصاص في «**أحكام القرءان**»[5]: «وحكم المتشابه أن يحمل على معنى المحكم، ويردّ إليه بقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۝٧﴾ إلى قوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[6] فأمر اللّه تعالى بردّ المتشابه إلى المحكم لأنّ وصفه للمحكم بأنّه أمّ

---

(١) روى الحافظ البيهقي عن مالك أنه قال: «لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالًا». أي ويخوض في تفسير آيات القرءان. البيهقي، **شعب الإيمان**، (ج٢، ص٤٢٥).

(٢) ابن الجوزي، **الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب**، (ص١١٥).

(٣) الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (ج٢، ص١٠٥).

(٤) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٥) الجصاص، **أحكام القرءان**، (ج١، ص٣٨٢).

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

الكتاب يقتضي أن يكون غيره محمولا عليه، ومعناه معطوفًا عليه؛ إذ كان أمّ الشيء ما منه ابتداؤه وإليه مرجعه.

ثمّ ذمّ من اتّبع الـمتشابه، واكتفى بما احتمله اللّفظ من تأويله من غير ردٍّ له إلى الـمحكم، وحمله على موافقته في معناه، وحكم عليهم بالزّيغ في قلوبهم بقوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[1] ».

ثانيا: فإن قلت: إنما نزل القرءان لبيان الدين وإرشاد العباد وهدايتهم فما فائدة الـمتشابه وهلّا كان كله محكما؟

فقد أجاب الخازن عن هذا السؤال بعينه فقال ما نصه[2]: «**قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة:**

أحدها: أن القرءان أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين:

أحدهما: الإيجاز للاختصار والـموجز الذي لا يخفى على سامعه لا يحتمل غير ظاهره، والإطالة لبيان الـمراد والتوكيد.

الضرب الثاني: الـمجاز والكنايات والإشارات والتلويحات وإغماض بعض المعاني، وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فأنزل الله تعالى القرءان على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو نزل كله محكمًا

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (ج١، ص٣٣٨).

واضحًا لقالوا: هلا أنزل بالضرب المستحسن.

الجواب الثاني: أن الله تعالى أنزل الـمتشابه لفائدة عظيمة وهي أن يشتغل أهل العلـم والنظر بردهم الـمتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم. ولو أنزل القرءان كله محكمًا لاستوى في معرفته العالـم والجاهل ولـم يفضل العالـم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة، ومع الغموض تقع الحاجة إلى الفكرة والحيلة إلى استخراج الـمعاني. وقد قيل في عيب الغنى إنه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر إنه يورث الفطنة. وقيل: إنه يبعث على الحيلة لأنه إذا احتاج احتال.

الجواب الثالث: أن أهل كل علـم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لأنهم إذا قدروا على انتزاع الـمعاني الغامضة كانوا على الواضح أقدر، فلـما كان ذلك حسنًا عند العلـماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من الـمتشابه على هذا النحو.

الجواب الرابع: أن الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبرًا به عباده ليقف الـمؤمن عنده ويرد علمه إلى عالمه فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلي بنو إسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده»[1].

(١) انتهى كلام الخازن في اللباب.

المبحث العاشر
التأويل بين إجمالي وتفصيلي

ليعلم أن الألفاظ الواردة في الكتاب والسنن المروية التي يوهم ظاهرها التشبيه وكون البارئ تعالى جسمًا متبعضًا متجزئًا كلها محتملة لمعان وراء الظاهر. وفي حمل هذه الآيات على ظواهرها على ما حملت المجسمة والمشبهة إثبات المناقضة بين آيات الكتاب وهي كلها حجج الله، ومن تناقضت حججه فهو سفيه جاهل بمآخذ الحجج ومقاديرها، والله تعالى حكيم لا يجوز عليه السفه، عالم لا يجهل. ولو حملت هذه الآيات على ما يوافق حجج العقول لكان فيه إثبات الموافقة بين الحجج، وذلك مما تقتضيه الحكمة البالغة. فحمل تلك الدلائل السمعية على ظواهرها كان محالًا ممتنعا. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[1] ءاية محكمة غير محتملة للتأويل، فحمل تلك الآيات على خلاف هذه فيه إثبات المشابهة بينه وبين جميع الأجسام في التَّرَكُّبِ والتَّبَعُّضِ والتَّجَزُّؤِ والتناهي وإثبات الحدود والجهات، وإثبات المناقضة بين آيات الكتاب، وفي الحمل على بعض الوجوه المحتملة دفع التناقض والاختلاف، وبه أثبت الله تعالى كون القرءان من عنده، وبثبوت المناقضة أوجب كونه من عند غيره على ما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2].

فالمجسمة لما جوّزوا إثبات التناقض في القرءان كانوا بين أمرين: إمّا أن

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) سورة **النساء**، ءاية ٨٢.

يجعلوا القرءان من عند غير الله، وإما أن ينسبوا الله تعالى إلى الخطأ بجعله الاختلاف دليل كون القرءان من عند غيره، حيث ثبت الاختلاف ولـم يكن من عند غيره. وكلا الأمرين كفر صريح، وبالله العصمة.

والواجب في هذه الآيات والأحاديث أن نتلقى ما ورد من ذلك بالإيمان به والتسليم له والاعتقاد بصحته، وأن لا نشتغل بكيفيته والبحث عنه، مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس بجسم ولا شبيه بالـمخلوقات، وأن جميع أمارات الحدث عنه منتفية.

فمن هنا يعلـم أن التأويل منه ما هو إجمالي ومنه ما هو تفصيلي، وبيان معنى ذلك وأن التفويض الذي ذكره السلف الصالح وقولهم[1]: «أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كيفية» كلّ ذلك هو من التأويل الإجمالي.

فالسلف والخلف مؤَوِّلُون، لإجـماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره، ولكن تأويل السلف إجـمالي لتفويضهم إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة الـمبتدعين[2]. يقول العلامة أحمد بن محمد الدردير العدوي[3] في «**شرح الخريدة البهية**»[4] ما نصه: «والحاصل أنه لا بد من تأويل، أي حمل اللفظ على غير ظاهره إلا أن الخلف عينوا الـمحامل،

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج١٣، ص٤٠٧).

(٢) علي القاري، **مرقاة الـمفاتيح شرح مشكاة الـمصابيح**، (ص١٣٤).

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير: فاضل، من فقهاء الـمالكية. ولد في بني عدي بمصر سنة ١١٢٧هـ وتعلـم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٠١هـ. من كتبه «أقرب الـمسالك لـمذهب الإمام مالك» و«منح التقدير» في شرح مختصر خليل، فقه. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٤٤).

(٤) أحمد الدردير، **شرح الخريدة في علـم التوحيد**، (ص٢٣٣).

فتأويلهم تفصيلي، وتأويل السلف إجمالي، فقول العلامة اللقاني: وكل نص أوهم التشبيها... أوله، أي تفصيلًا. وقوله: أو فوض، أي بأن تؤوله إجمالًا على معنى أنك لا تعين له محملًا بدليل قوله بعده: ورم تنزيها».

قال الشيخ محمد بن صالح السباعي[1] معلقًا على كلام أحمد بن محمد الدردير العدوي ما نصه[2]: «(قوله: السلف) ويعبر عنهم بالـمفوِّضَة، وعن الخلف بالـمؤَوِّلة. واعلـم أنه وقع الاتفاق من أهل الحق وغيرهم على تنزيهه تعالى عن كل ما يوهم ظاهره خلاف ما وجب له تعالى كان من الكتاب أو السنة خلافًا للـمجسمة والـمشبهة متمسكين في إثبات الجسمية له تعالى بتلك الظواهر الواجبة التأويل لقبولها إياه».

ـ التأويل الإجمالي:

تعريفه:

هو صرف الآية عن ظاهرها الـموهم للتشبيه، مع ترك الخوض في تعيينِ معنًى تقتضيه لغة العرب ويليق بجلال الله وعظمته ولا يتناقض مع الآيات الأخرى. وهو الـمعبر عنه بالتفويض. وهذا هو المراد بقول الشافعي: «آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»[3].

---

(١) ابن أبي السعود، محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري الشافعي، عارف بالتفسير. له: «حاشية على تفسير الجلالين». **توفي سنة ١٢٦٨هـ. الأعلام، الزركلي، (ج٦، ص١٦٤).**

(٢) ابن أبي السعود السباعي، **حاشية الإمام السِّباعي على شرح الدردير على الخريدة في علـم التوحيد، (ص٢٣٣).**

(٣) تقي الدين الحصني، **دفع شبه من شبّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، (ص٥٦).**

ويعضده ما قاله الشيخ محمد زاهد الكوثري[1] في «**تكملة الرد على النونية**»[2] ونصه: «التفويض مع التنـزيه هو مذهب جمهور السلف، والصحابة كلهم أجمعوا على تنـزيه الله سبحانه عن مشابهة الـمخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله، ومن ضرورة ذلك صرف الألفاظ الـمستعملة في الخلق عن معانيها الـمتعارفة بينهم إلى معان تتسامى عنها عند نسبة تلك الألفاظ إلى الله سبحانه على مقتضى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[3] وهو تأويل إجمالي».

وبمعناه التفويض، فقد قال ابن فارس في معنى التفويض اللغوي ما نصه: «الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على آخر وردّه عليه، ثم يفرّغ فيرد إليه ما يشبهه، ومن ذلك: فوّض إليه أمره إذا ردّه إليه، قال الله تعالى إخبارًا عن العبد الصالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٤٤﴾﴾[4].

ومن ذلك قولهم: باتوا فوضى، أي مختلطين، ومعناه أن كلًّا فوّض أمره إلى الآخر»[5].

---

(١) الكوثريّ، محمّد زاهد بن الحسن بن عليّ، فقيه حنفيّ، جركسيّ الأصل، له اشتغال بالأدب والسير. ولد ونشأ في قرية من أعمال دوزجة بشرقي الآستانة، اضطهده «الاتحاديون» لمعارضته خطّتهم في إحلال العلوم الحديثة محلّ العلوم الدينية في أكثر حصص الدراسة، كان يجيد العربية والتركية والفارسية والجركسية، له تعليقات كثيرة على بعض الـمطبوعات في أيامه، في الفقه والحديث والرجال، وله تآليف، منها: «الاستبصار في التحدُّث عن الجبر والاختيار»، وله نحو مائة مقالة جمعها السيد أحمد خيري في كتاب مقالات الكوثريّ. ولد سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٧١هـ. الزركليّ، **الأعلام**، (ج٦، ص١٢٩).

(٢) الكوثري، **تكملة الرد على نونية ابن القيم**، (ص١٣١).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) سورة **غافر**، ءاية ٤٤.

(٥) أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج٤، ص٤٦٠).

وجاء في اللسان: «فوّض إليه الأمر: أي صيّره إليه، وجعله الحاكم فيه، وفي حديث الدعاء: «**فوّضت أمري إليك**»، أي رددته إليك، يقال: فوّض أمره إليه إذا ردّه إليه، وجعله الحاكم فيه»[1].

وجاء في التعريف الاصطلاحي لمعنى التفويض من خلال التعريف اللغوي السابق أنه ردُّ العلم بالنصوص الموهمة للتشبيه وكذا النصوص التي لا يتوصل الباحث إلى درك معانيها إلى الله تعالى، وعدم التعرض لمعانيها، وإمرارها كما جاءت من غير تحريف، ولا تكييف[2]، ولا زيادة، ولا نقصان مع تنزيه الله واعتقاد أن الظاهر المتبادر إلى الأذهان غير مراد[3].

قال الشيخ إبراهيم الباجوري في «**شرح جوهرة التوحيد**»:

«والمراد من التفويض صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى بأن يقول: الله أعلم بمراده»[4].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: فوض. الماوردي، **تفسير الماوردي**، (ج٥، ص١٥٨). ابن الجوزي، **زاد المسير**، (ج٧، ص٤٦).

(٢) قال الترمذي: «وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات في الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله ابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة». الترمذي، **سنن الترمذي**، (ج٣، ص١٩).

(٣) وهذا يتناسب مع تعريف التفويض في «عمدة القاري»، فقد قال صاحبه فيه ما نصه: «وهو الإيمان بأنها حق على ما أراد الله ولها معنًى يليق به، وظاهرها غير مراد». بدر الدين العيني، **عمدة القاري**، (ج١٩، ص١٨٨).

(٤) اللقاني، **شرح جوهرة التوحيد**، (ص١٤٩).

تنبيه:

كما سبق البيان، فقد ذكر علي القاري[1] في كتابه «**مرقاة المفاتيح**» أن السلف الصالح وهم أهل القرون الثلاثة الأولى ذهبوا مذهب التأويل الإجمالي.

قلت: لكن لا ينتفي كون بعض السلف أول تأويلًا تفصيليا، فما نقله علي القاري وغيره يعني أن أكثرهم كان هذا شأنه ولا يعني أن الكل كانوا كذلك. ولسوف نبين لاحقا أنه قد ثبت عن بعضهم التأويل التفصيلي.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۝٥٤﴾[2] ما نصه[3]: «للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مسلك السلف الصالح، مالك والأوزاعي[4]

---

(١) علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي القاري فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤هـ. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفًا وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبًا كثيرة، منها «تفسير القرءان» ثلاثة مجلدات، و«الأثمار الجنية في أسماء الحنفية» و«الفصول المهمة» فقه، و«بداية السالك»، و«شرح مشكاة المصابيح» و«شرح مشكلات الموطأ» و«شرح الشفاء» و«شرح الحصن الحصين» في الحديث، و«شرح الشمائل». الزركلي، **الأعلام، (ج٥، ص١٢)**.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٤.

(٣) ابن كثير، **تفسير ابن كثير، (ج٢، ص٢١١)**.

(٤) الأوزاعيّ، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرٍو، كان مولده ببعلبك في حياة الصحابة سنة ٨٨هـ. روى عن كثير من التابعين، كان خَيِّرًا فاضلًا، مأمونًا، كثير العلم والحديث والفقه، حُجَّة. قال عبد الرزّاق: «أول مَنْ صنّف ابن جُرَيْج، وصنّف الأوزاعي». وقال إسماعيل بن عيّاش: «سمعت الناس في سنة ١٤٠هـ يقولون: الأوزاعيّ اليوم عالم الأمة». توفّي الأوزاعي سنة ١٥٧هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٦، ص٦٢-٧٥)**، رقم الترجمة ١١٨٤.

والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه[1] وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]».

وقال السيوطي[3]: «ومن المتشابه آيات الصفات. وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها».

تنبيه:

ليس معنى أن أكثر السّلف لم يفسّروا المتشابه ولا تكلموا في معناه أنهم أعرضوا عن النصوص المتشابهة ولم يعملوا بما فيها، فهم لم ينكروا ما ورد في هذه النصوص، بل يعتقدون أن لها معنًى لائقًا بذاته تعالى يعلمه الشّارع غير الظاهر الذي يوهم التشبيه، ومنهم من تكلّم في المعنى صارفًا له عن الظاهر كما سيأتي بيانه، ثمّ إن كثيرًا من المتشابهات قد فهم منها السّلف الصالح ما سيقت من أجله على الإجمال، فمثلًا حديث النزول رواه

---

(١) إسحاق بن راهويه، هو إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله التميميّ ثم الحنظليّ المروزيّ، نزيل نيسابور، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفّاظ، أبو يعقوب. لقي الكبار وكتب عن خلق من أتباع التابعين، قال عنه الإمام أحمد: «لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرًا». وقال ابن خزيمة: «والله لو كان إسحاق في التابعين، لأقرّوا له بحفظه وعلمه وفقهه». ولد سنة ١٦١هـ، وتوفّي سنة ٢٣٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٢٠٤-٢١٦)**، رقم الترجمة ٢٠١٥.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) السيوطي، **الإتقان في علوم القرءان، (ج٣، ص١١)**.

البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو داود، فهؤلاء الأئمة فهموا أن الحديث أتى للدلالة على فضل الثلث الأخير من الليل والحث على الدعاء والاستغفار في ذلك الوقت، ولم يتعرضوا لمعنى النزول أصلًا.

وكذلك حديث: «**يضحك الله إلى رجلين**» الحديث، أخرجه البخاري فساقه بشرى لكل من يدخل في الإسلام فيجاهد لنصرة الدين بعد أن كان من قبل يحاربه موردا الحديث في كتاب الجهاد والسير باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ولم يتعرض في هذا الموضع للفظة يضحك أصلًا مع أنه قد تعرّض لتأويل الضحك بالرحمة، وقد أثبت ذلك البيهقي، وسيأتي الكلام على هذا الحديث تفصيلًا إن شاء الله.

وكذلك حديث: «**من تصدق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ، فإن الله يأخذها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل**». فهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الزكاة تحت أبواب تدلُّ على الحثِّ على الصدقة من الكسب الطيب، فالحديث يُفهم منه الحثُّ على الصدقة وأن الله ينمي ثوابها لصاحبها، هذا المعنى الذي يفهمه كل أحد مع عدم التعرّض لكلمة «**بيمينه**».

وكذلك حديث: «**إذا تقرّب العبد إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا**»، فقد أخرجه البخاري[1] ومسلم[2]، وهكذا.. وهذا هو طريق السّلف، فقد فهموا من هذه

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، (ج٦، ص٢٧٤١).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، (ص١٠٣٣)، **حديث** ٢٦٧٥.

المتشابهات ما سيقت من أجله من أعمال الخير وحثّوا عليها، وتبويبهم في مصنفاتهم أكبر دليل على ذلك.

وقد قال الشيخ العزامي القضاعي ما نصه[1]: «قال تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴿٣٥﴾﴾[2]، فهل فهم أحد من السّلف أنه هو ذلك النور الفائض على الحيطان والجدران المنتشر في الجو؟! جلَّ مقام العلماء بالله تعالى وكتابه أن يفهموا هذا المعنى الظاهر العامي.

قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه عنه الطبري بالسند الصحيح ما نصه: «الله سبحانه هادي أهل السماوات والأرض، وروي نحوه عن أنس بن مالك. وروي عن مجاهد أن معناه المدبّر، تعالى الله عن صفات الأجسام وسمات الحدوث. وهكذا لو استقريت أقوال السلف من مظانّها لرأيت الكثير الطيّب من بيان المعاني اللائقة بالله تعالى على سبيل التعيين، فمن نقل عدم التعيين مطلقًا عن السلف فما دقق البحث ولا اتسع اطّلاعه». ويعني بالتعيين التأويل التفصيلي الوارد عن بعض السّلف كما سيأتي.

وقال أيضًا موضّحًا هذا المعنى: «**تنبيه مهم**: إذا سمعتَ في عبارات بعض السّلف: «إنّا نؤمن بأن له تعالى وجهًا لا كالوجوه ويدًا لا كالأيدي»، فلا تظنّ أنهم أرادوا أن ذاته العلي منقسم إلى أجزاء وأبعاض، فجزءٌ منه يدٌ وجزءٌ منه وجهٌ غير أنه لا يشابه الأيدي والوجوه التي خلق! حاشاهم من ذلك، وما هذا إلا التشبيه بعينه، وإنما أرادوا بذلك أن لفظ الوجه واليد قد استُعمل في معنًى من المعاني التي تليق بالذات العليّ كالعظمة والقدرة، غير أنهم يتورعون

---

(١) القضاعي العزامي، **فرقان القرءان**، (ص١٠٤).

(٢) سورة **النور**، ءاية ٣٥.

عن تعيين تلك الصفة».

وجاء في «**تاريخ المذاهب الإسلامية**» للشيخ محمد أبو زهرة ما نصه[1]: «فهل يُتصوّر أن الذين يبايعون النبي ﷺ تحت الشجرة عندما يتلون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴿١٠﴾﴾[2]، يفهمون أن اليد ليست كيد المخلوقات يعني يدًا حقيقيّةً كما يقول أصحاب الظاهر ولكنها ليست كيد المخلوقات ولا يفهمون أن المراد سلطان الله تعالى وقدرته، بدليل ما فيها من تهديد لمن ينكث بأنّ مغبّة النّكث تعود عليه؟ ولذلك نحن نرجّح منهاج الماتريدي ومنهاج ابن الجوزي، ونرى أن الصحابة كانوا يفسّرون بالمجاز إن تعذّر إطلاق الحقيقة».

أمثلة من العبارات الواردة عن السّلف في مسألة النصوص المتشابهة التي تدلُّ على التفويض، أو عدم ذكر المعنى أو عدم التفسير على ظاهرها ما يلي:

- **من المكتوم الذي لا يُفسّر**[3]. ابن عباس.
- **لا كيف ولا معنى**[4]. الإمام أحمد.
- **لا نَصِفُ الله بأكثرَ مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية**[5]. الإمام أحمد.
- **نُمِرها كما جاءت بلا كيف، ولا معنى**[6]. الإمام أحمد.
- **آمنّا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنّا برسول الله وبما جاء عن**

---

(١) محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، (ج١، ص٢٣٧).

(٢) سورة **الفتح**، ءاية ١٠.

(٣) بتحديد معنًى له مع اعتقاد التنزيه.

(٤) من معاني التشبيه أو من غير تحديد معنًى مع نفي التشبيه.

(٥) أي أنه منزه عن الحد والكمية.

(٦) أي نمرّها بلا ذكر المعنى.

رسول الله على مراد رسول الله عليه الصلاة والسلام. الإمام الشافعي.
- **لا يفسّرون شيئًا منها**[1]. وكيع بن الجرّاح[2] عانيًا سفيان بن عيينة.
- **على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده**. الإمام الأشعري.
- **تفسيره على ما أراده الله وعَلِمَهُ، ومعناه الذي أراده**. الإمام الطحاوي[3].
- **يؤمن بها ولا تُفسّر**[4] **ولا يُتوهم ولا يقال كيف**. الترمذي[5].

---

(١) أي بوضع معانٍ يجزمون بأنها هي المراد مع اعتقادهم التنزيه الكامل.

(٢) وكيع بن الجراح، بن مليح، بن عدي، بن فرس، بن جمجمة، بن سفيان، بن الحارث، بن عمرو، ابن عبيد، بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام. ولد سنة تسع وعشرين ومائة، قاله أحمد بن حنبل. وقال خليفة وهارون بن حاتم: «ولد سنة ثمان وعشرين وَمِائَةَ». واشتغل في الصغر. وسمع من: هشام بن عروة، وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، وابن عون، وابن جريج، وداود الأودي، ويونس بن أبي إسحاق، وأسود ابن شيبان، وهشام بن الغاز، والأوزاعي، وغيرهم كثير. قال أبو هشام الرفاعي: «مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء فدفن بفيد، يعني راجعًا من الحج». وقال أحمد بن حنبل: «حج وكيع سنة ست وتسعين، ومات بفيد». قلت: عاش ثمانيًا وستين سنة سوى شهر أو شهرين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٩، ص١٤٠)** وما بعدها، رقم الترجمة ٤٨.

(٣) الطحاوي، الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر، أحمد ابن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مولده في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقيل قبل ذلك. تفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيًا. وسمع من عبد الغني بن رفاعة، وهارون بن سعيد الأيلي، ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم. وبرز في علم الحديث وفي الفقه، وتفقه بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي، وجمع وصنف. حدث عنه: يوسف بن القاسم الميانجي، وأبو القاسم الطبراني، ومحمد بن بكر بن مطروح، وخلق سواهم من الدماشقة والمصريين والرحالين في الحديث. ارتحل إلى الشام في سنة ثمان وستين ومائتين. فلقي القاضي أبا خازم، وتفقه أيضا عليه. صنف «اختلاف العلماء» و«الشروط»، و«أحكام القرءان»، و«معاني الآثار». توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٥، ص٢٧-٣٣)**، رقم الترجمة ١٥.

(٤) أي لا يُجزم بأن هذا هو معناها مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه.

(٥) الترمذي، محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك، الحافظ، العَلَم، الإمام، البارع، الترمذيّ الضرير، مصنف «الجامع» و«العلل» وغير ذلك. ولد في حدود سنة ٢١٠ هـ، وارتحل=

- **ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها**. عزاه للسلف إمام الحرمين.
- **إمرارها كما جاءت**. عزاه ابن الجوزي لأكثر السّلف.
- **معنى الإمرار عدم العلم بالمراد مع اعتقاد التنزيه**. ابن الجوزي.
- **يُفوَّضُ معناها إلى الله تعالى**. عزاه الذهبي[1] والنووي وابن حجر وكثير غيرهم إلى السّلف.
- **السكوت عن الخوض في معناه**. عزاه للسّلف مرعي[2] بن يوسف المقدسي.
- **لا يُتكلم في معناها**. نسبه النووي إلى السلف.
- **وما أدركنا أحدًا يُفسّر منها شيئًا، ونحن لا نفسّر منها شيئًا، نصدّق بها**

= فسمع بخراسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى مصر والشام. حدث عن: قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن عمرو السواق البلخي، وغيرهم. حدث عنه: أبو بكر أحمد ابن إسماعيل السمرقندي، وأبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزي، وأحمد بن علي بن حسنويه المقرئ وآخرون. قال الحاكم: سمعت عمر بن عَلَّك يقول: مات البخاريّ فلم يخلِّف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ، والورع والزهد. توفّي في الثالث عشر من رجب سنة ٢٧٩هـ بترمذ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٣، ص٢٧٠-٢٧٧)**، رقم الترجمة ١٣٢.

(١) الذهبيّ (المجسم)، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، مؤرّخ، تركمانيّ الأصل، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان. تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها: «سِيَرَ أعلام النبلاء»، و«دول الإسلام»، و«المشتبه في الأسماء والأنساب»، و«تاريخ الإسلام الكبير»، و«تذكرة الحفّاظ»، و«العبر في خبر من عبر»، و«تذهيب تهذيب الكمال» وغيرها. ولد سنة ٦٧٣ هـ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ. الزركليّ، **الأعلام، (ج٥، ص٣٢٦)**.

(٢) مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء. ولد في طولكرم «بفلسطين» وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفي فيها. له نحو سبعين كتابًا، منها: «بديع الإنشاء والصفات»، و«ديوان شعر»، و«إحكام الأساس في أول بيت وضع للناس». توفي سنة ١٠٣٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٧، ص٢٠٣)**.

ونسكت[1]. أبو عبيد القاسم بن سلام.

وليس المراد بأيٍّ من هذه العبارات النهي عن صرف النصِّ عن ظاهره، بل المراد أننا نؤمن بها لورود الشرع بها مع تنزيه الله عن كلِّ ما لا يليق به كما دلَّ على ذلك قولهم بلا كيف ونحوه.

ـ التأويل الإجمالي عند إمام دار الهجرة مالك بن أنس:

سئل إمام دار الهجرة الإمام مالك عن الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2] فأجاب للرجل الذي سأله عن ذلك: «استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع»[3].

ـ التأويل الإجمالي عند ابن دقيق العيد:

قال أبو الفتح محمد القشيري المالكي المعروف بابن دقيق العيد ما نصه: «نقول في الصفات المشكلة إنها حقٌّ وصدق على المعنى الذي أراده الله، ومن تأولها نظرنا فإن كان تأويله قريبًا على مقتضى لسان العرب، لم ننكر عليه، وإن كان بعيدًا توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه»[4].

ـ التأويل الإجمالي عند صاحب الجوهرة:

قال صاحب الجوهرة:

---

(١) أي عن تحديد معنًى لها مع نفي كل ما كان من صفات المخلوقين عن الله تعالى.

(٢) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٨).

(٤) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٣٨٣).

«وكـــلُّ نـــصٍّ أوهـــمَ التشبيها أوّلـــه أو فـــوّض ورُمْ تنزيها».

فقوله فوِّض يعني به أوِّله تأويلًا إجماليًّا ورُم تنزيها.

ـ التأويل الإجمالي عند الخطابي:

قال حمد بن محمد بن الخطاب البُستي الشهير بأبي سليمان الخطابي في كلامه عن حديث السّاق ما نصه: «هذا القول تهيّب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر[1] لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب»[2].

ـ التأويل الإجمالي عند ابن اللبان[3]:

قال الفقيه عبد الله بن محمد البكري الوائلي المعروف بابن اللبان ما نصه: «فإن قلت فما حقيقة اليدين في خلق آدم؟ قلت: الله أعلم بما أراد».

ـ التأويل الإجمالي عند أبي سعيد المتولي:

قال أبو سعيد عبد الرحمن بن مأمون المتولي النيسابوري[4] عند كلامه

---

(١) أي أمروه كما جاء، وهي عبارة مروية عن السلف.

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات، (ج٥، ص١٤)**.

(٣) ابن اللبّان، العلامة، أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن المحدّث عبد الله بن محمّد بن عالم أصبهان النعمان بن عبد السلام التيميّ. لزم أبا بكرٍ الباقلاني، وأبا حامد الأسفراييني، وبرع في الأصول والفروع، وصنّف التصانيف، وكان أحد أوعية العلم، ثقة، وجيز العبارة، توفّي بأصبهان سنة ٤٤٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص٣٦٤)**، رقم الترجمة ٤٢١٧.

(٤) المتولّي، العلامة، شيخ الشافعية، أبو سعد عبد الرحمن بن مأمون بن عليّ النيسابوريّ، المتولّي. درّس ببغداد بالنِّظامية بعد الشيخ أبي إسحاق، ثم عُزِل بابن الصبّاغ، ثم بعد مُدَيْدَة =

على المتشابه ما نصه[1]: «فلأصحابنا في ذلك طريقان أحدهما الإعراض عن التأويل والإيمان بها كما جاءت، والإيمان بها صحيح وإن لم يُعرف معناها».

ـ التأويل الإجمالي عند الغزالي:

قال أبو حامد الغزالي ما نصه: «العلم بأنه تعالى استوى على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء»[2].

وقال أيضًا: «وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته»[3].

ـ التأويل الإجمالي عند البغوي:

قال الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المعروف بابن الفرّاء في تفسيره قوله تعالى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾[4] ما نصه: «الأولى في هذه الآية

=أعيد إليها، تفقّه بالقاضي حسين، وبأبي سهل أحمد بن عليّ بنجارى، وبرع وبذَّ الأقران. وله كتاب «التتمة» الذي تمّم به «الإبانة» لشيخه أبي القاسم الفورانيّ، فعاجلته المنية عن تكميله، انتهى فيه إلى الحدود، وله مختصر في الفرائض، وآخر في الأصول. مات ببغداد سنة ٤٧٨هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١١، ص٦٨٥)، **رقم الترجمة ٤٥٤٣**.

(١) النيسابوري، **الغنية في أصول الدين**، (ج١، ص٧٦).

(٢) الغزالي، **قواعد العقائد**، (ج١، ص٥٢).

(٣) الغزالي، **قواعد العقائد**، (ج١، ص٩).

(٤) سورة **البقرة**، ءاية ٢١٠.

وفيما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى»[1].

وقال أيضًا عند قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾[2]: «يد الله صفة من صفات ذاته، وقال جل ذكره ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾[3] وقال ﷺ: «**كلتا يديه يمين**»[4] والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم»[5].

وكذلك تكرر مثل كلامه هذا عندما تعرَّض لأحاديث الصفات، ففي كتابٍ آخر[6] له يقول: «ما لا سبيل إلى معرفة كنهه والوقوف على حقيقته، ولا يعلمه إلا الله.. ولم يُكشف لنا عن سرّه».

ـ التأويل الإجمالي عند السيد أحمد الرفاعي[7] رضي اللّه عنه:

قال الولي الصالح السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه: «فما بقي إلا ما قاله صلحاء السلف وهو الإيمان بظاهر كل ذلك، وردُّ علم المراد

---

(١) البغوي، **تفسير البغوي**، (ج١، ص١٨٤).

(٢) سورة **المائدة**، ءاية ٦٤.

(٣) سورة **ص**، ءاية ٧٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٠، ص٢٠١).

(٥) البغوي، **تفسير البغوي**، (ج٢، ص٥٠).

(٦) البغوي، **شرح السنة**، (ج١، ص٢٢٢).

(٧) الرفاعي، الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس، أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي. قدم أبوه من المغرب، وسكن البطائح، بقرية أم عبيدة. وتزوج بأخت منصور الزاهد، ورزق منها الشيخ أحمد وإخوته. وكان أبو الحسن مقرئًا يؤم بالشيخ منصور، فتوفي وابنه أحمد حمل. فرباه خاله، فقيل: كان مولده في أول سنة خمسمائة. كان شافعيا يعرف الفقه. وكان كثير الاستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص. توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في جمادى الأولى رحمه الله. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢١، ص٧٧-٨٠)، رقم الترجمة ٢٨.

إلى الله ورسوله مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث، وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحدٍ أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله»[1].

ـ التأويل الإجمالي عند الزركشي:

قال الإمام الزركشي: «اختلف الناس في الوارد منها يعني المتشابهات في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق أحدها: لا مدخل للتأويل فيها، بل تُجرى على ظاهرها[2]، ولا نؤول شيئًا منها[3]، وهم المشبهة.

والثاني أن لها تأويلًا ولكنّا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل، ونقول لا يعلمه إلا الله، وهو قول السّلف.

والثالثة أنها مؤولة وأولوها على ما يليق به. والأول باطل يعني مذهب المشبهة والأخيران منقولان عن الصحابة»[4].

ـ التأويل الإجمالي عند النووي:

ورد عن النووي التأويل الإجمالي في مواضع متعددة في شرحه على

---

(١) أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**.

(٢) هذا قول المشبهة في حمل المتشابه على الظاهر، وهو قول باطل لا حجة لهم فيه.

(٣) قولهم هذا ليس اتباعًا للسلف، بل هو اتباعٌ لرأيهم الشّاذ، فهم اعتمدوا على قاعدة باطلة وهي التأويل تعطيل، وهذا قول مردود باطل. يقال لأمثال هذه الفرق، من نسب لله النسيان ما حكمه بدون أدنى شك؟ فسيكون جوابهم أنه كافرٌ خارجٌ من ملة الإسلام، يقال لهم: ماذا تقولون في قوله تعالى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ۝٦٧﴾؟! لا حجة ولا برهان لهم. وسيأتي البيان مفصلًا في إثبات التأويل بعون الله تعالى.

(٤) الزركشي، **البرهان في علوم القرءان، (ج٢، ص٢٠٧)**.

صحيح مسلم، ومن ذلك قوله عند حديث: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين..**» الحديث ما نصه: «هذا من أحاديث الصفات وفيه القولان السابقان قريبًا: أحدهما الإيمان بهما من غير التعرّض لتأويل ولا لمعرفة المعنى، بل يؤمن بأنها حق، وأن ظاهرها غير مراد، والثاني يتأول».

ـ التأويل الإجمالي عند الكرماني:

قال الكرماني في حديث من أحاديث الصفات: «حُكْمُ هذا حُكمُ سائر المتشابهات، إما التفويض وإما التأويل»[1].

وقال أيضًا عن حديثٍ آخر: «هذا الحديث من المتشابهات، فإما مفوَّض وإما متأوَّل»[2].

ـ التأويل الإجمالي عند ابن حجر العسقلاني:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كلامه على المذاهب في مسألة الصفات: «والثالث إمرارها كما جاءت مفوِّضًا معناها إلى الله تعالى»[3].

ـ التأويل الإجمالي عند ملا علي القاري:

قال الفقيه الحنفي ملا علي القاري ما نصه: «أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوضون علمها يعني آيات الصفات إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخلف

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٠١).

(٢) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٣٢).

(٣) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٣٩٠).

يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الأقدس والكمال الأنفس واضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم»[1].

ـ التأويل الإجمالي عند العراقي[2]:

قال الحافظ العراقي ما نصه: «تكرر ذكر وجه الله تعالى في الكتاب والسنة وللناس في ذلك كغيره من الصفات مذهبان مشهوران أحدهما إمرارها كما جاءت من غير كيف فنؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وثانيهما تأويلها على ما يليق بذاته الكريم»[3].

ـ التأويل الإجمالي عند ابن جماعة:

قال ابن جماعة في «**إيضاح الدليل**» ما نصه: «والقسم الثاني القائلون بالقول المعروف بقول السلف وهو القطع بأن ما لا يليق بجلال الله تعالى غير مراد والسكوت عن تعيين المراد من المعاني اللائقة بجلال الله تعالى إذا

---

(١) ملا علي القاري، **مرقاة المفاتيح**، (ج١، ص٢٦٠).

(٢) الحافظ العراقيّ، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، بحّاثة، من كبار حفّاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازان «من أعمال إربل». تحوّل صغيرًا مع أبيه إلى مصر، فتعلّم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين. من كتبه: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار»، و«ذيل على الميزان»، و«الألفية»، و«تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد»، و«التقييد والإيضاح». ولد سنة ٧٢٥هـ، وتوفّي سنة ٨٠٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٣٤٤، ٣٤٥). ويقال أن «فتح المغيث» للعراقي إلَّا أنَّ الصحيح أنه اسمُ شرحٍ للسخاوي على الألفية. أما العراقي فكان إذا أراد ذكر شرح الألفية في بعض كتبه يقول شرحً التبصرة والتذكرة، والله أعلم.

(٣) العراقي، **طرح التثريب شرح التقريب**، (ج٣، ص١٠٣).

كان اللفظ محتملًا لمعاني تليق بجلال الله تعالى»[1].

ـ التأويل الإجمالي عند عبد الحميد بن باديس[2]:

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس: «نثبت له ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما على ما يليق به تعالى بلا كيف وبأن ظاهرها المتعارف في حقّنا غير مراد»[3].

ـ التأويل التفصيلي:

تعريفه:

التأويل[4] هو صرف الآية عن ظاهرها الموهم للتشبيه، فإن اقتصر على ذلك من غير التعرض أو الخوض في المعاني المحتملة فهو إجمالي،

---

(١) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ج١، ص٣٩).

(٢) ابن باديس، عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي المعروف بابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م، إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة «الشهاب» علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدًا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرًا من المدارس. توفي بقسنطينة في حياة والده. له: «تفسير القرآن الكريم». **ولد سنة ١٣٠٥هـ، وتوفي سنة ١٣٥٩هـ. الزركلي، الأعلام، (ج٣، ص٢٨٩)**.

(٣) عبد الحميد بن باديس، **العقائد الإسلامية من الآيات القرءانية، (ص٥٩)**.

(٤) ورد تعريف التأويل فيما سبق. ومن أراد الاستزادة فليراجع: **شرح التفتازاني على العقائد النسفية، ومناهل العرفان** للزرقاني، **وفرقان القرءان** لسلامة العزامي.

وإلا فتفصيلي ويكون بتعيين معنى مما تقتضيه لغة العرب مما لا يخالف الآيات الأخرى ويليق بجلال الله وعظمته، فإن لم يكن للنصِّ بعد صرفه عن المعاني المستحيلة على الله إلا معنى واحد في اللغة تعيَّنَ أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان فصاعدًا صرفه الراسخون في العلم إلى ما دلَّ عليه الدليل وكان ملائمًا للسياق، لكن من غير الجزم بأن هذا المعنى هو المراد دون غيره، بل على معنى الاحتمال بأن يكون هو المعنى المراد.

قال الإمام النووي في «**شرح صحيح مسلم**»[1] ما نصه: «اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيّز في جهة، وعن سائر صفات الخلق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في العلم».

فانظر إلى قول الإمام النووي كيف يؤيد ما سبق ذكره من أن مذهب معظم السلف التأويل بالإجمال أي بلا تفصيل أو تعيين للمعنى المراد، بل كان شأنهم الالتزام بما ورد، واعتقاد أن لها معنى في الشرع لا يخالف محكمات

---

(١) النووي، **شرح صحيح مسلم**، (ج٣، ص١٩).

الكتاب ولا يناقض العقل، دون الدخول في تعيين أو تفصيل أو تحديد أو تغليب لـمعنى على آخر. وما قول الإمام النووي «أو كلهم» إلا دليل على أن هذا شأن الكل إلا ما ندر وسنأتي على بيان ذلك.

والحاصل أنه لا بد من تأويل، أي حمل اللفظ على غير ظاهره إلا أن الخلف عيّنوا الـمحامل، فتأويلهم تفصيلي، وتأويل السلف إجمالي، فقول العلامة اللقاني:

«وكل نص أوهم التشبيها»، أوله، أي تفصيلًا. وقوله: أو فوض، أي بأن تؤوله إجمالًا على معنى أنك لا تعين له محملًا بدليل قوله بعده: «ورم تنزيها»[1].

بهذا يتضح أكثر فأكثر كون التأويل على قسمين، فمنه ما هو إجمالي وهو كما ذكر النووي مذهب غالب السلف، ومنه ما هو تفصيلي وهو مذهب الـمتكلـمين.

ثم إن التأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضًا عن غير واحد[2] من أئمة السلف وأكابرهم كترجمان القرءان ابن عباس من الصحابة، ومجاهد تلـميذ ابن عباس من التابعين، والإمام مالك بن أنس والإمام محمد بن إدريس الشافعي والإمام أحمد بن حنبل ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاري وغيره. وفيما يلي بيان ذلك.

---

(١) أحمد الدردير، **شرح الخريدة في علـم التوحيد**، ص٢٣٣.

(٢) سيأتي مفصلًا إن شاء الله.

ـ التأويل التفصيلي عند ابن عبّاس رضي الله عنهما:

قال الحافظ ابن حجر في «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**»[1] ما نصه: «وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[2] قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق إذا اشتدت ومنه: [الرجز]

قد سنّ أصحابُك ضربَ الأعناقْ وقامتِ الحربُ بنا على ساق».

ثم قال: «وأسند الحافظ البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن، وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه من الشعر، وذكر الرجز المشار إليه»[3].

وبهذا يتبين لك أن الساق الواردة في الآية لا تعني الجارحة، بل اعتقاد ذلك في حق الله خروج من دائرة الإسلام، وتجسيم لا يشك فيه موحد إذ ما كان له ساق كان له أشباه لا تحصى، والله تعالى تمدّح بقوله في محكم تنزيله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[4] فالله ليس له شبيه بأي وجه من الوجوه.

وأوّل رحمه الله قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾[5] أي قبلة الله أينما توجّهت شرقًا أو غربًا[6].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٢٨).

(٢) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٣) أي قوله «وقامت الحرب بنا على ساق».

(٤) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٥) سورة **البقرة**، ءاية ١١٥.

(٦) ابن أبي حاتم، **تفسير ابن أبي حاتم**، (ج١، ص٢١٢).

وكذا قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1]، فقال: الوجه عبارةٌ عنه سبحانه -.

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾[2] بالقوة[3].

وجاء عنه رضي الله عنه في تأويل هذه الآية: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٣٧﴾﴾[4] أي بمرأى منّا. وكذا قوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٤٨﴾﴾[5] أي نرى ما يعمل بك[6].

وقال في تأويل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾[7] أي تركت من طاعة الله.

ومما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما تأويل قوله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾[8] يقول: «الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض»[9].[10]

---

(١) سورة **الرحمن**، ءاية ٢٧.

(٢) سورة **الذاريات**، ءاية ٤٧.

(٣) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٢٧، ص٧).

(٤) سورة **هود**، ءاية ٣٧.

(٥) سورة **الطور**، ءاية ٤٨.

(٦) الخازن، **تفسير الخازن**، (ج٥، ص٤٩٥).

(٧) سورة **الزمر**، ءاية ٥٦.

(٨) سورة **النور**، ءاية ٣٥.

(٩) ابن جرير، **تفسير ابن جرير**، (ج١٨، ص١٣٥).

(١٠) وهذه المواضع من التأويل في المتشابه التي ينكرها المجسمة مما أُثِرَ عن حبر الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ولا تَسْمع لمن يحاول نفي ذلك عن حبر الأمة، فقد أورده علماء السلف ومن أخذ عنهم في كتبهم المعتمدة كابن جرير وابن أبي حاتم واللالكائي وأقروه.

ـ التأويل التفصيلي عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال في تفسير الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]: «عن نور عظيم[2]». فإن هذا لا يكون إلا تأويلًا لأنه صرف للنص عن ظاهره الـموهم للتشبيه. فلا شك أن أبا موسى الأشعري وهو صحابي أدرك أن البعض قد يتوهم من ظاهر هذه الآية أن لله ساقًا فبادر إلى التنبيه وأسرع إلى نفي التشبيه وقطع الطريق على وساوس الشيطان فقال إن الساق هنا جاءت بمعنى النور العظيم لأن اللغة العربية وهو أدرى بها تحتمل هذا الـمعنى. ولا أظن أن أحدًا ينكر كون أبي موسى الأشعري من أكابر السلف رضي الله عنه.

ـ التأويل التفصيلي عند مجاهد رضي الله عنه:

ثبت التأويل التفصيلي عند من جاء بعد الصحابة من أهل السلف ومنهم مجاهد، فقد قال الحافظ البيهقي[3]: «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ[4] وأبو بكر القاضي قالا: حدثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب[5] حدثنا

---

(١) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، باب ما ذكر في الساق، **ص**٣٤٨.

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة، **ص**٣٠٩.

(٤) وهو الحاكم، وقد تقدَّمَت ترجمته.

(٥) أبو العبّاس، الإمام الـمحدّث، مسند العصر، رحلة الوقت، أبو العبّاس الأمويّ مولاهم، السنانيّ، الـمعقليّ، الأصمّ محمّد بن يعقوب بن يوسف النيسابوريّ، ولد الـمحدّث الحافظ أبي الفضل الورّاق، حدّث في الإسلام ستًّا وسبعين سنة، سمع منه الآباء والأبناء والأجداد. ولد سنة ٢٤٧هـ، من كتبه: «معاني القرءان». توفّي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٤٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، **ج**١٥، **ص**٤٥٢ ٤٦٠، رقم الترجمة ٢٥٨.

الحسن بن علي بن عفان[1] حدثنا أبو أسامة عن النضر[2] عن مجاهد قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾[3] قال: قبلة الله[4]، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها».

وجاء في تفسير الطبري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾[5] قال مجاهد: «في أمر الله»[6].

---

(١) أبو محمد، الحسن بن علي بن عفان، المحدث الثقة، المسند، العامري الكوفي، أخو محمد. سمع: عبد الله بن نمير، وأبا يحيى عبد الحميد الحماني، وأسباط بن محمد، وأبا أسامة، وجعفر ابن عون، وطائفة. حدث عنه: ابن ماجه في «سننه»، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وقال: صدوق. وعلي بن محمد بن كاس القاضي، وإسماعيل بن محمد الصفار، وعلي بن محمد ابن الزبير القرشي، وآخرون. وله بضعة وعشرون شيخًا كوفيون. وقال ابن عقدة: توفي الحسن لليلة خلت من صفر، سنة سبعين ومائتين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٣، ص٢٤-٢٦)**، رقم الترجمة ١٥.

(٢) النضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم، أبو الحسن المازني البصري النحوي، نزيل مرو وعالمها. ولد في حدود سنة اثنتين وعشرين ومائة. وحدث عن: هشام بن عروة، وعثمان بن غياث، وأشعث بن عبد الملك الحمراني، وبهز بن حكيم، وخلق كثير. وعنه: يحيى بن معين، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وإسحاق الكوسج وأمم سواهم. وثقه يحيى بن معين وابن المديني والنسائي. قال العباس بن مصعب: كان النضر إمامًا في العربية والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان، وكان أروى الناس عن شعبة، وخرج كتبًا كثيرة لم يسبقه إليها أحد، وكان من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب وأيام الناس. ولي قضاء مرو ومات في أول سنة أربع ومائتين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٣٢٨-٣٣٢)**، رقم الترجمة ١٠٨.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ١١٥.

(٤) الطبري، **تفسير الطبري، (ج١، ص٤٠٢)**. البيهقي، **الأسماء والصفات، (ص٣٠٩)**.

(٥) سورة **الزمر**، ءاية ٥٦.

(٦) الطبري، **تفسير الطبري، (ج٢٤، ص١٩)**.

ـ التأويل التفصيلي عند السّدّي:

جاء في تفسير الطبري عند قوله تعالى ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ٥٦﴾[1]، قال السدي: «على ما تركت من أمر الله»[2].

ـ التأويل التفصيلي عن سفيان الثوري رضي الله عنه:

ومنهم سفيان الثوري رضي الله عنه فقد روى الحافظ البيهقي أيضًا[3] بالإسناد إلى معدان العابد قال: سألت سفيان الثوري عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ ٤﴾[4] قال: علمه».

ـ التأويل التفصيلي عند الإمام مالك رضي الله عنه:

ومنهم الإمام مالك رضي الله عنه فقد نقل النووي والزرقاني[5][6] عن مالك أنه قال في حديث: «**ينزل ربنا**»: «معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته».

---

(١) سورة **الزمر**، ءاية ٥٦.

(٢) الطبري، **تفسير الطبري**، (ج٢٤، ص١٩).

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٣٠).

(٤) سورة **الحديد**، ءاية ٤.

(٥) الزرقاني، **شرح الزرقاني على الموطأ**، (ج٢، ص٢١٨).

(٦) الزُّرْقانيّ، محمّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزُّرْقانيّ، المصريّ، الأزهريّ، المالكيّ، أبو عبد الله، خاتمة المحدّثين بالديار المصرية، مولده بالقاهرة سنة ١٠٥٥هـ ووفاته فيها سنة ١١٢٢هـ، ونسبته إلى زُرْقان (من قرى منوف بمصر)، من كتبه: «تلخيص المقاصد الحسنة» في الحديث، و«شرح البيقونية» في المصطلح، و«شرح المواهب اللدنيّة» و«شرح موطّأ الإمام مالك». الزركليّ، **الأعلام**، (ج٦، ص١٨٤).

ـ التأويل التفصيلي عند الإمام أحمد رضي الله عنه:

جاء في «**البداية والنهاية**»[1] أن الإمام البيهقي روى بإسناده عن الإمام أحمد بن حنبل أنه تأوّل قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2] أنه جاء ثوابه، قال ابن كثير: «ثم قال البيهقي وهذا إسنادٌ لا غبار عليه»، قال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «**دفع شبه التشبيه**»[3]: «كان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ».

ـ التأويل التفصيلي عند أبي منصور الماتريدي:

جاء في كتاب التوحيد عن قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[4] أي بالسلطان والقوة[5].

ـ التأويل التفصيلي عند النّضر بن شميل:

ذكر البيهقي[6] وابن الجوزي[7] أن النضر قال: إن معنى الحديث: «**حتى يضع الجبار قدمه**» أي مَن سبق في علمه أنه من أهل النار.

---

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، (ج١٠، ص٢٧٥).

(٢) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

(٣) ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، (ص١٣٥).

(٤) سورة **ق**، ءاية ١٦.

(٥) أبو منصور الماتريدي، **التوحيد**، (ج١، ص٧١).

(٦) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ج٢، ص٢٩٩)، حديث ٧٣٥.

(٧) ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه**، (ج١، ص١٩).

ـ التأويل التفصيلي عند ابن حبّان:

أوّل الحافظ ابن حبّان في صحيحه حديث[1] «**حتى يضع رب العزة قدمه فيها**» أي جهنم، فقال: هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يُلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عُصِيَ الله عليها فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جلّ وعلا موضعًا من الكفار والأمكنة فتمتلئ فتقول: قط قط، تريد: حسبي حسبي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع، قال الله جلّ وعلا ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۝٢﴾[2]، يريد موضع صدق.

ـ التأويل التفصيلي عند الشافعي رضي الله عنه:

أوّل الشافعي رضي الله عنه قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۝١١٥﴾[3] بالوجه الذي وجّه إليه اللهُ تعالى[4].

ـ التأويل التفصيلي عند البخاري رضي الله عنه:

ومنهم البخاري رضي الله عنه فقد جاء في «**صحيح البخاري**»[5] عند قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۝٨٨﴾[6] قال البخاري: «إلا ملكه. ويقال: إلا ما أريد به وجه الله».

وسيأتي الكلام بالتفصيل عن تأويل كل ءاية إن شاء الله ناقلين ما قاله الحفاظ والمفسرون.

---

(١) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، حديث ٢٦٨.

(٢) سورة **يونس**، ءاية ٢.

(٣) سورة البقرة، ءاية ١١٥.

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٠٩).

(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب تفسير سورة القصص، (ج٤، ص١٧٨٧).

(٦) سورة **القصص**، ءاية ٨٨.

المبحث الحادي عشر
وجوب الجمع بين النصوص

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي الأشعري في كتاب التفسير عند سورة حم السّجدة من شرحه على صحيح البخاري ما يلي[1]: «قوله: (قال رجل لابن عبّاس) كأنّ هذا الرّجل هو نافع بن الأزرق الّذي صار بعد ذلك رأس الأزارقة[2] من الخوارج وكان يجالس ابن عبّاس بمكّة ويسأله ويعارضه، ومن جملة ما وقع سؤاله عنه صريحًا ما أخرجه الحاكم في «**المستدرك**»[3] من طريق داود بن أبي هند[4] عن عكرمة قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عبّاس عن قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[5]

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٣٧٢).

(٢) رأسهم نافع بن الأزرق، كان من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان بن عفان رضوان الله عليه ووالوا علي بن أبي طالب إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية بن أبي سفيان، فاجتمعوا في «حروراء» وهي قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، وعُرفوا لذلك هم ومن تبع رأيهم بالخوارج، ومن مخالفاتهم أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ولذا استباحوا قتل نسائهم وزعموا أن أطفالهم مشركون وأنهم مخلدون في النار لذلك كانوا يقتلونهم. الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ج١، ص٤٩).

(٣) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (ج٤، ص٥٧٣). قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قال الذهبي في **تلخيص المستدرك**: «قلت يحيى ضعيف».

(٤) داود بن أبي هند، واسم أبي هند: دينار بن عذافر. الإمام الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، من موالي بني قشير فيما قيل. ويقال: كنيته أبو بكر. حدث عن سعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وعامر الشعبي، وغيرهم. حدث عنه: سفيان، وشعبة، وحماد بن سلمة، مات سنة ١٣٩ هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص٣٧٦)، رقم الترجمة ١٥٨.

(٥) سورة **المرسلات**، ءاية ٣٥.

﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾[1] وقوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾[2] ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾[3] الحديث بهذه القصّة حسن وهي إحدى القصص المسئول عنها في حديث الباب. وروى الطّبرانيّ من حديث الضّحّاك بن مزاحم[4] قال: قدم نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمرٍ[5] في نفر من رؤوس الخوارج مكّة فإذا هم بابن عبّاس قاعدًا قريبًا من زمزم والنّاس قيامًا يسألونه، فقال له نافع بن الأزرق: أتيتك لأسألك فسأله عن أشياء كثيرة من التّفسير، ساقها في ورقتين[6]. وأخرج الطّبريّ[7] من هذا الوجه بعض القصّة ولفظه: أنّ نافع بن الأزرق أتى ابن عبّاس فقال: قول اللّه: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾[8] وقوله: ﴿رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾[9]

---

(١) سورة **طه**، ءاية ١٠٨.

(٢) سورة **الصافات**، ءاية ٢٧.

(٣) سورة **الحاقة**، ءاية ١٩.

(٤) الضحاك بن مزاحم، الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان له أخوان: محمد ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند. حدث عن أبي سعيد الخدري، وابن عمر، وطائفة. حدث عنه: عمارة ابن أبي حفصة، وأبو سعد البقال، وجويبر بن سعيد، ومقاتل، وآخرون. وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما. وحديثه في السنن لا في الصحيحين. وقد ضعفه يحيى بن سعيد. وقيل: كان يدلس. وله باع كبير في التفسير والقصص. قال سفيان الثوري: كان الضحاك يعلم ولا يأخذ أجرًا. توفي سنة خمس ومائة، وقيل غير ذلك. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٤، ص٥٩٨-٦٠٠)**، رقم الترجمة ٢٣٨.

(٥) نجدة بن عامر وقيل نجدة بن عويمر.

(٦) الطبراني، **المعجم الكبير، (ج١٠، ص٢٤٨)**.

(٧) الطبري، **جامع البيان، (ج٥، ص٩٤)**.

(٨) سورة **النساء**، ءاية ٤٢.

(٩) سورة **الأنعام**، ءاية ٢٣.

فقال: إنّي أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم: أين ابن عبّاس فألقي عليه متشابه القرءان؟ فأخبرهم أنّ اللّه تعالى إذا جمع النّاس يوم القيامة قال الـمشركون: إنّ اللّه لا يقبل إلّا من وحّده فيسألهم فيقولون: واللّه ربّنا ما كنّا مشركين، قال فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم. وهذه القصّة إحدى ما ورد في حديث الباب فالظّاهر أنّه الـمبهم فيه.

قوله: (إنّي أجد في القرءان أشياء تختلف عليّ) أي تشكل وتضطرب لأنّ بين ظواهرها تدافعا. زاد عبد الرّزّاق[1] في رواية عن معمر عن رجل عن المنهال[2] بسنده: فقال ابن عبّاس: ما هو أشكٌّ في القرءان؟ قال: ليس بشكٍّ ولكنّه اختلاف، فقال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع اللّه يقول.

وحاصل ما وقع السّؤال في حديث الباب أربعة مواضع: الأوّل نفي الـمساءلة يوم القيامة وإثباتها، الثّاني كتمان الـمشركين حالهم وإفشاؤه، الثّالث خلق السّماوات والأرض أيّهما تقدّم، الرّابع الإتيان بحرف «كان» الدّالّ على الـماضي مع أنّ الصّفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عبّاس عن الأوّل أنّ نفي الـمساءلة فيما قبل النّفخة

---

(١) الصنعاني، **تفسير عبد الرزاق**، (ج١، ص١٥٨).

(٢) الـمنهال بن عصمة الرياحي اليربوعي التميمي: من فرسان يوم (الغبيط) في الجاهلية. أدرك الإسلام. وشهد يوم «عين التمر» سنة ١٢ هـ وقتل فيه الـمجبة بن الحارث من بني أبي ربيعة. ثم مر بمالك بن نويرة، وقد قتل أيضًا، فألقى عليه رداءه، أو كفنه. وفي ذلك يقول متمم بن نويرة، من قصيدة: (لقد كفن المنهال تحت رداءئه... فتى غير مبطان العشيات أروعا) وكان مؤاخيًا لبني حميري بن رياح. ويقال له (قواد الـمقانب) وهي الجماعة من الخيل والفرسان. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٣٠٩).

الثّانية وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن الثّاني أنّهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن الثّالث أنّه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوّة ثمّ خلق السّماء فسوّاها في يومين ثمّ دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرّواسي وغيرها في يومين فتلك أربعة أيّام للأرض، فهذا الّذي جمع به ابن عبّاس بين قوله تعالى في هذه الآية وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[1] هو المعتمد.. وعن الرّابع بأنّ «كان» وإن كانت للماضي لكنّها لا تستلزم الانقطاع؛ بل المراد أنّه لم يزل كذلك، فأمّا الأوّل فقد جاء فيه تفسير آخر أنّ نفي المساءلة عند تشاغلهم بالصّعق والمحاسبة والجواز على الصّراط وإثباتها فيما عدا ذلك، وهذا منقول عن السّدّيّ أخرجه الطّبريّ، ومن طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس أنّ نفي المساءلة عند النّفخة الأولى وإثباتها بعد النّفخة الثّانية، وقد تأوّل ابن مسعود نفي المساءلة على معنًى آخر وهو طلب بعضهم من بعض العفو فأخرج الطّبريّ[2] من طريق زاذان[3] قال: أتيت ابن مسعود فقال: يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادى: ألا إنّ هذا فلان ابن فلان فمن كان له حقّ قبله فليأت، قال: فتودّ المرأة يومئذٍ أن يثبت لها حقّ على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا

---

(١) سورة **النازعات**، ءاية ٣٠.

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (ج١٨، ص٥٤).

(٣) زاذان، أبو عمر الكندي، الكوفي البزاز الضرير، أحد العلماء الكبار. شهد خطبة عمر بالجابية. روى عن: عمر، وعلي، وسلمان، وابن مسعود، وعائشة، وحذيفة وجرير البجلي، وابن عمر، والبراء بن عازب، وغيرهم. حدث عنه: أبو صالح السمان، وعمرو بن مرة، وحبيب بن أبي ثابت، والمنهال بن عمرو، وعطاء بن السائب، ومحمد بن جحادة، وآخرون. وكان ثقة، صادقًا. قال النسائي: «ليس به بأس». **وروى إبراهيم بن الجنيد عن يحيى بن معين**: «ثقة». وقال شعبة: «سألت سهل بن كهيل عنه، فقال: أبو البختري أحب إلي منه». وقال ابن عدي: «أحاديثه لا بأس بها». مات سنة ٨٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٢٨٠).

يتساءلون. ومن طريق أخرى[1] قال: لا يسأل أحد يومئذٍ بنسبٍ شيئًا ولا يتساءلون به ولا يمتّ برحمٍ.

وأمّا الثّاني فقد تقدّم بسطه من وجه آخر عند الطّبريّ، والآية الأخرى الّتي ذكرها ابن عبّاس وهي قوله ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2] فقد ورد ما يؤيّده من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم[3] أثناء حديث وفيه: «**ثمّ يلقى الثّالث فيقول: يا ربّ آمنت بك وبكتابك وبرسولك ويثني ما استطاع، فيقول: الآن نبعث شاهدًا عليك، فيفكّر في نفسه من الّذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه وتنطق جوارحه**». وأمّا الثّالث فأجيب بأجوبةٍ أيضًا منها أنّ «ثمّ» بمعنى الواو فلا إيراد، وقيل المراد ترتيب الخبر لا الـمخبر به كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿١٧﴾﴾[4] الآية، وقيل على بابها لكن ثمّ لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتّراخي في الزّمان، وقيل خلق بمعنى قدّر. وأمّا الرّابع وجواب ابن عبّاس عنه فيحتمل كلامه أنّه أراد أنّه سمّى نفسه غفورًا رحيمًا، وهذه التّسمية مضت لأنّ التّعلّق انقضى، وأمّا الصّفتان فلا يزالان كذلك لا ينقطعان لأنّه تعالى إذا أراد الـمغفرة أو الرّحمة في الحال أو الاستقبال وقع مراده قاله[5] الكرمانيّ. قال: ويحتمل أن يكون ابن عبّاس أجاب بجوابين أحدهما أنّ التّسمية هي الّتي كانت وانتهت والصّفة لا نهاية لها، والآخر

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (ج١٨، ص٥٥).

(٢) سورة **الأنعام**، اية ٢٣.

(٣) مسلـم، **صحيح مسلـم**، كتاب الزهد والرقائق، (ج٨، ص٢١٦).

(٤) سورة **البلد**، اية ١٧.

(٥) شمس الدين الكرماني، **شرح الكرماني على صحيح البخاري المسمى الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج١٧، ص٧٥).

أنّ معنى «كان» الدّوام فإنّه لا يزال كذلك. ويحتمل أن يحمل السّؤال على مسلكين والجواب على رفعهما كأن يقال: هذا اللّفظ مُشْعر بأنّه في الزّمان الـماضي كان غفورًا رحيمًا مع أنّه لـم يكن هناك من يغفر له أو يرحم، وبأنّه ليس في الحال كذلك لـما يشعر به لفظ كان، والجواب عن الأوّل بأنّه كان في الـماضي يسمّى به، وعن الثّاني بأنّ كان تعطي معنى الدّوام، وقد قال النّحاة[1]: كان لثبوت خبرها ماضيًا دائمًا أو منقطعا.

قوله: (فلا يختلف) بالجزم للنّهي، وقد وقع في رواية ابن أبي حاتم[2] من طريق مطرّف عن المنهال بن عمرو وفي آخره: «قال فقال له ابن عبّاس: هل بقي في قلبك شيء؟ إنّه ليس من القرءان شيء إلّا نزل فيه شيء، ولكن لا تعلـمون وجهه».

تنبيه: وقع في السّياق «والسّماء بناها» والتّلاوة ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾[3] كذا زعم بعض الشّرّاح، والّذي في الأصل من رواية أبي ذرّ ﴿دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[4] يدلّ على أنّ الـمراد الآية الّتي فيها ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾[5]».

وقال إبراهيم بن موسى الشاطبي في الموافقات: «المتشابهات ليست مما تُعارض مقتضيات العقول وإن توهم بعض الناس فيها ذلك، لأن من توهم فيها ذلك فبناء على اتباع هواه كما نصت عليه الآية قوله تعالى:

---

(١) اليمني، **شرح الكافية في النحو**، (ج٢، ص٢٩٣).

(٢) ابن أبي حاتم، **تفسير القرءان العظيم**، (ج٤، ص١٢٧٤).

(٣) سورة **النازعات**، ءاية ٢٧.

(٤) سورة **النازعات**، ءاية ٣٠.

(٥) سورة **النازعات**، ءاية ٢٧.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۝٧﴾[1] لا أنه بناء على أمر صحيح، فإنه إن كان كذلك فالتأويل فيه راجع إلى معقول موافق لا إلى مخالف، وإن فرض أنها مما لا يعلمها أحد إلا الله فالعقول عنها مصدودة لأمر خارجي لا لمخالفته لها، وهذا كما يأتي في الجملة الواحدة فكذلك يأتي في الكلام المحتوي على جمل كثيرة وأخبار بمعان كثيرة ربما يتوهم القاصر النظر فيها الاختلاف. وكذلك الأعجمي الطبع الذي يظن بنفسه العلم بما ينظر فيه وهو جاهل به، ومن هنا كان احتجاج نصارى نجران في التثليث ودعوى الملحدين على القرءان والسنة التناقض والمخالفة للعقول، وضموا إلى ذلك جهلهم بحكم التشريع فخاضوا حين لم يؤذن لهم في الخوض وفيما لم يجز لهم الخوض فيه فتاهوا، فإن القرءان والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي[2] كما أن من لم يعرف مقاصدهما لم يحل له أن يتكلم فيهما إذ لا يصح له نظر حتى يكون عالما بهما فإنه إذا كان كذلك لم يختلف عليه شيء من الشريعة.

ولذلك مثال يتبين به المقصود وهو أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال له: «إني أجد في القرءان أشياء تختلف علي...» ثم ساق ما أوردناه عليك آنفًا إلى أن قال الشاطبي[3]: «هذا تمام ما قال في الجواب، وهو يبين أن جميع ذلك

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) أي إلا عارفًا متمكنًا بالعربية.

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه: «الموافقات في أصول الفقه»، و«المجالس» شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و«الإفادت والإنشادات»، و«الاتفاق في علم الاشتقاق»،=

معقول إذا نزل منزلته وأتى من بابه، وهكذا سائر ما ذكر الطاعنون وما أشكل على الطالبين وما وقف فيه الراسخون ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1] وفي كتاب الاجتهاد من ذلك بيان كاف والحمد لله، وقد ألف الناس في رفع التناقض والاختلاف عن القرءان والسنة كثيرا فمن تشوّف إلى البسط ومدّ الباع وشفاء الغليل طلبه في مظانه»[2]، وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على المحكم والمتشابه إن شاء الله.

فيفهم من هذا أنه لا بد من الجمع بين النصوص لأن نصوص الشرع يُبنى بعضها على بعض لأنها من كلام المعصوم فإذا ورد في الشرع لفظ ظاهره التعارض مع غيره يجمع بينهما ما أمكن وإلا كان المتأخر ناسخا للمتقدم إن لم يكن ذلك من الأخبار لأن الأخبار لا يدخلها نسخ كما هو معلوم، ذلك أنه يجب علينا أن نعمل بالنصوص الثابتة كلها ولا نلقي بأي منها وراء ظهورنا لأن النبي ﷺ معصوم ولذلك لا بد أن نوفّق بين كلامه ﷺ بحمل بعضه على البعض الآخر، لأن الجمع بين الأدلة واجب متى أمكن بلا خلاف، لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، ولذلك لا بد من رد المتشابه إلى المحكم كما سيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك في محله، فلا يقبل مثلًا إنكار الوهابية لنبوة ءادم عليه السلام اعتمادًا على ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴿١٦٣﴾﴾[3] وحديث البخاري[4]

= و«أصول النحو»، و«الاعتصام». توفي سنة ٧٩٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٧٥).

(١) سورة **النساء**، ءاية ٨٢.

(٢) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، (ج٣، ص٣١).

(٣) سورة **النساء**، ءاية ١٦٣.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا =

الذي فيه أن الناس يقولون لنبي الله نوح عليه السلام في الـموقف «**أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**»[1] تحت دعوى أن البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة وكأن الصحابة لـم يعلـموا قبل نزول الآية وسماعهم لهذا اللفظ من رسول الله ﷺ أن آدم نبي حيث جزم الآخذون بالظاهر بذلك فخرقوا إجماع الأمة الذي نقله ابن حزم[2] وأبو منصور البغدادي[3]

=إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ۝١﴾، (ج٣، ص١٥).

(١) معناه أنت أول الرسل إلى قومه المنتشرين في الأرض لأن الأنبياء الذين بعده كان النبي يرسل إلى قومه كما حكى الله عن عيسى أنه قال ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ۝٦﴾.

(٢) ابن حزم، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسيّ الأصل، ثم الأندلسيّ القرطبيّ اليزيديّ مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، صاحب التصانيف، ولد أبو محمد بقرطبة سنة٣٨٤هـ، سمع من طائفة من علماء الأندلس ومنهم: يحيى بن مسعود صاحب قاسم بن أصبغ، وأحمد بن محمد بن الجسور، ويونس بن عبد الله بن مغيث القاضي وغيرهم، وحدّث عنه ابنه أبو رافع الفضل، وأبو عبد الله الحَمِيْديّ، ووالد القاضي أبي بكر بن العربي وطائفة. قيل إنه تفقه بادئ الأمر على المذهب الشافعيّ ثم أدّاه اجتهاده بعد أن قرأ في الفلسفة ونحوها إلى نفي القياس جليه وخفيه، ولم يتأدب مع الأئمة، فأعرض عن تصانيفه الناس، وهاجمه أبو بكر بن العربي في كتاب «القواصم والعواصم» فمما قاله: زعم أنه إمام الأئمة يضع ويرفع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيرًا للقلوب منهم، وسلك طريق المشبهة في ذات الله وصفاته فجاء فيه بطوام. ومن كتبه: «المجلّى» و«المحلّى في شرح المجلّى بالحجج والآثار» وغيرها. توفي لليلتين بقيتا من شعبان سنة ٤٥٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١١، ص٤٦٧-٤٦٩)، رقم الترجمة٤٣٣١.

(٣) أبو منصور التميمي البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، قال عبد الغافر: ورد نيسابور مع أبيه فاشتغل بها على الأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني وغيره إلى أن برع ودرس في سبعة عشر عاما، وأقعده الأستاذ للإملاء فأملى سنتين، واختلف إليه الأئمة. قال السبكي في «الطبقات الكبرى»: وأخذ عنه ناصر العمري وأبو القاسم القشيري، وقال غيره: إن إمام الحرمين أخذ عنه الفرائض. ثم خرج من نيسابور في فتنة التركمان إلى إسفراين وابتهج أهلها به إلى الحد الذي لا يوصف فلم يبق إلا يسيرا حتى مات سنة تسع وعشرين وقيل سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ودفن إلى جانب أستاذه، قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني: كان الأستاذ أبو منصور من أئمة الأصول وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل والتحصيل بديع الترتيب غريب التأليف والتهذيب تراه الجلة صدرا مقدما وتدعوه الأئمة إماما مفخما. ومن تصانيفه «تفسير القرءان»=

وغيرهما[1] حيث أنكروا نبوة آدم مدعين أنهم إن قالوا بنبوته فإنهم يكذبون الله ورسوله فوقعوا في إهمال بعض النصوص، ولو عملوا بهذه القاعدة وهي وجوب الجمع بين النصوص لما وقعوا في ذلك لكنه التحكم والعناد تحت دعوى اتباع الكتاب والسنة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال البطليوسي[2] ما نصه[3]: «الباب الثالث: في الخلاف العارض من جهة الإفراد والتركيب: هذا باب طريف جدا، وقد تولدت منه بين الناس أنواع كثيرة من الخلاف وهو باب يحتاج إلى تأمل شديد، وحذق بوجوه القياس، ومعرفة تركيب الألفاظ، وبناء بعضها على بعض، وذلك أنك تجد الآية الواحدة ربما استوفت الغرض المقصود بها من التعبد فلم تحوجك إلى غيرها كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ۝١﴾[4] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۝١٣٦﴾[5] وقوله تعالى:

= و«فضائح المعتزلة» و«الفرق بين الفرق» وكتاب «الإيمان وأصوله» وكتاب «الصفات» وغيرها. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج١، ص٢١١)، رقم الترجمة ١٧٢.

(١) ابن حزم، **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**. أبو منصور البغدادي، **أصول الدين**، (ص١٥٩). نظام الدين الهندي ومجموعة من علماء الهند، **الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**، (ج٢، ص٢٦٣).

(٢) البطليوسي، عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد، من العلماء باللغة والادب. ولد ونشأ في بطليوس في الأندلس. وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها. من كتبه: «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»، و«المسائل والأجوبة»، و«الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم» وغيرها. ولد سنة ٤٤٤هـ، وتوفي سنة ٥٢١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص١٢٣).

(٣) عبد الله البطليوسي، **الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم**، (ص١١١).

(٤) سورة **النساء**، اية ١.

(٥) سورة **النساء**، اية ١٣٦.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴿٩٢﴾﴾[1] فإن كل واحدة من هذه الآيات قائمة بنفسها، مستوفية للغرض المراد منها من التعبد وكذلك الأحاديث الواردة كقوله عليه السلام: «**الزعيم غارم**»[2]، و«**البينة على المدعي واليمين على المدّعى عليه**»[3].

وربما وردت الآية غير مستوفية للغرض المراد من التعبد وورد تمام الغرض في ءاية أخرى، وكذلك الحديث كقوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[4] فظاهر هذه الآية أن من أراد حرث الدنيا أوتي منها، ونحن نشاهد كثيرا من الناس يحرصون على الدنيا ولا يؤتون شيئًا منها. فهذا كلام محتاج إلى بيان وإيضاح.

ثم قال في ءاية أخرى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴿١٨﴾﴾[5] فإذا أضيفت هذه الآية إلى الآية الأولى بانَ مراد الله تعالى، وارتفع الإشكال.

ثم قال في ءاية أخرى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴿٤١﴾﴾[6] فدل اشتراط المشيئة في هذه الآية الثانية على أنه مراد في الآية الأولى.

---

(١) سورة **المائدة**، ءاية ٩٢.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب البيوع، باب في تضمين العور، (ج٣، ص٣١٩).

(٣) الترمذي، **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**. كتاب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، (ج٢، ص٣٩٩).

(٤) سورة **الشورى**، ءاية ٢٠.

(٥) سورة **الإسراء**، ءاية ١٨.

(٦) سورة **الأنعام**، ءاية ٤١.

وربما وردت الآية مجملةً ثم يفسرها الحديث كالآيات الواردة مجملة في الصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم شرحت السنة والآثار جميع ذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾[1] ثم قال ﷺ: «**خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلًا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**[2]».

ولأجل هذا صار الفقيه مضطرًا في استعمال القياس إلى الجمع بين الآيات المفترقة والأحاديث المتغايرة وبناء بعضها على بعض. ووجه الخلاف العارض من هذا الموضع أنه ربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية وبمفرد الحديث، وبنى آخر قياسه على جهة التركيب الذي ذكرناه بأن يأخذ بمجموع آيتين أو بمجموع حديثين، أو بمجموع آيات أو بمجموع أحاديث فتفضي بهما الحال إلى الاختلاف فيما ينتحلانه، وربما أفضت بهما الحال إلى التناقض فأحل أحدهما ما يحرمه الآخر، وربما أفضى بهما الأمر إلى اختلاف العقائد فقط، وربما أفضى بهما إلى الاختلاف في الأسباب فقط، كاختلافهم في سبب تحريم الخمر فإن قومًا يستدلون على وجوب تحريمها بمجرد قوله عزّ وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ٧﴾[3] وقوم يستدلون على وجوب تحريمها لمجرد قوله:

---

(١) سورة **النساء**، ءاية ١٥.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب حد الزنى، (ص٦٦٩)، **حديث** ١٦٩٠.

(٣) سورة **الحشر**، ءاية ٧.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[2].

وقوم يرون ذلك بطريق التركيب وبناء الألفاظ بعضها على بعض وذلك أنه لـما قال تبارك وتعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢١٩﴾﴾[3] ثم قال في ءاية أخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ ﴿٣٣﴾﴾[4] تركب من مجموع الآيتين قياس أنتج تحريم الخمر وهو أن يقال: كل إثم حرام والخمر إثم، فالخمر إذًا حرام..

ومثل هذا قوله تعالى فيما حكاه عن قوم لوط ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[5] ثم قال في هذه الآية التي ذكرناها: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴿٣٣﴾﴾[6] فتركب من مجموع الآيتين قياس وهو كل فاحشة حرام وفعل قوم لوط فاحشة ففعل قوم لوط إذا حرام.

فعلى مثل هذا أنتجت النتائج ورُكِّبت القياسات ووقع بين أصحاب

---

(١) سورة **المائدة**، ءاية ٩٠.

(٢) سورة **المائدة**، ءاية ٩١.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ٢١٩.

(٤) سورة **الأعراف**، ءاية ٣٣.

(٥) سورة **الأعراف**، ءاية ٨٠.

(٦) سورة **الأعراف**، ءاية ٣٣.

القياس الخلاف بحسب تقدم القياس أو بحسب تأخره.

وخالفهم قوم آخرون لم يروا القياس ورأوا الأخذ بظاهر الألفاظ فنشأ من ذلك نوع آخر من الخلاف».

ثم قال[1]: «وقد تَرِدُ الآية والحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة ثم ترد ءاية أخرى وحديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ المشترك، وقصره على بعض تلك المعاني دون بعض كقوله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾[2] فإن لفظة الضلال لما كانت مشتركة تقع على معان كثيرة، توهم قوم ممن لم يكن لهم فهم صحيح بالقرءان، ولا معرفة ثاقبة باللسان أنه أراد الضلال الذي هو ضد الهدى فزعموا أنه كان على مذهب قومه أربعين سنة وهذا خطأ فاحش نعوذ بالله من اعتقاده فيمن طهره الله لنبوته وارتضاه لرسالته، ولو لم يكن في القرءان العزيز ما يرد قولهم لكان فيما ورد من الأخبار المتواترة ما يرد عليهم ذلك؛ لأنه قد رُوِيَ أنهم كانوا يسمونه في الجاهلية الأمين، وكانوا يرتضونه حكمًا عليهم ولهم، وكانت عندهم أخبار كثيرة يروونها وإنذارات من أهل الكتاب والكهان بأنه يكون نبيًا، ولولا أن كتابنا هذا ليس موضوعًا لها لاقتصصناها فكيف والقرءان العزيز قد كفانا هذا كله، فقوله عز من قائل ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾[3] فهذا نص جلي قد شرح ما وقع في تلك الآية من الإبهام وبين أنه إنما أراد الضلال الذي هو الغفلة كما قال في

---

(١) البطليوسي، **الإنصاف**، (ص١١٩).

(٢) سورة **الضحى**، ءاية ٧.

(٣) سورة **يوسف**، ءاية ٣.

موضع آخر ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[1] أي لا يغفل. وقال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٢٨٢﴾[2] أي تغفل وتنسى.

وقال تعالى في سورة نوح عليه السلام: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ۝٤﴾[3] والأجل قد علمنا أنه لا تأخير فيه، وقد بُين ذلك بقوله تعالى في عقب الآية: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۝٤﴾[4] وقال في موضع آخر: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٤﴾[5] فوجب أن ينظر في معنى هذا التأخير ما هو؟.

ثم وجدنا هذه الآية المبهمة المجملة قد شرحتها ءاية واضحة مفصلة كفتنا التأويل ولم تحوجنا إلى طلب الدليل وهي قوله تعالى في أول سورة هود عليه السلام: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ۝٣﴾[6] فدلت هذه الآية على أنه إنما أراد بتأخير الأجل التمتيع الحسن لأن التمتيع الحسن يجتمع فيه الغنى والسلامة من الآفات والعز والذكر الحسن. والعرب تسمي هذه الأشياء كلها زيادة في العمر، وتسمى أضدادها وخلافها نقصانًا من العمر».

---

(١) سورة **طه**، ءاية ٥٢.

(٢) سورة **البقرة**، ءاية ٢٨٢.

(٣) سورة **نوح**، ءاية ٣، ٤.

(٤) سورة **نوح**، ءاية ٤.

(٥) سورة **الأعراف**، ءاية ٣٤.

(٦) سورة **هود**، ءاية ٣.

إلى أن قال[1]: «ثم نرجع إلى ما كنا فيه فنقول إن من طريف أمر هذا الباب أنه قد يتولد منه مقالتان متضادتان كلاهما غلط، ويكون الحق في مقالة ثالثة متوسطة بينهما ترتفع عن حد التقصير وتنحط عن حد الغلو والإفراط. وإذا تأملت الـمقالات التي شجرت بين أهل ملتنا في الاعتقادات رأيت أكثرها على هذه الصفة.

وقد نبهنا رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «**دين اللّه بين الغالي والـمقصّر**»[2] وهذا تصريح منه بهذا الذي ذكرناه وتحذير منه، وقال أيضًا: «**خير الأمور أوساطها**»[3]، وقال رجل للحسن البصري[4]: علـمني دينًا وسوطًا لا ساقطًا سقوطًا ولا ذاهبًا فروطًا، فقال[5]: «أحسنت خير الأمور أوساطها» وهذا نوع يطول فيه الكلام إن ذهبنا إلى تتبعه، ولكنا نذكر منه شيئًا يستدل به على غيره. فمن ذلك أن قومًا لـما خطر ببالهم أمر القدر والقضاء وأحبوا الوقوف على حقيقة ما ينبغي أن يعتقد في ذلك، تأملوا القرءان العزيز والحديث الـمأثور فوجدوا فيهما أشياء ظاهرها الإجبار والإكراه كقوله تعالى:

---

(١) البطليوسي، **الإنصاف**، (ص١٣٠).

(٢) البيهقي، **شعب الإيمان**، (ج٣، ص٤٠٢). بلفظ: «**دين الله عز وجل بين القاسي والغالي**».

(٣) البيهقي، **السنن الكبرى**، (ج٣، ص٢٧٣).

(٤) الحسن البصري، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري التابعي، ولد بالـمدينة الـمنورة وسكن البصرة، وكان شيخ أهل البصرة في زمانه ومن كبار العلـماء والشجعان والفصحاء ثقة حجة عالمًا فقيهًا جميلًا، روى عن عمران بن حصين والـمغيرة بن شعبة وابن عباس وآخرين، روى عنه ثابت البناني، وأيوب، وابن عون، وحميد الطويل، ويونس بن عبيد، وغيرهم، توفي في البصرة سنة ١١٠هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٥٦٣-٥٨٨)، رقم الترجمة ٢٢٣.

(٥) الميداني، **مجمع الأمثال**، (ص٢٤٥، ٢٤٦).

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ٧﴾[2]، وقوله: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ١٥٥﴾[3] وفي آياتٍ كثيرةٍ غير هذه. ووجدوا في الحديث المأثور نحو ذلك كقوله ﷺ: «**الشقيُّ من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعِظَ بغيره**»[4] فبنوا من هذا النوع من الآيات والأحاديث مقالة أصّلُوها على أن العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة، وصرحوا بأن من اعتقد غير هذا فقد كفر.

وخطر ببال آخرين مثل ذلك، ورأوا مذهب هؤلاء فلم يرضوه معتقدا لأنفسهم، فتصفحوا القرءان والحديث فوجدوا فيهما آيات أخر وأحاديث ظاهرها يوهم أن العبد مستطيع مفوض أمره إليه يفعل ما شاء كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ٧﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ١٧﴾[6] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[7]، وقوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[8]، وقوله

---

(١) سورة **الأنعام**، ءاية ٣٥.

(٢) سورة **البقرة**، ءاية ٧.

(٣) سورة **النساء**، ءاية ١٥٥.

(٤) ابن ماجه القزويني، **سنن ابن ماجه**، (ج١، ص١٧)، **حديث** ٤٦.

(٥) سورة **الزمر**، ءاية ٧.

(٦) سورة **فصلت**، ءاية ١٧.

(٧) سورة **الإنسان**، ءاية ٣.

(٨) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (ص٢٥٦)، حديث ١٣٨٥.

عليه السلام: «**يقول الله تعالى وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[1] فبنوا من هذا النوع من الآيات والأحاديث مقالة ثانية مناقضة للـمقالة الأولى أصّلُوها على أن العبد مخيّر مفوض إليه أمره يفعل ما يشاء ويستطيع على ما لا يريده ربه، تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًا كبيرا.

ثم عمدت كل فرقة من هاتين الفرقتين إلى ما خالف مذهبها من الآيات والأحاديث فطلبت له التأويل البعيد، وردوا ما أمكنهم رده من الأحاديث الـمناقضة لـمذهبهم وإن كان صحيحًا، كمن يروم ستر ضوء النهار ويؤسس بنيانه على شفا جرف هار.

ولـما تأملت طائفة ثالثة مقالتي الفرقتين معًا لـم يرتضوا بواحدة منهما معتقدًا لأنفسهم، ورأوا أنهما جميعًا خطأ، لأن الـمقالة الأولى تجوير للبارئ تعالى وإبطال للتكليف، والـمقالة الثانية تجهيل للبارئ تعالى بأمر خلقه وتعجيز له عن تمام مشيئته فيهم، وكلا الصفتين لا تليق بمن وصف نفسه بأنه أحكم الحاكمين وأقدر القادرين ووصف نفسه بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[2] ورأوا أن الأخذ بالآيات والأحاديث الأول ليس بأولى من الأخذ بالآيات والأحاديث الأخر. وأن الحق إنما هو في واسطة تنتظم الطرفين وتسلـم من شناعة الـمذهبين، واعتبروا القرءان

---

(١) مسلـم، **صحيح مسلـم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (ص١٠٩٨)، حديث ٢٦٦٥.

(٢) سورة **الأنعام**، ءاية ٥٩.

والحديث ببصائر أصح من بصائر الفريقين، فوجدوا آيات وأحاديث تجمع شتيت المقالتين وتخبر بغلط الفريقين كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[1]، وقوله تعالى في يوسف عليه السلام ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴿٢٤﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴿٢٩﴾﴾[3] فأثبت للعبد مشيئة لا تتم له إلا بمشيئة ربه تعالى، ووجدوا الأمة مجمعة على قولهم لا حول ولا قوة إلا بالله وفي هذا إثبات حول وقوة للعبد لا يتمان إلا بمعونة الله إياه، ووجدوا الأمة مجمعةً على الرغبة إلى الله في العصمة والاستعاذة به من الخذلان بقولهم: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع، ورأوا الله تعالى قد أثبت لنفسه في محكم وحيه علم غيب وعلم شهادة بقوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴿٧٣﴾﴾[4] فعلمه الغيب علمه الأشياء قبل كونها، وعلمه الشهادة علمه بالأشياء وقت كونها، واعتبروا أحوال الإنسان التي وقع فيها التكليف، وأحواله التي لم يقع فيها تكليف فوجدوا الله تعالى لم يأمره بألا يسمع ولا يبصر ولا يأكل ولا يشرب على الإطلاق، إنما أمره بأن يستعمل آلاته التي يسمع بها ويبصر بها ويأكل ويشرب في بعض، الأشياء ولا يستعملها في بعض فوجب أن يكون بين الأمرين فرق، ولا فرق ههنا إلا أنه مكن من أحد الأمرين وجعلت له استطاعة عليه، ولم يمكن من الآخر.

وكذلك رأوا حركة يد المفلوج تخالف حركة يد الصحيح فثبت أن بينهما

---

(١) سورة **الإسراء**، ءاية ٧٤.

(٢) سورة **يوسف**، ءاية ٢٤.

(٣) سورة **التكوير**، ءاية ٢٩.

(٤) سورة **الأنعام**، ءاية ٧٣.

فرقا، ولا فرق إلا وجود الاستطاعة في إحداها دون الأخرى.

ووجدوا مع هذا أحاديث تؤيد بطلان قول الفريقين معًا، وتدل على أن الحق متوسط بين غلو أحد الفريقين وتقصير الآخر، كنحو ما روي عن جعفر الطيار[1] رضي الله عنه أن رجلًا قال: هل العباد مجبرون؟ قال[2]: «الله أعدل من أن يجبر عبده على معصية، ثم يعذبه عليها»، فقال له السائل: فهل أمرهم مفوض إليهم؟ فقال: «الله أعز من أن يجوز في ملكه ما لا يريد»، فقال له السائل: فكيف ذلك إذن؟ قال: «أمر بين الأمرين لا جبر ولا تفويض».

وكنحو ما روي[3] عن علي رضي الله عنه أنه لـما انصرف من صفين قام إليه شيخ فقال: يا أمير الـمؤمنين أرأيت مسيرنا إلى صفين أبقضاء وقدر؟ فقال علي: «والله ما علونا جبلًا ولا هبطنا واديًا ولا خطونا خطوة إلا بقضاء وقدر» فقال الشيخ: فعند الله أحتسب عنائي إذن ما لي من أجر فقال له علي: «مه يا شيخ فإن هذا قول أولياء الشيطان وخصماء الرحمن قدرية هذه الأمة

---

(١) جعفر بن أبي طالب بن عبد الـمطلب بن هاشم، أبو عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ، صحابي هاشمي من شجعانهم. يقال له جعفر الطيار، وهو أخو أمير الـمؤمنين علي بن أبي طالب. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلـم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلـم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى الـمدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر سنة ٧ هـ وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف الـمسلـمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضًا، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيدًا وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة، وقال حسان: (فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر). الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١، ص٢٠٦-٢١٧)، رقم الترجمة ٣٤.

(٢) البطليوسي، **الإنصاف**، (ج١، ص١٧).

(٣) البطليوسي، **الإنصاف**، (ج١، ص١٣٦).

إن الله أمر تخييرًا ونهى تحذيرًا لـم يعص مغلوبا ولـم يطع مكرها» فضحك الشيخ ونهض مسرورا ثم قال: [البسيط]

أنتَ الإمامُ الـذي نرجو بطَاعـتـهِ يومَ القيامةِ من ذي العرشِ رِضوانَا

أوضحتَ من دينِنا ما كانَ مُلتبسًا جزاكَ ربّـك عـنّـا فـيـه إحـسـانَا

وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه نحو مقالة جعفر[1].

فلـما وجدوا جميع هذا الذي ذكرناه جمعوا الآيات والأحاديث وبنوا بعضها على بعض فأنتج لهم من مجموعها مقالة ثالثة سليمة من شناعة الـمقالتين منتظمة لكل واحد من الطرفين ارتفعت عن تقصير الجبرية، وانحطت عن غلو القدرية فوافقت قوله[2] ﷺ: «**دين الله بين الغالي والمقصر**» بنوا تفريعها على أصل.. (والله تعالى علّام الغيوب)، فمن علـم الله تعالى منه أنه يختار الطاعة فلا يجوز أن يختار الـمعصية، ومن علـم أنه يختار المعصية فلا يجوز أن يختار الطاعة، ولو جاز ذلك لـم يكن علـم الله تعالى موصوفًا بالكمال، ولكان كعلـم الـمخلوق الذي يمكن أن يقع الأمر كما علـم ويمكن أن يقع خلاف ما علـم، وليس في علـم الله الأمورَ قبل وقوعها إجبارٌ على ما توهمه الـمجبرون، ولا تتم لأحد استطاعة على ما يهم به من الأمور إلا بأن يعينه الله تعالى عليه أو يكله إلى حوله، ويسلـمه إليه، فإن عصمه مما يهم به من الـمعصية كان فضلًا، وإن وكله إلى نفسه كان عدلًا، فإذا اعتبرت حال العبد من جهة الإضافة إلى علـم الله السابق فيه الذي لا يعدوه وجد في صورة الـمجبر، وإذا اعتبرت حاله من جهة الإضافة

---

(١) البطليوسي، **الإنصاف**، (ج١، ص١٨).

(٢) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج٢، ص٤٢. بلفظ «**دين الله عز وجل بين القاسي والغالي**».

إلى الاستطاعة الـمخلوقة له والأمر والنهي الواقعين عليه وجد في صورة الـمفوض إليه. وليس هناك إجبار مطلق، ولا تفويض مطلق إنما هو أمر بين أمرين يدق عن أفكار الـمعتبرين، ويحير أذهان الـمتأملين. وهذا هو معنى ما أشار إليه حذاق أهل السنة من قولهم: إن العبد لا مطلق ولا موثق.

فما ورد من الآيات والأحاديث التي ظاهرها الإجبار فهو مصروف إلى أحد ثلاثة أشياء:

١- إما إلى العلم السابق الذي لا مخرج للعبد منه ولا يمكنه أن يتخير غيره.

٢- وإما إلى فعل فعله الله تعالى به على جهة العقاب كقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴿١٥٥﴾﴾[1].

٣- وإما إلى الإخبار عن قدرته تعالى على ما يشاء كقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وما ورد من الآيات والأحاديث ظاهره التفويض فهو مصروف إلى الأمر والنهي الواقعين عليه، وإنما غلطت القدرية في هذا لأنهم لا يثبتون لله تعالى علـمًا سابقًا بالأمور قبل وقوعها، وعلـم الله عندهم محدث، تعالى الله عما يقول الجاهلون. فاعتبروا حال العبد من جهة الأمر والنهي والاستطاعة الـمركبة فيه لا من جهة العلـم السابق.

وغلطت الجبرية لأنهم اعتبروا حال العبد من جهة علـم الله السابق فيه لا من جهة الأمر والنهي الواقعين عليه وظنوا أن علـم الله تعالى بجميع ما يفعله

---

(١) سورة **النساء**، ءاية ١٥٥.

(٢) سورة **الأنعام**، ءاية ٣٥.

العبد قبل فعله إياه إجبار منه له على الفعل. وكلا القولين غلط لأنهم أخذوا بالطرف الواحد وتركوا الآخر..

ورأى الـمشيخة وجلة العلـماء الوقف عن الكلام في ذلك والخوض فيه لقوله ﷺ: «**إذا ذكر القضاء فأمسكوا**»[1] فكان هذا الـمذهب أحسن الـمذاهب لـمن آثر الخلاص والسلامة.».

ثم قال[2]: «لكنا نقول ينبغي لـمن طلب هذا الشأن ولـم يقنعه ما رآه العلـماء، وأمروا به من ترك الخوض فيه أن يراعي أصلين، فإن صحَّا له من معتقده فليعلـم أنه قد أصاب فص الحق. وإن أخطأهما أو واحدًا منهما فليعلـم أنه قد غلط فليراجع النظر.

أحدهما: أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله تعالى، وأن كل فاعل غيره إنما يفعل بمعونة من عنده ومادة يمده بها من فيضه وحوله، ولو وكله إلى نفسه لـما كان له فعل ألبتة.

والثاني: أن أفعال البارئ تعالى كلها حكمة محضة لا عبث فيها، وعدل محض لا جَوْر فيه، وحسن محض لا قبح فيه، وخير محض لا شر فيه...

وجملة ذلك أنه لا يشبه شيئًا من الـمخلوقات في جهة من الجهات، فكل قول أداك إلى تشبيهه بخلقه في ذات أو فعل فارفضه رفض النواة وانبذه نبذ القذاة، واعلـم بأن الحق في غيره فابحث عنه حتى تظفر به، وإن لـم يتفق

---

(١) الطبراني، **الـمعجم الكبير**، (ج١٠، ص١٩٨). بلفظ: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**»، قال الحافظ الهيثمي في **مجمع الزوائد**، (ج٧، ص٢٠٢): «رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الـملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) البطليوسي، **الإنصاف**، (ص١٣٩).

لك فهم الغرض منه والـمراد فاشدد يدك بعروة هذا الاعتقاد، ولا تتهم بارئك في حكمته ولا تنازعه في قدرته واعلـم بأنه غني عنك وأنت مفتقر إليه، ووارد بما تزودت من عملك عليه، تبارك الـمنفرد بأقضيته وأحكامه، الذي لا ينازع في نقضه وإبرامه، ولا يمتري العاقلون في عدله، ولا ييأس الـمذنبون من عفوه وفضله، لا رب سواه ولا معبود حاشاه».

قلنا: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[1] فعليك أخي بكتاب الله تعالى فإنه مشحون بالتوحيد وهو الدليل القاطع، واعلـم أن العقل لا يستقل بنفسه في الدلالة على الصانع الـمدبر (بالأوامر والنواهي وإلا فالعقل يدل على الصانع سبحانه وعلى أنه متصفٌ بالصفات الثلاث عشرة، فالعقل وحده لا يستقل بمعرفة الأمور المنجية في الآخرة، فل بدَّ من اتباع الأنبياء وما أنزل عليهم من الكتب والشرائع)، وإن اتسع فهمه وتعاظم عمله، بل لا بد معه من معونة الله تعالى فلا بدَّ للعقل من اتّباع الكتب الـمنزلة وإلا ضاع سعيه وركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهوى في الـمهاوي الـمهلكة وهو لا يشعر، فكتاب الله تعالى هو حبل الله الـمتين من تمسك به أوصله إليه ودله عليه بواسطة الألطاف الإلهية، فإنه تعالى جعله طريق الهدى والسبيل الـمنجي من الردى[2] متعنا الله باتّباعه.

واعلـم أنه إذا ورد نصان ظاهرهما تناقض فلا بد من الجمع بينهما لتعمل بهما ولا تفرق بين آياته إلا إذا ورد نص متأخر ينسخ الـمتقدم فيكون العمل

---

(١) سورة **النور**، ءاية ٤٠.

(٢) وهو الهلاك. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: ر د ى، (ج١٤، ص٣١٦).

بالأخير والنسخ[1] لا يكون في أمر يتعلق بالاعتقاد بل هو خاص بعلم الفروع كصلاة وصوم وحج ونحوها وكذا لا يكون النسخ في الخبر إذا كان المقصود منه الإخبار وأما إذا كان خبرا يراد به أمر أو نهي فيدخله نسخ لأن المراد به الحكم دون الخبر أما الخبر المحض فلا يتعلق به نسخ لأنه لو نُسِخَ للزم كذب في خبره تعالى وهو محال فالنسخ يتعلق بالأحكام فقط فافهم ذلك.

فبناء على ما تقرر من وجوب الجمع بين النصوص فإذا سمعت قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ۝٥٠﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ۝١٨﴾[4] مع

---

(١) النسخ معناه رفع حكم شرعي سابق بحكم شرعي لاحق. وليس في النسخ نسبة البداء إلى الله تعالى كما زعمت اليهود مع اعترافهم بأن الله تعالى أحل في شريعة يعقوب الجمع بين الأختين ثم نسخ ذلك بعده. فكيف يعيبون النسخ فيما سوى ذلك كنسخ استقبال النبي بعد الهجرة إلى بيت المقدس للصلاة سبعة عشر شهرا بالأمر بالرجوع إلى استقبال الكعبة بقوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ۝١٤٤﴾ سورة **البقرة**، ءاية ١٤٤، وذلك بعد الهجرة. ثم إن من المعلوم أنه لا يمتنع في الحكمة أن يأمر الطبيب مريضا باستعمال دواء في وقت ثم ينهاه عنه في وقت لتعلق صلاحه بذلك في الحالين. والله تعالى لا يتغير علمه بل هو عالم في الأزل باختلاف مصالح عباده لتغيّر أحوالهم، فالله تعالى يتصرف في عباده بنقلهم من الصحة إلى المرض ومن الغنى إلى الفقر ومن الحياة إلى الموت وعكس ذلك، ولا يخرج ذلك عن الحكمة. ثم من موارد النسخ «لعن الله زوّارت القبور» رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ج٤، ص١١٣) والبيهقي في السنن الكبرى: باب ما ورد في نهيهن عن زيارة القبور (ج٤، ص١٣٠)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، نسخ بحديث: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، (ج٢، ص٦٧٢). فيجب الإيمان بصحة النسخ ووقوعه.

(٢) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٣) سورة **النحل**، ءاية ٥٠.

(٤) سورة **الأنعام**، ءاية ١٨.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾﴾[1] ومع قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[2] ومع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾[3] ومع قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[4] ومع قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾[5] ومع قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴿٧﴾﴾[6] الآية فإن كنت واسع القلب فسيح الصدر عظيم الذوق والإدراك رددت علم جميع ذلك له تعالى، ونزهته عن المعنى الحسي المفهوم من ظاهر الرأي، كما كان عليه قرن الصحابة ومن تبعهم بإحسان وهذا المذهب الأسلم والطريق الأقوم، وإن لم تكن من فرسان هذا الميدان فارجع إلى التأويل كما عليه أئمة معتبرون وهم من جاء بعد القرون الثلاثة تقريبا لفهم القاصر وتطمينا لقلبه دفعا للخواطر[7].

(١) سورة **البقرة**، ءاية ١٨٦.

(٢) سورة **ق**، ءاية ١٦.

(٣) سورة **الحديد**، ءاية ٤.

(٤) سورة **الشعراء**، ءاية ٦٢.

(٥) سورة **التوبة**، ءاية ٤٠

(٦) سورة **المجادلة**، ءاية ٧.

(٧) **رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة**، (ص٢٨-٣٨).

المبحث الثاني عشر
خطر حمل الـمتشابه على الظاهر

هلك أناس بين طائفتين من الباطنية والظاهرية:

فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادّعوا من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الواجب والنهي عن الـمنهي.

وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله فحملوا الأسماء والصفات على ما تخيّلوه. والحق بين الـمنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل، ونرفض كل باطن لا يشهد له دليل من أدلة الشرع[1].

قال أبو نصر القشيري[2]: «وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزالهم

---

(١) ابن الجوزي، **تلبيس إبليس، (ج٨، ص٢٢٣)**. عن ابن عقيل الحنبلي أحد أساطين الـمذهب الحنبلي.

(٢) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، الأستاذ أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم النيسابوري. تخرج بوالده ثم لزم إمام الحرمين فأتقن عليه الأصول والفروع والخلاف وغير ذلك من العلوم، وكان له موقع عظيم عنده حتى إنه نقل عنه في كتاب الوصية من النهاية مع كونه شابا إذ ذاك وتلميذا له. تأهب للحج فلما وصل إلى بغداد عقد له مجلس الوعظ وظهر له من القبول ما لم يعهد لأحد قبله. ولزم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وغيره من الأئمة مجلس وعظه، وحج وعاد وأقام ببغداد وحج ثانيا وعاد إليها. وجرى له مع الحنابلة في زمن إقامته ببغداد أمور كثيرة وفتن وتعصب وقتل من الفريقين جماعة ثم وردت إشارة نظام الملك إليه بالرجوع إلى بلدة نيسابور لتسكين الفتن فرجع إليها ملازمًا للتدريس والإفتاء والوعظ والإملاء إلى أن توفي في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة. قال الذهبي وهو في عشر الثمانين. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية، (ج١، ص٢٥٤)**، رقم الترجمة ٢٥٤.

للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون: نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الـموهمة تشبيها والأخبار الـموهمة حدًّا وعضوا على الظاهر، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[1] وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والـمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها الـمسلـمون، وهؤلاء أتَوا الدين والعوامّ من طريق يغتر به المستضعفون فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنّزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل الـمحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري»[2].

وقال أيضًا رحمه الله: «وسرّ الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلّسون ويقولون له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا[3]، فليقل الـمحقق[4]

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٢) نقله الحافظ الزبيدي في **إتحاف السادة الـمتقين**، (ج٢، ص١٠٧-١٠٩)، عن القشيري.

(٣) قال الفخر الرازي: «عمدة مذهب الحنابلة الـمخالفين لأحمد أنهم متى تمسكوا بآية أو بخبر يوهم ظاهره شيئًا من الأعضاء والجوارح صرّحوا بأنا نثبت هذا الـمعنى لله على خلاف ما هو ثابت للخلق تمويها لا اعتقادًا فأثبتوا لله وجها بخلاف وجوه الخلق ويدًا على خلاف أيدي الخلق، ومعلوم أن اليد والوجه بالـمعنى الذي ذكروه مما لا يقبله الخيال والوهم فإذا عقل إثبات ذلك على خلاف الوهم والخيال فأي استبعاد في القول بأنه تعالى موجود وليس داخل العالـم ولا خارج العالـم وإن كان الوهم والخيال قاصرين عن إدراك هذا الوجود». فخر الدين الرازي، **أساس التقديس**، (ص١٩).

(٤) الـمحقق أي أهل الحق أهل الفهم.

هذا كلام لا بد من استبيان[1]، قولكم نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض، إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق[2] في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[3] هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخّ، فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر، وإن لم يمكنك الأخذ بها[4] فأين الأخذ بالظاهر. ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدّس الرّبّ تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون أخذًا بالظاهر.

وإن قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلًا فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدرٌ وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوّز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية، ومن أحاط بطرقٍ من العربية هان عليه مدرك الحقائق. وقد قيل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴿٧﴾﴾[5] فكأنه قال والراسخون في العلم أيضا يعلمونه و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴿٧﴾﴾[6]» أي على قراءة ترك الوقف على لفظ الجلالة يعلمون ومع هذا ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴿٧﴾﴾[7] أي

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها «لا بد له من استبيان».

(٢) كذا في الأصل، ولعلها «الساق».

(٣) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٤) أي إن كنت لا تقول ذلك.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٦) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

(٧) سورة **آل عمران**، ءاية ٧.

المحكمات من عند الله والمتشابهات من عند الله، فالراسخون يعلمون أيضا معنى المتشابه الذي ليس علمه خاصا بالله، والراسخون في العلم هم المتمكنون في العلم، ثم قال: «فإنّ الإيمان بالشيء إنما يتصور بعد العلم، أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأتّ، ولهذا قال ابن عباس: أنا من الراسخين في العلم». انتهى كلام الحافظ الزبيدي فيما ينقله عن أبي نصر القشيري رحمه الله.

وإليك بعض الأمثلة التي تظهر خطورة حمل المتشابه على الظاهر:

ـ المثال الأول:

قال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۝٨٨﴾[1]، فقد اتفق أهل الحقِّ على أنه لا بدَّ من تأويل هذه الآية، فقال البخاري[2] ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ملكه، ويقال: ما يتقرب به إليه، فذكر تأويلين:

الأول: إلا ملكه، أي أن كلِّ ملك يزول وملك الله لا يزول، فهو المتصف بالملك الأزلي الأبدي.

الثاني: أنَّ العملَ الباقي للإنسان بعد موته أي الذي ينفعه هو العمل الصالح الذي عمله تقرَّبًا إلى الله. وذكر مثل التفسير الثاني الإمام سفيان الثوري[3].

وأما المشبهة فقد ضربت تأويل السلف لهذه الآية بعرض الحائط، حتى قال

---

(١) سورة **القصص**، ءاية ٨٨.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب سورة القصص (في فاتحته)، (ج٤، ص١٧٨٧).

(٣) سفيان الثوري، **تفسير سفيان الثوري**، (ص١٩٤).

بعض قدماء الـمشبهة[1] في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۝٨٨﴾[2] إن الله يفنى كله ويبقى منه الوجه فقط الذي هو الجزء الـمركب على أعلى البدن، لأنه فسّر الوجه على الظاهر، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ويَرُدُّ هذا الكلام ما ذكره الإمام الثوري في تفسيره والبخاري رضي الله عنه في صحيحه وقد تقدم. وقد وصل الأمر ببعض دكاترة هذا العصر من الـمشبهة لـما عرض عليه كلام البخاري في تفسير هذه الآية إلى أن أجاب بقوله: «البخاري في إيمانه شك». ذلك أنهم يعتقدون الوجه جسمًا صفة وهذا غاية في الجهل إذ كيف يسمي الجسم صفة؟!.

ثم ماذا يقولون في حديث: «**أقرب ما تكون المرأة إلى وجه الله إذا كانت في قعر بيتها**»[3] فهل يحملونه على الظاهر الذي تعودوا أن يحملوا عليه الآيات وهو الجسم فينقضوا بذلك مذهبهم وهو اعتقادهم أن الله على العرش بذاته، ولا يخفى بُعد الـمسافة بين العرش والأرض، أم يقولون له معنى يناسب سياق الحديث كما قاله السلف الصالح؟ فإن قالوا: هو قرب معنوي، قلنا: هذا تأويل وترك للظاهر وبفعلهم هذا يكونون قد نقضوا مذهبهم، وهذا إلزام لا مهرب لهم منه.

ومن الدليل أيضًا على ما قدمنا ما ذكره الشيخ بدر الدين العيني في «**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**»[4]: ««يقال كل شيء هالك إلا وجهه إلا ملكه

---

(١) وهو بيان بن سمعان التميمي.

(٢) سورة **القصص**، ءاية ٨٨.

(٣) ابن بلبان، **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان**، (ج٧، ص٤٤٦).

(٤) بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج١٩، ص١٠٤).

ويقال إلا ما أريد به وجه الله» أشار به إلى قوله تعالى في آخر سورة القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[1] وفسر الوجه بالملك وكذا نقل الطبري عن بعض أهل العربية، وكذا ذكره الفراء وعن أبي عبيد ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا جلاله. قوله ويقال إلى آخره قال سفيان: معناه إلا ما أريد به رضاء الله والتقرب لا الرياء ووجه الناس».

وقال القرطبي في «**الجامع لأحكام القرءان**»[2]: «قوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[3] أي الذي له الوجه قال ابن عباس: الوجه عبارة عنه عز وجل كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[4]».

ـ المثال الثاني:

قال الله تعالى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴿١٢﴾﴾[5] أي أنَّ روح المسيح روح مشرفةٌ عند الله وأضافها الله إلى نفسه تشريفًا كما أضاف ناقة صالح إليه في قوله ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴿١٣﴾﴾[6] لكونها ءاية عظيمة، وكقوله تعالى في الكعبة ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴿١٢٥﴾﴾[7]، وقال الحافظ ابن الجوزي في «**الباز الأشهب**»[8]:

---

(١) سورة **القصص**، ءاية ٨٨.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٢، ص٧٧).

(٣) سورة **الليل**، ءاية ٢٠.

(٤) سورة **الرحمن**، ءاية ٢٧.

(٥) سورة **التحريم**، ءاية ١٢.

(٦) **سورة الشمس**، ءاية ١٣.

(٧) **سورة البقرة**، الآية ١٢٥.

(٨) ابن الجوزي، **الباز الأشهب**، (ص٦٠).

«ومنها -أي من الـمتشابه- قوله تعالى:﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ١٢﴾[1] قال الـمفسرون: أي من رحمتنا وإنما نسب الروح إليه لأنه بأمره كان، ومنها قوله تعالى: ﴿يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ ٥٧﴾[2] قلت: أي يؤذون أولياءه كقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٨٢﴾[3] أي أهلها»، فهل يقول عاقل أن الله تعالى يتأذى، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني[4]: «والـمراد بالأذى أذى رسله وصالحي عباده لاستحالة تعلق أذى المخلوقين به لكونه صفة نقص، وهو منزه عن كل نقص ولا يؤخر النقمة قهرا بل تفضلا، وتكذيب الرسل في نفي الصاحبة والولد عن الله أذى لهم، فأضيف الأذى لله تعالى للـمبالغة في الإنكار عليهم والاستعظام لـمقالتهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ٥٧﴾[5] فإن معناه يؤذون أولياء الله وأولياء رسوله فأقيم الـمضاف مقام الـمضاف إليه».

ـ المثال الثالث:

قال ربنا سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةً ١٩﴾[6]، وقال البخاري رضي الله عنه[7]: «والله شيء لا كالأشياء» ومع ذلك لا يفهم

---

(١) سورة **التحريم**، ءاية ١٢.

(٢) سورة **الأحزاب**، ءاية ٥٧.

(٣) سورة **يوسف**، ءاية ٨٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٣٥٩).

(٥) سورة **الأحزاب**، ءاية ٥٧.

(٦) سورة **الأنعام**، ءاية ١٩.

(٧) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةً ١٩﴾، (ص١٣٤).

مسلم أن الله داخل تحت قوله سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ١٦﴾[1] إلا أن المشبه يقع في ورطة خطيرة هنا يراوغ ليخرج منها، ذلك لأنه يأخذ بالظاهر.

ـ المثال الرابع:

أخبر الله تعالى عن تشريف عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ ١٧١﴾[2] بمعنى أن روحه من الأرواح المشرفة عند الله تعالى، لكنها مخلوقة لله تعالى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ١٣﴾[3] أي أن كل ذلك خلق لله تعالى، فماذا يفعل المشبه الذي يحمل الآيات على ظاهرها، هل يوافق النصارى في قولهم بأن روح عيسى المسيح جزء من الله، وهل يقول بأن كلَّ ما في السماوات والأرض هي أجزاء من الله أم أنه يؤول مضطرًّا؟ وقد خاب من حمل ظلما.

ـ المثال الخامس:

ثم تعال لنقرأ معًا قوله تعالى إخبارًا عن الريح التي أرسلها الله على قوم هود ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ٢٥﴾[4] فالقارئ للآية قد يظن أن الريح ما تركت شيئًا من ديارهم، ومع ذلك تعال لنطلع على خلاف هذا الوهم في قوله سبحانه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ ٢٥﴾[5] فأخبر أن مساكنهم كانت باقية وهي أشياء كثيرة.

---

(١) سورة **الرعد**، ءاية ١٦.

(٢) سورة **النساء**، ءاية ١٧١.

(٣) سورة **الجاثية**، ءاية ١٣.

(٤) سورة **الأحقاف**، ءاية ٢٥.

(٥) سورة **الأحقاف**، ءاية ٢٥.

وقال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾[1] وقد أتت على الجبال والشجر والأرض فلم تجعلها رميمًا، وهذا معناه أنها دمرت ما كانت مأمورة بتدميره.

ثم الله قال عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴿٢٣﴾﴾[2] فهل أوتيت ملك سليمان وهو أضعاف ملكها.

ـ المثال السادس:

ثم إنا نسمع قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴿١٨٥﴾﴾[3] والمراد نفوس الخلائق بلا ريب عند المؤمنين، ولا يسوغ لمسلم أن يفهم خلاف هذا من قوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴿٢٨﴾﴾[5] وقوله إخبارًا عن قول عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴿١١٦﴾﴾[6] وإنما المعنى تعلم ما في سري ولا أعلم ما في سرك.

وإلا فتأمل إلى ذلك الظاهر الذي يدّعي المجسم الأخذ به إلى أين يؤدي به لو حمل هذه الآيات على الظاهر في مقابل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ

---

(١) سورة **الذاريات**، ءاية ٤٢.

(٢) سورة **النمل**، ءاية ٢٣.

(٣) سورة **ءال عمران**، ءاية ١٨٥.

(٤) سورة **طه**، ءاية ٤١.

(٥) سورة **آل عمران**، ءاية ٢٨.

(٦) سورة **المائدة**، ءاية ١١٦.

ٱلۡمَوۡتِ ﴿١٨٥﴾[1] حيث يلزمه أن تكون نفس البارئ تعالى داخلة تحت الكلية التي جمعت النفوس التي تذوق الـموت. معاذ الله أن يكون الله داخلًا تحت الكلية في الأشياء المخلوقة[2].

ـ الـمثال السابع:

ثم إن كل مؤمن يعتقد بأن الله عالـم بكل شيء وذلك ما تقتضيه الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[3] وقوله: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٦٥﴾﴾[4] وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[5] أي بعلـمه وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴿٥٩﴾﴾[6] وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴿٧٣﴾﴾[7] إلى غيرها من الآيات الدالة على هذا الـمعنى، ثم إنا مع ذلك نسمع قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٣١﴾﴾[8] وقوله: ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[9] ولا يفهم الـموحد خلاف ما سبق من الآيات، وإنما الـمعنى ولنبلونكم حتى نميز

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ١٨٥.

(٢) أبو علي السكوني، **عيون المناظرات**، (ص٢٠٩، ٢١٠).

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ٢٩.

(٤) سورة **النمل**، ءاية ٦٥.

(٥) سورة **الطلاق**، الآية ١٢.

(٦) سورة **الأنعام**، ءاية ٥٩.

(٧) سورة **الأنعام**، ءاية ٧٣.

(٨) سورة **محمد**، ءاية ٣١.

(٩) سورة **آل عمران**، ءاية ١٤٢.

أي نظهر للخلق من يجاهد ويصبر من غيرهم وكان الله عالـمًا قبل، كما نقل البخاري ذلك عن أبي عبيدة معمر بن المثنى[1] وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴿٣٧﴾﴾[2] أي ليظهر لعباده من هو الخبيث ومن هو الطيب.

وعليه فما أوهم تجدد العلـم لله تعالى من الآيات القرءانية كقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴿٦٦﴾﴾[3] فليس الـمراد به ذلك بل قوله: ﴿وَعَلِمَ﴾ ليس راجعًا لقوله ﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾ بل الـمعنى أنه تعالى خفف عنكم الآن لأنه علـم بعلـمه السابق في الأزل أنه يكون فيكم ضعف، أي أنه نسخ ما كان واجبًا عليهم من مقاومة واحد من الـمسلـمين لأضعاف كثيرة من الكفار بإيجاب مقاومة واحدٍ لاثنين من الكفار رحمة بهم للضعف الذي علم الله بعلمه الأزلي أنه يكون فيهم.

فاعتبروا يا أولي الأبصار واتقوا الله واعترفوا بحقيقةٍ مهمةٍ، أَلَا وهي أنه لا بد من حمل بعض الآيات على خلاف ظواهرها إن كان ذلك الظاهر الذي يتبادر للذهن خلاف ما يليق بالله. وبهذا ينكشف لك ما قاله أهل العلـم في التأويل الصحيح الذي يقتضيه ما بيّناه لك، وفي هذا يقول أبو السعادات

---

(١) أبو عُبَيْدَة، مَعْمَرُ بن المثنّى التيميّ مولاهم، البصريّ، النحويّ، الإمام العلامة البحر، صاحب التصانيف. ولد سنة ١١٠هـ. في الليلة التي توفّي فيها الحسن البصريّ. قال الـمبرِّد: كان هو والأصمعيّ متقاربين في النحو، وكان أبو عُبَيْدة أكمل القوم، ومن كتبه: «مجاز القرءان» و«غريب الحديث» و«مقتل عثمان»، وكان ألثغ. مات سنة ٢٠٩هـ، وقارب مائة عام. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٩، ص٤٤٥-٤٤٧)، رقم الترجمة ١٦٨.

(٢) سورة **الأنفال**، ءاية ٣٧.

(٣) سورة **الأنفال**، ءاية ٦٦.

مجد الدين الشهير بابن الأثير[1] في «**النهاية في غريب الحديث**»[2]: «والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ».

ـ المثال الثامن:

لو أنك سمعت قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾[3] فإنه قد يتبادر إلى ذهنك المبالغة في التهديد والوعيد من الله تعالى لعباده كقول القائل سأفرغ لك وإن لم يكن مشغولًا عنه بشغل، وليس بالله تعالى شغل تعالى الله عن ذلك[4].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾[5] إن حمل على الظاهر المتبادر لأوهام الجهال كان المعنى أن الله في كل جهة وناحية لكن إن تأمل أول الآية فهم أن الله مالك المشرق والمغرب

---

(١) ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر عام ٥٤٤هـ، وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه. ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل عام ٦٠٦هـ، قيل: إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه، إملاء على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. من كتبه «النهاية في غريب الحديث»، و«جامع الأصول في أحاديث الرسول»، و«الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف» في التفسير، و«المرصع في الآباء والأمهات والبنات» و«الرسائل» من إنشائه، و«الشافي». الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢١، ص٤٨٨-٤٩١)، رقم الترجمة ٢٥٢.

(٢) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، (ج٨، ص١٠).

(٣) سورة **الرحمن**، ءاية ٣١.

(٤) ٤ القرطبي، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، (ص٣٠٤-٣٠٨).

(٥) سورة **البقرة**، ءاية ١١٥.

فلا يسوغ تفسيرها بهذا الـمعنى وإنما هو كما نقل عن مجاهد[1] «فثم قبلة الله» وذلك في صلاة النافلة للـمسافر على الدابة وفي صلاة الخوف.

ومثاله فيما يتعلق بكتاب الله تعالى أن يتوهم واهم تناقض القرءان وتكذيب بعضه بعضًا حين يقول: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴿٧٩﴾﴾[2] ويقول: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴿٧٨﴾﴾[3] والآية الثانية تكشف أن الآية الأولى هي بتقدير السياق إخبار عن الـمشركين.

ومثاله فيما يتعلق برسول الله أن يتوهم متوهم من قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾[4] ظاهره أن النبي ﷺ كان شاكا فيما أنزل إليه.

وأما الراسخون في العلـم فيؤمنون بأن ما جاء في كتاب الله تعالى فهو حق وليس فيه اختلاف ولا تناقض لأنه من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[5] وما جاء مشتبهًا ردوه إلى الـمحكم.

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة، (ص٣٠٩).

(٢) سورة **النساء**، ءاية ٧٩.

(٣) سورة **النساء**، ءاية ٧٨.

(٤) سورة **يونس**، ءاية ٩٤.

(٥) سورة **النساء**، ءاية ٨٢.

ولا يلزم من قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٩٤﴾[1] أن يكون الشك جائزًا على الرسول ﷺ، أو واقعًا منه ألا ترى قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾[2] هل يلزم منه أن يكون الولد جائزا على الله تعالى؟ كلا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾[3] ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ٩٣﴾[4].

ولا يلزم من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾[5] أن يكون الامتراء واقعًا من الرسول ﷺ، لأن النهي عن الشيء قد يوجه إلى من لم يقع منه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾[6] ومن المعلوم أنهم لم يصدوا النبي ﷺ عن آيات الله، وأن النبي ﷺ لم يقع منه شرك. والغرض من توجيه النهي إلى من لا يقع منه التنديد بمن وقع منهم والتحذير منهم، وبهذا يزول الاشتباه وظن ما لا يليق بالرسول ﷺ.

وقوله تعالى في الرسول ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ٥٦﴾[7] وقوله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[8]

---

(١) سورة **يونس**، ءاية ٩٤.

(٢) سورة **الزخرف**، ءاية ٨١.

(٣) سورة **مريم**، ءاية ٩٢.

(٤) سورة **مريم**، ءاية ٩٣.

(٥) سورة **البقرة**، ءاية ١٤٧.

(٦) سورة **القصص**، ءاية ٨٧.

(٧) سورة **القصص**، ءاية ٥٦.

(٨) سورة **الشورى**، ءاية ٥٢.

فالأولى هداية التوفيق بمعنى أنَّ النبي ﷺ لا يستطيع أن يخلق الهداية في قلب من أحب له الهداية، وإنما خالق الهداية في القلوب هو الله. والثانية هداية التبيين، أي أنك يا محمد تدلّ الناس إلى طريق الحقِّ وتبينه وتنصب له الأدلة.

وفي «**تفسير القرطبي**»[1] في بيان قول الله إخبارًا عن نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[2] ما نصه: «﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ قال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير: مغاضبا لربه عز وجل، واختاره الطبري[3] والقتبي واستحسنه المهدوي[4]، وروي عن ابن مسعود. وقال النحاس: وربما أنكره هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح. والمعنى: مغاضبا من أجل ربه كما تقول: غضبت لك أي من أجلك»، «وقول النحاس أحسن ما قيل في تأويله أي خرج مغاضبًا من

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج١١، ص٣٢٩).

(٢) سورة **الأنبياء**، ءاية ٨٧، ٨٨.

(٣) الطبري، **جامع البيان**، (ج١٧، ص٧٧).

(٤) أحمد بن عمار بن أبي العباس، الإمام أبو العباس المهدوي، نسبه إلى المهدية بالمغرب، أستاذ مشهور، رحل وقرأ على محمد بن سفيان وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم وأبي الحسن أحمد بن محمد القنطري بمكة. وذكر الذهبي أنه قرأ على أبي بكر أحمد بن محمد البراثي، وألف التواليف منها: التفسير المشهور و«الهداية» في القراءات السبع، وقد قرأت بها وشرحها في شرح لطيف وهو الذي ذكره الشاطبي في باب الاستعاذة. قرأ عليه غانم بن الوليد، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الطرفي، وموسى بن سليمان اللخمي، ويحيى بن إبراهيم البياز، ومحمد بن إبراهيم بن إلياس، ومحمد بن عيسى بن فرج المغامي، قال الذهبي: توفي بعد الثلاثين وأربعمائة. ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، (ج١، ص٩٢).

أجل ربه، أي غضب على قومه من أجل كفرهم بربه»...إلى أن قال: «وذكر الثعلبي[1] وقال عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه: فظن أن لن نضيق عليه.

قال الحسن: هو من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴿٢٦﴾﴾[2] أي يضيق.

وقوله ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ ﴿٧﴾﴾[3]. قلت: وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن.

وَقَدَر وَقَدَّرَ وَقَتَرَ وَقَتَّرَ بمعنى، أي ضَيَّقَ وهو قول ابن عباس فيما ذكره الماوردي في «**النكت والعيون**»[4] والمهدوي.

وقيل: هو من القدر الذي هو القضاء والحكم، أي فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة، قاله قتادة ومجاهد والفراء[5].

مأخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة، وعلى هذين التأويلين العلماء.

---

(١) أبو إسحاق الثعلبيّ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوريّ، كان أحد أوعية العلم، له كتاب «التفسير الكبير» وكتاب «العرائس» في قصص الأنبياء وفيه ما يحذر منه، قال السمعاني: يقال له: الثَّعْلَبيّ والثعالبيّ، وهو لقب له لا نسب. توفّي في المحرّم سنة ٤٢٧هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٧، ص٤٣٥-٤٣٧)، رقم الترجمة ٢٩١.

(٢) سورة **الرعد**، اية ٢٦.

(٣) سورة **الطلاق**، اية ٧.

(٤) أبو الحسن الماوردي، **تفسير الماوردي النكت والعيون**، (ج٣، ص٤٦٦).

(٥) الفراء، **معاني القرءان**، (ج٢، ص٢٠٩).

وقرأ عمر بن عبد العزيز والزهري: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴿٨٧﴾﴾[1] بضم النون وتشديد الدال من التقدير. وحكى هذه القراءة الـماوردي عن ابن عباس[2]. وقرأ عبيد بن عمير وقتادة والأعرج: (أن لن يُقَدَّرَ عليه) بضم الياء مشددا على الفعل المجهول. وقرأ يعقوب وعبد الله بن أبي إسحاق والحسن وابن عباس أيضا: (يُقْدَرَ عليه) بياء مضمومة وفتح الدال مخففا على الفعل المجهول، وعن الحسن أيضا: (فظن أن لن يقدر عليه). الباقون (نَقْدِر) بفتح النون وكسر الدال وكله بمعنى التقدير.

قلت: وهذان التأويلان تأولهما العلماء في قول الرجل الذي لـم يعمل خيرا قط لأهله إذا مات فحرقوه «فوالله لئن قدر الله عليّ» الحديث فعلى التأويل الأول يكون تقديره: والله لئن ضيق الله علي وبالغ في محاسبتي وجزاني على ذنوبي ليكونن ذلك، ثم أمر أن يحرق بإفراط خوفه.

وعلى التأويل الثاني: أي لئن كان سبق في قدر الله وقضائه أن يعذب كل ذي جرم على جرمه ليعذبني الله على إجرامي وذنوبي عذابا لا يعذبه أحدا من العالـمين غيري، وحديثه خرّجه الأئمة في «**الموطأ**»[3] وغيره، والرجل كان مؤمنًا موحدا، وقد جاء في بعض طرقه[4]: «لم يعمل خيرا إلا التوحيد» وقد قال حين قال الله تعالى: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق قال الله تعالى:

---

(١) سورة **الأنبياء**، ءاية ٨٧.

(٢) الماوردي، **النكت والعيون**، (ج٣، ص٤٦٦).

(٣) الإمام مالك، **الـموطأ**، كتاب الجنائز، جامع الجنائز، (ص١٩٢).

(٤) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (ج٢، ص٤٠٤).

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾[1]»، فتأمل.

قال البطليوسي في «**الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم**»[2]: «وأما قوله: فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا شديدًا، فمعناه فوالله لئن ضيق الله علي طرق الخلاص ليعذبني. وليس يشك في قدرة الله، ولو شك في قدرته لكان كافرا. وإنما هو كقوله تعالى:﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴿٨٧﴾﴾[3] وقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ ﴿٧﴾﴾[4] أي ضيّق. ويجوز أن يكون من القدر الذي هو القضاء، فيكون معناه: فواللّه لئن قدّر اللّه علي العذاب ليعذّبنّي فحذف المفعول اختصارا».

قال أبو حيان الأندلسي ما نصه[5]: «وقيل ﴿مُغۡضِبًا﴾[6] لقومه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم بالعذاب، ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له في الخروج. وقيل ﴿مُغۡضِبًا﴾ للملك حزقيا حين عينه لغزو ملك كان قد عاب في بني إسرائيل، فقال له يونس: آلله أمرك بإخراجي؟ قال: لا، قال فهل سماني لك؟ قال: لا، قال ههنا غيري من الأنبياء، فألح عليه فخرج ﴿مُغۡضِبًا﴾ للملك. وقول من قال ﴿مُغۡضِبًا﴾

---

(١) سورة **فاطر**، ءاية ٢٨.

(٢) البطليوسي، **الإنصاف**، (ص١٠١).

(٣) سورة **الأنبياء**، ءاية ٨٧.

(٤) سورة **الطلاق**، ءاية ٧.

(٥) أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، (ج٨، ص١٨٣).

(٦) سورة **الأنبياء**، ءاية ٨٧.

لربه وحكى في الـمغاضبة لربه كيفيات يجب اطّراحه إذ لا يناسب شيء منها منصب النبوة، وينبغي أن يتأول لـمن قال ذلك من العلـماء كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين[1]، وابن مسعود[2] من الصحابة بأن يكون معنى قولهم ﴿مُغَٰضِبًا﴾ لربه أي لأجل ربه ودينه، واللام لام العلة لا اللام الـموصلة للـمفعول به. وقرأ أبو شرف ﴿مُغَٰضِبًا﴾ اسم مفعول.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ۝٨٧﴾[3] أي نضيق عليه من القدر لا من القدرة. وقرأ الجمهور ﴿نَّقۡدِرَ﴾ بنون العظمة مخففا. وقرأ ابن أبي ليلى[4] وأبو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب بضم الياء وفتح الدال مخففًا، وعيسى والحسن[5] بالياء مفتوحة وكسر الدال، وعليّ بن أبي طالب واليماني بضم الياء وفتح القاف والدال مشددة، والزهري بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة». وهذه الآية لو حملت على الظاهر كما فعل بعض الجهلة فهو الكفر الصريح.

وغير ذلك في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ كثير جدا، فهل من معتبر

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (ج١١، ص١٧٢، ١٧٣).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (ج١١، ص١٧٢، ١٧٣).

(٣) سورة **الأنبياء**، ءاية ٨٧.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي، قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولد سنة ٧٤هـ. ومات أبوه وهو صبي، لم يأخذ عن أبيه شيئًا، بل أخذ عن أخيه عيسى، عن أبيه، وأخذ عن الشعبي، ونافع العمري، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم. حدث عنه: شعبة، وسفيان بن عيينة، وزائدة، والثوري، وقيس بن الربيع، وحمزة الزيات وقرأ عليه. وعرض على الشعبي عن تلاوته على علقمة، وتلا أيضًا على المنهال عن سعيد بن جبير. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص٣١٠-٣١٦)، رقم الترجمة ١٣٣.

(٥) محمّد الطيب الإبراهيم، **إعراب القرءان الكريم**، (ج٣، ص٧٧).

يا أولي الأبصار والأفهام. ولكن تنبه فلا تكن ممن يخوض بسبب ما أوردناه عليك هنا في كتاب الله بما لا علـم لك فيه فتهلك.

وها أنا أزيدك ما يؤكد لك هذا الـمعنى فتبصر، قال الفخر الرازي في «**أساس التقديس**»[1] ما نصه: «القسم الثاني وهو تأويل الـمتشابهات من الأخبار والآيات»، والكلام فيه مرتب على مقدّمة وفصول.

أما المقدّمة: فهي في بيان أن جميع فرق الإسلام مقرّون بأنه لا بدّ من التأويل في بعض ظواهر القرءان والأخبار. أما في القرءان فبيانه من وجوه:

الأوّل: هو أنه ورد في القرءان ذكر الوجه وذكر العين وذكر الجنب الواحد وذكر الأيدي وذكر الساق الواحدة، فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة، وله جنب واحد وعليه أيدي كثيرة، وله ساق واحدة، ولا نرى في الدنيا شخصًا أقبح صورة من هذه الـمتخيلة، ولا أعتقد أن عاقلًا يرضى بأن يصف ربه بهذه الصفة.

الثاني: أنه ورد في القرءان أنه نور السماوات والأرض وأن كل عاقل يعلـم بالبديهية أن إلـٰه العالـم ليس هو هذا الشيء الـمنبسط على الجدران والحيطان، وليس هو هذا النور الفائض من جرم الشمس والقمر والنار، فلا بدّ لكلّ واحد منا من أن يفسّر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٣٥﴾[2] بأنه منوّر السماوات والأرض، أو بأنه هاد لأهل السماوات والأرض، أو بأنه مصلح السماوات والأرض، وكل ذلك تأويل.

---

(١) الفخر الرازي، **أساس التقديس في علـم الكلام**، (ص٦٧).

(٢) سورة **النور**، ءاية ٣٥.

الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿٢٥﴾﴾[1] ومعلوم أن الحديد ما نزل جرمه من السماء إلى الأرض. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴿٦﴾﴾[2] ومعلوم أن الأنعام ما نزلت من السماء إلى الأرض.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴿٧﴾﴾[5] وكل عاقل يعلم أن المراد منه القرب بالعلم والقدرة الإلهية.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾[6] فإن هذا القرب ليس إلا بالطاعة والعبودية، فأما القرب بالجهة فمعلوم بالضرورة أنه لا يحصل بسبب السجود.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾[7]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[8].

السابع: قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿٢٤٥﴾﴾[9] ولا

---

(١) سورة **الحديد**، ءاية ٢٥.

(٢) سورة **الزمر**، ءاية ٦.

(٣) سورة **الحديد**، ءاية ٤.

(٤) سورة **ق**، ءاية ١٦.

(٥) سورة **المجادلة**، ءاية ٧.

(٦) سورة **العلق**، ءاية ١٩.

(٧) سورة **البقرة**، ءاية ١١٥.

(٨) سورة **الواقعة**، ءاية ٨٥.

(٩) سورة **البقرة**، ءاية ٢٤٥.

شك أنه لا بدّ فيه من التأويل.

الثامن: قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾﴾[1] ولا بدّ فيه من التأويل.

التاسع: قال تعالى لـموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[2] وهذه الـمعية ليست إلا بالحفظ والعلـم والرحمة[3]. فهذه وأمثالها من الأمور التي لا بدّ لكل عاقل من الاعتراف بحملها على التأويل، وبالله التوفيق.

أما الأخبار: فهذا النوع فيها كثير:

فالأوّل: قوله عليه السلام حكاية عن الله سبحانه وتعالى[4]: «**مرضتُ فلـم تعدني، استطعمتك فما أطعمتني، استسقيتك فلَمْ تَسْقِنِي**» ولا يشك عاقل أن الـمراد منه التمثيل فقط.

---

(١) سورة **النحل**، ءاية ٢٦.

(٢) سورة **طه**، ءاية ٤٦.

(٣) وقد فسّر المراد من ذلك بنص الحديث: «**إنّ اللّه عزّ وجلّ يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يا ربّ كيف أعودك وأنت ربّ العالمين. قال أما علمت أنّ عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال يا ربّ وكيف أطعمك وأنت ربّ العالمين. قال أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعمه أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. قال يا ربّ كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين قال استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي**». مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (ج٨، ص١٣)، حديث ٦٧٢١.

(٤) مسلـم، **صحيح مسلـم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة الـمريض، (ص٩٩٧)، حديث ٢٥٦٩.

الثاني: قوله ﷺ حكاية عن ربه: «**من أتاني يمشي أتيته هرولة**»[1] ولا يشك عاقل أن الـمراد منه التمثيل والتصوير[2].

الثالث: نقل أبو حامد الغزالي[3] رحمه الله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أقرّ بالتأويل في ثلاثة أحاديث:

أحدهما: قوله عليه السلام: «**الحجر يمين الله في الأرض**»[4].

وثانيهما: قوله عليه السلام: «**إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين**»[5].

وثالثهما: قوله عليه السلام حكاية عن الله عزّ وجلّ: «**أنا جليس من ذكرني**»[6].

الرابع: حكي أن الـمعتزلة تمسّكوا في خلق القرءان بما روي عنه عليه السلام: «**اقرؤوا الزهراوتين البقرة وسورة آل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان**»[7]. فأجاب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقال: يعني ثواب قارئهما، وهذا تصريح بالتأويل.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴿٣٠﴾﴾ (ص١٣٣٨)، حديث ٧٤٠٤.

(٢) قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: «**ومعناه من تقرَّب إليَّ بطاعتي تقرَّبتُ إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت**». النووي، **شرح صحيح مسلم**، (ج٣، ص١٧).

(٣) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (ج٢، ص٧٩، ٨٠).

(٤) أبو بكر البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، (ج٦، ص٣٢٨).

(٥) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (ج٢، ص٥٤١).

(٦) البيهقي، **شعب الإيمان**، (ج١، ص٤٥١).

(٧) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة الـمسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرءان وسورة البقرة، (ص٢٩٠)، حديث ٨٠٤٠.

الخامس: قوله عليه السلام: «**خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ**[1] **الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ**» وهذا لا بدّ له من التأويل.

السادس: قال عليه السلام: «**إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة من النار**»[2] ولا بدّ فيه من التأويل.

السابع: قال عليه السلام: «**قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**»[3] وهذا لا بدّ فيه من التأويل لأنا نعلم بالضرورة أنه ليس في صدورنا أصبعان بينهما قلوبنا.

الثامن: قوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**»[4] وليست هذه العندية إلا بالرحمة، وأيضًا قال ﷺ حكاية عن الله تعالى في صفة الأولياء: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**»[5] ومن المعلوم بالضرورة أن القوّة الباصرة التي بها يرى الأشياء ليست هي الله سبحانه وتعالى.

---

(١) قال القاضي عياض: «الحقو معقد الإزار فاستعير ذلك مجازًا للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة». القاضي عياض، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، باب في غسل الميت، (ج٨، ص٥٨٠).

(٢) ابن أبي شيبة، **مُصنف ابن أبي شيبة**، (ج٢، ص١٤٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ملا علي القاري، **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى**، (ص١٣٨). وقال: «قال السخاوي: ذكره الغزالي في البداية، قلت: ولا أصل له في المرفوع».

(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (ص١١٨٥)، حديث ٦٥٠٢.

التاسع: قال عليه السلام حكاية عن الله سبحانه وتعالى: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**»[1] والعاقل لا يثبت لله تعالى إزارًا ورداءً.

العاشر: قال عليه السلام لأُبَيٍّ بن كعب: «**يا أبا المنذر أيّة ءاية في كتاب الله تعالى أعظم**»[2] فتردّد فيه مرّتين ثم قال في الثالثة: ءاية الكرسي، فضرب يده عليه السلام على صدره وقال: «**أصبت، والذي نفسي بيده إن لها لسانًا يقدّس الله تعالى عند العرش**» ولا بدّ فيه من التأويل.

فثبت بكل ما ذكرنا أن المصير إلى التأويل أمر لا بدّ منه لكل عاقل، وعند هذا قال المتكلمون: لما ثبت بالدليل أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الجهة والجسمية وجب علينا أن نضع[3] لهذه الألفاظ الواردة في القرءان والأخبار محملًا صحيحا لئلا يصير ذلك سببا للطعن فيها. فهذا تمام القول في المقدّمة، وبالله التوفيق».

وبذلك نصل إلى أن السلف الصالح كانوا يفهمون أساليب اللغة العربية، وحقيقتها ومجازاتها كما في قوله تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴿١٧﴾﴾[4]، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴿٨٢﴾﴾[5]، وقد قدمت لك بعض تأويلاتهم، وهل فهم الصحابة الكرام أن اللّه أخذ بكفه حصًى من الصحراء في بدر ورمى بها وجوه

---

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، (ص٥٩). حديث ٤٠١٠.

(٢) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (ج٥، ص١٤٢).

(٣) أي مما تحتمله اللغة وينسجم مع المحكم من غير جزم بها، وإنما نقول هي احتمالات وذلك تنبيهًا للعامي الذي ربما تشوش من تلبيسات المشبهة أراحنا الله منهم.

(٤) سورة **الرعد**، ءاية ١٧.

(٥) سورة **يوسف**، ءاية ٨٢.

الكفار كما في قوله تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾﴾[1] أم فهموا أن الرامي هو النبي ﷺ وأن الله أوصلها إلى أعينهم بقدرته؟ حاشا أن يفهموا الـمعنى الأول وهم أئمة الدين والعلـم، بل لابد أنهم كانوا يحملونها على مجازاتها اللغوية.

وكيف يستطاع حمل اللفظ على ظاهره من مثل قوله تعالى في سفينة نوح عليه السلام: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴿١٤﴾﴾[2] وإنما يصرف اللفظ إلى: تجري بمرأى منا، أي محفوظة بقدرتنا.

وهل فهم الصحابة مِن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٠﴾﴾[3] أنَّ لله يد حقيقية كانت فوق أيديهم، أم صرفوا اللفظ إلى معنى مناسب للسياق؟ لا شك أنهم صرفوا اللفظ إلى معناه الـمجازي.

كذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴿٧١﴾﴾[4] أي خلقها بقدرته، وهذا مما يدل على أن الصحابة كانوا يفهمون من إطلاق هذه الألفاظ معناها الـمجازي، لا الحقيقي.

---

(١) سورة **الأنفال**، ءاية ١٧.

(٢) سورة **القمر**، ءاية ١٤.

(٣) سورة **الفتح**، ءاية ١٠.

(٤) سورة **يس**، ءاية ٧١.

المبحث الثالث عشر

التحذير من قول المشبهة في الآيات المتشابهات «التفويض في الكيفية»

قد مضى النقل وافيًا عن بعض أئمة السلف والخلف في عدم تفسير أو ذكر المعنى، بل قد مضى عن بعض مدعي السلفية أنفسهم ما لا يستطيعون إنكاره مما ورد في كتبهم من نفي المعنى أو تفويضه، ومع ذلك فعبارتهم «المعنى معلوم والتفويض في الكيفية» هي عبارة مغالطة فيها ما فيها وعليها ملاحظات واضحة، فعبارة «المعنى معلوم» تعني عندهم أنه معلوم في الوضع العربي، إذن فاليد والعين والقدم والوجه ونحوها إما أعضاء أو جوارح أو أجزاء أو أبعاضٌ وغير ذلك من المعاني المعروفة باللغة العربية لهذه الألفاظ بزعمهم.

فإن قالوا: نعم نحن نعني ذلك.

قلنا لهم: إن ذلك فيه مخالفة ومعارضة لقوله تعالى المحكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[٥]. وإن كلّ هذه المعاني المذكورة خاصة بالمخلوقات مستحيلة على الله تعالى والقول بها يؤدي إلى التشبيه. وما الفرق بينهم حينذاك وبين النصارى الذين قالوا «المسيح ابن الله على معنى يليق بالله»، أو المجوس الذين قالوا: «لله شريك في الخلق هو الظلمة على ما يليق بالله»، أو من يقول «إن الله يأكل ويشرب وينام وينكح ويتعب ويهرم على ما يليق

---

(٥) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

بالله»، فما أفسد هذا الكلام وأبعده عن الحق.

وإن قالوا: نؤمن بها على ما يليق بجلاله، فإن قصدوا إنها جوارح وأعضاء أو أبعاض أو أجزاء أو نحو ذلك من المعاني الماضية لكن على ما يليق بجلال الله تعالى بزعمهم.

فالجواب: أن الله تعالى لا يليق به شيء من تلك المعاني الحادثة وهي مستحيلة عليه فيكون ذلك تشبيهًا.

وأما إن قالوا: لا نعني من تلك المعاني وإنما نضيفها إلى الله على ما يليق به تعالى منزهين له عن الجسمية والمكان والحدوث والتغير، فذلك عين مذهب التفويض فلا خلاف.

أما عبارة «التفويض في الكيفية» فتقتضي إثبات الكيفية لله تعالى وصفاته لكنهم يقولون: نحن لا نعرف هذه الكيفية بل نفوض العلم بها لله بزعمهم، قلنا: إثباتُ الكيف نوع من التشبيه لأن الكيفيات خاصة بالمخلوقات من ذوات الأجسام والحدود، ولا تُطلق على المولى تعالى.

وإليك أيها القارئ نقول علماء أهل السنة والجماعة من السلف والخلف إلى يومنا هذا في تنزيه الله تعالى عن الكيفية[1]، وليس ذلك على سبيل الحصر إنما على سبيل المثال:

---

(١) **تنبيه**: ذكر لفظ الكيفية في بعض العبارات بمعنى الحقيقة ليس في ذلك تشبيه لله بخلقه، كهذا البيت الذي يذكره بعض المؤلفين من أهل السنة كابن الجوزي والزركشي: [البسيط]

حَقِيقَةُ العَبْدِ لَيْسَ العَبْدُ يُدْرِكُها فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الجَبَّارِ في القِدَمِ

وفي رواية: حقيقةُ النفسِ ليسَ العبدُ يُدركُها.

فقوله: «فكيف كيفية الجبار في القدم»، معناه فكيف حقيقة الجبار، وليس معنى الكيفية هنا الصفة التي تقول بالجرم، فالله تعالى منزه عن ذلك.

١- قال الإمام **علي** بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «**إن الذي كيّف الكيف لا كيف له** وإن الذي أيّن الأين لا أين له»[١].

وقال رضي الله عنه وأرضاه ما نصه: «بل **جلّ أن يُكَيَّف** المكَيِّفُ للأشياء».

وقال رضي الله عنه: «بل **هو بلا كيفية**».

وقال: «**سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات**». رواه الإمام أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء[٢] في ترجمة الإمام علي.

٢- قال اللالكائي[٣] ما نصه[٤]: «وسئل ربيعة بن أبي عبد الرحمـٰن عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٥] فقال: الاستواء غير مجهول **والكيف غير معقول**، وَمِنَ الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق».

٣- قال الإمام المجتهد المطلق النعمان بن ثابت أبو حنيفة رضي الله عنه وأرضاه وهو من أئمة السلف وأحد التابعين الأجلاء فإنه قد اجتمع بسبعة من الصحابة وأخذ العلم عن ما يقارب المائة من التابعين وهو

---

(١) الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ج١، ص١٦٢، ١٦٣).

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء**، (ج١، ص٧٢).

(٣) اللالِكائيّ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبريّ، الرازيّ، الشافعيّ، الإمام، الحافظ، المجوِّد، المفتي، مفيد بغداد في وقته، له من المصنّفات: «شرح السُّنَّة»، و«السنن»، و«أسماء رجال الصحيحين»، و«كرامات أولياء الله». توفي سنة ٤١٨هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٨، ص٧١).

(٤) اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، (ج٣، ص٣٩٨).

(٥) سورة **طه**، ءاية ٥.

الذي قال فيه الشافعي: «إني لأتبرك بأبي حنيفة[1]»، ما نصه[2]: «فهو أي الله له صفات بلا كيف».

وقال أيضًا عن حديث النزول ما نصه: «**ينزل بلا كيف**». روى ذلك عنه الإمام البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[3].

وقال أيضًا في الفقه الأكبر ما نصه: «واللهُ تعالى يُرَى في الآخرَةِ، ويَراهُ المؤمنونَ وهُم في الجنةِ بأعينِ رؤوسِهِم **بلا تشبيهٍ ولا كيْفِيَّةٍ** ولا جهة ولا يكونُ بينَهُ وبينَ خَلقِهِ مسافَةٌ».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «وغضبه ورضاه صفتان من **صفاته تعالى بلا كيف**». يعني أن رضاه وغضبه ليسا من الانفعالات التي تحدث في ذاته تعالى لأنه لو كانت تحدث له صفة لكان ذاته حادثًا.

٤- قال اللالكائي ما نصه[5]: «الوليد بن مسلم[6] يقول: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقالوا: أمروها كما جاءت **بلا كيف**».

---

(١) أي بقبره.

(٢) أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (ص١).

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ج٢، ص٤٨٩).

(٤) القاري، **شرح الفقه الأكبر**، (ص٦٨).

(٥) اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، (ج٣، ص٥٢٧).

(٦) الوليد بن مسلم، الإمام، عالم أهل الشام، أبو العبّاس الدمشقيّ، الحافظ، مولى بني أُميّة، ارتحل في طلب العلم وصنّف التصانيف، ونال الإمامة، واشتهر اسمه، وكان من أوعية العلم، ثقة، قال أحمد بن حنبل: ليس أحد أروى لحديث الشاميين من الوليد بن مسلم وإسماعيل ابن عيّاش. توفّي في شهر المحرّم سنة ١٩٥هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٩، ص٢١١-٢٢٠)، رقم الترجمة ٦٠.

٥- قال الإمام البيهقي[١]: «أبو داود هو الطيالسي قال: كان سفيان الثوري، وشعبة[٢]، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة[٣]، وشريك[٤]، وأبو عوانة[٥] **لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث ولا**

---

(١) البيهقي، **السنن الكبرى**، (ج٣، ص٢).

(٢) شعبة بن الحَجَّاج بن الورد، الإمام، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، أبو بسطام الأزديّ، العتكيّ مولاهم، الواسطيّ، عالم أهل البصرة، وشيخها، رأى الحسن، وأخذ عنه مسائل. حدّث عن أنس بن سيرين، وإسماعيل بن رجاء، وسلمة بن كُهَيْل، وجامع بن شدّاد وغيرهم. وقال عنه أبو زيد الهرويّ: «عالم عظيم، وانتشر حديثه في الآفاق». حدّث عنه: أيوب السختيانيّ، وسعيد الجريريّ، ومنصور بن المعتمر، ومطر الورّاق وسواهم كثير. ومن جلالته قد روى مالك الإمام عن رجل عنه: وقال الشافعيّ: «لولا شُعْبَة، لما عُرِفَ الحديث بالعراق». وقال أبو داود الطيالسيّ: «سمعت من شعبة: ٧٠٠٠ حديث، وسمع منه غُنْدر: ٧٠٠٠». ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٦٠هـ، بالبصرة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص١١٦-١٢٩)، رقم الترجمة ١٢١٦.

(٣) حَمّاد بن سَلَمة بن دينار، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصريّ، النحويّ، البزّاز، الخِرَقيّ، البطائنيّ، مولى آل ربيعة بن مالك، سمع ابنَ مُلَيْكَة وهو أكبر شيخ له، وأنس بن سيرين، وثابتًا البُنَاني وغيرهم، وحدّث عنه ابن جُرَيْج، وابن المبارك، ويحيى القطّان وآخرون، قال عمرو بن عاصم: كتبت عن حمّاد بن سلمة بضعة عشر ألفًا أي من الأحاديث، وقال عنه حَجّاج بن منهال: كان من أئمّة الدين، وكان مجاب الدعوة. توفّي في ذي الحجّة ١٦٧هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٧، ص٤٤٤-٤٦٥)، رقم الترجمة ١٦٨.

(٤) شريك النخعي، شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، أبو عبد الله، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته. استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله موسى الهادي. وكان عادلاً في قضائه. مولده في بخارى. ووفاته بالكوفة. ولد سنة ٩٥هـ، وتوفي سنة ١٧٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص١٦٣).

(٥) أبو عَوانة، الإمام، الحافظ، الثبْت، محدّث البصرة، الوَضّاح بن عبد الله، مولى يزيد بن سيرين. وروى عن الحكم بن عُتَيْبَة، وزياد بن علاقة، وقتادة، وسماك بن حرب، والأسود بن قيس، وإسماعيل السُّدِّيّ، وعمرو بن دينار، وعدة، وكان من أركان الحديث. روى عنه: هشام بن أبي عبد الله الدستوائيّ مع تقدمه، وابن المبارك، وابن مهديّ، وحبّان بن هلال، وعفّان بن مسلم، وخلف بن هشام، وخلق كثير. قال أحمد بن حنبل: «هو صحيح الكتاب، وإذا حدّث من حفظه ربما يَهِمُ». وقال عفّان: «سمعت شعبة يقول: إن حدّثكم أبو عوانة عن أبي هريرة، فصدّقوه». وقال الذهبي: «استقرَّ الحال على أن أبا عوانة ثقة». مات في ربيع الأوّل سنة ١٧٦هـ، بالبصرة.=

يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر».

٦- قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه المجتهد المطلق الصديق ولي الله الذي فيه فسر بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما**» أخرجه الترمذي، ما نصه: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصِرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد». رواه اليافعي في روض الرياحين.

وذلك لأن الذي يُتخيل في الذهن ويُتصور في البال يكون ذا كيفية من الكيفيات والله تعالى قال عن نفسه ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴿٢٤﴾﴾[1]، ومعنى المصوِر في حق الله تعالى أنه خالق الأشكال والصور لأنها كيفيات ولو كان ذا كيفية وشكل وصورة لقال: «المصوَر»، وهذا رد قرءاني على الوهابية لأنهم اعتقدوا في الله تعالى أنه ذو هيئة وكيفيات كالجلوس والقعود والحركة والسكون والجسم والجثة والصورة، وهذه الآية تكذبهم. ولذلك قال الإمام الشافعي عنهم وعن أمثالهم: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «واعلموا أن **خالق العالم لا يشبه شيئًا من**

= الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٦، ص٣٨٨-٣٩١)، رقم الترجمة ١٣٤٤.

(١) سورة **الحشر**، الآية ٢٤.

(٢) نُسِب للشافعي، **الفقه الأكبر**، (ص ٨).

المخلوقات، والدليل عليه أن التشبيه يوجب الاستغراق في جميع الصفات والأحكام لأن حقيقة المشتبهين هما الغيران بالذات يجوز على كل واحدٍ منهما جميع ما جاز على صاحبه فيقوم مقامه ويسدّ مسده، فلو كان الباري تعالى مشبهًا لخلقه لكان يجوز عليه صفات خلقه وذاك محال لأنه يقتضي جواز كونه محدثًا، ولأنه يتناقض **فثبت أن الباري لا يشبهه خلقه ولا يشبه هو خلقه**، قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[1] ومعناه ليس كهو شيء».

٧- قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني في النصوص المتشابهة ما نصه[2]: «نؤمن بها ونصدق **ولا كيف ولا معنى**[3]».

وأنكر أحمد على من قال بالجسم كما مرّ ءانفًا، وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كله ولم يجئ ذلك في الشريعة فبطل. وذلك فيما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي[4] البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها في كتابه «**اعتقاد الإمام**

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) ابن قدامة، **لمعة الاعتقاد**، (ص٣).

(٣) أي لا يوصف الله بالكيفيات ولا بالمعاني المحدثات التي توصف بها المخلوقات.

(٤) أبو الفضل، الإمام، الفقيه، رئيس الحنابلة، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميميّ، البغداديّ، الحنبليّ، كان صدوقًا، دفن إلى جنب قبر الإمام أحمد، وكان صديقًا للقاضي أبي بكرٍ الباقلانيّ توفّي سنة ٤١٠هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٧، ص٢٧٣)، رقم الترجمة ١٦٥.

أحمد بن حنبل رضي الله عنه»[1].

فلنتأمل إخوة الإيمان هذا النص المنقول إليكم كلمة كلمة.

أولًا من الناقل؟ هو رئيس الحنابلة أي ليس شخصا من عوام الناس إنما هو رئيس الحنابلة وابن رئيسها واسمه عبد العزيز بن الحارث التميمي.

وأين؟ في بغداد أي في مكان اجتماع الحنابلة في تلك الأيام.

وينقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إمام المذهب الحنبلي يقول: «أنكر أحمد على من قال بالجسم». أي أنكر أحمد على من وصف الله بالجسم، فهذا تصريح من الإمام أحمد رضي الله عنه في تنزيه الله عن هذه الأوصاف الستة، فقد نزّه الله عن الطول والعرض والسمك والتركيب والصورة والتأليف وهذا ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة والجماعة الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد.

لذلك فليعلم أن نفي الجسم وهو ما له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف عن الله تعالى قد جاء به السلف، فظهر أنّ ما يدّعيه بعض الناس من أن السلف لم يتكلموا في نفي الجسم عن الله غير صحيح.

ولذلك، نحن نذكر ما نقله أبو الفضل التميمي البغدادي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه لأن استحضار كلام الإمام أحمد

---

(١) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٨).

ينفع لدفع تمويه بعض الناس الذين يقولون: السلف ما تكلموا في نفي الجسم عن الله، وكلامهم هذا باطل لأن الإمام أحمد من الأئمة الأعلام وهو من السلف الصالح. ثم تأملوا جيدا في قوله رضي الله عنه: «إن الأسماء مأخوذة من الشريعة ومن اللغة». لأن أسماء الأشياء تعرف إما من اللغة وإما من الشرع فهناك أشياء عرفت أسماؤها من اللغة وأشياء عرفت أسماؤها من الشرع مثل الصلاة الشرعية ومثل الصيام ومثل الزكاة الشرعية.

وأما قوله: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم».

فما معنى وضعوا؟ أي عرف هذا بالنقل أي عرف أن إطلاق هذا الاسم أي الجسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف هذا عرف بالنقل لأن اللغة العربية ليست شيئا بالمواضعة إنما هي بالوحي فقد قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾﴾[1]، فمعنى أطلقوا أو وضعوا نقلوا إلينا ليس معناه اجتمعوا وقرروا أن يطلقوا هذا الاسم أي الجسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، فالله المنزه كلامه عن اللغات أوحى باللغة إلى الأنبياء، ثم من الأنبياء استفاد البشر اللغات.

ثم قول الإمام رضي الله عنه: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كله».

---

(١) سورة **البقرة**، ءاية ٣١.

أي كل هذا يستحيل على الله لأن الله لا يشبه شيئا من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]. ثم لو كان الله جسمًا كبيرًا أو صغيرًا كثيفًا أو لطيفا، كثيفا كالبشر والحجر أو لطيفا كالنور والهواء لاحتاج لمن خصصه بهذه الصورة والكيفية والمحتاج لا يصح في العقل أن يكون إلـٰها.

وقوله رضي الله عنه: «ولم يجئ ذلك في الشريعة فبطل».

أي ما جاء في الشريعة إطلاق الجسم على الله بل الذي جاء في الشريعة تنزيه الله عن الجسم وعن صفات الجسم.

ومن أطلق ذلك على الله كلامه باطل مخالف لعقيدة المسلمين. فيلزمه الرجوع إلى الإسلام بالشهادتين.

وقال الإمام أبو الفضل التميمي في «**بيان اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه**» ما نصه[2]: «جملة اعتقاد أحمد رضي الله عنه في الذي كان يذهب إليه أن الله عز وجل واحد لا من عدد لا يجوز عليه التجزّؤ ولا القسمة»، وقال[3]: «ومذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن لله عزّ وجل وجها لا كالصُّوَرِ الـمُصَوَّرة والأعيان المخططة وليس بمعنى الجسم»، وقال[4]: «لله يدان وهما صفة ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ولا من جنس الأجسام ولا من

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٣).

(٣) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٤).

(٤) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٤).

جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ولا يقاس على ذلك ولا له مرفق ولا عضد معناه لا يوصف بذلك رب العالمين وكل ما كان من معاني الجسمية فهو على الله تعالى محال ولا فيما يقتضي ذلك»، وقال[1]: «وهذا يدل على أنه عالم بعلم وأن علمه بخلاف العلوم المحدثة التي يشوبها الجهل ويدخلها التغير ويلحقها النسيان ومسكنها القلوب وتحفظها الضمائر ويقومها الفكر وتقويها المذاكرة وعلم الله بخلاف ذلك كله، صفة له لا تلحقها ءافة، وليس بقلب ولا ضمير واعتقاد ومسكن ولا علمه متغاير ولا هو غير عالم بل هو أي العلم صفة من صفاته»، وقال[2]: «إن لله كلاما هو به متكلم وذلك صفة له خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها»، وقال[3]: «ولا يجوز أن يقال استوى بمماسة ولا بملاقاة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش»، وقال[4]: «وذهب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إلى أن عدل الله عز وجل لا يدرك في العقول وشرح بعض أصحابه ذلك فقال: لما كان الله سبحانه وتعالى لا يتصور في العقول ولا يتمثله التمييز وفات العقول دركه ومع ذلك فهو شيء ثابت ما تصور بالعقل فالله بخلافه».

وقال رضي الله عنه ما نصه: «استوى كما أخبر لا كما يخطر بالبشر».

---

(١) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٤).

(٢) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٥).

(٣) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٢٩٧).

(٤) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، (ج١، ص٣٠٠).

٨- قال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ما نصه[١]: «روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: **أمروها بلا كيف** وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة مع اعتقاد أن الظاهر المتبادر غير مراد».

٩- قال الإمام الجنيد البغدادي عندما سئل عن التوحيد ما نصه[٢]: «إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه **بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٣]».

١٠- قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي[٤] ما نصه[٥]: «فالرب سبحانه **لا مثل له ولا كيفية**».

١١- قال الإمام أبو جعفر الوراق أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك

---

(١) الترمذي، **الجامع الصحيح**، (ج٣، ص١٩).

(٢) اليافعي، **روض الرياحين**، (ص٤٨٩).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل «ترمذ» نفي منها بسبب تصنيفه كتابًا خالف فيه ما عليه أهلها. وفي «لسان الميزان» أن أهل ترمذ هجروه في آخر عمره لتأليفه كتاب «ختم الولاية وعلل الشريعة»، وأنه حمل إلى بلخ فأكرمه أهلها وكان عمره نحو تسعين سنة. واضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة ٢٥٥هـ وسنة ٢٨٥هـ، وينقض الأول أن السبكي يذكر أنه حَدَّث بنيسابور سنة ٢٨٥ كما ينقض الثاني قول ابن حجر: «إن الأنباري سمع منه سنة ٣١٨هـ». أما كتبه فمنها: «نوادر الأصول في أحاديث الرسول»، و«الفروق»، و«غرس الموحدين»، و«الرياضة وأدب النفس»، و«غور الأمور»، و«المناهي» وغيرها. توفي نحو سنة ٣٢٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٧٢).

(٥) الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول**، (ج٣، ص٣٥).

ابن سلمة بن سليم بن سليمان بن جناب الأزدي الحجري المصري الطحاوي السلفي رضي الله عنه في العقيدة الطحاوية ما نصه: «والرؤية حق لأهل الجنة **بغير إحاطة ولا كيفية**».

١٢- قال الشيخ أبو علي الروذباري ما نصه[١]: «التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل **وإنكار التشبيه**».

ثم قال: «والتوحيد في كلمة واحدة كل ما صوّرته الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه أي لا يشبه ذلك لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢]»[٣].

معناه أن العارف بالله يكون معظمًا لمولاه فلا يعتقد في حقه سبحانه ما لا يليق به، بل يقدّس وينـزّه الله عن صفات المخلوقين من الحجم

---

(١) اليافعي، **روض الرياحين، ص**٤٩١. وقد ذكر اليافعي رحمه الله بعد ذكر قول القشيري ما نصه: «وهذه الأقوال رواها الشيخ الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه في رسالته المشهورة ما خلا ألفاظًا يسيرةً رواها بعض الأئمة العارفين غيره، ثم إن هذه الأقوال تدل على ما ذكره الإمام القشيري المذكور، قال رضي الله تعالى عنه: اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، وصانوا عقائدهم عن البدع، ودأبوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد لَيْسَ فِيهِ تمثيل ولا تعطيل وعرفوا مَا هُوَ حق القدم، وتحققوا بِمَا هُوَ نعت الموجود عَنِ العدم، فلذلك قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله تعالى عنه: التوحيد إفراد القديم من الحدوث، وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال الشيخ أبو محمد الجريري رضي الله تعالى عنه: من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف، يريد بذلك أن من ركن بقلبه إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة». وليس مراده عدم صحّة إيمان المقلّد بل المراد ما قاله إمام أهل السنة عليّ بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: يجب على كل مكلفٍ أن يعرف دليلًا عقليًا على وجود الله.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) القشيري، **الرسالة القشيرية في علم التصوف، (ص٩)**.

والجسمية والجهة والمكان وغير ذلك، لذلك لما سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست أسماؤه؟ قال للسائل:

إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء.

وإن سألت عن صفاته فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

وإن سألت عن اسمه فـ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[1].

وإن سألت عن فعله فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[2][3].

١٣- قال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إمام أهل السنة والجماعة رضي الله عنه وأرضاه ما نصه[4]: «وكذلك قالت الحشوية المشبهة أن الله سبحانه وتعالى يُرى مكيفا محدودا كسائر المرئيات وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية إنه سبحانه لا يرى بحال من الأحوال فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال يرى أي في الآخرة من غير حلول ولا حدود ولا تكييف كما يرانا هو سبحانه وتعالى **وهو غير محدود ولا مكيف فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيف**». وذلك فيما رواه الإمام الحافظ ابن عساكر الشافعي الدمشقي

---

(١) سورة **الحشر**، ءاية ٢٢.

(٢) سورة **الرحمن**، ءاية ٢٩.

(٣) أي يغير في الخلق من غير أن يتغير وفيها قال النبي ﷺ: «**من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع ءاخرين**».

(٤) ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، (ص١٥٠).

رضي الله عنه في كتابه تبيين كذب المفتري.

وقال أيضًا ما نصه[1]: «**مسألة** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [2]، فإن قال قائل: لم زعمتم أن الباري سبحانه لا يشبه المخلوقات؟

قيل: لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدَثًا مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدَثًا من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدَث لم يزل قديمًا وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[3] وقد قال تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾».

١٤ – قال الإمام الحافظ الشهيد محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي الشافعي رحمه الله تعالى ما نصه[4]: «ومن زعم أن السنن إذا صحت يجب أن تروى ويؤمن بها من غير أن تفسر ويعقل معناها فقد قدح في الرسالة، اللهم إلا أن تكون السنن من الأخبار التي فيها **صفات الله جل وعلا التي لا يقع فيها التكييف** بل على الناس الإيمان بها».

وقال في شرح حديث النزول ما نصه[5]: «**صفات الله عز وجل لا تكيف ولا تقاس إلى صفات المخلوقين**».

---

(١) أبو الحسن الأشعري، **كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، أبو الحسن الأشعري، (ص٨٣، ٨٤).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (ج١٥، ص٤٦).

(٥) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (ج١٥، ص٤٦).

١٥- قال الإمام الجصاص ما نصه: «الجوهر في اصطلاح المتكلمين اسم لما يتجزأ وهو واقع بجهة وقابلٌ للكيفيات المتضادات كالحركة والسكون ونحو ذلك والله تعالى غير متجزئ لأنه غير متحيز **ولا موصوف بالكيفيات**».

وقال أيضًا ما نصه: «ولأن من تمام الإيمان أي لصحة الإيمان أن تعرف أن الله واحد لا شريك له **ولا كيف ولا كيفية**».

١٦- قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي[١] ما نصه[٢]: «والله بصفاته التي سمَّى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء **بلا اعتقاد كيف**».

وقال أيضًا ما نصه: «وإنه عز وجل ينزل إلى السماء على ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ **بلا اعتقاد كيف فيه**».

١٧- قال الشيخ أبو بكر محمد بن أبي إسحاق البخاري الكلاباذي[٣] ما نصه[٤]: «كذلك قبض النبي ﷺ أصابعه وبسطها عبارة عن قبض

---

(١) الإسماعيليّ، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العبّاس الجُرْجانيّ الإسماعيليّ الشافعيّ، الإمام، الحافظ، الحجّة، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر، شيخُ الشافعيّة. صنّف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، عمل «مسند عمر»، و«المستخرج على الصحيح»، وكان واحد عصره، وشيخ المحدّثين والفقهاء. ولد سنة ٢٧٧هـ، وتوفّي سنة ٣٧١هـ، عن أربعٍ وتسعين سنة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٥٠٨-٥١٠)، رقم الترجمة ٣٥٥٠.

(٢) الإسماعيلي، **اعتقاد أئمة الحديث**، (ج١، ص٥٠).

(٣) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر، من حفاظ الحديث. من أهل بخارى. له «بحر الفوائد» ويعرف بـ «معاني الأخبار»، و«التعرف لمذهب أهل التصوف». توفي سنة ٣٨٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٥، ص٢٩٥).

(٤) الكلاباذي، **بحر الفوائد**، (ج١، ص٣٩٤).

السماوات وجمعها فهو إشارة إلى المقبوض والمجموع لا حكاية عن يد الله التي هي صفة أزلية لله **ليست بجارحة، ولا عضو، ولا جزء، ولا كيفية لها** فيوصف بالقبض والبسط المفهوم عندنا كأيدي المحدثين تعالى الله عن أوصاف الحدث علوا كبيرا».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «يد الله التي هي صفة أزلية لله **ليست بجارحة، ولا عضو، ولا جزء، ولا كيفية لها**».

ونقل الكلاباذي رحمه الله الإجماع على تنزيه عن الله عن الكيفية فقال[2]: «اجتمعت الصوفية على أن الله واحد أحد فرد **صمد ليس بجسم لا اجتماع له ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزداد ليس بذي أبعاض ولا أجزاء ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان لا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن لا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار ولا يدرك بالأبصار، لم يسبقه قبل ولا يقطعه بعد ولا يصادره مِن، ولا يوافقه عَن، ولا يلاصقه إلى، ولا يحله في، ولا يوقفه إذ، ولا يؤامره إن، ولا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حذاء، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل، ولا ينفيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجده كان، ولا يفقده ليس، ولا يستره خفاء، تقدم الحدثَ قدمُهُ، والعدمَ وجودُه أي لم يسبق**

---

(١) الكلاباذي، **بحر الفوائد**، (ج١، ص٣٩٤).

(٢) الكلاباذي، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، (ج١، ص٣٣).

وجوده العدم، والغايةَ أزلُه». إلى أن قال: «إن قلت كيف: فقد احتجب عن الوصف بالكيفية ذاته[1]، وإن قلت أين: فقد تقدم المكانَ وجودُه، **ليس لذاته تكييف** ولا لفعله تكليف».

١٨- قال أبو طالب المكي[2] ما نصه[3]: «**وينفي التشبيه والتكييف** عنه إذ لا كفؤ للموصوف فيشبه».

١٩- قال الإمام أبو سليمان الخطابي ما نصه: «**إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية**». وذلك فيما رواه الإمام أبو بكر البيهقي رضي الله عنه في الأسماء والصفات[4].

٢٠- قال الإمام أبو بكر الباقلاني ما نصه[5]: «فإن قال قائل: فخبرونا عن الله سبحانه: ما هو؟

قيل له: إن أردت بقولك (ما هو) ما جنسه؟ فليس هو بذي جنس لما وصفناه قبل هذا.

وإن أردت بقولك (ما هو) ما اسمه؟ فاسمه الله الرحمـٰن الرحيم الحي القيوم.

---

(١) أي يمتنع أن يوصف الله بالكيفية.

(٢) أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب، واعظ زاهد، فقيه. من أهل الجبل بين بغداد وواسط. نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال، وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالًا هجروه من أجلها، وتوفي ببغداد. له: «قوت القلوب»، و«أربعون حديثا» أخرجها لنفسه. توفي سنة ٣٨٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٧٤).

(٣) أبو طالب المكي، **قوت القلوب**، (ج٢، ص٥٢).

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ج٢، ص١٤٨).

(٥) الباقلاني، **التمهيد**، (ج١، ص٣٠٠).

وإن أردت بقولك (ما هو) ما صنعه؟ فصنعه العدل والإحسان والإنعام والسمـٰوات والأرض وجميع ما بينهما.

وإن أردت بقولك (ما هو) ما الدلالة على وجوده؟ فالدلالة على وجوده جميع ما نراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره.

وإن أردت بقولك (ما هو) أي أشيروا إليه حتى أراه؟ فليس هو اليوم مرئيًا لخلقه ومدركًا لهم فنريكه.

فإن قال قائل: وكيف هو؟... قيل له:

إن أردت بالكيفية التركيب والصورة والجنسية فلا صورة له ولا جنس فنخبرك عنه.

وإن أردت بقولك (كيف هو)، أي: على أي صفة هو؟ فهو حي عالم قادر سميع بصير.

وإن أردت بقولك (كيف هو)، أي: كيف صنعه إلى خلقه؟ فصنعه إليهم العدل والإحسان».

وقال في «**الإنصاف**» ما نصه: «قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] **بغير مماسة وكيفية** ولا مجاورة».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «وإذا صح وجوب النظر فالواجب على المكلف النظر والتفكر في مخلوقات الله، لا في ذات الله، والدليل عليه قوله تعالى:

---

(١) سورة طه، ءاية ٥.

(٢) الباقلاني، **الإنصاف**، (ص٤١).

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٩١﴾﴾[1] ولم يقل في الخالق، وأيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[2] فالنظر والتفكر والتكييف يكون في المخلوقات، لا في الخالق... وأيضًا فإن موسى عليه السلام لما سأله اللعين فرعون عن ذات الله، أجابه بأن مصنوعاته تدل على أنه إلـٰه ورب قادر، لا إلـٰه سواه. إذا نظر فيها وتأمل، ولم يحدد له الذات **فلا يكيفه**؛ لأنه لما قال له ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[3] قال: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴿٢٤﴾﴾[4] إلى أن كرر عليه السؤال وأجابه بمثل الأول، إلى آخر الآيات كلها، فمهما سأله عن الذات أجابه بالنظر في المصنوعات التي تدل على معرفته».

وقال أيضًا ما نصه: «وقيل سئل بعض أهل التحقيق عن الله عز وجل ما هو؟ فقال: إلـٰه واحد.

فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر.

فقيل له: أين هو؟ فقال: بالمرصاد.

فقال السائل: ليس عن هذا أسألك؟ فقال: الذي أجبتك به هو صفة الحق، فأما غيره فصفة الخلق.

وأراد بذلك أن يسأله عن التكييف، والتحديد، والتمثيل، وذلك صفة

---

(١) سورة **آل عمران**، ءاية ١٩١.

(٢) سورة **الغاشية**، ءاية ١٧.

(٣) سورة **الشعراء**، ءاية ٢٣.

(٤) سورة **الشعراء**، ءاية ٢٤.

المخلوق لا صفة الخالق، ولأن المتفكر إذا تفكر في خلق السمـٰوات والأرض وخلق نفسه وعجائب صنع ربه، أداه ذلك إلى صريح التوحيد لأنه يعلم بذلك أنه لا بد لهذه المصنوعات من صانع، قادر، عليم، حكيم ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[1]».

٢١- قال الأستاذ المتكلم أبو بكر بن فورك ما نصه[2]: «موجود بلا حد **موصوف بلا كيف**».

٢٢- قال الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي في كتابه «**شرح عقيدة مالك الصغير**» ما نصه[3]: «**ولا يجوز أن يثبت له كيفية** لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام، وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: الرحمـٰن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول **والكيف غير معقول** والسؤال عن هذا بدعة، ثم أمر بإخراج السائل».

٢٣- قال الإمام الأصولي الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الشافعي الأشعري رضي الله عنه عن محمد بن كرام إمام الكرامية

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) ابن فورك، **مشكل الحديث**، (ص٢٤).

(٣) عبد الوهاب المالكي، **شرح عقيدة مالك الصغير**، (ص٢٨).

المجسمة ما نصه[1]: «**ولا يدري العاقل من ماذا يتعجب أمن جسارته على إطلاق لفظ الكيفية فى صفات الله تعالى، أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية**».

٢٤- قال الشيخ أبو عمرو الداني[2] ما نصه: «**واستواؤه جلّ جلاله علوّه بغير كيفية** ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة»[3].

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني[4] ما نصه[5]: «**باب القول في نفي التشبيه**: ولا يجب أن يكون صانع العالم مشبهًا له لأنه قد ثبت أن حقيقة المِثلين وحدّ المشتبهين هو أنهما: كل شيئين يجوز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر، ويجب لكل واحد

---

(١) أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق، (ج١، ص٢٠٧)**.

(٢) أبو عمرو الداني، الامام الحافظ، المجود المقرئ، الحاذق، عالم الأندلس، أبو عمرو، عثمان ابن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم الأندلسي، القرطبي ثم الداني، ويعرف قديمًا بابن الصيرفي، مصنف «التيسير» و«جامع البيان»، وغير ذلك. ولد في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، فابتدأ بطلب العلم في أول سنة ست وثمانين، ورحل إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكث بالقيروان أربعة أشهر، ثم توجه إلى مصر، فدخلها في شوال من السنة، فمكث بها سنة، وحج. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص٧٧-٨٣)**، رقم الترجمة ٣٦.

(٣) الداني، **الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات، (ص١٣٠)**.

(٤) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمود السمناني، الفقيه الحنفي. أخذ عن أبي بكر الباقلاني وأبي القاسم الخليل وأبي الحسن الدارقطني، وأبي الحسن هبة الله المزني وغيرهم. قال فيه تلميذه الخطيب البغدادي: «كان ثقةً عالـمًا فاضلًا سخيًا حسن الكلام». وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: «أحد أئمة الأصول من الأشاعرة». ولقبه ابن أبي بكر الصفاقسي بتاج العلماء، ووصفه الذهبي بقاضي القضاة. لم يذكر المؤرخون أي مؤلف للسمناني سوى أنه له مصنفات في الفقه الحنفي وتعليقات. ولد سنة ٣٦١هـ، وتوفي سنة ٤٤٤هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٧١، ص٦٥١)**.

(٥) أبو جعفر السمناني، **البيان عن أصول الإيمان، (ص٨٧)**.

منهما من الصفة ما يجب للآخر، ويستحيل على كل واحدٍ منهما ما يستحيل على الآخر، فلو كان صانع العالم مشبهًا له لوجب أن يكون محدَثًا من حيث كان العالم محدَثًا أو يجب كون العالم قديمًا لوجوب كونه قديمًا، فبطل تشابههما، ولأن العالم ينقسم إلى قسمين: جواهر وأعراض، فلو كان مشبهًا للجواهر لكان متحيزًا حاملًا للأعراض قابلًا للحركة والسكون، وكان يجب أن يكون محدثًا لأن بهذه الطريقة نعلم حدوث العالم، ولو كان عرضًا لكان قائمًا بغيره وهذا محال فصح ما قلناه».

٢٥- قال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمـٰن بن أحمد الصابوني[١] ما نصه: «ونشهد أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءَ غلبة كما بينه في كتابه في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[٢] وفي آيات أُخر والرسول ﷺ تسليمًا ذكر فيما نقل عنه **من غير أن يكيف استواءه عليه**، أو يجعل لفعله وفهمه أو وهمه سبيلًا إلى إثبات كيفية، **إذ الكيفية عن صفات ربنا منفية**». وذلك فيما رواه ابن العديم[٣] في

---

(١) الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمـٰن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان. لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره. ولد ومات في نيسابور. وكان فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفًا بالحديث والتفسير، يجيد الفارسية إجادته العربية. له كتاب: «عقيدة السلف»، و«الفصول في الأصول». **ولد سنة ٣٧٣هـ، وتوفي سنة ٤٤٩هـ. الزركلي، الأعلام، (ج١، ص٣١٧).**

(٢) سورة **الفرقان**، ءاية ٥٩.

(٣) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، مؤرخ، محدث، من الكتاب. ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي=

كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب[1].

٢٦- قال الشيخ أبو الحسن علي بن خلف المعروف بابن بطال[2] ما نصه[3]: «ذكر ابن أبي خيثمة قال: حدثنا الهيثم بن خارجة[4]، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت الأوزاعي، ومالك[5]، وسفيان الثوري، والليث بن سعد عن الأحاديث التى فيها ذكر الرؤية فقالوا: أمروها كيف جاءت **بلا كيفية**».

٢٧- قال الحافظ الإمام الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى ما نصه[6]: «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا يعني المتشابه ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله ثم إنهم على قسمين: منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكَل علمه إلى الله **ونفى**

= بالقاهرة. من كتبه: «بغية الطلب في تاريخ حلب»، و«سوق الفاضل»، و«الدراري في الذراري»، و«وصف الطيب»، و«الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة»، و«التذكرة». ولد سنة ٥٨٨هـ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٥، ص٤٠)**.

(١) ابن العديم، **بغية الطلب تاريخ حلب، (ج٢، ص١١٨)**.

(٢) ابن بَطَّال، شارح «صحيح البخاري»، العلامة، أبو الحسن عليّ بن خلف بن بطّال البكريّ، القرطبيّ، ثم البَلَنْسِيّ، ويُعْرَف بابن اللَّجَّام.كان من أهل العلم والمعرفة، عُنِي بالحديث العناية التامّة، وكان من كبار المالكيّة، توفّي سنة ٤٤٩هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص٣٩٥)**، رقم الترجمة ٤٢٥٢.

(٣) ابن بطال، **شرح ابن بطال، (ج٣، ص٢٢٤)**.

(٤) الهيثم بن خارجة، أبو أحمد، ويقال: أبو يحيى، المروذي، ثم البغداديّ، الحافظ، حدّث عن مالك والليث وغيرهما، وأصله من خراسان، حدّث عنه أحمد بن حنبل، وعباس الدوريّ، والبخاريّ في صحيحه، وأبو زُرْعة وآخرون. توفّي في ذي الحجّة سنة ٢٢٧هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٠، ص٤٧٧-٤٧٩)**، رقم الترجمة ١٥٤.

(٥) كذا في الأصل، والصواب «مالكًا».

(٦) البيهقي، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، (ج١، ص١١٧)**.

الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات».

وقال أيضا ما نصه[1]: «**الباطن هو الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية**».

٢٨- ونقل الحافظ البيهقي عن أئمة السلف، مالك والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من أئمة السلف أنهم قالوا في آيات وأحاديث الصفات: «أمرّوها كما جاءت **بلا كيف**»، وذلك في كتابه السنن الكبرى[2]، وحتى الذهبي وابن كثير نقلا ذلك عنهم، **وهذا دليل على تذبذب الوهابية وتناقضها في مسائل العقيدة لأنهم في كتبهم يقولون ما فيه إثبات الكيفية وما هو من صفات المخلوقين في حق الله تعالى والله منزه عن ذلك**.

٢٩- وروى البيهقي عن الإمام مالك رضي الله عنه وهو إمام دار الهجرة وكما قال فيه الإمام أحمد: «إذا ذكر الحديث فمالك النجم»، أنه قال: «**ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع**». وفي رواية: «**والكيف غير معقول**». رواه البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[3].

وهذا فيه تنزيه لله عن القعود والجلوس وعن الحركة والسكون وعن كل ما كان من صفات المخلوقين.

وأما الذي تلهث به الوهابية من قولهم «والكيف مجهول» فهذه

---

(١) البيهقي، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، (ج١، ص١١٧).

(٢) البيهقي، **السنن الكبرى**، باب الترغيب في القيام آخر الليل، (ج٣، ص٢).

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٨).

العبارة لم تثبت من حيث الإسناد عن الإمام مالك، بل قال ابن حجرٍ العسقلاني: «وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن عبد الله بن وهبٍ قال: وذكر رواية «ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع»»[1].

ففي رواية عبد الله بن وهب: قال مالك لرجل صاحب بدعة: «الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه **ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع**، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج».

في هذه الرواية: «أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران» له ترجمة في «**تاريخ الإسلام**» للذهبي «وفيات ٣٣١هـ فما بعدها»[2]، والأنساب[3] للسمعاني[4].

وهذه هي أصح الروايات: قال الذهبي في العلو: «وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب...».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وأخرج البيهقي بسند جيد عن ابن وهب...».

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٠٦).

(٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (ج٢٥، ص١٨٧).

(٣) السمعاني، **الأنساب**، (ج١، ص١٥٥).

(٤) السمعانيّ، عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميميّ السمعانيّ المروزيّ، أبو سعد، مؤرخ رحّالة، من حفّاظ الحديث، مولده ووفاته بمرو، رحل إلى أقاصي البلاد، ولقي العلماء والمحدّثين، وأخذ عنهم وأخذوا عنه. من كتبه: «الأنساب»، و«تاريخ مرو»، و«تذييل تاريخ بغداد» للخطيب، و«تاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة»، و«الأمالي»، و«أدب الإملاء والاستملاء»، و«تبيين معادن المعاني». ولد سنة ٥٠٦هـ، وتوفّي سنة ٥٦٢هـ. الزركليّ، **الأعلام**، (ج٤، ص٥٥).

أما رواية محمد بن النعمان بن عبد السلام التيمي عند أبي الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان: ونص الإجابة «الإستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا أخرجوه من داري».

فيها محمد بن النعمان هذا وله ترجمة في طبقات المحدثين للأصبهاني[1] و«**تاريخ الإسلام**» للذهبي وفيات «٢٤١/ ٢٥٠هـ»[2].

ولم يذكره أحد بجرح أو تعديل.

وأما رواية عبد الله بن نافع[3] عند ابن عبد البر[4]: ونص الإجابة:

---

(١) أبو الشيخ الأصبهاني، **طبقات المحدثين، (ج٢، ص٢١١)**.

(٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام، (ج١٨، ص٤٧٥)**.

(٣) عبد الله بن نافع الصائغ، من كبار فقهاء المدينة. ولد سنة نيف وعشرين ومائة. وحدث عن: محمد بن عبد الله بن حسن الذي قام بالمدينة وقتل، وأسامة بن زيد الليثي، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وسليمان بن يزيد الكعبي صاحب أنس، وكثير بن عبد الله بن عوف، وداود بن قيس الفراء، وخلق سواهم. وليس هو بالمتوسع في الحديث جدًّا، بل كان بارعًا في الفقه. حدث عنه: محمد بن عبد الله بن نمير، وأحمد بن صالح، وسحنون بن سعيد، وسلمة بن شبيب، والحسن بن علي الخلال، ويونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، والزبير ابن بكار، وأحمد بن الحسن الترمذي، وعدة. روى أبو طالب عن أحمد بن حنبل قال: كان صاحب رأي مالك، وكان يفتي أهل المدينة، ولم يكن صاحب حديث، كان ضيقا فيه. وقال يحيى بن معين: «ثقة». **وقال البخاري**: «تعرف وتنكر». **وقال أبو حاتم**: «هو لين في حفظه، وكتابه أصح». **وقال النسائي**: «ليس به بأس». **وقال ابن عدي**: «روى عن مالك غرائب». **وقال ابن سعد**: «كان قد لزم مالكًا لزومًا شديدا»، ثم قال: «وهو دون معن»، قال: «وتوفي في شهر رمضان سنة ٢٠٦هـ». الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٠، ص٣٧١)**.

(٤) ابن عبد البرّ (المجسم)، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ بن عاصم النَّمَريّ، الأندلسيّ، القرطبيّ، المالكيّ، صاحب التصانيف، مولده سنة ٣٦٨ هـ في شهر ربيع الآخر، طال عمره وعلا سنده، من كتبه: «التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد» وهو سبعون جزءًا و«الاستيعاب في أسماء الصحابة»، و«الكافي في مذهب مالك». توفي ليلة الجمعة سلخ=

«استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء».

فيها: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن: وهو صدوق لم يكن ضبطه بالجيد كما قال ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس ونقله عنه الذهبي في «**تاريخ الإسلام**»[1] «وفيات ٣٩٠هـ» وابن حجر في اللسان[2].

وفيها أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك[3]: وهو ثقةٌ يهم قليلا.

وفيها عبد الله بن نافع: قال أحمد[4]: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفا فيه.

وأما رواية جعفر بن ميمون فعند الصابوني: ونص الإجابة: «الاستواء غير مجهول **والكيف غير معقول** والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا وأمر به أن يخرج من مجلسه».

وأما رواية أيوب بن صالح المخزومي فعند ابن عبد البر: ونص

= ربيع الآخر، سنة ٤٦٣ هـ، واستكمل ٩٥ عامًا وخمسة أيام. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١٨، ص١٥٣-١٦٣)**، رقم الترجمة ٨٥.

(١) الذهبي، **تاريخ الإسلام، (ج٨، ص٦٦٣)**.

(٢) ابن حجر، **لسان الميزان، (ج٣، ص٣٥٣)**.

(٣) القطيعي، الشيخ العالم المحدث، مسند الوقت، أبو بكر، أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك ابن شبيب البغدادي القطيعي الحنبلي، راوي «مسند الإمام أحمد»، و«الزهد»، و«الفضائل» له. سمع: محمد بن يونس الكديمي، وبشر بن موسى، وإسحاق بن الحسن الحربي. حدث عنه: الدارقطني، وابن شاهين، والحاكم، وابن رزقويه، وأبو بكر الباقلاني، وأبو نعيم الأصبهاني. ولد سنة ٢٧٤هـ، توفي سنة ٣٦٨هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٦، ص٢١٠)**.

(٤) ابن المبرد، **بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، (ص٩١)**.

الإجابة: «سألتَ عن غير مجهول وتكلمت في غير معقول إنك امرؤ سوء أخرجوه».

فيها: محمد بن عبد الملك بن ضيفون[١] القرطبي: قال فيه ابن الفرضي: « كان رجلًا صالحًا أحد العدول وكتب الناس عنه وعلت سنّه فاضطرب في أشياء قرئت عليه وليست مما سمع ولا كان من أهل الضبط». انظر تاريخ العلماء لابن الفرضي[٢]، والسير للذهبي[٣] ولسان الميزان لابن حجر[٤].

وفيها عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله المرادي أبو محمد يعرف بالقبري: وهو كثير الرواية عن بقي بن مخلد، انظر ترجمته في تاريخ العلماء لابن الفرضي[٥]، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين[٦].

---

(١) ابن ضيفون، الشيخ المحدث المعمر، أبو عبد الله، محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمي القرطبي الحداد. سمع: عبد الله بن يونس القبري، وأحمد بن زياد، وقاسم بن أصبغ، ثم حج في سنة تسع وثلاثين، فشهد رد الحجر الأسود إلى مكانه. وسمع من: أبي سعيد بن الأعرابي، وعبد الكريم بن النسائي، وأبي جعفر محمد بن يحيى بن دحمان المصيصي، لقيه بطرابلس، وعبد الله بن محمد بن مسرور القيرواني. وكان صالحًا معدلًا، آخر أصحابه موتًا أبو عمر بن عبد البر. قال أبو الوليد بن الفرضي: «علت سنه، واضطرب في أشياء قرئت عليه لم يسمعها، ولم يكن ضابطًا». قال لي: إنه ولد سنة **٣٠٣هـ**، وتوفي سنة **٣٩٤هـ**. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٧، ص٥٦)**.

(٢) ابن الفرضي، **تاريخ العلماء، (ج٢، ص١١٠)**.

(٣) الذهبي، **السير، (ج١٧، ص٥٦)**.

(٤) ابن حجر، **لسان الميزان، (ج٥، ص٢٦٧)**.

(٥) ابن الفرضي، **تاريخ العلماء، (ج١، ص٢٦٥)**.

(٦) ابن ناصر الدين، **توضيح المشتبه، (ج٧، ص١٧٨)**.

وفيها أيوب بن صالح بن سلمة المخزومي: ضعّفه ابن معين وقال فيه ابن عدي[1]: «روى عن مالك ما لم يتابعه عليه أحد»، لسان الميزان[2]، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي[3]، المغني في الضعفاء للذهبي[4].

وأما رواية بشار الخفاف الشيباني[5] أو غيره!! فعند ابن ماجه في التفسير، وفيها ما ذكر بالإضافة إلى بشار بن موسى الخفاف تكلم فيه البخاري

---

(١) ابن عدي، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني، أبو أحمد، علامة بالحديث ورجاله. كان يعرف في بلده بابن القطان، واشتهر بين علماء الحديث بابن عدي. له: «الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة»، و«الانتصار» على مختصر المزني في فروع الشافعية، و«علل الحديث»، و«معجم» في أسماء شيوخه. وهو من الأئمة الثقات في الحديث. ولد سنة ٢٧٧هـ، وتوفي سنة ٣٦٥هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٤، ص١٠٣)**.

(٢) ابن حجر، **لسان الميزان، (ج١، ص٤٨٣)**.

(٣) ابن الجوزي، **الضعفاء والمتروكين، (ج١، ص١٣١)**.

(٤) الذهبي، **المغني في الضعفاء، (ج١، ص١٥٥)**.

(٥) بشار بن موسى، المحدث الكبير، أبو عثمان العجلي، وقيل الشيباني البصري الخفاف، نزيل بغداد. حدّث عن: شريك، وأبي عوانة، ويزيد بن زريع، وعبيد الله بن عمرو، وطبقتهم. وعنه: أحمد بن حنبل، وابنه عبد الله، وصالح جزرة، والحسن بن علويه، والبغوي، وآخرون. اختلف في توثيقه. ضعفه أبو زرعة. وقال أحمد: «يكتب حديثه»، وكان حسن الرأي فيه. وقال ابن معين والنسائي: «ليس بثقة». وقال أبو داود: «أنا لا أحدث عنه». وقال ابن عدي: «لم أر له حديثًا منكرًا، وأرجو أنه لا بأس به». وقال البخاري: «تركته». وقال ابن المديني: «ما كان ببغداد أصلب في السنة منه». وعن بشار قال: «نعم الموعد غدا نلتقي أنا وابن معين». قيل: توفي سنة ٢٢٨. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٠، ص٥٨١)**.

ويحيى بن معين[1] وأبو داود والنسائي[2] وعلي بن المديني[3] وغيرهم.

---

(١) يحيى بن مَعين، الإمام، الحافظ، الجهبذ، شيخ المحدّثين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون ابن زياد بن بسطام، الغطفانيّ، ثم الـمُرِّيِ مولاهم، البغدادي، أحد الأعلام. ولد سنة ١٥٨ هـ. سمع من: ابن المبارك، وهشيم، وإسماعيل بن عيّاش، وعبّاد بن عبّاد، ومعتمر بن سليمان، وسفيان بن عُيَيْنَة وخلق كثير بالعراق والحجاز والجزيرة والشام ومصر. وروى عنه أحمد ابن حنبل، ومحمد بن سعد، وأبو خيثمة، وعدة من أقرانه، والبخاريّ، ومسلم، وأبو داود، وعبّاس الدوريّ، وأبو بكر الصاغانيّ، وخلائق غيرهم، قال النسائي: «أبو زكريا أحد الأئمة في الحديث، ثقة، مأمون». وروي عن ابن عَديّ أن مَعينًا والد يحيى مات فخلّف لولده ألف ألف درهم، فأنفقها يحيى كلها على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه، وكان أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو خيثمة ومن هم من طبقتهم يتأدبون مع ابن معين ويعترفون له، وكان له هيبة وجلالة. ولما مات كان في المدينة فأخرج له بنو هاشم السرير الذي مات عليه رسول الله ﷺ ودفن لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٢٣٣ هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٤٤ -٥٧)**، رقم الترجمة ١٩٦٣.

(٢) النَّسَائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن سنان بن بحر الخراسانيّ، الإمام، الحافظ، الثبْت، شيخ الإسلام، ولد بِنَسَا سنة ٢١٥هـ.كان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف، جال في طلب العلم في خراسان والحجاز ومصر والعراق والجزيرة والشام والثغور، ثم استوطن مصر، ورحل الحفّاظ إليه، ولم يبق له نظير في هذا الشأن. من تصانيفه: «خصائص عليّ»، و«السنن الكبرى»، و«عمل اليوم والليلة»، و«التفسير»، و«الضعفاء». توفي بمكّة ودفن فيها، وكانت وفاته في شعبان سنة ٣٠٣هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٩، ص٣٩٨-٤٠٣)**، رقم الترجمة ٢٧٢٦.

(٣) عليّ بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعديّ مولاهم، البصريّ، المعروف بابن المدينيّ، مولى عروة بن عطية السعديّ، الشيخ، الإمام، الحُجّة، أمير المؤمنين في الحديث، أبو الحسن. كان أبوه محدّثًا، مشهورًا، ليّن الحديث، يروي عن عبد الله بن دينار وطبقته من علماء المدينة، برع في هذا الشأن، وصنّف، وجمع، وساد الحفّاظ في معرفة العلل، ويقال إن تصانيفه بلغت ٢٠٠ مصنّف، منها «المسند»، و«الأسماء والكُنى»، و«الضعفاء»، و«المدلّسون»، و«اختلاف الحديث»، و«مذاهب المحدثين». مات في ذي القعدة سنة ٢٣٤هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٢٧-٣٧)**، رقم الترجمة ١٩٥٧.

وأما رواية يحيى بن يحيى التميمي[1] فعند البيهقي[2]: ونص الإجابة: «الاستواء غير مجهول **والكيف غير معقول** والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج».

وفيها: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الأصفهاني: له ترجمة في «**تاريخ الإسلام**» للذهبي وفيات ٤٣٠هـ[3].

وأما جعفر بن عبد الله عدّه الذهبي في المشتبه في الرواة عن مالك، وتعقبه ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه[4] بقوله: «فيه نظر لأن هذا الإطلاق يوهم أن شيخ جعفر مالك بن أنس الإمام، وكأنه والله أعلم عند المصنِف الإمام مالك، فلهذا أطلقه وليس بالإمام، إنما هو مالك ابن خالد الأسدي البصري كما سماه الأمير وغيره»، وذكر نحوا من هذا ابن حجر في تبصير المنتبه[5]: وقد اضطرب فيها مهدي بن جعفر وهو صدوق له أوهام: فمرة رواها عن مالك مباشرة عند ابن عبد البر وفيها محمد بن عبد الملك وعبد الله بن يونس وقد تقدما.

---

(١) يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن، شيخ الإسلام، وعالم خراسان، أبو زكريا التميميّ، المنقريّ، النيسابوريّ، الحافظ، لقي صغارًا من التابعين منهم كثير بن سُلَيْم وأخذ عنه، وعن عبد الله بن جعفر الـمَخْرَميّ، وشريك القاضي وغيرهم. وروى عنه البخاري، ومسلم، وحميد ابن زَنْجَوَيْه، وعثمان بن سعيد الدارميّ، وخلائق. قال أحمد بن سلمة: «سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: مات يحيى بن يحيى يوم مات وهو إمام لكلّ الدنيا». وسُمع أحمد بن حنبل يقول: «كان يحيى بن يحيى عندي إمامًا، ولو كانت عندي نفقة، لرحلت إليه». ولد سنة ١٤٢هـ، وتوفّي سنة ٢٢٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٧، ص٦٠٣-٦٠٧)، رقم الترجمة ١٨٤٠.

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٨).

(٣) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (ج٢٩، ص٢٨١).

(٤) ابن ناصر الدين، **توضيح المشتبه**، (ج٤، ص٩٨-٩٩).

(٥) ابن حجر، **تبصير المنتبه**، (ج٢، ص٦٢١).

ومرة رواها عن جعفر عن رجل عن مالك عند الدارمي[1]، ومرة رواها عن جعفر بن عبد الله عن مالك: عند أبي نعيم في الحلية ونص الرواية: «**الكيف منه غير معقول** والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وأمر به فأخرج.

٣٠- وقال الحافظ البيهقي ما نصه[2]: «باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى: منها ﴿الأحد﴾، قال الحليمي[3]: **وهو الذي لا شبيه له ولا نظير**، كما أن الواحد هو الذي لا شريك له ولا عديد، ولهذا سمى الله عز وجل نفسه بهذا الاسم، لما وصف نفسه بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فكأن قوله جل وعلا:

---

(١) أبو محمّد الدارميّ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهْرَام بن عبد الله، الحافظ، الإمام، أحد الأعلام، أبو محمّد التميميّ ثم الدارميّ، السمرقنديّ، طوّف أبو محمّد الأقاليم، وصنّف التصانيف. حدّث عنه: مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم كثير، وقال إسحاق بن إبراهيم الورّاق: «سمعت محمّد بن عبد الله المُخرَّمي يقول: يا أهل خراسان، ما دام عبد الله بن عبد الرحمن بين أظهركم، فلا تشتغلوا بغيره». ولد سنة ١٨١هـ، وتوفّي يوم الجمعة وكان يوم عرفة سنة ٢٥٥هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج٨، ص٤٤٤ـ٤٤٧)**، رقم الترجمة ٢١٨١.

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات، (ص٣٩)**.

(٣) الحليمي، القاضي العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله، الحسين ابن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي. أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب. وكان متفننًا، سيال الذهن، مناظرًا، طويل الباع في الأدب والبيان. أخذ عن: الأستاذ أبي بكر القفال، والإمام أبي بكر الأودني. وحدث عن: خلف بن محمد الخيام، وأبي بكر محمد بن أحمد بن خنب، وبكر بن محمد المروزي الدخميني، وجماعة. قيل: إنه ولد بجرجان، وحمل، فنشأ ببخارى، وقيل: بل ولد ببخارى. وله مصنفات نفيسة. حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم وهو أكبر منه، والحافظ أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري، وأبو سعد الكنجروذي، وآخرون. ولم أقع له بترجمة تامة، وله عمل جيد في الحديث، لكنه ليس كالحاكم ولا عبد الغني، وإنما خصصته بالذكر لشهرته. ولد سنة ٣٣٨هـ، توفي سنة ٤٠٣هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٧، ص٢٣١-٢٣٣)**.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ من تفسير قوله ﴿أَحَدٌ ۝١﴾، والمعنى لم يتفرع عنه شيء ولم يتفرع هو عن شيء كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «قول الأئمة فيه قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[2]، **قال أهل النظر: معناه ليس كهو شيء**، ونظيره قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ۝١٣٧﴾[3] أي بالذي آمنتم به».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس هو الأصم، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا أبو هلال محمد بن سليم، حدثنا رجل، أن ابن رواحة البصري، سأل الحسن فقال: يا أبا سعيد هل تصف لنا ربك؟ قال: نعم، أصفه بغير مثال».

وقال أيضًا ما نصه[5]: «الصورة هي التركيب، والمصوَّر المركَّب، والمصوِّر هو المركِّب. قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[6] **ولا يجوز أن يكون الباري تعالى مصوَّرًا ولا أن يكون له صورة لأن الصورة مختلفة**، والهيئات متضادة، ولا يجوز

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٢٦٦).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ١٣٧.

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٢٦٩).

(٥) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٢٧٦).

(٦) سورة **الانفطار**، ءاية ٦-٨.

اتصافه بجميعها لتضادها، ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلا بمخصص، لجواز جميعها على من جاز عليه بعضها، فإذا اختص ببعضها اقتضى مخصصا خصصه به، وذلك يوجب أن يكون مخلوقا وهو محال، **فاستحال أن يكون مصوَّرًا، وهو الخالق البارئ المصوِّر**».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «**ونفينا عنه التكييف، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**».

٣١- قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ابن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب ما نصه: «أخبرنا أبو علي بن الخلال، أنا جعفر، أنا السلفي، أنا محمد بن مرزوق الزعفراني، حدثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، **ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله تعالى، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، تعالى الله عن ذلك**». وذلك فيما رواه عنه الذهبي في كتابه «**تاريخ الإسلام**»[2].

وقال ما نصه: «**فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف**». وذلك فيما رواه عنه أيضا الذهبي في كتابه «**تاريخ الإسلام**»[3].

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٦٩).

(٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (ج٧، ص٢٤٠).

(٣) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (ج٧، ص٢٤١).

٣٢- قال الشّيخ الإمام العلّامة الزّاهد أبو الحسن علي بن عثمان الهجويريّ الغزنويّ ما نصّه[١]: «أمّا العلم بذات الله تعالى فهو: أن يعلم العاقل والبالغ أنّ الله تعالىٰ موجودٌ في قدم ذاته، ولا حدّ ولا حدود له، وأنّه ليس في مكانٍ أو جهةٍ، وليس ذاته موجب ءافةٍ، ولا شبيه له من خلقه، ولا صاحبة له ولا ولد، وكلّ ما يتصوّر في الوهم ويقاس في العقل فهو جلّ جلاله خالقه ومالكه وربّه، لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢]» اهـ.

٣٣- وقال الإمام عبد الكريم القشيري في الرسالة القشيرية ما نصه: «إن الحق سبحانه وتعالى موجود ليس بجسم **ولا له جهة** ولا مكان ولا يجري عليه وقت ولا زمان ولا يخصه هيئة».إلى أن قال: «لا يقال له أين **ولا حيث ولا كيف**»، وذكر أن هذه العقيدة هي عقيدة الأئمة الكبار والصوفية الصادقين وذكر عددا كبيرا بأسمائهم في كتابه الرسالة.

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «فإذا رأوه لم يحتاجوا إلى تقليب حدقةٍ أَو تحديق مقلة في جهة، يروْنه كما هم **بلا كيفية**».

وقال أيضًا في كتابه «**شرح أسماء الله الحسنى**» تحت فصلٍ أسماه «فضل الله على أهل التوحيد» ما نصه [٤]: «ولقد أعظم الله المنة على أهل التوحيد وأجزل النعمة على ذوي التحقيق، حيث أعتق أسرارهم

---

(١) الهجويري، **كشف المحجوب**، (ص٣٣).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) القشيري، **تفسير القشيري**، (ج٦، ص٣٤٦).

(٤) القشيري، **شرح القشيري لأسماء الله الحسنى**، (ص٢٤، ٢٥).

من رق عبودية ما له مثل، والعبادة لما له شكل، فهو الذي اصطفاك في القدم، وعصمك عن سجود الصنم، وإن لم يكن لك في العبودية صدق قدم، فأرجو أنك لا تحرم وجود الكرم. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[1] **تنفي التشبيه.**

فإن قيل: كيف دلت الآية على نفي التشبيه، وقد أثبتت المثل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[2].

قلنا: أن الكاف صلة في قول بعضهم، ومعناه: ليس مثله شيء، والكاف تزاد في كلامهم على وجه الصلة كقول قائل: «وصاليات ككما يؤثفين»[3].

وقيل: المثل صلة، ومعناه: ليس كهو شيء، وقيل: مثل الشيء يذكر والمراد به نفسه، كقول القائل: ليس هذا كلام مثلك، يعني نفسه.

وقيل: إن التشبيه يكون بأحد شيئين: إما بالكاف وإما بالمثل، فجمع بين حرفي التشبيه ونفى بهما عن نفسه التشبيه، فكأنه قال: ليس مثله شيء، وليس كهو شيء.

وقد قيل هذا غاية نفي التشبيه، إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) يؤثفين مضارع مبنى للمجهول، جاء على الأصل مهموزًا، كيؤكر من بالهمزة، وهذا يدل على أن الصاليات صفة للأحجار الملازمات للنار المحترقات بها، فلعله شبه النساء بالأثافى لدمامتهن وسوادهن، بكثرة الدخان وملازمتهن النار.

نفسه، فلما قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[1] دل على أنه ليس له مثل وعليه دل سبحانه بقوله ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[2]، أفمن هو كبير لم يزل كمن هو حقير لم يكن، أفمن هو جبار لا نقص له كمن هو مجبور لا غناء به».

٣٤- قال الشيخ شهفور بن طاهر الأسفراييني أبو المظفر[3] ما نصه[4]: «**وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية** لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مَمَّ كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان، وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد **ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ونفي الابتداء والأولية**، وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له: أين الله؟ فقال: إن الذي أيَّن الأين لا يقال له أين. فقيل له: كيف الله؟ فقال **إن الذي كيَّف الكيف لا يقال له كيف**».

وقال أيضًا ما نصه[5]: «وأن تعلم أن **كل ما تصور في الوهم من طول وعرض وعمق وألوان وهيئات مختلفة ينبغي أن تعتقد أن صانع العالم**

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) سورة **النحل**، ءاية ١٧.

(٣) شهفور بن طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر: عالم بالأصول، مفسر، من فقهاء الشافعية. قال السبكي: «ارتبطه نظام الملك بطوس»، وصنف «التفسير»، وصنف في الأصول. توفي سنة ٤٧١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص١٧٩).

(٤) الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ج١، ص١٦٠).

(٥) الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ج١، ص١٦١).

بخلافه».

وقال أيضا ما نصه[1]: «**فقال أي ابن كرام باب كيفوفية الله فلا يدري العاقل مم يتعجب من لفظه الذي أطلقه أو من حسن معرفته بمواضع العربية وليت شعري كيف أطلق الكيفية عليه ولعله أراد أن يخترع من نفسه عبارة لم يسبق إليها تليق بعقله**».

٣٥- قال الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا[2] الحنبلي ما نصه[3]: «كما أن **الآية** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[4] **تدل على أنه لا يشبه شيئًا**».

٣٦- قال الفقيه الإمام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[5] الشافعي الأشعري في عقيدته ما نصه: «والقرءان قد جمع في حديثه عن الصفات بين

---

(١) الأسفراييني، **التبصير في الدين**، (ج١، ص١٦١).

(٢) ابن البناء، الإمام، العالم، المفتي، المحدث، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي، الحنبلي، صاحب التواليف. سمع من: هلال الحفار، وأبي الفتح بن أبي الفوارس، وأبي الحسن بن رزقويه، وأبي الحسين بن بشران، وعبد الله بن يحيى السكري، وطبقتهم، فأكثر وأحسن. حدث عنه: أحمد بن ظفر المغازلي، وأبو منصور عبد الرحمن القزاز، وإسماعيل ابن السمرقندي، وابنا أبي غالب، أحمد ويحيى، وأبو الحسين بن الفراء، وأبو بكر قاضي المارستان. وقد تلا بالروايات على أبي الحسن الحمامي. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٨، ص٣٨٠-٣٨٢)، رقم الترجمة ١٨٥.

(٣) ابن البنا، **المختار في أصول السنة**، (ج١، ص٣٦٠).

(٤) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسف الشيرازي الفيروزءابادي، الـملقب جمال الدين، ولد بـفيروز أباد وهي بلدة بـفارس ودخل شيراز وتفقه فيها ولد سنة ٣٨٩هـ، سكن بغداد، له مصنفات منها «التنبيه» في الفقه و«التبصرة» وغيرهما، توفي سنة ٤٧٦ هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (ج١، ص٩، ١٠).

التشبيه[1] والتنزيه في ءاية واحدة حين قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2] فالله سميع بصير لا يشبهه أحد من خلقه مع أنهم يسمعون ويبصرون، وكذا في بقية الصفات لأن التماثل في الصفات فرعٌ عن التماثل في الذوات، والذاتان هنا مختلفتان تمامًا فكذا صفاتهما».

وقال أيضًا عند ذكر صفات الله الواجبة له ما نصه[3]: «**مخالفته للحوادث: ثم يعتقدون أي أهل الحق أن الله عز وجل لا يشبهه شيء من المخلوقات ولا يشبه شيئًا منها** لأنه لو أشبهه شيءٌ لكان مثله قديمًا، ولو أشبه شيئًا لكان مثله مخلوقًا وكلا الحالين محال. قال الله عز وجلّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾».

٣٧- قال الإمام الفقيه الذي كان من أصحاب الوجوه أبو سعيد عبد الرحمٰن بن محمد المأمون جمال الدين المتولي[4] الشافعي ما

---

(١) أي ما ظاهره يوهم التشبيه، وهو ليس على الظاهر.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) الشيرازي، **الإشارة إلى مذهب أهل الحق**، (ص١١٦).

(٤) عبد الرحمن بن مأمون بن علي بن إبراهيم النيسابوري، الشيخ أبو سعيد المتولي، تفقه بمرو على الفوراني، وبمرو الروذ على القاضي الحسين، وببخارى على أبي سهل الأبيوردي، وبرع في الفقه والأصول والخلاف. قال الذهبي وكان فقيهًا محققًا وحبرًا مدققًا. وقال ابن كثير: أحد أصحاب الوجوه في المذهب. صنف «التتمة» ولم يكمله وصل فيه إلى القضاء وأكمله غير واحد ولم يقع شيء من تكملتهم على نسبته قال الأذرعي ونسخ التتمة تختلف كثيرًا وصنف كتابا في أصول الدين وكتابًا في الخلاف ومختصرا في الفرائض، درس بالنظامية ثم عزل بابن الصباغ ثم أعيد إليها. توفي في شوال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز، ومولده بنيسابور سنة ست وقيل سبع وعشرين وأربعمائة. قال ابن خلكان: «ولم أقف على المعنى الذي به سمي المتولي». ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، (ج١، ص٢٤٧، ٢٤٨)، رقم الترجمة ٢١١.

نصه[1]: «والباري تعالى **يتقدس عن التحديد والكيفية**».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «مسألة: **الباري تعالى لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء**، وحقيقة هذه المسألة تتبين على معرفة حقيقة المثلين والخلافين فحقيقة المثلين عندنا كل موجودين ينوب أحدهما مناب الآخر ويقوم مقامه وذهب أبو هاشم إلى أن حد المثلين المشتركين في أخص الأوصاف ثم زعموا أن الاشتراك في الوصف الأخص لو كان يوجب الاشتراك في سائر الصفات لكان الاختلاف في الأخص يوجب الاختلاف في سائر الصفات، ورأينا أن الحركة مع السواد يختلفان في الأخص وإن أخص أوصاف الحركة الزوال عن المكان وأخص أوصاف السواد أنه يسود المحل ثم يشتركان في أوصاف العموم وهو كونهما مَوجُودَينِ عرضين حادثين، وإذا ثبت ما ذكرناه ثبت أن الله تعالى ليس له مثل لأنه لو كان له مثل وجب قِدَمَ العالم أو حدوث الباري وكل واحد منهما كفر وتتضح هذه الجملة بقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[3]، وقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[4]».

٣٨- قال إمام الحرمين عبد الملك أبو المعالي الجويني ما نصه[5]: «من صفات القديم تعالى مخالفته للحوادث، فالرب تعالى لا يشبه شيئًا من

---

(١) المتولي، **الغنية في أصول الدين**، (ج١، ص١٤٦).

(٢) المتولي، **الغنية في أصول الدين**، (ص٧٩، ٨٠).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) سورة **الإخلاص**، ءاية ٤.

(٥) الجويني، **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، (ص٥٤).

الحوادث، ولا يشبهه شيء منها»[1].

وقال أيضًا ما نصه[2]: « فإن قال قائل: لم زعمتم أن الباري سبحانه لا يشبه المخلوقات؟

قيل: لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدَثًا مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدَثًا من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدَث لم يزل قديمًا وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[3] وقد قال تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[4]».

---

(١) علق المحقق الدكتور أسعد تميم على كلام الجويني رحمه الله فقال ما نصه: «اعلم رحمك الله أنه تعالى ليس بجوهرٍ يتحيز، بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز، وتقرير البرهان أن كل جوهرٍ متحيز، فهو مختص بحيزه، ولا يخلو من أن يكون ساكنًا فيه أو متحركًا عنه، فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، لو تُصوّرَ جوهرٌ متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم وهو باطل، ولم يرد إطلاق لفظ الجوهر على الله، لا لغةً ولا شرعًا، تعالى الله عن أن يتطرق إليه نقصٌ، فإن الجوهر يطلق على الجزء الذي لا يتجزأ وهو أصغر الأشياء مقدارًا، وليس تعالى جزءًا مؤلفًا من جوهرين أو أكثر، وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصًا متحيزًا بطل كونه جسمًا لأن كل جسم مختصّ بحيزٍ ومركّب من جوهر، والجوهر يستحيل خلوه عن الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والهيئة والمقدار، وهذه سمات الحدوث، ولو جاز أن يُعْتَقَدَ أن صانع العالم جسمٌ لجاز أن يعتقد الألوهية للشمس والقمر أو لشيء ءاخر من الأجسام، وكذلك يستحيل عليه تعالى أن يكون عرضًا أي ما يقوم بالجسم كقيام بياض الجسم بالجسم، فكل جسمٍ حادثٌ وما يقوم بالجسم حادثٌ فكيف يكون حالًّا في الجسم وقد كان موجودًا في الأزل وحده ولم يكن معه غيره، ثم أحدث الأجسام والأعراض». **كتاب الإرشاد**، الجويني، (ص٥٤، ٥٥).

(٢) الجويني، **اللمع**، (ص١٩، ٢٠).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) سورة **الإخلاص**، ءاية ٤.

٣٩- قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي الأندلسي[١] في تفسير الحديث «**فتربو في كف الرحمٰن**» مانصه[٢]: «أي تنمو **بلا تشبيه ولا كيفية**[٣] لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[٤]».

٤٠- قال القاضي الصدر العلامة شيخ الحنفية بعد أخيه الكبير أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن المحدث عبد الكريم بن موسى النسفي البزدوي[٥] ما نصه[٦]: «قال أهل السنة إن الله تعالى جائز الرؤية، **وأنه يُرى في الآخرة بلا محاذاة ولا كيف ولا حد**».

وقال أيضًا ما نصه[٧]: «فأهل الجنة يرون الله تعالى بأعينهم كما يعلمون الله تعالى بقلوبهم في الدارين جميعًا **بلا كيفية ولا محاذاة ولا تحديد**».

---

(١) الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر، مؤرخ محدث، أندلسي. من أهل جزيرة ميورقة. أصله من قرطبة. كان ظاهري المذهب. وهو صاحب ابن حزم وتلميذه. رحل إلى مصر ودمشق ومكة سنة ٤٤٨هـ وأقام ببغداد فتوفي فيها. من كتبه «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر»، و«الذهب المسبوك في وعظ الملوك». **ولد سنة ٤٢٠هـ، وتوفي سنة ٤٨٨هـ. الزركلي، الأعلام، (ج٦، ص٣٢٧)**.

(٢) الأزدي، **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، (ج١، ص١٤٤)**.

(٣) والمعنى أن الصدقة تقع موقع القبول والله منزه عن الجارحة والأعضاء.

(٤) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٥) البزدوي، محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو اليسر، صدر الاسلام البزدوي، فقيه بخاري، ولي القضاء بسمرقند. انتهت إليه رياسة الحنفية في ما وراء النهر. له تصانيف، منها: «أصول الدين». ولد سنة ٤٢١هـ، وتوفي في بخارى سنة ٤٩٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٧، ص٢٢)**.

(٦) النسفي، **أصول الدين، (ص٧٧)**.

(٧) النسفي، **أصول الدين، (ص٧٧)**.

وقال أيضا ما نصه[1]: «وأما رؤية الإنسان اللهَ تعالى في المنام: فقال عامة أهل السنة والجماعة قد تكون لكن بشرط أن **لا يراه مكيّفًا محدودًا**، أما إذا رآه مكيفًا محدودًا فذاك ليس برؤية الله تعالى».

٤١- قال اللغوي الراغب الأصبهاني في «**المفردات في غريب القرءان**»[2]: «كيف لفظ يسأل به عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه كالأبيض والأسود والصحيح والسقيم، **ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجلَّ كيف**».

٤٢- قال الفقيه محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الشافعي ما نصه[3]: «وأنه تعالى **منزّه عن الكيف** والكم».

وقال أيضًا ما نصه: «لو قال القائل كيف يرى رب الأرباب في الآخرة، كان جوابه محالا لا محالة لأنه يسأل عن كيفية ما لا كيفية له، إذ معنى قول القائل كيف هو أي مثل أي شيء هو مما عرفناه، فإن كان ما يسأل عنه غير مماثل لشيء مما عرفه، كان الجواب محالًا ولم يدل ذلك على عدم ذات الله تعالى».

٤٣- قال الإمام ميمون بن محمد بن معتمد النسفي[4] المكحولي أبو

---

(١) النسفي، **أصول الدين**، (ص٧٨).

(٢) الأصبهاني، **المفردات في غريب القرءان**، (ص٤٤٤).

(٣) الغزالي، **التبر المسبوك**، (ج١، ص١).

(٤) أبو المعين النسفيّ، ميمون بن محمّد بن محمّد بن معبد بن مكحول، النسفيّ الحنفيّ، عالم بالأصول والكلام، كان بسمرقند وسكن بخارى. من كتبه: «بحر الكلام»، و«تبصرة الأدلّة»، و«التمهيد لقواعد التوحيد»، و«شرح الجامع الكبير للشيبانيّ»، و«إيضاح المحجّة لكون العقل حُجَّة». ولد ٤١٨هـ، وتوفي سنة ٥٠٨هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٣٤١).

المعين ما نصه: «**ليس بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصوَّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعض، ولا متحيز، ولا متركب، ولا متناه، ولا يوصف بالماهية، ولا بالكيفية ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء**».

وقال ما نصه[1]: «فإن قيل: نحن نقول بأنه جسم لا كالأجسام وهذا قول باطل، كما أنكم تقولون بأنه شيء لا كالأشياء.

قلنا: **إذا قلتم بالجسم فقد قلتم بالكيف، ولا يمكن إثباته في حق الباري جل جلاله**، والله الهادي إلى سبيل الرشاد».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «فإن الله تعالى سميع بلا جارحة، بصير بلا عين، عالم بلا آلة، مريد بلا قلب، متكلم بلا لسان وشفتين، وكذلك **اليد من صفاته الأزلية بلا كيف وتشبيه وجارحة**».

٤٤- قال المفسر محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ما نصه[3]: «الباري سبحانه وتعالى **لا يشبه شيءٌ** من صفاته صفاتِ الخلق».

٤٥- قال الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري ما نصه: «وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مُقلةٍ من جهةٍ، كما هم يَرَوْنه **بلا كيفية**».

---

(١) أبو المعين النسفي، **بحر الكلام**، (ص١٠٢).

(٢) أبو المعين النسفي، **بحر الكلام**، (ص١٠٥).

(٣) البغوي، **معالم التنزيل**، (ج١، ص١٩).

٤٦- قال القاضي ابن رشد الجد[١] القرطبي ما نصه[٢]: «**فلا يقال أين ولا كيف ولا متى** لأنه خالق الزمان والـمكان».

٤٧- وذكر ذلك أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلانيّ[٣] موافقًا له ومقرًّا الكلامه.

٤٨- قال ابن عطية المالكي ما نصه[٤]: «وهو تعالى **منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف** لا رب غيره».

٤٩- قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي ما نصه[٥]: «وأطبقوا على **تحريم التكييف** والتخييل والتشكيل».

وقال بما في معناه[٦]: «وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق».

وقال ما نصه: «**ولا يصح تقدير كيفية قول الله لأن كلام الله لا يكيف**». نقله الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري[٧].

---

(١) ابن رشد الجَدّ، الإمام، العلامة، شيخ المالكيّة، قاضي الجماعة بقرطبة، أبو الوليد محمّد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبيّ، المالكيّ، كان فقيهًا عالـمًا، حافظًا للفقه، مقدّمًا فيه على جميع أهل عصره، عارفًا بالفتوى، من تصانيفه: «المقدّمات»، وكتاب «البيان والتحصيل لما في المستَخْرَجة من التوجيه والتعليّل». عاش سبعين عامًا، ومات في ذي القعدة سنة ٥٢٠هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٢، ص٢٧٦)، رقم الترجمة ٤٨٥٣.

(٢) ابن الحاج المالكي، **المدخل**، فصل ينبغي للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة، (ج٣، ص١٨١).

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج٧، ص١٢٤).

(٤) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (ج٣، ص١٨٤).

(٥) القاضي عياض، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، (ج٢، ص٢٥٩).

(٦) القاضي عياض، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، (ج٢، ص٢٥٩).

(٧) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١، ص١٢).

وقال أيضًا ما نصه: «وياليت شعري ما الذي جمع آراء كافة أهل السنة والحق على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكر في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك، وسلّموا وأطبقوا على تحريم التكييف والتخييل والتشكيل، وأنَّ ذلك من وقوفهم وحيرتهم غير شكٍّ في الوجود أو جهل بالموجود، وغير قادح في التَّوحيد بل هو حقيقة عندهم»[1].

وقال أيضًا ما نصه[2]: «فالعشر الواجبات: أن تعتقد أن الله واحد غير منقسم في ذاته، وأنه ليس معه ثانٍ في إلـٰهيته، وأنه حيٌّ قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه إلـٰه كل شيء وخالقه، وأنه على كل شيء قدير، وأنه عالم بما ظهر وما بطن، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۝٣﴾[3] وأنه مريد لكل كائنٍ من خيرٍ أوشرٍّ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سميع بصير متكلمٌ بغير جارحة ولا آلةٍ، بل سمعه وبصره وكلامه صفة له، لا تشبه صفاته الصفات كما لا يشبه ذاته الذوات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[4]».

٥٠- قال الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[5] الشافعي في

---

(١) القاضي عياض، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، (ج٢، ص٢٥٩).

(٢) القاضي عياض، **الإعلام بقواعد الإسلام**، (ص٩).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) سورة **سبأ**، ءاية ٣.

(٥) أبو الفتح، محمّد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانيّ، صاحب التصانيف، برع في الفقه وقرأ في الأصول وصنّف كتاب «نهاية الإقدام»، و«الملل والنحل»، وكان كثير المحفوظ، قويّ الفهم، مليح الوعظ. وُلد سنة ٤٦٧هـ، وتوفي سنة ٥٤٩هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٢٠، ص٢٨٦-٢٨٨)، رقم الترجمة ١٩٤.

كتابه «**الملل والنحل**» ما نصه: «فإنه كما يسلب عنه المادة يسلب عنه الصورة أعني الصورة الجسمية **ويسلب عنه الكيفية والكمية** والوضع والحيز والمكان والزمان».

٥١- قال الشيخ عبد القادر الجيلاني[١] رضي الله عنه ما نصه[٢]: «لا تُصوّره الأوهام ولا تقدّره الأفهام. لا يُدرك بالقياس ولا يُمثّل بالناس. **كيّف الكيف وتنزّه عن الكيفية**، وأيّن الأين وتعزّز عن الأينية».

٥٢- قال امام الهدى أبو العلمين شيخ العريجاء سلطان الأولياء أحمد بن علي الرفاعي الكبير رضي الله عنه وأرضاه الولي الفقيه الشافعي ما نصه[٣]: «**غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان**».

وقال أيضًا ما نصه[٤]: «مع **تنزيه الباري تعالى عن الكيف** وسمات الحدوث وعلى ذلك درج الأئمة».

---

(١) عبد القادر الجيلانيّ،الشيخ، الإمام، العالم، الزاهد، العارف، شيخ الإسلام، القدوة، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيليّ، الحنبليّ، شيخ بغداد، مولده بجيلان سنة ٤٧١هـ. سمع من: أبي غالب الباقلانيّ، وأحمد بن المظفر بن موسى وغيرهما. وحدّث عنه: السمعانيّ، وعمر بن عليّ القرشيّ، وآخرون، وكان إمام الحنابلة في جيلان وشيخهم في عصره، فقيه، صالح، ديّن، خيّر،كثير الذكر، دائم الفكر، كراماته كثيرة وعظيمة وطريقته سرت في كل الدنيا، وقيل إن له من الأولاد ٤٩ ولدًا، ٢٧ ذكرًا والباقي إناث، خرّج الأكابر ولاح فضله على الأمّة المحمّدية، توفي في العاشر من ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٢، ص٦٠٠-٦٠٧)، رقم الترجمة ٥٢٢٧.

(٢) المنسوب لعبد القادر الجيلاني، المسمى **عقيدة الأكابر**، (ص ٥).

(٣) الرفاعي، **البرهان المؤيد**، (ص١٠).

(٤) الرفاعي، **البرهان المؤيد**، (ص١٧).

٥٣- قال الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي[١] الحنفي[٢] ما نصه: «فصل: **صانع العالم لا يشبه العالم ولا شيئًا منه** لأنه لو كان يشبهه للزم حدوثه أو قدم العالم وكلاهما منتفيان.

فصل: **صانع العالم لا يقال له كيف هو**، لأن الكيف يستخبر به عن الهيئة والحال، **ولا هيئة له ولا حال**».

٥٤- قال شيخ شيوخ الأمصار ولي الله الكبير أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري المشهور بأبي مدين الغوث[٣] ما نصه: «الحمد لله الذي **تنزّه عن الحد والأين والكيف والزمان والمكان** المتكلم بكلام قديم أزلي هو صفة من صفاته قائم بذاته أي ثابت له لا منفصل عنه ولا عائد إليه ولا يحل في المحدثات ولا يجانس المخلوقات ولا يوصف بالحروف والأصوات تنزهت صفات ربنا عن الأرض والسمـٰوات، اللهم إنا نوحدك ولا نحدك ونؤمن بك ولا نكيفك ونعبدك ولا نشبهك ونعتقد أن من شبّهك بخلقك لم يعرف الخالق من المخلوق ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٤].

---

(١) الغزنوي، أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي، أصولي فقيه، مات في حلب. من كتبه: «الروضة في اختلاف العلماء»، و«المقدمة المختصرة» في الزيتونة ويسمى «المقدمة الغزنوية» في الفقه، و«روضة المتكلمين في أصول الدين». توفي سنة ٥٩٣هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢١٧).

(٢) الغزنوي، **أصول الدين**، (ص٧٩-٨١).

(٣) أبو مدين التلمساني، شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين، صوفي، من مشاهيرهم. أصله من الأندلس. أقام بفاس، وسكن «بجاية» وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. من تصانيفه: «مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب». توفي بتلمسان سنة ٥٩٤هـ، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص١٦٦).

(٤) سورة **الإخلاص**، ءاية ١ ٤.

ثم قال رضي الله عنه: «**ليس بجوهر** فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، **ولا بجسم** فالجسم بالجهة محفوف، فهو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبؤوس، ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس، هو الله لا إلـٰه إلا هو الملك القدوس، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس، لا العرش له من قبيل القرار ولا الاستواء عليه من جهة ولا الاستقرار، العرش له حد ومقدار، والرب لا تدركه الأبصار، العرش مخلوق من مخلوقاته أظهر فيه بعض مقدوراته، العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول، وهو مع ذلك محمول أي العرش والقديم أي الله لا يزول، العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الإلـٰه ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا خلف فيسنده ولا أمام فيحدّه **جلّ عن التحديد والتقدير والتغيير والتكييف والتصوير والتشبيه والنظير**، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[1]»[2].

٥٥- قال الحافظ أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ما نصه[3]: «إنما يقع الأشكال في وصف من له أشكال وإنما تضرب الأمثال لمن له أمثال فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال، عظمته عظمت عن نيل كف الخيال، **كيف يقال له كيف؟**

---

(١) سورة **سبأ**، ءاية ٣.

(٢) عبد الحليم محمود، **أبو مدين الغوث**.

(٣) ابن الجوزي، **المدهش**، (ص١٣٧).

والكيف في حقه محال! أنى تتخيله الأوهام! وهي صنعه؟! كيف تحده العقول! وهي فعله؟! كيف تحويه الأماكن! وهي وضعه أي خلقه؟!».

ثم قال[1]: «ما عرفه من كيّفه ولا وحده من مثّله ولا عبده من شبّهه، المشبه والمعطل أعمى».

ثم قال: «تعالى أي الله عن بعضية من، وتقدس عن ظرفية في، وتنـزه عن شبه كان، وتعظم عن نقص لو أن، وعز عن عيب إلا أن، وسما كماله عن تدارك لكن».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[3]، قال ابن قتيبة: أي ليس كهو شيء، والعرب تقيم المثل مقام النفس فتقول: مثلي لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي هذا، وقال الزجاج: الكاف مؤكدة والمعنى ليس مثله شيء».

وقال ابن الجوزي أيضًا ما نصه[4]: «لا بصفة الأول يحكم له مبدأ، ولا بالآخر صار له منتهى، ولا من الظاهر فهم له شبح، ولا من الباطن تعطل له وصف، خرست في حق الله سبحانه صولة لم؟ وكفّت لهيبة الحق كاف كيف؟ وعشيت لأنوار العزّ عين الفكر، فأقدام الطلب واقفة على حمى التسليم، جل عن أشباه وأمثال، وتقدس عن أن تضرب له الأمثال، وإنما تقع الأشباه والأشكال في حق من له أنداد وأشكال،

---

(١) ابن الجوزي، **المدهش**، (ص١٣٨).

(٢) ابن الجوزي، **زاد المسير**، (ج٧، ص٢٧٦).

(٣) سورة **سبأ**، ءاية ٣.

(٤) ابن الجوزي، **اللطائف في الوعظ**، (ص٥). (بتصرف).

المشبه ملوث بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب المحقق من بين فرث ودم لبن خالص، هو المنـزه **لا يقال لم لفعله؟ ولا متى لكونه؟ ولا فيم لذاته؟ ولا كيف لوصفه؟ ليس في صفاته أين؟** ولا مما يدخل في أحديته مِن، فمتى عرف العبد أن مولاه قديم لا بداية له فقد دله ذلك على التنـزيه، وعلم أنه لا ينطبع فيها شبح الشريك، ولا خيال التشبيه «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فتهلكوا» إذا استقبل الرمد الريح فقد تعرض لزيادة الرمد».

٥٦- قال الإمام العلامة تاج الدين محمد بن هبة الله[١] بن مكي الحموي المصري الشافعي ما نصه:

«قد استوى الله على العرش كما شـاء ومـن كيّف ذاك جسما»

وذلك في قصيدته «**حدائق الفصول وجواهر الأصول**» التي صنّفها للسلطان المجاهد الناصر صلاح الدين الأيوبي[٢] الأشعري رحمه الله تعالى.

---

(١) تاج الدين محمد بن هبة الله بن مكي الحموي الـمولد، الـمصري الدار والوفاة، الشافعي الخطيب، ولد بـحماه سنة ٥٤٦هـ. قال تاج الدين السبكي في «**طبقات الشافعية**»: «كان فقيهًا فرضيًا نحويًا متكلـمًا، أشعري العقيدة، إمامًا من أئمة الـمسلـمين، إليه مرجع أهل الديار الـمصرية في فتاويهم. وله نظم كثير، منه أرجوزة سماها: «حدائق الفصول وجواهر الأصول»، صنفها للسلطان صلاح الدين، وهي حسنة جدًا نافعة، عذبة النظم» توفي رحمه الله في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٩٩هـ بمصر. ابن هبة الله، **منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول، (ص٢٩-٣١)**.

(٢) هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو الـمظفر، صلاح الدين الأيوبي، الـملقب بالـملك الناصر وهو من أشهر ملوك الاسلام.كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان) وهم من الأكراد. نزلوا بـتكريت، وولد بها صلاح الدين سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. سمع الحديث من الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي طاهر بن عوف والشيخ قطب الدين النيسابوري وعبد الله ابن بري النحوي وجماعة، روى عنه يونس بن محمد الفارقي والعماد الكاتب وغيرهما. وكان =

٥٧- وقال أيضًا ما نصه[١]:

«وقل لمن قد كيّف الكلاما بالحرف والصوت معًا سلاما
فإنهم قد كابروا العيانا وخالفوا الدليل والبرهانا».

٥٨- قال الإمام الكبير فخر الدين بن عساكر أبو منصور عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي الأشعري ما نصه: «الله موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا كلّ ولا بعض **ولا يقال: متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟** كوّن الأكوان ودبّر الزمان لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان ولا يشغله شأن عن شأن ولا يلحقه وهم ولا يكتنفه عقل ولا يتخصص بالذهن ولا يتمثل في النفس ولا يتصور في الوهم **ولا يتكيّف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢]». وذلك في «العقيدة المرشدة» التي قال أنها عقيدة أهل السنة والجماعة.

=فقيها يقال إنه كان يحفظ القرءان والتنبيه في الفقه والحماسة في الشعر وملك البلاد ودانت له العباد وأحبه الخلق ونصر الإسلام وغزا الفرنج وكسرهم مرات وفتح المدن الكبار وأقام في السلطنة أربعًا وعشرين سنة يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. وكان ملكًا عظيمًا شجاعًا مهيبًا عادلًا يملأ العيون روعة والقلوب محبة قريبا بعيدا عابدا قانتا لله لا تأخذه لومة لائم مجلسه يجمع الفضلاء والفقراء وأصحابه كأنما هم على قلب رجل واحد محبة فيه واعتقادًا وطواعية. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (ج٧، ص٣٣٩-٣٦٩)، رقم الترجمة ١٠٣٩.

(١) ابن هبة الله، **حدائق الفصول وجواهر العقول**، (ص١١).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

٥٩- قال الشيخ سيف الدين الآمدي[١] ما نصه[٢]: «المسألة التاسعة في **امتناع اتصاف الرب تعالى بشيء من الكيفيات المحسوسة بالحواس الظاهرة وغيرها**. أما المحسوسة بالحواس الظاهرة فكاللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك.

وأما غير المحسوسة بالحواس الظاهرة: فكاللذة والألم والنفرة والحزن والفرح والغم والغيظ والغضب والوحشة والأنس والتأسف والتمني والشهوة والبطر وغير ذلك. وهذه المسألة لا تعرف خلافًا بين العقلاء فيها».

وقد استدل الأصحاب في ذلك بمسالك:

المسلك الأول: وهو معتمد بين الأكثرين، وهو أنهم قالوا: لو اتصف الرب تعالى بشيء من هذه الكيفيات المحسوسة لم تخل: إما أن تكون قديمة أو حادثة.

لا جائز أن تكون حادثة: وإلا كان الرب تعالى محلًّا للحوادث، وهو ممتنع كما سبق.

ولا جائز أن تكون قديمة: لأن جميع الكيفيات المحسوسة متساوية فيما يرجع إلى الكمال والنقصان، وليس منها ما هو صفة كمال للرب

---

(١) عليّ بن محمد بن سالم التغلبيّ أبو الحسن سيف الدين، أصوليّ باحث، حسده بعض المجسّمة ونسبوا إليه فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيًا إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها. له نحو عشرين مصنّفًا، منها: «الإحكام في أصول الأحكام»، و«أبكار الأفكار في علم الكلام»، و«لباب الألباب». توفي سنة ٦٣١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص٣٣٢).

(٢) الآمدي، **أبكار الأفكار**، (ج٢، ص٧٥-٧٨).

تعالى حتى يكون متصفًا به دون غيره، فتكون متساوية في جواز تقدير اتصاف الرب تعالى بكل واحدة منها. وليس تقدير اتصافه ببعضها أولى من تقدير إتصافه بغيرها، وما هذا شأنه استحال اتصافه بكونه قديمًا، إذ القديم واجب الوجود، فيمتنع تقدير عدمه وفرض وجوده ضده. وإذا امتنع كل واحد من القسمين امتنع أن يكون متصفًا بشيء منها.

المسلك الثاني: أنهم قالوا: لو اتصف الرب تعالى بشيء من هذه الكيفيات فإما أن تكون حادثة، أو قديمة.

لا جائز أن تكون حادثة لما سبق.

وإن كانت قديمة: فما من كيفية من هذه الكيفيات إلا ولها مثل حادث، وعند التماثل فيمتنع اختصاص إحدى الصفتين بالعدم، والأخرى بالحدوث لأن القديمة إما أن تقتضي العدم لذاتها أو لمخصص من خارج.

فإن كان الأول: فيلزم أن تكون الحادثة أيضًا قديمة، ضرورة التماثل وأن ما اقتضاه أحد المثلين لذاته، كان الآخر مقتضيًا له أيضًا.

وإن كان الثاني: فذلك المخصص: إما أن يكون مخصصًا بالذات، أو الاختيار.

فإن كان مخصصًا بالذات فليس تخصيصه بالقدم أحد المثلين والحدوث بالآخر أولى من العكس، لتساوي نسبة ذاته إليهما.

وإن كان بالاختيار: فكل معلول بالاختيار لا يكون إلا حادثًا على ما

سيأتي، ويلزم أن يكون معلوله من القديم حادثًا، وهو محال.

المسلك الثالث: أنهم قالوا: ثبوت شيء من هذه الكيفيات مما لم يدل عليه عقل ولا أشار إليه نقل فلا يثبت.

وحاصل هذا المسلك راجع إلى الحكم بانتفاء المدلول لانتفاء دليله وهو فاسد لما تقدم في قاعدة الأدلة.

المسلك الرابع: وهو اختيار الأستاذ أبي إسحـٰق، وهو أن قال: هذه الكيفيات هيئات للمتصف بها، والباري تعالى ليس في جهة، والهيئة لمن لا جهة له محال.

المسلك الخامس: ويخص اللذة، أنه لو كان متصفًا باللذة لكان خلق الملتذ به إما في الأزل أو لا في الأزل.

لا جائز أن يكون خلقه له في الأزل لأن خلق الأزلي محال كما يأتي.

ولا جائز أن يكون خلقه لا في الأزل: وإلا لكانت اللذة الحاصلة به حادثة، ويلزم من ذلك حلول الحوادث بذات الرب تعالى، وهو محال على ما تقدم.

المسلك السادس: ويخص اللذة أيضًا أن اللذة لا معنى لها إلا إدراك الملائم للمزاج. والرب تعالى لا مزاج له، وإلا كان مركبًا، وهو محال على ما سبق، فلا يكون متصفًا باللذة، وهو أيضًا ضعيف».

٦٠- قال الشيخ العز بن عبد السلام[1] في بداية رسالته في التوحيد ما

(١) العز بن عبد السلام، عز الدين أبو محمد السلـمي الدمشقي ثم الـمصري الشافعي، الشيخ الإمام العلامة الذي جمع بين فنون العلـم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية واختلاف =

نصه[1]: «الحمد لله الذي **كيّف الكيف وتنزّه عن الكيفية**، وأيّن الأين وتعزز عن الأينية».

٦١- قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المفسر المالكي الأشعري ما نصه[2]: «**فإن الكيفية محال على الله تعالى وعلى صفاته من جميع الوجوه**».

٦٢- قال الإمام الحافظ يحيى بن شرف أبو زكريا النووي ما نصه[3]: «قال القاضي عياض المالكي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴿١٦﴾﴾، ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم»، ثم قال: «**واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل** وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شك في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد»، ثم قال: «وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق».

٦٣- قال الشيخ أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي[4] الحنبلي

=أقوال الناس ومآخذهم، رحل إليه الطلبة من سائر البلاد، روى عنه الدمياطي وابن دقيق العيد وهو الذي لقبه بسلطان العلـماء. ومن تصانيفه: «القواعد الكبرى»، و«مجاز القرءان»، توفي في مصر سنة ٦٦٠هـ ودفن في القرافة في آخرها. تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (ج٢، ص١٠٩-١١١).

(١) ابن عبد السلام، **رسائل في التوحيد**، (ص٣٧).

(٢) القرطبي، **الإعلام بما في دين النصارى**، (ج١، ص١٠٨).

(٣) النووي، **شرح صحيح مسلم**، (ج٥، ص٢٤-٢٥).

(٤) عباس بن منصور بن عباس، أبو الفضل التريمي السكسكي. من تصانيفه: «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان». ولد سنة ٦١٦هـ، توفي سنة ٦٨٣هـ. **الأعلام**، الزركلي، (ج٣، ص٢٦٨).

ما نصه[1]: «يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، متصفٌ بما وصف به نفسه **من غير تمثيل ولا تكييف** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويعز ويذل ويرفع **لا يكيف ذاته ولا تشبه صفاته** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾».

٦٤- قال الإمام القرافي[4] المالكي ما نصه[5]: «وقول مالك: **والكيف غير معقول، معناه أن ذات الله تعالى لا يوصف بما وضعت** بعض **العرب له كيف** وهو الأحوال المتنقلة والهيآت الجسمية من التربع وغيره، **فلا يعقل ذلك في حقه تعالى** لاستحالته في جهة الربوبية».

٦٥- قال الشيخ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴿١٤٣﴾﴾[6] ما نصه[7]: «بلا واسطةٍ **ولا كيفية**».

---

(١) السكسكي، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، (ص٥٢٢).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) السكسكي، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، (ص٥٤).

(٤) القَرَافيّ، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العبّاس، شهاب الدين الصنهاجيّ، من علماء المالكيّة، نسبته إلى قبيلة صَنْهاجة، من برابرة المغرب، وإلى القرافة المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعيّ بالقاهرة. له مصنّفات جليلة في الفقه والأصول، منها: «أنوار البروق في أنواء الفروق»، و«الذخيرة»، و«اليواقيت في أحكام المواقيت»، و«شرح تنقيح الفصول». توفي سنة ٦٨٤هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٩٤، ٩٥).

(٥) القرافي، **الذخيرة**، (ج١٣، ص٢٤٣).

(٦) سورة **الأعراف**، ءاية ١٤٣.

(٧) النسفي، **تفسير النسفي**، (ج١، ص٣٩٠).

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[1] ما نصه[2]: «**بلا كيفية** ولا جهة ولا ثبوت مسافة».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام، المقدس بصفاته عن إدراك العقول والأفهام، المتصف بالألوهية قبل كل موجود، الباقي بالنعوت السرمدية بعد كل محدود، الملك الذي طمست سبحات جلاله الأبصار، المتكبر الذي أزاحت سطوات كبريائه الأفكار، القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان، العظيم الذي تنـزه عن مماسة المكان، المتعالي عن مضاهاة الأجسام ومشابهة الأنام، القادر الذي **لا يشار إليه بالتكييف**».

٦٦- قال الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي[4] في كتابه «**كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام**» في باب المتشابه ما نصه[5]: «يجوز أن **يراه المؤمنون بلا كيف** أو جهة، كما يرى هو نفسه[6] **بلا كيف** ولا جهة».

---

(١) سورة **القيامة**، ءاية ٢٣.

(٢) النسفي، **تفسير النسفي**، (ج٤، ص٢٤٥).

(٣) النسفي، **تفسير النسفي**، (ج١، ص٣).

(٤) عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، فقيه حنفي من علماء الأصول، من أهل بخارى. له تصانيف منها: «شرح أصول البزدوي»، سماه «كشف الأسرار»، و«شرح المنتخب الحسامي». توفي سنة ٧٣٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص١٣).

(٥) علاء الدين البخاري، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام**، (ج١، ص١٥٦).

(٦) أي ذاته الذي لا يشبه الذوات.

٦٧- قال القاضي عبد الله الأنصاري ما نصه[١]: «باب قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[٢]، قال أهل النظر: **معناه ليس كهو شيء،** ونظيره قوله تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ أي بالذي آمنتم به وقرأها ابن عباس فإن آمنوا بالذي آمنتم به، **فإن الله ليس له مثل.**

وقيل: العرب إذا أرادت التأكيد في إثبات التشبيه كررت حرف التشبيه فقالت: «هذا كهذا، وقال الشاعر: وصاليات ككما يؤثفين. يعني كهذا وكما لو جمعت بين اسم التشبيه وحرف التشبيه فقالت: هذا كمثل هذا فلما أراد سبحانه وتعالى أن ينفي التشبيه على آكد ما يكون من النفي جمع في قراءتنا بين حروف التشبيه واسم التشبيه حتى يكون النفي مؤكدًا على المبالغة».

٦٨- قال الإمام المحدث الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المشهور ببدر الدين بن جماعة ما نصه[٣]: «**ومن انتحل قول السلف، وقال بتشبيه أو تكييف** أو حمل اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من صفات المحدثين **فهو كاذب** في انتحاله بريء من قول السلف واعتداله».

٦٩- قال الإمام شهاب الدين ابن جهبل[٤] الشافعي ما نصه: «وقال سهل

---

(١) عبد الله الأنصاري، **دقائق الإشارات، (ص٢٥٤، ٢٥٥).**

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، (ص٩٣).**

(٤) أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الحلبي الشافعيّ الدمشقي المعروف بابن جَهْبَل، كان فيه خير كثير، وله محاسن وفضائل، وكان فطنًا في العلوم، توفّي سنة ٧٣٣هـ. الذهبي، **سير**=

رضي الله عنه لا تطلعوا الأحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الإلـه واحد فرد صمد **منزه عن الكيفية** والأينية». وذلك في رسالته في نفي الجهة عن الله تعالى.

٧٠- قال الشيخ شجاع الدين هبة الله بن أحمد بن معلّي التركستاني الحنفي الماتريدي[١] ما نصه[٢]: «وأما قولهم: ولا شيء مثله، فهو تحقيقٌ لإثبات كمال ذاته في الأزل والقدم ونفي النظير والمماثل، ووصفه بالتعالي عن المشابهة والمماثلة لأن القول بالمشابهة بين الله تعالى وبين خلقه قولٌ بنفي الألوهية وإنكارٌ للصانع لأن التماثل بين الشيئين من كل وجهٍ يوجب المساواة بينهما من كل وجهٍ، والمماثلة بينهما من وجه يقتضي المساواة بينهما من ذلك الوجه، كالمشابهة بين الله تعالى وبين العالم، إن كانت من كل وجهٍ فإنها تقتضي المساواة في الحكم من كل وجه، ومعلومٌ قطعًا أن حكم العالم الحدث، وأن صفة الله تعالى القدم، فتوجب المساواة أن يكون العالم قديمًا أو الصانع محدثًا وهذا باطل-».

= **أعلام النبلاء، (ج١٥، ص٦٦٩)**، رقم الترجمة ٦٩٨٨.

(١) هبة الله بن أحمد بن معلى بن محمود الطرازي، شجاع الدين التركستاني، من فقهاء الحنفية. ولد في مدينة «طراز» من إقليم تركستان. ورحل إلى دمشق، فتفقه بها ومات بالمدرسة الظاهرية. من كتبه: «شرح الجامع الكبير»، و«تبصرة الأسرار في شرح المنار»، و«شرح عقيدة الطحاوي». ولد سنة ٦٧١هـ، وتوفي سنة ٧٣٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج١٧، ص١٧٧)**.

(٢) التركستاني، **شرح العقيدة الطحاوية، (ص٥١-٥٣)**.

ثم قال ما نصه: « وأما دليل السمع قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]، فالله نفى عن نفسه مماثلة شيء من العالم بهذا الكلام المحكم الذي لا احتمال فيه، فدل على أن **الله تعالى ليس بشبيه للخلق، ولا له منهم مثال بوجه من الوجوه، ولا شبيه منهم،** لا فيما يرجع إلى الصفة، ولا فيما يرجع إلى النفس، وهو يتعالى عن جميع معاني الخلق وصفاتهم.

فدليل قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2] دل قوله: الشيء على أنه يطلق على اسم الشيء لأنه نفى عن نفسه المثلية، ولم ينف الشيئية لأنّ اسم الشيء ليس ينبئ عن الكيفية والجنسية، وإنما ينبئ عن مطلق الوجود، والله تعالى موجودٌ وواجب الوجود لذاته، وما سواه جائز الوجود، ولا مماثلة بين القديم والمحدَث، فنفى عنه ما وراء مطلق الشيئية، فيقال: إنه تعالى شيء لا كالأشياء، كما يقال: عالم لا كالعلماء، ينفى عنه شبه الأشياء، والشيء إثباتٌ، وفي التوحيد إثباتٌ، ولو لم يجز إطلاق اسم الشيء عليه لنفى الشيئية كما نفى المثلية، دلّ على أنه يسمّى شيئًا، وهو كقوله تعالى ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴿١٩﴾﴾[3]، أثبت أنه شيء لا كالأشياء».

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **الأنعام**، ءاية ١٩.

٧١- قال ابن الحاج المالكي[١] ما نصه: «**جلّ جلاله عن الصورة والكيفية**»[٢].

وقال أيضا عن الله تعالى: «**فلا يقال أين ولا كيف** ولا متى؛ لأنه خالق الزمان والمكان إلى غير ذلك من صفاته الجليلة».

٧٢- قال الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي[٣] ما نصه[٤]: «رواية مسلم بلفظ: **يتنزل ربنا** بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، وعلى هذا فالحديث من المتشابهات. والعلماء فيه على قسمين: الأول أجروه على ما ورد، مؤمنين به على طريق الإجمال، **منزهين الله تعالى عن الكيفية والتشبيه**، وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وابن المبارك والزهري ومكحول[٥] وغيرهم.

---

(١) ابن الحاجّ، شيخ الأندلس ومفتيها وقاضي الجماعة، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن خَلَف ابن إبراهيم بن لُبٍّ التُّجيبيّ القرطبيّ المالكيّ ابن الحاجّ. كان من جِلّة العلماء، معدودًا في المحدّثين والأدباء، بصيرًا بالفتوى، قُتِلَ ظلمًا يوم الجمعة وهو ساجد في صفر سنة ٥٢٩هـ، وله إحدى وسبعون سنة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٢، ص٣٣٦)، رقم الترجمة ٤٩٢٤.

(٢) ابن الحاج المالكي، **المدخل**، (ج٢، ص٢٠٠).

(٣) التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، عالم بالحديث. له: «مشكاة المصابيح»، أكمل به كتاب مصابيح السنة للبغوي، و«الإكمال في أسماء الرجال». توفي سنة ٧٤١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٣٤).

(٤) التبريزي، **مرعاة المفتاح**، (ج٦، ص٢٣).

(٥) مكحول، عالم أهل الشام، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبو أيوب، وقيل: أبو مسلم الدمشقيّ، الفقيه. أرسل عن النبيّ ﷺ أحاديث، وروى عن طائفة من قدماء التابعين. وحدّث عن: واثلة بن الأسقع، وأبي أمامة الباهليّ، وأنس بن مالك، ومحمود بن الربيع، وطاووس وغيرهم. وحدّث عنه: الزهريّ، وربيعة الرأي، وزيد بن واقد، وسليمان بن موسى، وأيوب بن موسى، وعامر الأحول، وقيس بن سعد، وخلق كثير سواهم، وعداده في أوساط التابعين، من أقران الزهريّ.=

والثاني: المؤوِّلة فأولوه بتأويلين: أحدهما أن معنى **ينزل ربنا** ينزل أمره لبعض ملائكته، أو ينزل ملكه بأمره، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه».

٧٣- قال الشيخ ابن جزي الكلبي[١] ما نصه[٢]: «**في توحيد الله تعالى**: وهو محصول قولنا: لا إلـه إلا الله، وهو أن تؤمن بأنه إلـهٌ واحدٌ أحدٌ، فردٌ، صمدٌ، لم يتّخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولا أشرك في حكمه أحدًا، ليس له في ربوبيته شريكٌ ولا نظير، وليس له في ملكه ضدٌّ ولا ندٌّ ولا منازعٌ ولا ظهير».

ثم قال ما نصه[٣]: «**الباب الخامس: في تنزيه الله تعالى**: وهو معنى قولنا سبحان الله، وذلك أن تؤمن بأنه ليس كمثله شيء، ولا هو مثل شيء، لا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء، تعالى أن يكون له شبيه، أو مثيل، أو عديل، أو نظير، أو قرين، وأنه لا يفتقر إلى شيء، وأن كل شيء إليه فقير، وأنه لا يليق به نقصٌ، ولا عيبٌ، بل تقدّس عن كلّ نقصٍ، وتبرأ

= وقال أبو حاتم: «ما بالشام أحد أفقه من مكحول». وقال العجليّ: «تابعيّ، ثقة». توفي سنة ١١٢هـ، وقيل غير ذلك. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص٩٤-٩٦)، رقم الترجمة ٨٠٧.

(١) ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه: «القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية»، و«تقريب الوصول إلى علم الأصول»، و«الفوائد العامة في لحن العامة»، و«التسهيل لعلوم التنزيل»، و«الأنوار السنية في الألفاظ السنية»، و«وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم». وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب. قال المقريزي: «فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف». ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ. الزركلي، **الأعلام**، الزركلي، (ج٥، ص٣٢٥).

(٢) ابن جزي، **القوانين الفقهية**، (ص٣٠).

(٣) ابن جزي، **القوانين الفقهية**، (ص٣٢).

من جميع العيوب، وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا تلحقه آفة، ولا يصيبه عجز ولا نصب ولا لغوب».

٧٤- قال الشيخ ابن العلاء البخاري[١] الحنفي ما نصه[٢]: «**وأنه تعالى ليس متصفًا باللون، والطعم، والرائحة، والكيفية، والمائية، والتبعض، والتناهي، ومشابهة الحوادث، والحرارة، والبرودة، واليبوسة، والرطوبة، وغير ذلك من صفات الأجسام، وتوابع المزاج والتركيب**».

٧٥- قال المفسر النحوي أبو حيان أثير الدين الأندلسي ما نصه[٣]: «**معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة ولا يشبه بشيء من خلقه ولا يكيف** ولا يتحيز ولا تحله الحوادث وكل هذا مقرر في علم أصول الدين».

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾[٤]

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن العلاء، أبو عبد الله البخاري الحنفي. من مشايخه: محمد بن العلاء، وسعد الدين التفتازاني. قال فيه ابن حجر: «اجتهد في الأخذ عن العلماء حتى برع في المعقول والمنقول». من تصانيفه: «فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين»، و«الملجمة للمجسمة»، و«عقيدة علاء الدين البخاري» وغيرها. ولد سنة ٧٧٩هـ، وتوفي سنة ٨٤١هـ. ابن العلاء البخاري، **رسالة في الاعتقاد، (ص١٥)**.

(٢) ابن العلاء البخاري، **رسالة في الاعتقاد، (ص١١٩)**.

(٣) أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط، (ج٣، ص٤١٩)**.

(٤) سورة **الأنعام**، ءاية ٣. وقال البغوي في تفسير هذه الآية: «يعني وهو إلٰه السماوات والأرض، كقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾. وقيل: هو المعبود في السماوات والأرض، وقال محمد بن جرير: معناه وهو الله في السماوات يعلم سركم وجهركم في الأرض. وقال الزجاج: فيه تقديمٌ وتأخير، وتقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض». البغوي، **تفسير البغوي، (ج٢، ص٨٤)**.

ما نصه[1]: «إنما ذهب أهل العلم إلى الخروج عن ظاهر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ۝٣﴾[2] لما قام عليه العقل من استحالة حلول الله تعالى في الأماكن ومماسة الأجرام ومحازاته لها وتحيزه في جهة».

٧٦- قال المفسر تقي الدين السبكي ما نصه[3]: «قال الأزهري: نحن نؤمن به أي بالله **ولا نكيفه بصفة**».

٧٧- قال أبو الفتح الإسكندراني الوفائي[4] الشافعي في كتابه «**ترجمان الأشواق وروضة العشاق**» ما نصه: «**الحمد لله الذي جل عن الكيف والأين**».

٧٨- قال الشيخ أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي في شرح كلام الطحاوي ما نصه[5]: «**لا تبلغه الأوهام أي الله ولا تدركه الأفهام**، الوهم قوة تدرك الجزئيات، والفهم إدراك العقل للكليات، والله تعالى ليس بذي وضع وكيفية فينطبع في الأوهام، ولا بذي حدٍّ فيبلغ كنهه العقل ويحيط به، بل هو متعالٍ عن ذلك، قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝١١٠﴾[6]، إذ الإدراك والإحاطة بجميع أطرافه

---

(١) أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، (ج٥، ص٧٨).

(٢) سورة **الأنعام**، ءاية ٣.

(٣) السبكي، **السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل**، (ص٤٨٩).

(٤) الوفائي، محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البلبيسي، فالمقدسي ثم الدمشقي الشافعي، أبو الفتح، شمس الدين الوفائي، واعظ دمشق في أيامه. ووفاته بها. صنف «شرح السيرة الهشامية»، و«شرح نظم الدرر في موافقات عمر» للبدر الغزي، و«الروض الرحيب بمولد الحبيب». توفي سنة ٩٣٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٥، ص٣٠٢).

(٥) الغزنوي، **شرح عقيدة الإمام الطحاوي**، (ص٤٩-٥١).

(٦) سورة **طه**، ءاية ١١٠.

لا يتصور إلا فيما يحد وينتهي. **ولا يشبه الأنام**، وهو كل ذي روح، وقيل جميع الخلائق، وقيل المراد بالأنام البشر وهو الأنسب لأنه أراد به نفي قول المشبهة والمجسمة حيث وصفوا الباري بأنه جسم على صورة البشر، وأيضًا أراد نفي قول النصارى حيث جعلوا له ولدًا وصاحبة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولا شك أن الولد يشابه الأب، فعلى هذا أفاد قوله **ولا يشبه الأنام**، غير ما أفاد قوله فيما سبق **لا شيء مثله** لأن الأول عام، وهذا خاص، فيكون مبالغة في تنزيه الله عما لا يليق به».

٧٩- قال الشيخ سعد الدين مسعود التفتازاني[١] الحنفي ما نصه[٢]: «**ولا** أي ولا يوصف الله **بالكيفية أي من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وغير ذلك** مما هو من صفات الأجسام أو توابع المزاج والتركيب».

٨٠- قال الإمام بدر الدين الزركشي الشافعي ما نصه[٣]: «**لأن الإحاطة المقتضية للتكييف مستحيلة في حقه سبحانه**».

---

(١) التفتازانيّ، مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين، من أئمّة العربيّة والبيان والمنطق. ولد بتفتازان «من بلاد خراسان»، وأقام بسرخس. من كتبه: «تهذيب المنطق»، و«المطوّل»، و«المختصر»، و«مقاصد الطالبين»، و«شرح العقائد النسفية». ولد سنة ٧١٢هـ، وتوفّي سنة ٧٩٣هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٢١٩).

(٢) التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، (ص٧١).

(٣) الزركشي، **تفسير البحر المحيط**، (ج١، ص٧٠).

٨١- قال الشيخ أبو عثمان سعيد العقباني[١] ما نصه[٢]: «مسألة: **الباري تعالى ليس بعرضٍ** لأن العرض محتاجٌ إلى محلٍّ من جسمٍ أو جوهرٍ، والإلـٰه ليس بمحتاج في وجوده إلى شيء، فليس الإلـٰه بعرض».

٨٢- قال الفقيه اللغوي الفيروزآبادي ما نصه[٣]: «**يصف أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية**».

٨٣- قال الإمام الفقيه تقي الدين الحصني[٤] الشافعي مانصه[٥]: «**والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية**».

وقال أيضًا ما نصه[٦]: «**الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من**

---

(١) سعيد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني، قاض، فقيه مالكي، من أهل تلمسان. ولي القضاء فيها وفي بجاية ومراكش وسلا ووهران، وحمدت سيرته. نسبته إلى عقبان «قرية بالأندلس». له كتب منها: «شرح جمل الخونجي»، و«العقيدة البرهانية»، و«شرح الحوفية» في الفرائض على مذهب مالك، و«المختصر في أصول الدين». ولد سنة ٧٢٠هـ، وتوفي سنة ٨١١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٦٧).

(٢) العقباني، **كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته**، (ص٦١).

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة: ه ال، (ص١٣٨٦).

(٤) تقي الدين الحِصْنيّ الشافعيّ، أبو بكر بن محمّد بن عبد المؤمن بن حَرِيز بن معلّى الحسينيّ الحِصْنيّ، فقيه ورع من أهل دمشق، ووفاته بها، نسبته إلى الحِصْن «من قرى حوران» وإليه تنسب «الزاوية الحِصْنية»، بناها رباطًا في محلة الشاغور بدمشق. له تصانيف كثيرة، منها: «كفاية الأخيار» شرح به الغاية في فقه الشافعيّة، و«دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد»، و«تخريج أحاديث الإحياء»، و«تنبيه السالك إلى مظانّ المهالك»، و«قمع النفوس». ولد سنة ٧٥٢هـ، وتوفي سنة ٨٢٩هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٢، ص٦٩).

(٥) تقي الدين الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام المبجل أحمد**، (ج١، ص٤٩).

(٦) تقي الدين الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام المبجل أحمد**، (ج١، ص١٨).

صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة».

٨٤- قال الشيخ أحمد الفاسي زروق[١] ما نصه[٢]: «ويتعالى ربنا عن ذلك كله، والدليل على وحدانية ذاته أنه لو كان جسمًا لكان مركبًا ولو كان جوهرًا لكان متحيزًا ولو كان عرضًا لكان مفتقرًا، والتركيب والتحيز والافتقار حوادث وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها وما لا يسبقها كان حادثًا مثلها، ولا يصح أن يكون حادثًا للزوم التسلسل[٣] والدور[٤] فيلزم من قدمه نفي كل صفة حادثة عنه. وأما وحدانية الصفات فقال الأشعري رحمه الله: لو أشبه الباري تعالى خلقه لم يخل أن يشبههم من كل جهة فيكون حادثًا مثلهم أو من بعض الجهات فيكون حادثًا من تلك الجهة لأن جميع جهات العالم حادثة وهو تعالى قديم باقٍ منزه عن الحدوث».

٨٥- قال الشيخ أبو عبد الله عز الدين محمد بن إبراهيم ابن الوزير اليمني

---

(١) زروق، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، فقيه محدث صوفي. من أهل فاس بالمغرب. تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة، وغلب عليه التصوف فتجرد وساح، وتوفي في تكرين من قرى مسراتة، من أعمال طرابلس الغرب. له تصانيف كثيرة يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير، وانفرد بجودة التصنيف في التصوف. من كتبه: «شرح مختصر خليل» في فقه المالكية، و«النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية»، و«القواعد» في التصوف، و«إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين». ولد سنة ٨٤٦هـ، وتوفي سنة ٨٩٩ هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٩١).

(٢) زروق، **شرح زروق مع شرح التنوخي على متن الرسالة**، (ج١، ص٢٢).

(٣) وهو توقف وجود الشيء على وجود شيء غيره، وهذا الآخر يتوقف وجوده على غيره وهكذا إلى غير نهاية، وهذا محال.

(٤) وهو توقف وجود الشيء على ما يتوقف وجوده عليه، وهو محال.

ما نصه: «قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ما نصه[1]: «**الحمد لله الذي كيّف الكيف، وتنزه عن الكيفية**».

٨٦- قال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ما نصه[2]: «ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال **منزهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه** وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم».

وقال أيضا ما نصه[3]: «وقيل: **سلبت** -أي نفيت عنه وهو منزه عنها- عنه **الكيفية والكمية** فهو واحد في ذاته لا انقسام له».

وقال أيضًا[4]: «فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجّه على حكمه لم؟ ولا كيف؟ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين؟ وحيث».

٨٧- قال عبد الرحمٰن أبي زيد الثعالبي المالكي[5] ما نصه[6]: «**والعقيدةُ أنه تعالى منزهُ عن الحواسِّ والتشبيهِ والتكييفِ لا ربَّ غيره**».

---

(١) ابن الوزير اليمني، **البرهان القاطع في إثبات الصانع وجمع ما جاءت به الشرائع**، (ص٩١).

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٧).

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٧).

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٧).

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد. مفسر، من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق. من كتبه: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، و«الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز»، و«رياض الصالحين». ولد سنة ٧٨٦هـ، وتوفي سنة ٨٧٥هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٣٣١).

(٦) الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرءان**، (ج٢، ص٢٠٤).

٨٨- قال الشيخ عبد الرحمـٰن الصفوري[١] الشافعي ما نصه[٢]: «وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أين ربنا؟ قال الذي أوجد الأين لا يسأل عنه بأين، قال كيف ربنا؟ قال رضي الله عنه **إن الذي كيَّف الكيف لا يسئل عنه بكيف**، قال متى كان ربنا؟ قال ويحك ومتى لم يكن».

٨٩- قال الإمام عبد الرحمـٰن جلال الدين بن أبي بكر السيوطي الفقيه المفسر الحافظ ما نصه[٣]: «صفات الذات لله التي **لا يقع عليها التكييف**».

وقال أيضًا ما نصه[٤]: فوائد نفيسة: **لا يقال للمعبود كيف هو؟** لأنه يستخبر بكيف عن الهيئة والحال، **والله سبحانه لا هيئة له ولا حال**. ولا يقال ما لونه؟ لأن الألوان متضادة، فهي مستحيلة في حقه سبحانه».

وقال أيضًا ما نصه[٥]: «ينظرون إلى ربهم **بلا كيفية ولا حدود ولا صفة معلومة**».

---

(١) الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري الشافعي، مؤرخ أديب من أهل مكة. نسبته إلى صفورية في الأردن. من كتبه: «المحاسن المجتمعة في الخلفاء الأربعة»، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس»، و«صلاح الأرواح والطريق إلى دار الفلاح». توفي سنة ٨٩٤هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٣١٠).

(٢) الصفوري، **نزهة المجالس**، الصفوري، (ج١، ص٩).

(٣) السيوطي، **الإتقان في علوم القرءان**، (ج١، ص٥٦).

(٤) السيوطي، **الكنز المدفون والفلك المشحون**، (ص١٠١).

(٥) السيوطي، **الدر المنثور**، (ج٧، ص٤١).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «عن النعمان بن سعد: أن أربعين من اليهود دخلوا على علي فقالوا له صف لنا ربك، فقال علي: معشر اليهود اسمعوا مني إن ربي هو الأول لم يبد مما، ولا ممازج معما، ولا حال وهما، ولا شبح يتقصى، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث، بل **جل أن يُكَيَّف المُكَيِّف للأشياء** كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان ولا لتقلب شأن بعد شأن وكيف يوصف بالأشباح وكيف ينعت بالألسن الفصاح من لم يكن في الأشياء فيقال: بائن، ولم يبن عنها فيقال: كائن، بل هو أي الله **بلا كيفيةٍ**».

٩٠- قال القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري ما نصه[2]: «**فقوله: كيف غير معقول أي كيف من صفات الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث** فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى».

وقال أيضًا: «قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[3] **بلا كيفية** ولا جهة ولا ثبوت مسافة».

٩١- قال الفقيه أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي الأزهري[4] في كتابه «**تحفة الباري بشرح صحيح البخاري**» ما نصه:

---

(١) السيوطي، **جامع الأحاديث**، (ج٢٩، ص٣٤١).

(٢) القسطلاني، **إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري**.

(٣) سورة **القيامة**، ءاية ٢٣.

(٤) زكريا الأنصاريّ، زكريا بن محمّد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ السُّنَيْكِيّ، المصريّ الشافعيّ، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاضٍ مفسِّر، من حفّاظ الحديث. ولد في سُنَيْكَة بشرقية مِصْر، وتعلّم في القاهرة، وكُفَّ بصره سنة ٩٠٦هـ. جمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علمًا ومالًا. وله=

«قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1] **بلا كيفية** ولا جهة ولا ثبوت مسافة».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «ولا يُتصور في الأوهام، ولا يتقيد في العقول لأن ذلك من خواص الأجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات وإحاطة الحدود والنهايات، ولا جهة ولا مكان له... **ولا يقال له**: أين هو ولا حيث هو **ولا كيف** لأنه منزه عن المكان والكيفيات من اللون والطعم والرائحة والحرارة والرطوبة وغيرها من صفات الأجسام.. يُرى لا عن مقابلة وثبوت مسافةٍ».

٩٢- قال الإمام عبد الوهاب الشعراني[3] الشافعي في كتابه لطائف المنن والأخلاق ما نصه: «فإنه تعالى موصوف معروف من غير تكييف».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «**ولا يجوز** لنا ردُّ شيء من ذلك، **ولا تكييفه**».

= تصانيف كثيرة، منها: «فتح الرحمن» في التفسير، و«تحفة الباري على صحيح البخاريّ»، و«فتح الجليل» تعليق على تفسير البيضاويّ، و«شرح ألفية العراقيّ» في مصطلح الحديث، و«شرح شذور الذهب» في النحو، و«تحفة نجباء العصر» في التجويد، و«الدقائق المحكمة» في تجويد القرآن، و«أسنى المطالب في شرح روض الطالب». ولد سنة ٨٢٣هـ، وتوفي سنة ٩٢٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٤٦).

(١) سورة **القيامة**، ءاية ٢٣.

(٢) زكريا الأنصاري، **شرح الرسالة القشيرية**،(ج١، ص٩٩، ١٠٠).

(٣) الشَّعْرانيّ، عبد الوهّاب بن أحمد بن عليّ الحنفيّ، نسبة إلى محمّد ابن الحنفية، أبو محمّد، من علماء المتصوّفين، ولد في قلقشندة بمصر ونشأ بساقية أبي شَعْرَة «من قرى المنوفية» وإليها نسبته الشعرانيّ، ويقال الشعراويّ. له تصانيف، منها: «الأجوبة المرضية عن أئمّة الفقهاء الصوفيّة»، و«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» ويُعْرَفُ بطبقات الشعرانيّ الكبرى. ولد سنة ٨٩٨هـ، وتوفي في سنة ٩٧٣هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص١٨٠، ١٨١).

(٤) الشعراني، **القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلـٰهية**، (ص٢٤١).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «**وقد ثبت أنه سبحانه منزه عن أن يشبهه شيء من المخلوقات المحدثات أو يشبه هو شيئًا منها** بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[2] ويقول تعالى ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[3]».

٩٣- قال الشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي[4] ما نصه[5]: «بل **هو** أي الله **بلا كيفية**».

٩٤- قال الفقيه محمد بن أحمد الشّربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني في تفسيره القرءان الكريم ما نصه: «وقال أهل السنة: **الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف** أي بلا جلوس ولا استقرار ولا تمكن ولا مماسة ولا حلول في جهة ولا مكان -».

٩٥- قال المفسر أبو السعود محمد العمادي[6] الحنفي ما نصه[7]: «وعن

---

(١) الشعراني، **عقيدة أكابر أهل السنة والجماعة**، (ص١٣٩).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **الصافات**، ءاية ١٨٠.

(٤) علي بن عبد الملك الهندي، علي بن حسام الدين الهندي، من المشتغلين بالحديث. جاور بمكة وأقام مع نحو ٥٠ شخصًا في حوش قريب. **توفي بعد سنة ٩٥٢هـ. الزركلي، الأعلام، (ج٤، ص٢٧١)**.

(٥) الهندي، **كنز العمال**، (ج٢٤، ص٤٥٦).

(٦) أبو السعود، محمّد بن محمّد بن مصطفى العماديّ، المولى أبو السعود، مفسّر شاعر، من علماء الترك المستعربين. تقلّد القضاء في «بروسة» فالقسطنطينيّة، وأُضيف إليه الإفتاء. وكان حاضرَ الذهن، سريعَ البديهة، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سمّاه «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، و«تحفة الطلاب» وهو مدفون في جوار مرقد أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنه. ولد سنة ٨٩٨هـ، وتوفي سنة ٩٨٢هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٥٩).

(٧) أبو السعود الحنفي، الكتاب المسمى **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم**،=

أصحابنا أن **الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف** والمعنى أنه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن».

٩٦- وقال الفقيه ملا علي القاري الحنفي في شرحه على الفقه الأكبر[١] ما نصه: «مجمل الكلام وزبدة المرام أن الواجب لا يشبه الممكن ولا الممكن يشبه الواجب فليس بمحدود ولا معدود ولا متصور ولا متبعض ولا متحيز ولا مركب ولا متناه **ولا يوصف بالمائية والماهية ولا بالكيفية** من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة واليبوسة وغير ذلك مما هو من صفات الأجسام ولا متمكن في مكان لا علو ولا سفل ولا غيرهما، ولا يجري عليه زمان كما يتوهمه المشبهة والمجسمة والحلولية، وليس حالًّا ولا محلًّا».

وقال أيضًا ما نصه[٢]:

«يــراه المؤمنون بغير كيف وإدراكٍ وضــرب مــن مثال

الضمير البارز في «يراه» يرجع إلى الله سبحانه، أي يراه المؤمنون الأبرار دون الكفار، فإنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، **رؤية بغير كيفية ولا إدراك إحاطة** فلا ينافي قوله تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ١٠٣﴾[٣]».

=(ج٤، ص١٥٠).

(١) القاري، **شرح الفقه الأكبر**، (ص٩١).

(٢) القاري، **شرح ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي**، (ص٦٨).

(٣) سورة **الأنعام**، ءاية ١٠٣.

وقال أيضًا ما نصه[1]: «**وصفاته كلها في الأزل بخلاف صفات المخلوقين**، أي لا تشابه نعوتهم وإن وقع الاتفاق اللفظي في صفات الحق ونعت الخلق من العلم والقدرة والرؤية والكلام والسمع ونحوه كما بينه بقوله **يعلم**، أي الله تعالى، كما في نسخة **لا كعلمنا**، أي معشر الخلق فإنا نعلم الأشياء بالآلات وتصور صور حاصلات في أذهاننا بقدر أفهامنا وإعلامنا، والله تعالى يعلم حقائق الأشياء كليها وجزئيها ظاهرها ومخفيها بعلمٍ أزلي أبدي».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «**والله تعالى يرى في الآخرة**، أي يوم القيامة لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ أي حسنة منعمة بهيئة مشرقة متهللة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[3]، أي تراه عيانًا **بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة**».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «**ولكن المطيع قريب منه** أي قريب من الله **بلا كيف**، أي من غير التشبيه، **والعاصي بعيد عنه بلا كيف**، أي بوصف التنزيه، **والقرب والبعد والإقبال**، أي وضده وهو الإعراض **يقع على المناجي**، أي يطلق أيضًا على العبد المتضرع إلى الله المتذلل لديه طالبًا لرضاه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾[5]، أي اسجد لله وتقرب إلى رضاه أي اطلب رضاه. وقيل: دم على السجود والتقرب

---

(١) القاري، **منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر**، (ص١٠٧).

(٢) القاري، **منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر**، (ص٢٤٤، ٢٤٥).

(٣) سورة **القيامة**، ءاية ٢٣.

(٤) القاري، **منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر**، (ص٣٠٣، ٣٠٤).

(٥) سورة **العلق**، ءاية ١٩.

إلى الله حيث شئت. وفي الحديث: «**أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد**»[1]، لكنه بلا كيفٍ كما يدل عليه تقييد ما قبله وما بعده حيث قال **وكذلك جواره** بكسر الجيم **في الجنة**، أي في مقام القرب، **والوقوف** أي في القيامة **بين يديه بلا كيفٍ**، أي من غير وصفٍ وبيان كشفٍ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴿٤٠﴾﴾[3] الآية».

٩٧- وقال محمد عبد الرؤوف المناوي[4] في كتابه «**التوقيف على مهمات التعاريف**» [5] ما نصه: «كيف: كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تدرك بالحواس».

وقال أيضًا ما نصه[6]: «**إنكم** أيها المؤمنون **لن تروا ربكم** بأعينكم يقظة **حتى تموتوا رؤية منزهة عن الكيفية**».

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (ج٢، ص٤٩)، حديث ١١١١.

(٢) سورة **الرحمن**، ءاية ٤٦.

(٣) سورة **النازعات**، ءاية ٤٠.

(٤) المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه. له نحو ثمانين مصنفًا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. من كتبه: «كنوز الحقائق»، و«التيسير». عاش في القاهرة، وتوفي بها. ولد سنة ٩٥٢هـ، وتوفي سنة ١٠٣١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٠٤).

(٥) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ص٦١٤).

(٦) المناوي، **فيض القدير**، (ج٢، ص٥٥٧).

٩٨- وقال الشيخ إبراهيم اللقاني[١] المصري ما نصه[٢]: «**وينزه مولانا عن الكيف** وعن الكبر والصغر، وعن القرب والبعد بالمسافة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[٣] فأفادت هذه الآية الشريفة نفي المماثلة لشيء عن ذاته وعن صفاته لأنها تنزيه».

٩٩- قال محمد بن أحمد المشهور بميّارة المالكي[٤] ما نصه[٥]: «بغير اتصال بالأجسام **ولا تكييف** باللَّذات والآلام، وقيل ترجع في حقه تعالى إلى العلم وقيل بالوقف وهو أحسنها».

١٠٠- قال العلامة كمال الدين البياضي الحنفي ما نصه[٦]: «**أنه تعالى لا يتصف بشيء من الكيفيات** المحسوسات بالحس الظاهر أو الباطن والطعوم والروائح والشهوة والنضرة والحزن والتأسف والغضب والإشفاق والتمني والفرح، ولا بالآلام واللذات الحسية لأنه لا

---

(١) اللَّقَانيّ، إبراهيم بن إبراهيم بن حسن، أبو الإمداد، برهان الدين، فاضل، متصوّف، مصريّ، مالكيّ، نسْبة إلى «لَقَانة» من الجيزة بمصر. له كتب منها: «جوهرة التوحيد» منظومة في العقائد، و«بهجة المحافل في التعريف برواة الشمائل»، و«حاشية على مختصر خليل»، و«قضاء الوطر». توفي سنة ١٠٤١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٨).

(٢) اللقاني، **تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد**، (ص٦١).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) ميارة، محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله. فقيه مالكي، من أهل فاس. من كتبه: «الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام»، و«الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين»، فقه، ويعرف بميارة الكبير، تمييزًا عن مختصر له، يسمى «ميارة الصغير»، و«تنبيه المغتربين على حرمة التفرقة بين المسلمين»، و«تكميل المنهج للزقاق». ولد سنة ٩٩٩هـ، وتوفي سنة ١٠٧٢هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص١١، ١٢).

(٥) ميارة المالكي، **الدر الثمين**، (ج١، ص٥٦).

(٦) البياضي، **إشارات المرام**، (ص١١٠).

يعقل منها إلا ما يخص الأجسام وإن كان البعض منها مختصا بذوات الأنفس، ولأن البعض منها تغيرات وانفعالات وهي على الله تعالى محال، ولإجماع الأمة».

١٠١- قال الإمام محمد الزرقاني المالكي ما نصه[١]: «فالراسخون في العلم يقولون ءامنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال **منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه**».

١٠٢- قال الشيخ أحمد بن عيسى الأنصاري[٢] في «**شرح متن السنوسية**» ما نصه[٣]: «فمما يجب لمولانا عز وجل الوجود والقدم والبقاء ومخالفته للحوادث، أي ممَّا يجب لله تعالى المخالفة للحوادث، وحقيقة المخالفة للحوادث عبارة عن نفي المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال، فليست ذاته من جنس الأنوار ولا الظلمات ولا الأعراض ولا الأجرام، بل كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، فليس له جهة ولا مكان ولا يمر عليه الزمان وصفاته قديمة باقية ومخالف في أفعاله لأنه هو الخالق والعباد ليس لهم تأثير في شيء من الأفعال،

---

(١) الزرقاني، **شرح موطأ مالك**، (ج٦، ص٢٠٨).

(٢) أحمد بن عيسى بن مضوي بن مدني بن عبد الدائم بن عيسى الأنصاري الخزرجي. يرجع في نسبه إلى سعد بن عبادة الخزجي الأنصاري الصحابي الجليل. تلقى العلم في الأزهر الشريف على يد الشيخ أبي البركات أحمد الدردير وغيره، وقال فيه أحمد الدردير أنه أرسله إلى السودان لحاجة أهل السودان إليه. مكث يدرس في كترانغ علوم الأزهر، درس على الشيخ البدوي بن صفية الأبيض في عهد السلطنة الزرقاء. لما قدم إلى سنار توافد عليه الطلاب من شتى بقاع الأرض منهم. أحمد الأنصاري وعبد العليم الشافعي، **شرحا الأنصاري وعبد العليم على أم البراهين**، (ص١١).

(٣) أحمد الأنصاري، **شرح أم البراهين**، (ص١٠-١٢).

وإنما هي قائمةٌ بهم والدليل على المخالفة الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وأجمعت الأمة على أن الله تعالى مخالفٌ للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «والمماثلة للحوادث وهي ضد المخالفة، والمخالفة واجبة لله، **والمماثلة مستحيلة على الله**، والمماثلة عبارة عن المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «**وأما** كلمة فصل وافتتاح **برهانُ** أي دليل **وجوب** أي ثبوت **مخالفته** أي الله **تعالى** أي تنزه عن كل نقص وتعاظم وتقدس عن المماثلة في الذات والصفات والأفعال **للحوادث** أي الموجودة بعد العدم أجرامًا كانت أو أعراضًا أو غيرهما، فالله مخالف لها لأن كل ما سواه حادث كما في الحديث «**كان الله ولا شيء معه**» **فلأنه** أي الله **لو ماثل** أي شابه **شيئًا** أي بعضًا **منها** أي من الحوادث **لكان** أي لصار **حادثًا** أي موجودًا بعد العدم **منها** أي الحوادث **وذلك** أي حدوثه **محال** أي ممتنع عقلًا، وأيضًا لو ماثل شيئًا من الحوادث لزم حدوثه لأجل مماثلته ولزم قدمه لأجل ألوهيته، وكون الشيء الواحد قديمًا حادثًا محال للجمع بين النقيضين».

---

(١) أحمد الأنصاري، **شرح أم البراهين**، (ص٢٣).

(٢) أحمد الأنصاري، **شرح أم البراهين**، (ص٣٩، ٤٠).

١٠٣- قال الشيخ أحمد بن غنيم[١] النفراوي المالكي ما نصه[٢]: «**من واجب أمور الدّيانات على كلّ مكلّفٍ اعتقاد أنّه تعالى لا شبيه له ولا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله**، والنّظير بمعنى الشّبيه فهما لفظان مترادفان، وإنّما وجب تنـزّهه عن الشّبيه لأنّه تعالى لو أشبهه شيءٌ من المخلوقات لكان مشبهًا له، وجائزًا عليه الفناء الجائز على المخلوقات، ولزم كونه خالقًا ومخلوقًا وقديمًا وحادثًا وكلّ ذلك محالٌ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٣] فأوّل هذه الآية تنـزيهٌ، ففيه ردٌّ على المجسّمة وآخرها إثباتٌ، ففيه ردٌّ على المعطّلة النّافين لزيادة جميع الصّفات، وقدّم فيها النّفي على الإثبات، وإن كان الأولى العكس في أماكن كثيرةٍ لأنّه لو قدّم الإثبات فيها لأوهم[٤] التّشبيه بالمخلوق الّذي سمعه بأذنٍ وبصره بحدقةٍ، فقدّم التّنـزيه ليعرف السّامع ابتداءً أنّه ليس مشابهًا لشيءٍ من الحوادث، **وهذه الآية دليلٌ قاطعٌ على مخالفته تعالى لسائر الحوادث**، وهي أقمع ءايةٍ للشّيطان عند تعرّضه للإنسان في مقام البحث عن ذات البارئ وصفاته».

---

(١) أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنّا، شهاب الدين النَّفَراويّ الأزهريّ المالكيّ، فقيه من بلدة نَفَرى، من أعمال قويسنا بمصر، نشأ بها وتفقّه وتأدّب وتوفّي بالقاهرة. له كتب، منها: «الفواكه الدواني» في فقه المالكيّة، و«شرح الرسالة النوريّة». ولد ١٠٤٤هـ، وتوفّي سنة ١١٢٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص١٩٢).

(٢) ابن غنيم، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، (ج١، ص٤٠).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٤) الإيهام ويقال له التخييل أيضًا، وهو أن يذكر لفظ له معنيان قريب وغريب فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم الغريب وأكثر المتشابهات من هذا الجنس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴿٦٧﴾﴾ سورة الزمر ءاية ٦٧. **التعريفات**، الجرجاني، (ص٦). ومعنى ﴿بِيَمِينِهِۦ ﴿٦٧﴾﴾ بقدرته.

١٠٤- قال إسماعيل حقي الحنفي[١] في تفسيره المسمى روح البيان في تفسير القرءان ما نصه[٢]: «فإنه تعالى **منزه عن الكيف** والأين».

وقال في الكتاب نفسه: [٣]«وحيث ترى في مرءاة القلب صورة أو خطر بالخاطر مثال وركنت النفس إلى كيفيته فليجزم بأن الله بخلافه إذ كل ذلك **من سمات الحدوث** لدخوله في دائرة **التحديد والتكييف** اللازمين للمخلوقين **المنزه عنهما** الخالق».

وقال أيضًا ما نصه[٤]: «وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة، يرونه كما هم **بلا كيفية**».

وقال أيضًا ما نصه[٥]: «والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل **المحتجب عن الكيفية والأوهام**».

وقال أيضًا ما نصه[٦]: «وإنما الممكن أن يُرى الله رؤية **منزهة عن الكيفية** وذلك للمؤمنين في الآخرة».

---

(١) إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، أبو الفداء، متصوف مفسر، تركي. ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة الخلوتية فنفي إلى تكفور طاغ وأوذي، وعاد إلى بروسة فمات فيها. له كتب عربية وتركية، فمن العربية: «روح البيان في تفسير القرآن»، و«الرسالة الخليلية»، و«الفروقات» وهو معجم في موضوعات مختلفة. توفي سنة ١١٢٧ هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٣١٣).

(٢) إسماعيل حقي، التفسير المسمى **روح البيان في تفسير القرءان**، (ج١، ص١٥٥).

(٣) إسماعيل حقي، الكتاب المسمى **روح البيان في تفسير القرءان**، (ج٨، ص٢٢٥).

(٤) إسماعيل حقي، الكتاب المسمى **روح البيان في تفسير القرءان**، (ج٧، ص٢٧٦).

(٥) إسماعيل حقي، الكتاب المسمى **روح البيان في تفسير القرءان**، (ج١٥، ص١٠٨).

(٦) إسماعيل حقي، الكتاب المسمى **روح البيان في تفسير القرءان**، (ج١، ص١١٠).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «فإن **الكيفية محال** فى ذات الله وصفاته إذ لايقال كيف ذاته».

١٠٥- قال الشيخ الإمام علوي بن عبد الله بن علوي الحداد[2] في رائيته المشهورة عن نعيم رؤية الله تعالى في الجنة ما نصه:

«**وتـنـظـره بالعين وهـو مقدس عن الأين والتكييف والحد والحصر**».

وقال ناصحًا:

«**وكـن أشعريًّا في اعتقادك إنه هو المنهل الصافي عن الزيغ والكفر**».

١٠٦- قال الشيخ عبد الغني النابلسي[3] رحمه الله ما نصه[4]: «**ذات الله قديمة أزلية لا تشبه الذوات لا تماثل شيئًا من ذوات الموجودات**. لا هي من قسم الأجسام، ولا من قسم الأعراض، ولا من قسم النفوس،

---

(١) إسماعيل حقي، الكتاب المسمى **روح البيان في تفسير القرءان**، (ج١٠، ص١٢).

(٢) عبد الله الحداد، عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسيني الحضرمي، المعروف بالحداد أو الحدادي باعلوي، فاضل من أهل تريم بحضرموت، مولده في «السبير» من ضواحيها، ووفاته في «الحاوي» ودفن بتريم. كان كفيفًا، ذهب الجدري ببصره طفلًا، واضطهده اليافعيون حكام تريم. **ولد سنة ١٠٤٤هـ، وتوفي سنة ١١٣٢هـ. الزركلي، الأعلام، (ج٤، ص١٠٤)**.

(٣) النابلسيّ، عبد الغنيّ بن إسماعيل بن عبد الغني، شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوّف، ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان ومصر والحجاز. له مصنّفات منها: «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، و«تعطير الأنام في تعبير المنام»، و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث»، و«نفحات الأزهار على نسمات الأسحار»، و«قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان». ولد سنة ١٠٥٠هـ، وتوفي سنة ١١٤٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٤، ص٣٢، ٣٣)**.

(٤) عبد الغني النابلسي، **أسرار الشريعة، (ص١٤٨، ١٤٩)**.

ولا من قسم العقول، ولا من قسم الأرواح، ولا من قسم العلوم، ولا من قسم الأوهام، ولا من قسم الخواطر، ولا من قسم الأفهام، ولا من قسم التخيلات، ولا من قسم الأنوار، ولا من قسم الظلمات، ولا من قسم اللمحات. وليس فوق شيء من جميع ما ذكرنا، ولا تحت شيء من جميع ما ذكرنا، ولا عن يمين شيء من جميع ما ذكرنا، ولا عن يسار شيء من جميع ما ذكرنا، ولا قدام شيء من جميع ما ذكرنا، ولا خلف شيء من جميع ما ذكرنا، ولا في جميع الجهات شيء من جميع ما ذكرنا، ولا متصلة بشيء من جميع ما ذكرنا، ولا منفصلة عن شيء من جميع ما ذكرنا، ولا داخلة في شيء من جميع ما ذكرناه، ولا خارجة عن شيء من جميع ما ذكرناه».

١٠٧- قال الشيخ مصطفى بن أحمد الطرودي[١] في «**كنز الفرائد في شرح درة العقائد**» ما نصه[٢]: «**ويُنزّه مولانا عن الكيف** وعن الكبر والصغر، وعن القرب والبعد بالمسافة لأن جميع ذلك من صفات الحوادث، ومولانا يتنزه عن مشابهة الحوادث أفعالًا، **وإن تشبيهه تعالى بشيء من الحوادث ليس طريقًا مرضيًّا يجوز اعتقاده لا شرعًا ولا عقلا**».

١٠٨- قال الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري[٣]

---

(١) انظر ترجمته في **التراجم المهمة للخطباء والأئمة** لمحمد بيرم، (ص٥٢).

(٢) مصطفى الطرودي، **كنز الفرائد في شرح درة العقائد** (مخطوط)، (ق١٥/ أ).

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثاني عشر الهجري في المغرب. حفظ القرطبية في الفقه وهو يرعى الغنم من غير أن يعرف اسمها، كذلك الأجرومية في اللغة، ومتن ابن عاشر. أتم حفظ القرآن الكريم على جده المهدي والشيخ أحمد الطالب، وشرع في طلب العلم وعمره تسع سنوات فأخذ العلم من مشائخ عدة منهم: الشيخ=

الفاسي ما نصه[1]: «وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مُقلةٍ من جهةٍ، كما هم يَرَوْنه أي يرونَ اللهَ **بلا كيفية**».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «علمنا أنه تعالى **مقدس عن الكيفية**».

١٠٩- قال الشيخ محمد الحلبي في شرحه على «**بدء الأمالي**» ما نصه[3]:

«وما التشبيه للرحمٰن وجهًا فَصُن عن ذاك أصناف الأهالي

في هذا البيت تأكيد التنزيه له تعالى، يريد أن الواجب عند أهل السنة والجماعة اعتقاد أنه تعالى لا يشبه أحدًا ولا يشبهه أحد من المخلوقات لا ذاتًا ولا صفاتٍ ولا أفعالًا، **وأن تشبيهه تعالى بشيء من الحوادث ليس طريقًا مرضيًّا يجوز اعتقاده لا شرعًا ولا عقلا**».

١١٠- قال أبو عبد الرحمن محمد بن درويش الحوت البيروتي[4] في كتابه الذي أسماه «**الدرة المضية في توحيد رب البرية**» الذي قال عنه تلميذه أبو الحسن أفندي الكستي:

= عبد الرحمٰن الكتامي، والشيخ العربي الزوادي، والفقيه محمد أشم، والشيخ محمد السوسي السملالي. اشتغل بالتدريس في مدينة تطوان لمدة خمس عشرة سنة. بنى زوايا صوفية في منطقة جبالة في المغرب. من تصانيفه: «الفتوحات الإلٰهية»، و«البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، و«الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة». ولد سنة ١١٦٢هـ، وتوفي سنة ١٢٢٤هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص١٤٥).

(١) الأنجري، **البحر المديد في تفسير القرءان المجيد**، (ج٧، ص١٠٤).

(٢) الأنجري، **البحر المديد في تفسير القرءان المجيد**، (ج١١، ص١٨١).

(٣) محمد الحلبي، **نخبة اللآلي لشرح بدء الأمالي**، (ص٢٩).

(٤) محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت: عارف بالحديث، شافعي، اشتهر وتوفي في بيروت. له كتب، منها: «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب»، و«حسن الأثر في ما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر»، و«الدرة الوضية في توحيد رب البرية». ولد سنة ١٢٠٣هـ، وتوفي سنة ١٢٧٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٧٤).

«**إن هذا الكتاب تأليف مولًى ملأ اللهُ بالمعارف صدرَهُ فالمعاني تنظمت فيه عقدًا زيّنت جيد عصرنا منه درهُ**»

ما نصه[1]: «**تنزه** أي الله **عن الكيف** والكم وعن الفرح والحزن والغم وعن الألم والذوق والشم».

ثم قال ما نصه[2]: «**تعالى عن المكافأة والمماثلة وعن المشابهة والمشاكلة وعن المضاهاة والمعادلة، ليس كمثله شيء فلا تتخيله الأوهام**».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[4] فهذه الآية قاطعة في منع المشابهة لشيء من الأشياء لأن «شيء» واقع في سياق النفي وهو نكرة تعم، فلا يبقى شيء **فليس له شبيهٌ**».

١١١- قال الشيخ إبراهيم الباجوري في شرحه على جوهرة التوحيد عند ذكر ما يجب لله تعالى من الصفات ما نصه[5]: «**بيان معنى المخالفة للحوادث**: والمخالفة لما ذكر عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى. فلازم الجرمية التحيز، ولازم العرضية القيام بالغير، ولازم الكلية الكبر، ولازم الجزئية الصغر إلى غير ذلك، فإذا ألقى الشيطان في ذهنك أنه إذا لم يكن المولى جرمًا ولا

---

(١) محمد الحوت، **الدرة الوضية في توحيد رب البرية**، (ص٢).

(٢) محمد الحوت، **الدرة الوضية في توحيد رب البرية**، (ص٣).

(٣) محمد الحوت، **الدرة الوضية في توحيد رب البرية**، (ص١٠).

(٤) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٥) الباجوري، **فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، (ص١٤٥).

عرضًا ولا كلًّا ولا جزءًا فما حقيقته؟ فقل في رد ذلك لا يعلم الله على الحقيقة إلا الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]».

ثم قال ما نصه[2]: «**دليل المخالفة للحوادث**: قوله برهان هذا القدم: أي دليل ما ذكر من أنه مخالف للحوادث دليل القدم، فكلام المصنف على تقدير مضاف، وتقرير البرهان أن تقول:

لو لم يكن مخالفًا للحوادث لكان مماثلًا لها، ولو كان مماثلًا لها لكان حادثًا، كيف وقد ثبت قدمه بالدليل السابق».

١١٢- قال الشيخ فضل الرسول القادري البدايوني[3] ما نصه[4]: «ولما ثبت انتفاء الجسمية بالمعنى المذكور ثبت انتفاء لوازمها فليس سبحانه بذي لون، ولا رائحة ولا صورة ولا شكل ولا متناه ولا حال في شيء ولا محل ولا يتحد بشيء ولا يعرض له لذة عقلية ولا حسية ولا ألم كذلك، ولا فرح ولا غم ولا غضب، ولا شيء مما يعرض للأجسام فما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الرضاء والغضب والفرح ونحوها

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) الباجوري، **فتح المجيد في بيان تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، (ص١٤٦).

(٣) فضل الرسول ابن الشيخ عبد المجيد عين الحق بن عبد الحميد العثماني البدايوني. ولد سنة ١٢١٣هـ. بدأ بالدراسة وهو ابن أربع سنين، وأخذ العلم عن جده الشيخ عبد الحميد البركاتي. من مؤلفاته: «تثبيت القدمين في تحقيق رفع اليدين»، «فصل الخطاب في الرد على الوهابية» و«إحقاق الحق وإبطال الباطل في جواز الاستعانة بالأولياء وندائهم» وغيرها الكثير. مرض رحمه الله واستمر المرض نحو ثلاثة أشهر إلى أن توفاه الله صباح الثاني من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٩هـ، ودفن بمقبرة أبيه أول وقت العشاء. فضل الرسول البدايوني، **المعتقد المنتقد**، (ص١٣-١٥).

(٤) فضل الرسول البدايوني، **المعتقد المنتقد**، (ص٨٩).

يجب التنزيه من ظاهره كما سيأتي. وكذلك العرض لأنه المحتاج إلى الجسم في تقومه فيستحيل وجوده قبله، والله تعالى قبل كل شيء وموجده. وكذلك الجهة إذ معنى الاختصاص بالجهة اختصاصه بحيز معين، وقد بطل لبطلان الجوهرية والجسمية في حقه تعالى».

١١٣- قال الفقيه عبد الغنيّ الغنيميّ[١] الميدانيّ[٢] في شرح كلام الإمام الطحاوي عند قوله «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبهه الأنام» ما نصه: «**لا تبلغه الأوهام**، جمع وهم، وهو قوة جسمانية للإنسان، محلّها ءاخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية، المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته.

ولا تدركه الأفهام، جمع فهم، وهو تصور المعنى من اللفظ، فكل ما تخيل في الوهم أو تصور في الفهم فالله سبحانه وتعالى بخلافه، وهو سبحانه وتعالى خالق التخيل في الوهم والتصور في الفهم، ومنشؤه وسوسة الشيطان، وكراهته علامة محض الإيمان.

ولا يشبهه الأنام، أي المخلوقات، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وهو كالذي قبله من قوله: لا تبلغه الأوهام، عبارة عن صفة من صفاته السلبية[٣]، وهي مخالفته تعالى للحوادث، فلا يماثله سبحانه

---

(١) عبد الغنيّ بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيميّ الدمشقيّ الميدانيّ ت ١٢٩٨هـ، من فقهاء الحنفية، نسبته إلى محلة الميدان بدمشق. له: «اللباب في الفقه»، و«كشف الالتباس عما أورده الإمام البخاري على بعض الناس»، و«شروح ورسائل في الصَّرف والتوحيد». الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص٣٣، ٣٤).

(٢) عبد الغني الميداني، **شرح العقيدة الطحاوية**، (ص٤٠، ٤١).

(٣) وهي الصفات التي تدلّ على نفي ما لا يليق بالله سبحانه كالوحدانية.

وتعالى شيء، لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، فليست ذاته بجسمٍ ولا جوهرٍ، كما أنها ليست بعرضٍ، وصفاته ليست حادثة، وأفعاله ليست معلولة ولا مكتسبة».

١١٤- قال الشيخ إبراهيم فصيح[١] ما نصه[٢]: «المقصد الرابع في بيان أن **ذات الله مخالفة لسائر الذوات**: اعلم أن ذات الله قد تنزه عن أن يدركه أحد أو يتصوره عقل، فلا تحيط به الأفكار والظنون، ولا مجال للعقل في تصور حقيقته وكنه ذاته تعالى، فالاعتماد في ذلك وفي الإيمان به تعالى إنما هو على ما جاء به الشرع من بيان صفاته وما يليق به تعالى وما يستحيل عليه كالشريك والولد والصاحبة وغير ذلك، ومع هذا فقد قررنا سابقًا من بيان التعاضد بين الشرع والعقل».

١١٥- قال الشيخ محمد عليش المالكي[٣] ما نصه[٤]: «فصل في بيان ما

---

(١) الحيدري، إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري، فصيح الدين، ويقال له إبراهيم فصيح، أديب بغدادي المولد والمنشأ والوفاة، كردي الأصل. تولى نيابة القضاء ببغداد، وألف كتبًا، منها: «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد»، و«أصول الخيل والإبل الجيدة والردية»، و«أعلى الرتبة في شرح النخبة»، في الحديث، و«إمداد القاصد في شرح المقاصد» للنووي، و«إمعان الطلاب في الاسطرلاب». ولد سنة ١٢٣٥هـ، وتوفي سنة ١٢٩٩هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٤٤).

(٢) إبراهيم فصيح، **الصراط المستقيم في الدين المحمدي القويم**، (ص٣٠).

(٣) الشيخ عليش، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله، فقيه، من أعيان المالكية. مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغرب. ولد بالقاهرة وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه. ولما كانت ثورة عرابي باشا اتهم بموالاتها، فأخذ من داره، وهو مريض، محمولًا لا حراك به، وألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه، بالقاهرة. من تصانيفه: «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»، و«منح الجليل على مختصر خليل». ولد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي سنة ١٢٩٩هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص١٩).

(٤) محمد عليش، **هداية المريد**، (ص١٣٧، ١٣٨).

يجوز في حق الله سبحانه، ويجوز أن يصدق بجواز ما يأتي **في حقه** أي شأن ووصف الله سبحانه و**تعالى** الذي يستحقه **أن** بفتح فسكون حرف مصدري صلته **يرى** بضم الياء وفتح الراء أي الله سبحانه وتعالى **بالأبصار** بفتح الهمز جمع بصر أي العيون التي في وجوه عباده سبحانه وتعالى يرى **على ما** أي الحال والوصف الذي **يليق** أي يجوز ويصح عقلًا اتصاف الله سبحانه وتعالى **به** أي الله سبحانه وتعالى من عدم الكيف والانحصار والجهة والمقابلة والقرب والبعد **جل** بفتح الجيم واللام أي عظم الله سبحانه وتعالى واتصف بكل كمال **وعلا** أي ارتفع ارتفاعًا معنويًّا وتنزه عن كل نقص في حقه سبحانه وتعالى حال كونه سبحانه وتعالى **لا** أي ليس **في جهة** من الجهات الست **ولا في مقابلة** للرائي ولا ميامنة ولا مياسرة ولا قرب ولا بعد ولا جسم ولا عرض ولا كبر ولا صغر ولا لون والجهة والمقابلة متلازمان وجمعهما للاهتمام والإيضاح وذكر دليل جواز رؤيته سبحانه تعالى».

وقال أيضًا في كتابه «**تقريب العقائد السَّنِيّة بالأدلة القرءانية**»[1] عند ذكر صفات الله تعالى ما نصه[2]: «**الصفة الرابعة من الصفات الواجبة له: مخالفته تعالى للحوادث في الذات والصفات والأفعال**: ومعناها عدم مماثلته لشيء منها في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، ودليلها قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[3]. وأنه لو ماثل شيئًا منها لكان

---

(١) الفطاني، مطبوع مع كتاب **شرح العوامل الجرجانية**.

(٢) محمد عليش، **تقريب العقائد السَّنية بالأدلة القرءانية**، (ص١٦، ١٧).

(٣) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

حادثًا مثلها، وقد عُلم مما سبق استحالة الحدوث عليه تعالى ووجوب القدم له تعالى، وملزوم المحال محال، **فالمماثلة مستحيلة عليه تعالى**، وإذا كانت المماثلة محالةً عليه وجبت له المخالفة للحوادث، إذ لا واسطة بينهما».

وقال أيضًا في ذكر ما يستحيل على الله تبارك وتعالى ما نصه[1]: «**الصفة الرابعة من الصفات المستحيلة عليه تعالى مماثلته تعالى للحوادث** في الذات بأن يكون جسمًا مركبًا أو حالًّا في مكان أو مخصوصًا بزمان أو موصوفًا بالكبر أو بالصغر أو يكون له نظيرٌ وشبيهٌ من الذوات الحادثة، وفي الصفات بأن تكون حياته كحياة الحوادث وعلمه كعلمهم وإرادته كإرادتهم وقدرته كقدرتهم وسمعه كسمعهم وبصره كبصرهم وكلامه ككلامهم... **تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا**».

١١٦ – قال الشيخ محمود حمزة[2] ما نصه[3]: «وأنه يجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث والقيام بنفسه أي لا يحتاج إلى مكان، والوحدانية والحياة والعلم والقدرة والإرادة والعلم والسمع

---

(١) محمد عليش، **تقريب العقائد السَّنية بالأدلة القرءانية**، (ص٢٩).

(٢) محمود حمزة، محمود بن محمد نسيب بن حسين، مفتي الديار الشامية، وأحد العلماء المكثرين من التصانيف. مولده ونشأته ووفاته في دمشق. ويعرف آله فيها ببني حمزة، نسبة إلى حمزة الحراني (من جدودهم). تقلب صاحب الترجمة في مناصب شرعية عالية انتهت به إلى فتوى الشام سنة ١٢٨٤هـ واشتهر شهرة عظيمة. وكان عجيبًا في كتابة الخطوط الدقيقة، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز، وأولع بالصيد فكان آية في حسن الرماية والتفنن بها. وكان فقيهًا أديبًا شاعرا. من كتبه: «در الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة»، و«الفتاوى»، و«الفتاوى المحمودية»، و«الفرائد البهية في القواعد الفقهية». ولد سنة ١٢٣٦هـ، وتوفي سنة ١٣٠٥هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص١٨٥).

(٣) محمود حمزة، **العقيدة الإسلامية**، (ص١٤، ١٥).

والبصر والكلام وأنه حيٌّ عليمٌ قادرٌ مريدٌ سميعٌ بصيرٌ متكلمٌ بكلام قديم... **ولا يوصف تعالى بعرضٍ ولا جوهر ولا جسم ولا باللون ولا بالرائحة ولا يشبه الخلق،** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[1]».

١١٧- قال الشيخ أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي[2] ما نصه[3]: «ومعنى الإيمان بالله: اعتقاد أنه **واحد لا نظير له في ذاته وصفاته وأفعاله** ولا شريك له في الألوهية».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «فصل في ما يجب على المكلف معرفته: يجب على كلِّ مكلّفٍ شرعًا أن يعرف ما يجب في حق مولانا جلّ وما يستحيل وما يجوز... منها **مخالفته تعالى للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله ويستحيل عليه المماثلة**».

١١٨- قال الشيخ محمد نووي الجاوي[5] ما نصه[6]: «**ويجب في حقه تعالى المخالفة للحوادث،** فالمخالفة للمخلوقات عبارة عن سلب

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) البكري، عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي أبو بكر البكري، فقيه متصوف مصري. استقر بمكة. له كتب، منها: «إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين»، و«الدرر البهية فيما يلزم المكلف من العلوم الشرعية»، و«القول المبرم»، و«كفاية الأتقياء». توفي بعد سنة ١٣٠٢هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٤، ص٢١٤).

(٣) الدمياطي، **الدرر البهية فيما يلزم المكلف من العلوم الشرعية**، (ص١٥).

(٤) الدمياطي، **الدرر البهية فيما يلزم المكلف من العلوم الشرعية**، (ص١٦).

(٥) نووي الجاوي، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليمًا، التناري بلدًا، مفسر، متصوف، من فقهاء الشافعية. هاجر إلى مكة، وتوفي بها. عرفه تيمور بعالم الحجاز. له مصنفات كثيرة، منها: «مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد»، و«مراقي العبودية». توفي سنة ١٣١٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٣١٨).

(٦) محمد نووي، **شرح تيجان الدراري على رسالة الباجوري في التوحيد**، (ص١٤).

الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى، فلازم الجرمية التحيز، ولازم العرضية القيام بالغير، ولازم الكلية الكبر، ولازم الجزئية الصغر.

ومعناه أي المخالفة لما ذكر **أنه تعالى ليس مماثلًا للحوادث**، فإذا ألقى الشيطان في ذهنك أنه تعالى إذا لم يكن جرمًا ولا عرضًا ولا كلًّا ولا جزءًا فما حقيقته؟ فقل في رد ذلك: لا يعلم الله إلا الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]، فهو تعالى ليس بجسمٍ مصورٍ ولا بجوهر محدود مقدر».

وقال أيضًا في شرح مسائل أبي الليث عند قوله عن الله تعالى «ربٌّ ومالك بلا شريك ولا ضدّ ولا ندّ» ما نصه[2]: «**بلا شريك**، أي لا شبيه له، أي في الربوبية.

ولا ضدّ: أي لا نظير.

ولا ندّ: أي لا مماثل، والفرق بين الشبيه والنظير والمماثل أن النظير ما يساوي ولو في وجه، والشبيه ما يساوي أكثر الوجوه، والمماثل ما يساوي في جميع الوجوه.

قال البراوي: ولا يجوز البحث عن ذات الله تعالى ولا عن صفاته لأن ترك الإدراك إدراك، والبحث عن ذات الله تعالى إِشراك، وكل ما خطر ببالك من صفات الحوادث، فالله بخلاف ذلك.

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) محمد نووي، **قطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث**، (ص١٢، ١٣).

فإن قال قائل: أين الله؟ فجوابه **ليس في مكان ولا يمر عليه زمان**، وإن قال لك: كيف الله؟ فقل له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[1]، وإن قال لك: متى الله؟ فقل له: أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، وإن قال لك: كم الله؟ فقل له: واحد لا من قلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2]».

١١٩ - قال الشيخ عبد الباسط الفاخوري[3] مفتي بيروت الأسبق في ذكر صفات الله تعالى ما نصه[4]: «ورابعها **مخالفته تعالى للحوادث أي عدم مماثلته شيئًا منها** ومعناه أنه ليس بجرمٍ يأخذ قدرًا من الفراغ فلا مكان له، وليس بعرض يقوم بالجرم وليس في جهة من الجهات ولا يوصف بالكبر ولا بالصغر وكل ما قام ببالك فالله بخلاف ذلك، وخامسها قيامه تعالى بنفسه ومعناه أنه ليس بصفة تحتاج إلى القيام بموصوفٍ فهو مستغنٍ عن محلٍّ يقوم به وعن مخصصٍ أي موجد يوجده لأن وجوده تعالى ذاتيٌّ لم ينشأ عن غيره ووجود غيره نشأ عنه تعالى باختياره».

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) سورة **الإخلاص**، ءاية ١.

(٣) عبد الباسط بن علي الفاخوري، مفتي بيروت. كان متقشفًا زاهدًا. له كتب، منها: «ذخيرة اللبيب» في السيرة النبوية، و«تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام»، و«نبذة يسيرة من أقواله ﷺ». مجهول الولادة، وتوفي ١٣٢٤هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٢١٨).

(٤) الفاخوري، **الكفاية لذوي العناية**، (ص٧، ٨).

١٢٠- قال شمس الحق العظيم آبادي[١] ما نصه[٢]: «قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٣] **بغير مماسة ولا كيفية ولا مجاورة**».

وقال أيضًا ما نصه[٤]: «ومن طريق الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث أي الأحاديث المتشابهة فقالوا أمروها كما جاءت **بلا كيفية**».

١٢١- نقل الشيخ محمد بن عثمان النجار قول اللقاني في «**جوهرة التوحيد**» شارحًا له فقال ما نصه[٥]:

«**ومنه أن يُنظر بالأبصار لكن بلا كيفٍ ولا انحصارِ أي بلا تكيف للمرئي بكيفية من كيفيات الحوادث** من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك».

١٢٢- قال الشيخ محمد بن سليمان الشافعي المكي ما نصه[٦]: «**ويستحيل عليه تعالى** العدم والحدوث والفناء **ومماثلته تعالى لشيء من خلقه**».

---

(١) شمس الحق، محمد بن علي بن مقصود علي الصديقي، العظيم آبادي، أبو الطيب، شمس الحق، عالم بالحديث، من أهل «عظيم آباد» في الهند. ولد بها وجمع مكتبة حافلة بالمخطوطات وتوفي في ديانوان من أعمال عظيم آباد. قرأ الحديث في دهلي. وصنف كتبًا، منها: «عون المعبود» في شرح سنن أبي داود، أربعة مجلدات، لم ينسبه إلى نفسه في مقدمته، ونسبه إلى أخ له يدعى شرف الحق، و«غاية المقصود». ولد سنة ١٢٧٣هـ، وتوفي سنة ١٣٢٩هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٣٠١).

(٢) آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، (ج٢٢، ص١٦٨).

(٣) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٤) آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، (ج٢٥، ص٢٧٤).

(٥) محمد النجار، **مجموع أختام الشيخ محمد النجار على صحيح البخاري** (مخطوط)، (ق٤٣/ ب).

(٦) محمد سليمان الشافعي، **الرياض البديعة**، (ص٢١).

١٢٣- قال الشيخ طاهر الجزائري[١] ما نصه[٢]: «**لا يماثل الله شيئًا مما خلق** لما أن ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر وكيف يجوز على الخالق ما يجوز على خلقه**!**».

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «وأما **حقيقة ذات الحق جل جلاله، فإنها مما لا تحوم حوله الأفكار**، وقد ثبت ذلك عند العقل ثبوتًا بينًا، فإنه يُعلم بالبرهان:

١- أن الحق موجودٌ، واجب الوجود، موصوفٌ بصفات الكمال، اللائقة بما له من الجلال.

٢- وأن **ذاته لا تشبه شيئًا من ذوات خلقه**، وإلا جاز عليها ما يجوز على ذوات الخلق من سمات النقص وهذا محال».

وقال أيضًا ما نصه[٤]: «والأصل في هذا الباب أن الصفات كالذات، فكما أن ذات الحق سبحانه ثابتةٌ حقيقةً من غير أن تكون مشابهةً لذوات الخلق، كذلك صفاته ثابتةٌ حقيقةً من غير أن تكون مشابهةً

---

(١) طاهر بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري. ولد سنة ١٢٦٨هـ، ودخل مدرسة الجقمقية الاستعدادية، فتخرّج بأستاذه الشيخ عبد الرحمٰن البوسنوي. تولى التعليم في المدرسة الظاهرية، ودخل في عداد أعضاء الجمعية الخيرية فعُيّن مفتشًا عامًّا على المدارس الابتدائية. من مؤلفاته: «الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية»، «الجوهرة الوسطى في قواعد العقائد» وغيرها من الكتب. أصابه مرضٌ أثناء إقامته بمصر، فعاد إلى دمشق، فعينته الحكومة العربية مديرًا عامًّا لدار الكتب الظاهرية، وتوفي سنة ١٣٣٨هـ فشيعته دمشق إلى مثواه الأخير في مقبرة ذي الكفل في سفح قاسيون. محمد سعيد الباني، **تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر**.

(٢) طاهر الجزائري، **الجوهرة في قواعد العقائد**، (ص٣٨).

(٣) طاهر الجزائري، **الجوهرة في قواعد العقائد**، (ص٩٥).

(٤) طاهر الجزائري، **الجوهرة في قواعد العقائد**، (ص١٠٠).

لصفات الخلق».

١٢٤- قال أحمد رضا القادري[١] الحنفي[٢] ما نصه[٣]: «الله تعالى منزه عن كل عيب ونقصان، كل يحتاج إليه ولا يحتاج سبحانه وتعالى إلى شيء أصلًا في شيء بأي جهة، **منزه عن مشابهة الخلق**، لا يتطرق إليه التغير، هو الآن كما كان في الأزل ولا يزال كما كان إلى الأبد، ولا يجوز أبدًا أن يكون أولًا في طورٍ ثم يتطور إلى حالة أخرى، **لا يعرض له المقدار حتى يُقال عنه إنه بقدر كذا وكذا، لا طويل ولا عريض، ولا ذو جرمٍ، ولا ثخينٌ، ولا رقيقٌ ولا كثير ولا قليل، ولا كبير ولا صغير في العدِ والوزن، ولا ثقيل، ولا خفيف، هو منزه عن الشكل، لا منبسط، ولا منقبض، ولا مدوّرٌ ولا طويلٌ، ولا مثلثٌ ولا مربع ولا مستقيم** أي استقامة الأجسام **ولا منحرف، وليس بذي صورة غير ما ذكر، منزه عن حدٍّ وطرفٍ ونهاية**، وليس بغير المحدود على هذا المعنى حتى يكون منبسطًا لا إلى غاية، بل المراد أنه منزه عن المقدار وغيره من جميع الأعراض، المهم أن قولنا ليس بمحدودٍ لنفي الحد وليس لإثبات

---

(١) **تنبيه**: لا نوافق الشيخ أحمد رضا في كل مقالاته، ما وافق بها أهل السنة نذكره وما لا فلا.

(٢) أحمد رضا خان بَرَلوي، شيخٌ في القرن الرابع عشر الهجري بِشبه القارة الهندية، ومؤسس فرقة صوفية تُسمى بِالبريلوية نسبةً إلى مدينة بَرَيلي الواقعة شمال الهند وهي مسقط رأس أحمد رضا. حَصل أحمد رضا على درجة الإفتاء في سن الثالث عشر من عمره، ونظم الشعر باللغة العربية والفارسية والأردية. له تآليف عديدة بلغ عددها المئات من الدراسات والكتب منها: «قوارع القهار في الرد على المجسمة الفجار»، و«اهلاك الوهّابيين على توهين قبور المسلمين»، و«الدولة المكية» وغيرها. توفي سنة ١٣٤٠هـ. **البريلوية**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة محمد بن سعود بالرياض.

(٣) أحمد رضا، **قوارع القهار في الرد على المجسمة الفجار**، (ص١٧، ١٨).

المقدار إلى غير نهاية، لم يتكون من شيء، لا يمكن فرض الأجزاء أو الحصص في ذاته».

١٢٥- قال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي[١] المصري في فصل عَقَدَهُ لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة ما نصه[٢]: «**أن خالق العالم لا يشبه خلقه، فإنّ الصانع لا يشبه الصنعة، وأنّ التكييف والتحديد لا يكون إلا في المخلوق لأنّهما صفتان للمحدث**».

وقال أيضًا فيما يجب لله تعالى ما نصه[٣]: «**مخالفته تعالى للحوادث: ومعناها عدم مماثلته لشيء منها لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال**، لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٤] ولأنه لو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثله، والحدوث مستحيل في حق الخالق عز وجل».

وقال أيضًا في ذكر ما يستحيل في حق الله تعالى ما نصه[٥]: «**يستحيل في حقه تعالى** بالأدلة التفصيلية السابقة: العدم والحدوث وهو الوجود بعد العدم والفناء ومماثلته تعالى للحوادث في الذات بأن يكون جسمًا

---

(١) السبكي، محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي، أبو محمد، فقيه مالكي أزهري. ولد في «سبك الأحد» من قرى أشمون بالمنوفية. وتعلم بالأزهر كبيرًا ودرس فيه. وأسس الجمعية الشرعية وترأسها من سنة ١٣٣١هـ، إلى ١٣٥٢هـ وتوفي بالقاهرة. له كتب منها: «الدين الخالص»، و«تحفة الأبصار والبصائر»، و«الرسالة البديعة». ولد سنة ١٢٧٤هـ، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص١٨٦).

(٢) محمود خطاب السبكي، **إتحاف الكائنات**، (ص١٩١).

(٣) محمود خطاب السبكي، **إرشاد الخلق إلى دين الحق**، (ج١، ص٤٤، ٤٥).

(٤) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٥) محمود خطاب السبكي، **إرشاد الخلق إلى دين الحق**، (ج١، ص٤٩، ٥٠).

مركبًا أو حالًّا في مكان أو مخصوصًا بزمان أو موصوفًا بالكبر أو بالصغر أو **يكون له شبيه** في الصفات بأن تكون حياته كحياة الحوادث وعلمه كعلمهم، وهكذا.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فهو لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود، ولا يحده مقدار ولا تحويه أقطار لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[1]».

١٢٦- قال الشيخ أبو العلا محمد بن عبد الرحمـٰن بن عبد الرحيم المباركفوري[2] ما نصه[3]: «قوله «**ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة**» قد اختلف في معنى النزول على أقوال، فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، ومنهم من أوله ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال **منزهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه** وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم، وهذا القول هو الحق فعليك اتّباع جمهور السلف».

١٢٧- قال الشيخ عبد الفتاح الزعبي[4] نقيب السادة الأشراف في طرابلس

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) عبد الرحمن المباركفوري، عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد في بلدة مباركفور، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والهيئة والفقه وأصول الفقه على علماء كثيرين. من مؤلفاته: «السنن» في مجلدين. توفي سنة ١٣٥٣هـ. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، (ج٥، ص١٦٦).

(٣) المباركفوري، **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، (ج٥، ص١٠٠).

(٤) قائم مقام نقيب السادة الأشراف والخطيب والمحدّث في الجامع الكبير. تتلمذ على الشيخ=

الشام بعد كلام في تنزيه البارئ سبحانه وتعالى ما نصه[1]: «كل ذلك يدل على وجود صانع **منزه عن الكيفية والمثلية**، ومقدس عن خطرات الأوهام ومزاعم الحلولية».

١٢٨- قال الشيخ محمد بن إبراهيم[2] الحسيني الطرابلسي الأزهري ما نصه[3]: «ظنوا أنه سبحانه وتعالى مما يشبه الأجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها أي بالأجسام على طريق المقابلة في الجهات والأحياز، ولا ريب في استحالته، وإنما الممكن في شأنه تعالى الرؤية **المنزهة عن الكيفيات بالكلية** وذلك للمؤمنين في الآخرة».

١٢٩- قال الشيخ محمد البدوي[4] ما نصه[5]: «لم يكن أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين يشتبه في صفات الله تعالى ولا في كونه تعالى مخالفًا للحوادث في ذاته وصفاته، فكانوا يؤمنون بتنزهه

= أبي المحاسن القاوقجي الطرابلسي الحنفي، له كتاب سماه «المواعظ الحميدية في الخطب الجُمعية» وهو عبارة عن مجموعة خطب ألقاها على منابر المساجد يوم الجمعة.

(١) الزعبي، **المواعظ الحميدية في الخطب الجمعية، (ص٨٦)**.

(٢) محمد بن إبراهيم الحسيني، مفسر طرابلسي المولد والوفاة، تعلم في الأزهر بمصر، وعاد إلى بلده في لبنان، فكان عينها وعالمها. وصنف كتبًا، منها تفسير الحسيني، الأول منه، وفريدة الأصول. ورسالة في المقولات العشر، ورسالة في تطبيق المبادئ الدينية على قواعد الاجتماع. ولد سنة ١٢٧٠هـ، وتوفي سنة ١٣٥٩هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٥، ص٣٠٦)**.

(٣) محمد إبراهيم، **تفسير القرءان الكريم، (ج١، ص١٠١)**.

(٤) بدوي، حسين بن سامي بن علي بدوي، فاضل أزهري مصري. عمل في المحاماة الشرعية ودرس في معهد القاهرة. له كتب، منها: «حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام»، و«موجز في التربية وعلم النفس»، و«هداية القرآن». توفي سنة ١٣٦٢هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٢، ص٢٣٨)**.

(٥) حسين سامي البدوي، **الحجة الدامغة لشبهات المجسمة الزائغة، (ص٩)**.

عن صفات خلقه، ويعتقدون أن **كل ما يتخيله الذهن أو يصوره الوهم فإن الله عز وجل مخالف له** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[1]».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «فكانت عقيدتهم تنزيهية خالصة من شوائب التجسيم والتشبيه الذي ابتليت به بعض الأمة فيما بعد على أيدي طائفة من غلاة الشيعة والروافض والكرامية وغيرهم من أرباب الأهواء الخبيثي الاعتقاد».

١٣٠- قال الشيخ الفقيه محمد الطاهر بن عاشور ما نصه[3]: «**وعَظمةُ اللهِ سبحانه لا تُكَيَّفُ ولا تُحدُّ ولا تُمثَّل بشيء**، ويجبُ على العبادِ أن يَعْلَمُوا أنه **عظيمٌ كما وصَفَ نفْسه بلا كيفية ولا تحديد**».

١٣١- قال الشيخ محمد حمدي الجويجاتي إمام جامع الروضة بدمشق ما نصه[4]: «بيان ما يجب لله تعالى وما يجوز في حقه وما يستحيل: **مخالفته للحوادث: فيجب لله تعالى مخالفته للحوادث ويستحيل عليه ضدها وهو المماثلة والمشابهة للحوادث**».

١٣٢- قال الإمام الحافظ العلامة الفقيه المجدد المجتهد حامي حمى الملة والدين أشعري زمانه وشافعي أوانه شيخ الإسلام ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الله بن محمد الهرري[5] الحبشي العبدري رضي الله

---

(١) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٢) حسين سامي البدوي، **الحجة الدامغة لشبهات المجسمة الزائغة**، (ص١٠).

(٣) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، (ج٧، ص٤٣٥).

(٤) الجويجاتي، **كتاب العقيدة الإسلامية والرد على نظريات الماديين**، (ص١٢، ١٣).

(٥) العبدريّ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الهرريّ الشيبيّ العبدريّ، مفتي هرر، العالم الجليل، قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين، الإمام، الحافظ. ولد=

عنه ما نصه[1]: «وكذا نقول **إنه تعالى لا يتصف باللون والطعم والرائحة** لأنها من أمارات الحدث، **وكذا لا يتصف بالكيفية** بمعنى الهيئة **لذلك قال علماء أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى منزه عن الكمية والكيفية،** كما قال صاحب القاموس في تفسير الهَيولى، والكمية معناه الحجم. **أما الكيفية فهي الصفات التي تقوم بالجرم، فهو منزه عن كل ذلك،** فإذا ذكرت كلمة الكيفية بهذا المعنى مضافة إلى الله تعالى كان ذلك تشبيها له بخلقه، وأما من ذكر لفظ الكيفية في بعض العبارات بمعنى الحقيقة فليس في ذلك تشبيه لله بخلقه كهذا البيت الذي يذكره بعض المؤلفين من أهل السنة كابن الجوزي والزركشي:

حقيقة العبد ليس العبد يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم

وفي رواية: حقيقة النفس ليس العبد يدركها.

فقوله: «فكيف كيفية الجبار في القدم» معناه فكيف حقيقة الجبار.

قلت: أي الشيخ الحبشي، لو غيّروا هذا البيت فقالوا:

حقيقة المرء ليس العبد يدركها فكيف يدرك كنهَ الخالق الأزلي

لكان ذلك سالما.

= في هرر «الصومال» شدّ الرحال في طلب العلم، وساعده ذكاؤه وحافظته العجيبة على التعمُّق في فقه المذاهب الأربعة إلى أن أسند إليه أمر الفتوى ببلده هرر وما جاورها. أعدّ مصنّفات مهمّة، منها: «شرح ألفية السيوطيّ في مصطلح الحديث»، و«الدليل القويم على الصراط المستقيم»، و«التعقّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث»، و«المطالب الوفية في شرح العقيدة النسفية» وغيرها. ولد قرابة سنة ١٣٢٨هـ، وتوفي سنة ١٤٢٩هـ. العبدري، **الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم**، المقدمة.

(١) الهرري، **إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية**، (ص١٩٩، ٢٠٠).

وقال بعض الكرامية إن الله تعالى كيفية لا يعرفها إلا هو وهو قول فاسد لأنها عبارة عن الهيئات وذلك مستحيل عليه. ولا يوصف أيضًا بالماهية لأنها عبارة عن المجانسة وذلك لأن كل ذي جنس شبيه بذي جنسه فكان القول بالماهية قولا بالتشبيه ومن روى عن أبي حنيفة أنه قال: «ان لله تعالى ماهية لا يعرفها إلا هو» فقد افترى عليه. ولا يوصف تعالى بالتبعض خلافًا لليهود لعنهم الله ولا بالتناهي خلافا لبعض الكرامية فإنهم يقولون: إنه غير متناه من خمس جهات متناه من جهة واحدة وهي الجهة السفلى التي تلاقي العرش».

وقال في شرحه على العقيدة النسفية ما نصه[1]: «**ولا بالكيفية**، يعني أن الله تعالى **منزه عن الكيفية**، ومراده بالكيفية ما كان من نحو اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مما هو من صفات الأجسام وتوابع التركيب».

قال القونوي في شرحه على الطحاوية ما نصُّه: قال نُعيم بن حماد: «**من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر**، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر».

وقال إسحاق بن راهويه ما نصه[2]: «**من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر** بالله العظيم».

١٣٣- قال شيخ الجامع الأزهر محمد سيد طنطاوي ما نصه[3]: «يوم

---

(١) الهرري، **المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية**، (ص٦٥، ٦٦).

(٢) محمود خطاب السبكي، **إتحاف الكائنات**، (ص١٩).

(٣) طنطاوي، **الوسيط**، (ج١، ص٤٣٨٩).

القيامة.. وجوه المؤمنين الصادقين تنظر إلى ربها فى هذا اليوم نظرة سرور وحبور، بحيث تراه سبحانه على ما يليق بذاته، **بلا كيفية، ولا جهة، ولا ثبوت مسافة**».

وقال أيضًا في شرحه قول الله تعالى ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ ما نصه[1]: «لا يدركه أي الله ما يدرك الأجسام من الفتور والنعاس أو النوم، وتقديم السِّنة على النوم يفيد المبالغة من حيث إن نفي السِّنة يدل على نفي النوم بالأولى، فنفيه ثانيًا صريحًا يفيد المبالغة لأن عطف الخاص على العام يفيد المبالغة ولأن عطف الخاص على العام يفيد التوكيد، أي لا تأخذه سنة فضلًا عن أن يأخذه نوم. وفي قوله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ ۚ﴾ دلالة على أن للنوم قوة قاهرة تأخذ الحيوان أخذًا، وتقهر الكثير من أجناس المخلوقات قهرًا، ولكنه سبحانه وهو القاهر فوق عباده منزه عن ذلك، ومبرّأ من أن يعتريه ما يعتري الحوادث».

١٣٤- قال أبو المعالي الأزهري[2] ما نصه[3]: «**قال أهل السنة الأشاعرة والماتريدية: والكيفية هيئة وصورة،** والهيئة والصورة من لوازم الأجسام التي تُدرك بالحواس، **والله منزه عن ذلك**».

---

(١) طنطاوي، **الوسيط**، (ج١، ص٤٧٠).

(٢) أبو المعالي الأزهري، مدرس العلوم الشرعية والعربية في الأزهر.

(٣) أبو المعالي الأزهري، المسمى **الانتصار لمذهب أهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية**، (ص٢٤٧).

١٣٥ - قال الأستاذ أحمد محمد نور سيف[١] ما نصه[٢]: «ثم قال القاضي عبد الوهاب من شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني: واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباعٌ للنص، وتسليمٌ للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، **ولا يجوز أن يثبت له كيفية** لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام بشيء، ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول، وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام، وهذا كفرٌ عند كافة أهل الإسلام».

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «ومراد مالك رحمه الله: أن الاستواء لغة غير مجهول في دلالته اللغوية، لكن لاستحالة أن يكون المراد على حقيقته، فقال: **الكيف منه غير معقول** لأن العقل لا يمكن أن يتصور خالقًا في شكل صورة أو جسمٍ مستقرًّا استقرار الأجسام على الأجسام، فذلك لا يتصوره العقل، وهذا ما قرر نفيه القاضي عبد الوهاب، وهذا الذي حمل الإمام مالكًا على الغضب من السائل والأمر بإخراجه لأنه استشعر فيه بدعة التجسيم والتشبيه في هذه الاستحالات لما غضب وأمر بإخراج السّائل ووصفه بالبدعة، إذ لا يرى مالك رحمه الله إلا الإمرار والتسليم»[٤].

---

(١) الأستاذ الدكتور أحمد محمد نور سيف، مدير عام دار البحوث، ورئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية في دبي.

(٢) أحمد نور سيف، **عقيدة الإمام عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي**، (ص٦٨).

(٣) أحمد نور سيف، **عقيدة الإمام عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي**، (ص٦٨).

(٤) والنقول في ذلك كثيرة، ولمزيد الاطلاع عليها انظر كتابنا **معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان**. المصنف.

الباب الثالث
تأويل بعض الآيات المتشابهات

ويتضمن ستين مبحثًا:

١- **المبحث الأول**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾.

٢- **المبحث الثاني**: تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ۝٦١﴾.

٣- **المبحث الثالث**: تأويل قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾.

٤- **المبحث الرابع**: تأويل قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾.

٥- **المبحث الخامس**: تأويل قوله تعالى ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ۝٣٧﴾.

٦- **المبحث السادس**: تأويل قوله تعالى ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ۝٤٢﴾.

٧- **المبحث السابع**: تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾.

٨- **المبحث الثامن**: تأويل قوله تعالى ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ۝١٤٣﴾.

٩- **المبحث التاسع**: تأويل قوله تعالى ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۝١٠﴾.

١٠- **المبحث العاشر**: تأويل قوله تعالى ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ۝١١٥﴾.

١١- **المبحث الحادي عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۝٣٥﴾.

١٢- **المبحث الثاني عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾.

١٣- **المبحث الثالث عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾.

١٤- **المبحث الرابع عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٥- **المبحث الخامس عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾.

١٦- **المبحث السادس عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٧- **المبحث السابع عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

١٨- **المبحث الثامن عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴿٥٥﴾﴾.

١٩- **المبحث التاسع عشر**: تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴿١٨﴾﴾.

٢٠- **المبحث العشرون**: تأويل قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿١١٢﴾﴾.

٢١- **المبحث الحادي العشرون**: تأويل قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٢- **المبحث الثاني والعشرون**: تأويل قوله تعالى ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ

عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفًا ﴿٦٦﴾﴾.

٢٣- **المبحث الثالث والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴿٥٦﴾﴾.

٢٤- **المبحث الرابع والعشرون:** تأويل قوله الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٥- **المبحث الخامس والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

٢٦- **المبحث السادس والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

٢٧- **المبحث السابع والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾.

٢٨- **المبحث الثامن والعشرون:** تأويل قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٩- **المبحث التاسع والعشرون:** تأويل قوله تعالى ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾.

٣٠- **المبحث الثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴿١٢﴾﴾.

٣١- **المبحث الحادي والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣٢- **المبحث الثاني والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿٣١﴾﴾.

٣٣- **المبحث الثالث والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾﴾.

٣٤- **المبحث الرابع والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾.

٣٥- **المبحث الخامس والثلاثون :** تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

٣٦- **المبحث السادس والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

٣٧- **المبحث السابع والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

٣٨- **المبحث الثامن والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾.

٣٩- **المبحث التاسع والثلاثون:** تأويل قوله تعالى ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٤٠- **المبحث الأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

٤١- **المبحث الحادي والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٤٢- **المبحث الثاني والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ

بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٤٣- **المبحث الثالث والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

٤٤- **المبحث الرابع والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

٤٥- **المبحث الخامس والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٢٦﴾﴾.

٤٦- **المبحث السادس والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

٤٧- **المبحث السابع والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ ﴿٥٨﴾﴾.

٤٨- **المبحث الثامن والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾.

٤٩- **المبحث التاسع والأربعون:** تأويل قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٥٠- **المبحث الخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

٥١- **المبحث الحادي والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾.

٥٢- **المبحث الثاني والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِۦٓ ﴿٧٤﴾﴾.

٥٣- **المبحث الثالث والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

٥٤- **المبحث الرابع والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٥٥- **المبحث الخامس والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٧٢﴾﴾.

٥٦- **المبحث السادس والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴿٢٠٦﴾﴾.

٥٧- **المبحث السابع والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴿٧٩﴾﴾.

٥٨- **المبحث الثامن والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

٥٩- **المبحث التاسع والخمسون:** تأويل قوله تعالى ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴿٥١﴾﴾.

٦٠- **المبحث الستون:** تأويل قوله تعالى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴿٩٣﴾﴾.

المبحث الأول

تأويل قوله تعالى

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]

ثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ما رواه الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[2]، بإسناد جيد كما قال الحافظ في «**الفتح**»[3] من طريق عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[4] كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمـٰن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرجل».

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله: «أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه»، وذلك لأن الرجل سأله بقوله كيف استواؤه، ولو كان الذي حصل مجرد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعترض عليه.

---

(١) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص ٤٠٨).

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٠٦، ٤٠٧).

(٤) سورة **طه**، ءاية ٥.

وروى الحافظ البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[1] من طريق يحيى بن يحيى قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2] فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به أن يخرج»، قال البيهقي: «وروي في ذلك أيضا عن ربيعة بن عبد الرحمٰن أستاذ مالك بن أنس رضي الله عنهما».

قال المحدث الشيخ سلامة العزامي ما نصه[3]: «قول مالك عن هذا الرجل «صاحب بدعة» لأن سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي الذي هو من قبيل تمكن جسم على جسم واستقراره عليه وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار. فسأل عنها وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة».

قلنا: وهذا فيمن سأل كيف استوى فما بالكم بالذي فسره بالجلوس والقعود والاستقرار؟ ثم إنّ الإمام مالكًا عالم المدينة وإمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث رضي الله عنه ينفي عن الله الجهة كسائر أئمة الهدى، فقد ذكر الإمام العلامة قاضي قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير[4] المالكي من أهل القرن السابع الفقيه المفسر النحوي

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٨).

(٢) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٣) العزامي، **فرقان القرءان**، (ص٢٢).

(٤) ابن الـمُنيّر، العلامة الأوحد، ناصر الدين، أحمد بن محمد بن منصور بن قاسم بن مختار الجُذَاميّ، الجَرْويّ، الإسكندراني، المالكيّ، ولد سنة ٦٢٠هـ، وله التصانيف المؤنّقة، قيل إن=

الأصولي الخطيب الأديب البارع في علوم كثيرة في كتابه «**المقتفى في شرف المصطفى**» لما تكلم عن الجهة وقرر نفيها، قال: «ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله في قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»[1]، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنـزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط على قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكانًا ولما نهى عن ذلك»، ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبين أن الفضل بالمكانة لا بالمكان.

ونقل ذلك عنه أيضًا الإمام الحافظ تقي الدين السبكي الشافعي في كتابه «**السيف الصقيل**»[2]، والإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي في «**إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**»[3] وغيرهما.

وأما ما يرويه سريج بن النعمان[4] عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان

=الشيخ عزالدين بن عبد السلام كان يقول: مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن المنيّر في الثغر، وابن دقيق العيد بقوص، ولابن المنيّر خطب بليغة، وتفسير نفيس، وصنّف كتابًا في تفسير حديث الإسراء، توفي بالإسكندرية في مستهل ربيع الأول سنة ٦٨٣هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٥، ص٤١٧، ٤١٨)، رقم الترجمة ٦٦٢١.

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾، (ج٣، ص١٢٥٤).

(٢) السبكي، **السيف الصقيل**، (ص١٣٧).

(٣) السبكي، **إتحاف السادة المتقين**، (ج٢، ص١٠٥).

(٤) سريج بن النعمان بن مروان، الإمام أبو الحسين. وقيل: أبو الحسن البغدادي الجوهري اللؤلؤي.. قال حنبل: «توفي يوم الأضحى سنة ٢١٧هـ». قلت: «فيها مات حجاج بن منهال، وموسى بن داود الضبي، وهشام بن إسماعيل العطار العابد، وعمرو بن مسعدة كاتب السر للمأمون، وإسماعيل بن مسلمة القعنبي». الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٢١٩).

يقول: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»، فغير ثابت.

قال الإمام أحمد: «عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفًا فيه»، ذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

قال ابن عدي: «يروي غرائب عن مالك»، وقال ابن فرحون[1]: «كان أصم أميًّا لا يكتب». وراجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء، وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا. فبان مما ذكرناه أن ما تنسبه المشبهة للإمام مالك تقوُّلٌ عليه بما لم يقُل.

وسئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الاستواء فقال ما نصه[2]: «من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر». وذلك لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه. وهذا القول ثابت عن الإمام أبي حنيفة نقله من لا يحصى كابن غانم[3] في حل الرموز والإمام تقي الدين الحصني في «**دفع شبه من شبه وتمرد**»[4] والإمام أحمد

---

(١) ابن فرحون، عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، أبو محمد، فقيه، من العلماء بالحديث. أصله من تونس، ومولده ومنشأه في المدينة. له: «الدر المخلص من التقصي والملخص» في الحديث، و«كشف المغطى في شرح مختصر الموطأ»، و«العدة» في إعراب عمدة الأحكام في الحديث. ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٦٩هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٤، ص١٢٦)**.

(٢) أبو حنيفة، **الفقه الأبسط، ص٤٩**.

(٣) عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي، عز الدين. من تصانيفه: «حل الرموز»، و«الروض الأنيق»، و«كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار»، و«إفراد الأحد عن أفراد العدد». توفي بالقاهرة سنة ٦٧٨هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٣، ص٣٥٥)**.

(٤) الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد، (ص١٨)**.

الرفاعي في «**البرهان المؤيد**»[1] وغيرهم.

وأما ما قاله المجسم ابن قيم[2] في نونيته:

«كذلك قال النعمان وبعده يعقوب والألفاظ للنعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العرش لا يخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره لله درك من إمام زمان
هو الذي في الفقه الأكبر عندهم وله شروح عدة لبيان».

نقول: إن هذا المجسم يريد أن يروج بدعته هذه بالكذب على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

وهذا الفقه الأكبر بين أيدينا فليراجعه من شاء، وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنه مبتدع داعية إلى بدعته غالٍ فيها كل الغلو وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته، فهذا «**الفقه الأكبر**» فيه كما ذكرنا سابقًا[3]: «والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[4]

---

(١) الرفاعي، **البرهان المؤيد**، (ص٢٤).

(٢) ابن قيم الجوزية (مجسم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشرها، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبًا بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية. وألف تصانيف كثيرة منها: «إعلام الموقعين». ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٥٦).

(٣) أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (ص٣٠، ٣١).

(٤) سورة **الإخلاص**، ءاية ١-٤.

لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه»، وفيه أيضًا[1]: «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة»، وفي «**الوصية**» للإمام[2]: «لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة»، وفي «**الوصية**»[3]: «نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى؟! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

وفي «**الفقه الأبسط**»[4]: «كان الله ولا مكان كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء».

وقال أيضًا: «فمن قال لا أعرف ربي أفي السماء هو أم في الأرض فهو كافر، كذلك من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض».

وإنما كفّر الإمام قائل هاتين العبارتين لأنه جعل الله مختصًّا بجهةٍ وحيزٍ وكل ما هو مختصٌّ بالجهة والتحيز فإنه محتاجٌ محدثٌ بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى، بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله وقد نقلنا ذلك،

---

(١) أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، (ص١٣٦، ١٣٧).

(٢) ملا علي القاري، **شرح الفقه الأكبر**، (ص١٣٨).

(٣) ملا علي القاري، **شرح الفقه الأكبر**، (ص٧٠).

(٤) أبو حنيفة، **الفقه الأبسط**، (ص٥٧).

ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان؟!».

ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله كما قال العلامة البياضي الحنفي في «**إشارات المرام**»[1] والشيخ الكوثري في «**تكملته**»[2] وغيرهما.

وفي «**شرح الفقه الأكبر**»[3] لملا علي القاري في الرد على المجسمة المحرفين لكلام أبي حنيفة ما نصه: «وما روي عن أبي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمن قال لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض، فقال: قد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[4]، وعرشه فوق سبع سمـٰواته، قلت: فإن قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض! قال: «هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء فمن أنكر كونه في السماء فقد كفر لأن الله تعالى في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل، والجواب أنه ذكر الشيخ ابن غانم في كتابه «**حل الرموز**» أن الإمام أبا حنيفة قال: «من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه».

ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد

---

(١) البياضي، **إشارات المرام**، (ص٢٠٠).

(٢) الكوثري، **تكملة الكوثري**، (ص١٨٠).

(٣) ملا علي القاري، **شرح الفقه الأكبر**، (ص١٩٧، ١٩٨).

(٤) سورة **طه**، ءاية ٥.

على نقله لا على ما نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوي، مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد» انتهى كلام ملا علي القاري.

قال الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي[1] في كتابه «**غوث العباد ببيان الرشاد**» ما نصه[2]: «ومن هذا الكلام يعلم أمور منها:

الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في «**الفقه الأكبر**»، وإنما نقلها عن أبي حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبًا يراد به ترويج البدعة.

الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكمٌ فرعيٌّ فضلًا عن أصليّ، فالاعتماد عليه وحاله ما ذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا الناقل صرح به إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبي حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام رضي الله عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل

---

(١) الحمامي، مصطفى أبو سيف الحمامي، فاضل مصري، كان خطيب المسجد الزينبي بالقاهرة. له كتب مطبوعة، منها: «منتهى آمال الخطباء»، و«تاج الخطب المنبرية»، و«ديوان النفحات الزينبية في الخطب المنبرية»، و«شجاعة رسول الله»، و«غوث العباد ببيان الرشاد». توفي سنة ١٣٦٨هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٢٣٥).

(٢) الحمامي، **غوث العباد ببيان الرشاد**، (ص٣٤١، ٣٤٢).

على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبتت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» انتهى كلام الحمامي.

وأما ما نسبه المجسم ابن القيم إلى يعقوب[١] وهو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، قال الشيخ مصطفى الحمامي ما نصه[٢]: «لا شك أنه كذب يروج به هذا الرجل بدعته». وكذا قال الكوثري في «**تكملته**»[٣].

فبهذا ينتسف ما قاله المجسم ابن القيم وكذلك ما تنسبه الوهابية إلى أبي حنيفة أنه قال: «الله في السماء»، فغير ثابت، ففي سنده أبو محمد بن حيان ونعيم بن حماد[٤] ونوح بن أبي مريم[٥] أبو عصمة[٦]، فالأول ضعفه بلديُّه

---

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيهًا علامةً، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه «الرأي» وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي «قاضي القضاة»، ويقال له: قاضي قضاة الدنيا، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه: «الخراج»، و«الآثار» وهو مسند أبي حنيفة، و«النوادر»، و«اختلاف الأمصار»، و«أدب القاضي»، و«الأمالي في الفقه». ولد سنة ١١٣هـ، وتوفي سنة ١٨٢هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٨، ص١٩٣)**.

(٢) الحمامي، **غوث العباد ببيان الرشاد، (ص ٣٤٢)**.

(٣) الكوثري، **تكملة الكوثري، (ص١٠٨)**.

(٤) ابن حجر، **تهذيب التهذيب، (ج١٠، ص٤٠٩)**.

(٥) ابن أبي مريم، نوح بن يزيد أبي مريم بن جعونة المروزي، القرشي بالولاء، أبو عصمة، قاضي مرو، ويلقب بالجامع لجمعه علومًا كثيرة. وكان مرجئًا، مطعونًا في روايته الحديث. توفي سنة ١٧٣هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٨، ص٥١)**.

(٦) ابن حجر، **تهذيب التهذيب، (ج١٠، ص٤٣٣)**.

الحافظ العسال[1]. ونعيم بن حماد مجسم. وكذا زوج أمه نوح ربيب مقاتل ابن سليمان شيخ المجسمة. فنوح أفسده زوج أمه، ونعيم أفسده زوج أمه، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة، فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟!

قال الحافظ ابن الجوزي في «**دفع شبه التشبيه**»[2] عن نعيم بن حماد: «قال ابن عدي[3]: كان يضع الأحاديث وسئل عنه الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديث منكر مجهول».

فإن قالت الوهابية: ذكره الذهبي نقلًا عن البيهقي في «**الأسماء والصفات**».

قلنا: رواه البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[4] وقال: «إن صحت الحكاية»، فهذا يدل على عدم أمانة الذهبي في النقل حيث أغفل هذا القيد ليوهم القارئ أن القول بأن الله في السماء كلام إمام مثل أبي حنيفة.

قال الشيخ الكوثري في «**تكملته**» [5]: «وقد أشار البيهقي بقوله: «إن صحت الحكاية» إلى ما في الرواية من وجوه الخلل»، على أن الإمام البيهقي ذكر في «**الأسماء والصفات**» في كثير من المواضع أن الله منـزه عن المكان

---

(١) العسال، محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، أبو أحمد المعروف بالعسال، قاض، من العلماء بالحديث، متفنن، من أهل أصبهان. ولي القضاء بها وأخذ عن شيوخها وشيوخ همذان وبغداد والكوفة والبصرة والحرمين وواسط والري وخوزستان. من كتبه: «الشيوخ»، و«التفسير»، و«التاريخ». ولد سنة ٢٦٩هـ، وتوفي سنة ٣٤٩هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٥، ص٣١٠).

(٢) ابن الجوزي، **الباز الأشهب**، (ص٦٩، ٧٠).

(٣) ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، (ج٧، ص١٦).

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٢٩).

(٥) الكوثري، **تكملة الكوثري**، (ص١٨٠).

والحد ومن ذلك قوله[1]: «واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه تعالى بقول النبي ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[2]، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان».

وقوله[3]: «وما تفرد به الكلبي وأمثاله يوجب الحد والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حاد خصه به والبارئ قديم لم يزل».

وقوله[4]: «وانّ الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء».

فوضح بعد هذا البيان الشافي أنَّ نسبة الكلام بدعوى إثبات المكان لله تعالى لأبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: «ءامنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك». ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «**البرهان المؤيد**»[5] والإمام تقي الدين الحصني في «**دفع شبه من شبه وتمرد**»[6] وغيرهما كثير، وقال أيضًا: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». ذكره الإمام المحدث عبد الله الهرري في كتابه «**الصراط**

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٠).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (ص١٠٤٤)، **حديث** ٢٧١٣.

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤١٥).

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٤٨، ٤٤٩).

(٥) الرفاعي، **البرهان المؤيد**، (ص٢٤).

(٦) الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد**،(ص١٨).

المستقيم»[1] والإمام الحصني في «**دفع شبه من شبه وتمرد**»[2] والشيخ سلامة العزامي وغيرهم، ومعناه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية والجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

ولما سئل الشافعيُّ عن صفات الله تعالى قال: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه أي الله على لسان نبيه ﷺ». ذكره الشيخ ابن جهبل في رسالته[3] في نفي الجهة عن الله التي رد فيها على المجسم ابن تيمية[4].

وقال الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكانَ لا يجوز عليه التغييرُ في ذاته ولا التبديل في صفاته». كما نقله عنه الزبيدي في كتابه[5].

---

(١) الهرري، **الصراط المستقيم**، (ص٥٠).

(٢) الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد**، (ص٥٦).

(٣) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (ج٩، ص٤٠).

(٤) ابن تيمية (مجسم)، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميريّ الحرّانيّ، الدمشقيّ، أبو العباس، تقيّ الدين. في الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدلّ، وطُلب إلى مصر من أجل فتوى مخالفة أفتى بها فقصدها وسجن مدة ونقل إلى الإسكندرية وتوالى إطلاقه وسجنه حتى مات معتَقَلًا بقلعة دمشق. من كتبه: المسمى «درء تعارض العقل والنقل»، والمسمى «الصارم المسلول على شاتم الرسول». ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفّي سنة ٧٢٨هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص١٤٤).

(٥) الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (ج٢، ص٢٤).

وقال الشافعي رضي الله عنه أيضًا جامعًا جميع ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد»[1].

قلنا: ما أدقها من عبارة وما أوسع معناها شفى بها صدور قوم مؤمنين فرضي الله عنه وجزاه عنا وعن الإسلام خيرًا وقد أخذها من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]، ومن قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾[3]،ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[4]، ومن قوله تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴿١٠﴾﴾[5].

وكل هذا يدل على أن الإمام الشافعي رضي الله عنه على تنـزيه الله عما يخطر في الأذهان من معاني الجسمية وصفاتها كالجلوس والتحيز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك، نعم روى السيوطي[6] وغيره أن الإمام الشافعي قال: «المجسم كافر».

قال الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم[7] القرشي في كتابه «**نجم**

---

(١) القاري، **شرح الفقه الأكبر**، (ص١٥٢).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **النحل**، ءاية ٧٤.

(٤) سورة **مريم**، ءاية ٦٥.

(٥) سورة **إبراهيم**، ءاية ١٠.

(٦) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، (ص٥٩٨).

(٧) ابن المعلم القرشيّ، الشيخ، الإمام، العلامة، المفتي، المعمَّر، شرف العلماء رشيد الدين أبو الفضل إسماعيل بن عثمان بن محمّد القرشيّ الحنفيّ التيمانيّ الدمشقيّ ابن المعلم. ولد سنة ٦٢٣هـ. كان بصيرًا بالعربيّة، وتوفّي في ٥ رجب سنة ٧١٤هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**،=

المهتدي»[1] ما نصه: «نقلا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين[2] في كتابه المسمى «**كفاية النبيه في شرح التنبيه**» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به».

قال: «وهذا ينظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين[3] هنا عن نص الشافعي رضي الله عنه».

وأما ما ترويه المشبهة عن الشافعي مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشاري وابن كادش[4].

= (ج١٥، ص٥٠٩، ٥١٠)، رقم الترجمة ٦٧٤٨.

(١) ابن المعلم، **نجم المهتدي** (مخطوط)، ق/ ٢٨٧.

(٢) أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس بن الرفعة، الأنصاري البخاري، المصري، الشافعي، الشهير بابن الرفعة، نجم الدين، أبو العباس، فقيه. ولد بمصر، وتولى حسبة مصر القديمة وتوفي بالقاهرة في رجب. من مؤلفاته: «الرتبة في الحسبة»، و«الكفاية في شرح التنبيه»، و«المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي»، و«الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان». ولد سنة ٦٤٥هـ، وتوفي سنة ٧١٠هـ. عمر كحالة، **معجم المؤلفين، (ج٢، ص١٣٥)**.

(٣) القاضي حسين بن محمد بن أحمد العلاّمة، شيخ الشافعية بخراسان، أبو عليّ المروذيّ، ويقال: له أيضًا المرْوَرُّوذيّ الشافعيّ. حدّث عن: أبي نُعَيْم سبط الحافظ أبي عوانة. وحدّث عنه: عبد الرزّاق المنيعيّ، ومحيي السُّنَّة البغويّ، وجماعة، وهو من أصحاب الوجوه في المذهب. له: «التعليقة الكبرى»، و«الفتاوى»، وغير ذلك، وكان من أوعية العلم، وكان يُلَقَّب بحبرْ الأمة، مات في المحرّم سنة ٤٦٢هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء، (ج١١، ص٥٠٦، ٥٠٧)**، رقم الترجمة ٤٣٦٣.

(٤) ابن كادش، أبو العز أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان =

أما ابن كادش فهو أبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله من أصحاب العشاري اعترف بالوضع[1]، وحكم مثله عند أهل النقد معروف.

وأما العشاري فهو أبو طالب محمد بن علي العشاري[2] مغفل وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبًا وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في «**الميزان**» [3] وغيره، وكذا ما ينسب للشافعي «وصية الشافعي» فهو رواية أبي الحسن الهكاري[4] المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب «**الجرح والتعديل**» [5] و«**ذيل تاريخ بغداد**» [6]، فليحذر تمويهات المجسمة فإن دأبهم

=ابن عمر بن إبراهيم بن عيسى بن صاحب النبي ﷺ عتبة بن فرقد السلمي العكبري، المعروف بابن كادش، أخو المحدث أبي ياسر محمد. ولد في صفر سنة ٤٣٢هـ، وطلب الحديث وقرأ على المشايخ. سمع أبا الطيب الطبري، وأقضى القضاة أبا الحسن الماوردي، وأبا محمد الجوهري، وأبا علي محمد بن الحسين الجازري، وأبا طالب العشاري، وأبا الحسين بن النرسي، وعدة. سمع منه ابن ناصر، والسلفي، وأبو العلاء الهمذاني، وأبو القاسم بن عساكر، ومعمر بن الفاخر، وأبو موسى المديني، وهبة الله ابن السبط، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أيوب الحربي، وآخرون. قال ابن النجار: «كان ضعيفًا في الرواية، مخلطًا كذابًا، لا يحتج به، وللأئمة فيه مقال». قال السمعاني: «كان ابن ناصر يسيء القول فيه». وقال عبد الوهاب الأنماطي: «كان مخلطًا». مات في جمادى الأولى سنة ٥٢٦هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٩، ص٥٥٨)**.

(١) الذهبي، **ميزان الاعتدال، (ج١، ص١١٨)**.

(٢) ابن العشاري، محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب الحربي، فقيه حنبلي من أهل الحربية «في غربي بغداد»، والعشاري لقب لجده وكان طويلًا. صنف صاحب الترجمة: «فضائل أبي بكر الصديق». ولد سنة ٣٦٦هـ، وتوفي سنة ٤٥١هـ. الزركلي، **الأعلام، (ج٦، ص٢٧٦)**.

(٣) الذهبي، **ميزان الاعتدال، (ج٣، ص٦٥٦)**.

(٤) أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف، الهكاري. قال ابن عساكر: «لم يكن موثقًا في روايته». وقال ابن ناصر: مات في أول المحرم سنة ٤٨٦هـ بالهكارية، وهي جبال فوق الموصل. الذهبي، **سير أعلام النبلاء، (ج١٩، ص٧٦)**.

(٥) الذهبي، **ميزان الاعتدال، (ج٣، ص١١٢)**.

(٦) ابن النجار، **ذيل تاريخ بغداد، (ج١٨، ص١٧٣)**.

ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبًا وباطلًا.

وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر». ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «**البرهان المؤيد**»[1] والإمام الحصني في «**دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك على السيد الجليل أحمد**»[2]، وغيرهما.

فانظر رحمك الله بتوفيقه إلى هذه العبارة ما أرشقها فهي اعتقاد قويم ومنهاج سليم إذ فيها تنـزيه استواء الله على العرش عما يخطر للبشر من جلوس واستقرار ومحاذاة ونحو ذلك، أما المشبهة ففسروا الاستواء بما يخطر في أذهانهم من جلوس وقعود ونحو ذلك، وهذا فيه دليل على تبرئة الإمام أحمد رضي الله عنه من المنتسبين إليه زورًا الذين يحرفون كلمة «استوى» فيقولون جلس، قعد، استقر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا كالمجسم ابن تيمية حيث صرح في «مجموع الفتاوى»[3] فقال: «إن محمدا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه».

وقال فيما رءاه الإمام أبو حيان الأندلسي بخطه: «إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى مكانًا يقعد فيه رسول الله» كما في «**النهر الماد**»[4] إلى غير ذلك من تخريفاته وتحريفاته.

---

(١) الرفاعي، **البرهان المؤيد**، (ص٢٤).

(٢) الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد**، (ص١٧).

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (ج٤، ص٣٧٤).

(٤) أبو حيان، **النهر الماد**، (ج١، ص٢٥٤).

ونقل أبو الفضل التميمي في كتاب «**اعتقاد الإمام أحمد**»[1] عن الإمام أنه قال: «والله تعالى لا يلحقه تغير ولا تبدل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان ينكر الإمام أحمد على من يقول إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة».

وبيّن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «**دفع شبه التشبيه**»[2] براءة أهل السنة عامة والإمام أحمد خاصة من مذهب المشبهة، وقال: «وكان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ» انتهى بحروفه.

وقال القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «**إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**» ما نصه[3]: «إن الإمام أحمد كان لا يقول بالجهة للبارئ تعالى». وعبارته المشهورة التي رواها عنه أبو الفضل التميمي الحنبلي[4]: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» دليل على نصاعة عقيدته وأنه على عقيدة التنـزيه.

وقال المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في كتابه «**تشنيف المسامع**»[5]: «ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال: من قال الله جسم لا كالأجسام كفر».

وروى الحافظ البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمرو بن

---

(١) التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد**، (ص٣٨، ٣٩).

(٢) ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه**، (ص٥٦).

(٣) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ص١٠٨).

(٤) أبو الفضل التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد**، (ج١، ص٣٠١).

(٥) الزركشي، **تشنيف المسامع**، (ج٤، ص٦٤٨).

السماك[1] عن حنبل عن أحمد بن حنبل تأوَّل قول الله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾[2] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد لا غبار عليه». نقل ذلك ابن كثير في تاريخه[3].

وقال الحافظ البيهقي أيضًا في «**مناقب أحمد**»: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: «احتجوا علي يومئذ يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾[4] إنما يأتي قدرته وإنما القرءان أمثال ومواعظ».

قال الحافظ البيهقي: «وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنـزول الذي وردت به السنة انتقالًا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلامَ الله وصفةً من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياه بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو

---

(١) أبو عمرو بن السَمَّاك، عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغداديّ، الدقّاق، الشيخ الإمام، المحدّث، الـمُكْثِر، الصادق، مسنِد العراق. قال عنه الدارقطنيّ: «شيخنا أبو عمرو كتب عن العطارديّ وَمَن بعده، وكتبَ المصنّفات الطوال بخطّه، وكان من الثقات». توفّي في شهر ربيع الأول سنة ٣٤٤هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٢٤٨، ٢٤٩)، رقم الترجمة ٣٢٤٢.

(٢) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

(٣) ابن كثير، **تاريخ ابن كثير**، (ج١٠، ص٦٨٤).

(٤) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذاق من أهل العلم المنزهون عن التشبيه».

وقال الإمام المحدث الشيخ عبد الله الهرري ما نصه[1]: «وهذا دليل على أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل ءايات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أن الله متحيز في مكان أو أن له حركةً وسكونًا وانتقالًا من علوٍّ إلى سفلٍ على ظواهرها كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبتون اعتقادًا التحيز لله في المكان والجسمية ويقولون لفظًا ما يموهون به على الناس ليظن بهم أنهم منـزهون لله عن مشابهة المخلوق فتارة يقولون «بلا كيف» كما قالت الأئمة وتارة يقولون «على ما يليق بالله»، نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على المجيء بمعنى التنقل من علو إلى سفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل».

وورد في «**الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية**» للعالم المفسّر محمد ابن علّان[2] الصدّيقي الشافعي الأشعري المكّي في باب الحثّ على الدعاء والاستغفار في النصف الثاني من كلّ ليلة ما نصّه[3]: «وأنّه تعالى منـزّه عن الجهة والمكان والجسم وسائر أوصاف الحدوث، وهذا معتقد أهل الحقّ ومنهم الإمام أحمد وما نسبه إليه بعضهم من القول بالجهة أو نحوها كذب صراح عليه وعلى أصحابه المتقدمين كما أفاده ابن الجوزي من أكابر الحنابلة».

---

(١) الهرري، **المقالات السنية**، (ص١٩٤).

(٢) ابن علّان، محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة. له مصنفات ورسائل كثيرة، منها: «ضياء السبيل»، و«شرح قصيدة ابن الميلق وقصيدة أبي مدين، و«الفتح المستجاد لبغداد»، و«المنهل العذب المفرد في الفتح العثماني لمصر ومن ولي نيابة ذلك البلد». ولد سنة ٩٩٦هـ، وتوفي سنة ١٠٥٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٩٣).

(٣) ابن علّان، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (ج٢، ص١٩٦).

وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في «**تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**» ما نصه[1]: «ذكر ابن شاهين[2] قال: رجلان صالحان بُليا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد، وأحمد بن حنبل».

ونقل الإمام العراقي شارح «**المهذب**» والإمام القرافي والشيخ ابن حجر الهيتمي[3] وملا علي القاري ومحمد زاهد الكوثري وغيرهم عن الأئمة الأربعة هداة الأمة الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم.

(١) ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، (ص ١٦٤).

(٢) ابن شاهين، الشيخ، الصدوق، الحافظ، العالم، شيخ العراق، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن أحمد بن محمد بن أيّوب بن أزداذ البغداديّ، الواعظ. ولد في صفر سنة ٢٩٧هـ، وقد سمع أبا بكرٍ محمد بن محمد الباغَنْدي، وأبا القاسم البغويّ، وأبا بكرٍ بن أبي داود، وغيرهم. وقد حدّث عنه: محمد بن إسماعيل الورّاق، وأبو سعد الماليني، وأبو بكر البرقاني، وخلق كثير. قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: «ثقة، مأمون، صنّف ما لم يصنّفه أحد». وقد صنّف نحو ٣٠٠ مصنّف، أحدها: «التفسير» في نحو ألف جزء، و«المسند» ١٣٠٠ جزء، و«التاريخ»، و«الزهد». مات سنة ٣٨٥ هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٥٩٧-٥٩٩)، رقم الترجمة٣٦٦٧.

(٣) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين، شيخ الإسلام، أبو العباس. فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم، من إقليم الغربية بمصر، وإليها نسبته. والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية بمصر. تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة. له تصانيف كثيرة، منها: «مبلغ الأرب في فضائل العرب»، و«الجوهر المنظم». ولد سنة ٩٠٩هـ، وتوفي سنة ٩٧٤هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٣٤).

بيان معنى استولى في لغة العرب

تأتي استولى في اللغة بمعنى:

١- **بلوغ الغاية**: قال ابن منظور في «**لسان العرب**» ما نصه[١]: «استولى على الأمَد أي بلغ الغاية، ويقال استبق الفارسان على فرسيهما إلى غاية تسابقا إليها فاستولى أحدهما على الغاية إذا سبق الآخر، ومنه قول الذبياني[٢]: سَبْق الجوادِ إذا استولى على الأمد. واستيلاؤه على الأمد أن يغلب عليه بسبقه إليه، ومن هذا يقال: استولى فلان على مالي أي غلبني عليه».

٢- **القهر**: قال الفيومي[٣] في «**المصباح المنير**» ما نصّه[٤]: «واستولى عليه:

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (ج١٥، ص٤١٣).

(٢) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيًا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في ديوان صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمرًا طويلًا. ومما كتب في سيرته النابغة الذبياني لجميل سلطان، ومثله لسليم الجندي، ولعمر الدسوقي، ولحنا نمر، وكلها مطبوعة. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٥٤).

(٣) أحمد بن محمّد بن عليّ الفيوميّ ثم الحمويّ، أبو العبّاس، لغويّ، اشتهر بكتابه «المصباح المنير». ولد ونشأ بالفيّوم بمصر، ورحل إلى حماة بسورية فقطنها، وله زيادة على «المصباح»، «نثر الجمان في تراجم الأعيان»، وديوان خطب. توفّي نحو سنة ٧٧٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٢٧).

(٤) الفيومي، **المصباح المنير**، (ص٢٥٨).

غلب عليه وتمكن منه». أي قهره وصار تحت تصرفه.

٣- **التملك**: قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في «**تاج العروس**» ما نصه[١]: «واستولى على الشيء إذا صار في يده». وهذا فيه أيضًا معنى القهر.

(١) الزبيدي، **تاج العروس**، (ج١٠، ص٤٠١).

بيان
من تأول من علماء أهل السنة
الاستواء على العرش بالاستيلاء والقهر

١- اللغوي السلفي الأديب أبو عبد الرحمـٰن ابن المبارك (ت٢٣٧هـ)، كان عارفًا باللغة والنحو، قال في كتابه «**غريب القرءان وتفسيره**» ما نصه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[١]: استوى: استولى».

٢- الإمام اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجاج (ت٣١١هـ) قال فيه الذهبي ما نصه[٢]: «نحوي زمانه». قال في كتابه «**معاني القرءان**» ما نصه: «وقالوا: معنى استوى:استولى».

٣- الإمام أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي (ت٣٣٣هـ) إمام أهل السنة والجماعة، قال في كتابه المسمى «**تأويلات أهل السنة**» في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٣] ما نصه: «أو الاستيلاء عليه وأن لا سلطان لغيره ولا تدبير لأحد فيه».

٤- اللغوي أبو القاسم عبد الرحمـٰن بن إسحاق الزجاجي[٤] (ت٣٤٠هـ)

---

(١) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٤، ص٣٦٠).

(٣) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٤) أبو القاسم الزجّاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق البغداديّ، النحْويّ، شيخ العربيّة، صاحب «الجُمَل»، و«الإيضاح»، و«شرح خطبة أدب الكاتب». توفّي بطبرية في رمضان سنة ٣٤٠هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٠، ص٢٦٦)، رقم الترجمة ٣٢٥٥.

قال فيه الذهبي[1] ما نصه: «شيخ العربية وتلميذ العلامة أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وهو منسوب إليه». قال في كتابه «**اشتقاق أسماء الله**» ما نصه: «والعلي والعالي أيضًا: القاهر الغالب للأشياء، فقول العرب: علا فلان فلانًا أي غلبه وقهره كما قال الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

يعني غلبناهم وقهرناهم واستولينا عليهم».

٥- الشيخ أبو بكر أحمد الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ) في كتابه «**أحكام القرءان**»[2].

٦- المفسر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) قال في تفسيره «**النكت والعيون**»[3] ما نصه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۝٥٤﴾[4]: فيه قولان:...والثاني: استولى على العرش كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق».

٧- قال الحافظ البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه «**الأسماء والصفات**» ما نصه[5]: «وفيما كتب إلي الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرًا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة».

٨- أبو الحسن علي الواحدي (ت ٤٧٨هـ) في تفسيره «**الوجيز**».

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١٥، ص٤٧٥).

(٢) الجصاص، **أحكام القرءان**، (ج٥، ص٤٩).

(٣) الماوردي، **النكت والعيون**، (ج٢، ص٢٢٩).

(٤) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٤.

(٥) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ج٢، ص٤١٣).

٩- الشيخ الحسين بن محمد الدامغاني[١] الحنفي (ت ٤٧٨هـ) في كتابه «**إصلاح الوجوه**».

١٠- إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي (ت ٤٧٨هـ) قال في كتابه «**الإرشاد**» ما نصه: «الاستواء القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة إذ تقول: استوى فلان على الملك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب».

١١- الإمام عبد الرحمٰن بن محمد الشافعي المعروف بالمتولي (ت ٤٧٨هـ) قال في كتابه «**الغنية**» في دفع شبهة من منع تفسير الاستواء بالقهر ما نصه[٢]: «فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقضي منازعة سابقة وذلك محال في وصفه. وقلنا: والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والاعوجاج، وذلك محال في وصفه».

١٢- اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) قال في كتابه «**المفردات**» ما نصه: «ومتى عُدِّي أي الاستواء بـ «على» اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٣]».

---

(١) الحسين بن محمّد بن إبراهيم، أبو عبد الله الدامغانيّ، فقيه حنفي، نسبته إلى دامغان «بين الري ونيسابور». له كتب منها: «الوجوه والنظائر»، و«سوق العروس وأنس النفوس»، و«المجرّد في الحكايات». توفّي سنة ٤٧٨هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٢، ص٢٥٤-٢٥٥).

(٢) المتولي، **الغنية**، (ج١، ص٧٨).

(٣) سورة **طه**، ءاية ٥.

١٣- الشيخ الفقيه أبو حامد الغزالي الشافعي (ت ٥٠٥هـ) قال في كتابه «**إحياء علوم الدين**» عندما تكلم عن الاستواء ما نصه[١]: «وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء».

١٤- المتكلم أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي (ت ٥٠٨هـ) قال في كتابه «**تبصرة الأدلة**» بعد أن ذكر معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء ما نصه: «فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد منه: استولى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات».

١٥- الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٥١٤هـ) الذي وصفه الحافظ عبد الرزاق الطبسي بإمام الأئمة، قال في كتابه «**التذكرة الشرقية**» ما نصه: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٢]: قهر وحفظ وأبقى».

١٦- القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد المالكي قاضي الجماعة بقرطبة المعروف بابن رشد الجد (ت٥٢٠هـ) قال ما نصه: «والاستواء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۝٥٤﴾[٣] معناه استولى». ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل»[٤] موافقًا له ومقرا لكلامه.

١٧- العلامة الفقيه الأصولي أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي (توفي في أوائل القرن السادس الهجري) قال ما نصه:

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، الغزالي، (ج١، ص١٠٨).

(٢) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٣) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٤.

(٤) ابن الحاج، **المدخل**، (ج٢، ص٢٠٠).

«ووجه ذلك أن الاستواء قد يذكر ويراد به الاستقرار، وقد يذكر ويراد به الاستيلاء فيحمل على الاستيلاء دفعا للتناقض، وإنما خص العرش بالذكر تعظيمًا له كما خصه بالذكر في قوله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[1] وإن كان هو رب كل شيء».

١٨- الحافظ الكبير محدث الشام المؤرخ أبو القاسم ابن عساكر (ت٥٧١هـ): قال ما نصه: «خلق السماء كما يشاء بلا دعائم مستقلة لا للتحيز كي تكون لذاته جهة مقلة رب على العرش استوى قهرًا وينـزل لا بنقلة».

١٩- الإمام الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي (ت ٥٩٧هـ) في كتابه «**دفع شبه التشبيه**» ما نصه[2]: «استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته».

٢٠- المفسر فخر الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ) قال في تفسيره ما نصه[3]: «فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ».

وقال في موضع ءاخر ما نصه[4]: «قال بعض العلماء: المراد من الاستواء الاستيلاء». وقال في كتابه «**أساس التقديس**» ما نصه: «وإذا

---

(١) سورة **التوبة**، ءاية ١٢٩.

(٢) ابن الجوزي، **دفع شبه التشبيه**، (ج١، ص٢٣).

(٣) الرازي، **تفسير الرازي**، (ج٩، ص١٣٤).

(٤) الرازي، **تفسير الرازي**، (ج١٠، ص١٥٣).

ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار، فوجب أن يكون المراد هو الاستيلاء والقهر وهذا مستقيم على قانون اللغة، قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق».

٢١- الشيخ المتكلم سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي (ت ٦٣١هـ) ذكر في كتابه «**أبكار الأفكار**» أن تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر هو من أحسن التأويلات وأقربها.

٢٢- الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ) في كتابه «**الإشارة إلى الإيجاز**».

٢٣- الشيخ الفقيه القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

٢٤- المفسر القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥هـ) قال في تفسيره «**أنوار التنـزيل**» ما نصه[١]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۝٥٤﴾[٢]: استوى أمره أو استولى».

٢٥- المفسر أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ) قال في تفسيره «**مدارك التنـزيل**» ما نصه[٣]: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٤]: استولى، عن الزجاج».

٢٦- اللغوي محمد بن مكرم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ) قال في كتابه «**لسان العرب**» من غير أن يتعرض لتفسير

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (ج٢، ص٢٢٧).

(٢) سورة **الأعراف**، اية ٥٤.

(٣) النسفي، **مدارك التنزيل**، (ج٣، ص٤٧).

(٤) سورة **طه**، اية ٥.

ءاية الاستواء ما نصه[1]: «استوى: استولى، وقهر».

٢٧- المحدث الفقيه ابن المعلم القرشي (ت ٧٢٥هـ): ذكر في كتابه «**نجم المهتدي**» معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء المجرد عن معنى المغالبة، ولم يعترض على هذا التفسير، نقله الكوثري في تعليقه على «**الأسماء والصفات**».

٢٨- الشيخ أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جهبل الحلبي الشافعي (ت ٧٣٣هـ) قال في رسالته التي ألفها في نفي الجهة عن الله ردًا على ابن تيمية ما نصه: «والاستواء بمعنى الاستيلاء». نقله التاج السبكي في «**طبقاته**»[2].

٢٩- القاضي محمد بن إبراهيم الشافعي الشهير ببدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) قال في كتابه «**إيضاح الدليل**»[3] ما نصه: «فقوله تعالى ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[4] يتعين فيه معنى الاستيلاء والقهر لا القعود والاستقرار».

٣٠- الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المغربي المالكي المعروف بابن الحاج (ت ٧٣٧هـ) كان من أصحاب العلامة الولي العارف بالله الزاهد المقرئ ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى ونفعنا به. ذكر في كتابه «**المدخل**» ما نصه[5]: «وَالِاسْتِوَاءُ فِي قَوْله تَعَالَى

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (ج١٤، ص٤٠٨).

(٢) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، (ج٩، ص٢٧).

(٣) ابن جماعة، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، (ج١، ص١٠٣).

(٤) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٥) ابن الحاج، **المدخل**، (ج٢، ص٢٠٠).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] مَعْنَاهُ اسْتَوْلَى قَالَهُ الْوَاحِدِيُّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْقَهْرُ، وَالْغَلَبَةُ».

٣١- الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الشافعي المعروف بابن اللبان (ت ٧٤٩هـ) في كتابه «**إزالة الشبهات**».

٣٢- القاضي عبد الرحمٰن بن أحمد الإيجي[2] (ت ٧٥٦هـ) في كتابه «**المواقف**».

٣٣- الإمام الفقيه تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت٧٥٦هـ) قال في كتابه «**السيف الصقيل**» ما نصه[3]: «فالمقدم على هذا التأويل أي تأويل الاستواء بالاستيلاء لم يرتكب محذورا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه».

٣٤- اللغوي المفسر أحمد بن يوسف الشافعي المعروف بالسمين الحلبي[4] (ت ٧٥٦هـ) قال في كتابه «**عمدة الحفاظ**» ما نصه:

---

(١) سورة **الأعراف**، اية ٥٤.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفّار، أبو الفضل عضد الدين الإيجيّ، عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج «بفارس». ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظامًا، وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونًا. من تصانيفه: «المواقف» في علم الكلام، و«العقائد العضدية»، و«الرسالة العضدية» في علم الوضع، و«جواهر الكلام»، و«شرح مختصر ابن الحاجب»، و«الفوائد الغياثية». توفي سنة ٧٥٦هـ. الزركليّ، **الأعلام**، (ج٣، ص٢٩٥).

(٣) السبكي، **السيف الصقيل**، (ج١، ص١٨٨).

(٤) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبيّ، أبو العبّاس، شهاب الدين المعروف بالسمين، مفسّر، عالم بالعربيّة والقراءات، شافعيّ، من أهل حلب. استقرّ واشتهر في القاهرة، من كتبه: «تفسير القرآن»، و«القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز»، و«الدرّ المصون»، و«عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ»، و«شرح الشاطبية» في القراءات. قال ابن الجزريّ: «لم يسبق إلى=

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]: أي استولى».

٣٥- القاضي محمود بن أحمد القونوي الحنفي المعروف بابن السراج (ت ٧٧٠هـ ويقال ٧٧١هـ) كما في كتابه «**القلائد**».

٣٦- اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) قال في كتابه «**بصائر ذوي التمييز**» عند ذكر معاني الاستواء ما نصه[2]: «بمعنى القهر والقدرة: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۝٥٤﴾[3]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[4]».

٣٧- الشيخ الفقيه تقي الدين الحصني الشافعي (ت ٨٢٩هـ) قال في كتابه «**دفع شبه من شبه وتمرد**» في معرض بيان معنى الاستواء في اللغة ما نصه[5]: «ومنها الاستيلاء على الشيء».

٣٨- الفقيه الأصولي كمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي المعروف بابن الهمام[6] (ت ٨٦١هـ) قال في كتابه «**المسايرة**» ما نصُّه: «أما كون

= مثله». توفّي سنة ٧٥٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٧٤).

(١) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٢) الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، (ج١، ص٤٤٤).

(٣) سورة **الأعراف**، ءاية ٥٤.

(٤) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٥) الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد**، (ج١، ص٩).

(٦) ابن الهُمَام، محمّد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري، كمال الدين، المعروف بابن الهُمَام، إمام من علماء الحنفية، عارف بأصول الدين والتفسير والفرائض والفقه والحساب، جاور بالحرمين. من كتبه: «فتح القدير»، وهو ثماني مجلدات في فقه الحنفية، و«المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة». ولد ٧٩٠هـ، توفي سنة ٨٦١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٥٥).

المراد أنه أي الاستواء استيلاؤه على العرش فأمر جائز».

٣٩- الشيخ محمد بن سليمان الكافيجي[١] (ت ٨٧٩هـ) أحد مشايخ السيوطي قال في كتابه «**التيسير**» ما نصه: «أما التأويل في العرف فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه ليكون ذلك موافقًا للأصول كما إذا قال القائل: الظاهر أن المراد من الاستواء في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٢] هو الاستيلاء بما لاح لي من الدليل فذلك تأويل برأي الشرع».

٤٠- المحدث الشيخ قاسم بن قطلوبغا[٣] الحنفي (ت ٨٧٩هـ) قال في حاشيته على «**المسايرة**» ما نصه: «قال أهل الحق بأن الاستواء مشترك بين معان، والمعنى الأليق الاستيلاء».

٤١- الشيخ كمال الدين محمد بن محمد الشافعي المعروف بابن أبي شريف[٤] (ت ٩٠٦هـ) شارح كتاب «**المسايرة**» لابن الهمام الذي مر

---

(١) محمّد بن سليمان بن سعد بن مسعود الروميّ الحنفيّ، محيي الدين، أبو عبد الله الكافِيَجِيّ، من كبار العلماء بالمعقولات، روميّ الأصل، اشتهر بمصر، ولازمه السيوطيّ ١٤ عامًا، وعرف بالكافِيَجيّ لكثرة اشتغاله بالكافِيَة في النحو، وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، أكثر تصانيفه رسائل، منها: «مختصر في علم التاريخ»، و«أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة». ولد ٧٨٨هـ، وتوفّي ٨٧٩هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص١٥٠).

(٢) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٣) قاسم بن قُطْلوبُغَا، زين الدين، أبو العدل السودونيّ «نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخونيّ» الجماليّ، عالم بفقه الحنفية، مؤرخ، باحث، مولده ووفاته بالقاهرة. قال السخاويّ في وصفه: «إمام علامة، طلق اللسان، قادر على المناظرة». له: «تاج التراجم» في علماء الأحناف، و«غريب القرآن»، و«تقويم اللسان»، و«نزهة الرائض في أدلّة الفرائض»، و«تراجم مشايخ شيوخ العصر». ولد سنة ٨٠٢هـ، وتوفي سنة ٨٧٩هـ. الزركليّ، الأعلام، (ج٥، ص١٨٠).

(٤) كمال الدين محمّد بن محمّد بن أبي بكر بن عليّ بن أبي شريف المقدسيّ، أبو المعالي،=

ذكره ووافقه على التأويل باستولى.

٤٢- قال الحافظ السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) في كتابه «**الكنز المدفون**» ما نصه: «خص أي الله الاستواء عليه أي العرش وهو استواء استيلاء، فمن استولى على أعظم المخلوقات استولى على ما دونه».

٤٣- الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي (ت ٩٢٣هـ) كما في شرحه على البخاري.

٤٤- القاضي الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري المصري الشافعي (ت ٩٢٦هـ) كما في كتابه «**غاية الوصول شرح لب الأصول**».

٤٥- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد المنوفي[١] المالكي المصري (ت ٩٣٩هـ) قال في كتابه «**كفاية الطالب**» ما نصه[٢]: «معنى استوائه على عرشه أن الله تعالى استولى عليه استيلاء ملك قادر قاهر، ومن استولى على أعظم الأشياء كان ما دونه منطويًا تحته، وقيل الاستواء بمعنى العلو أي علو مرتبه ومكانة لا علو المكان».

= كمال الدين بن الأمير ناصر الدين، عالم بالأصول، من فقهاء الشافعيّة، من أهل بيت المقدس، مولدًا ووفاةً، نعته ابن العماد بالإمام، شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام. ولد سنة ٨٢٢هـ، وتوفي سنة ٩٠٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٥٣).

(١) أبو الحسن الـمَنُوْفيّ، عليّ بن محمّد بن محمّد بن خلف المنوفيّ المصريّ الشاذليّ، من فقهاء المالكيّة. مولده بالقاهرة. له تصانيف، منها: «عمدة السالك» في الفقه، و«تحفة المصلّي»، و«كفاية الطالب الربانيّ»، و«معونة القاري لصحيح البخاري» وهو شرح مفصّل، و«شرح صحيح مسلم». ولد ٨٥٧هـ، توفّي ٩٣٩هـ. ١٥٣٢م. الزركلي، **الأعلام**، (ج٥، ص١١).

(٢) العدوي، **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب**، (ج١، ص١٧٣).

٤٦- المفسر محمد بن مصطفى الحنفي المعروف بشيخ زاده[١] (ت ٩٥١هـ) كما في «**حاشيته على تفسير البيضاوي**» فقد قال: «ولا يتوهم من استوائه على العرش كونه معتمدًا عليه مستقرًا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ونزل لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى لاتفاق المسلمين على أنه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ [له] وأنه لا يحتاج إلى شيء مما سواه بل المراد من الاستواء على العرش والله أعلم الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف، وخص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق».

٤٧- الشيخ يوسف بن عبد الله الأرميوني[٢] الشافعي (ت ٩٥٨ هـ) في كتابه «**القول المعتمد**».

٤٨- المفسر القاضي أبو السعود محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ) في تفسيره «**إرشاد العقل السليم**».

---

(١) محمّد بن مصطفى الحنفيّ المعروف بشيخ زاده القوجويّ، مفسّر، من فقهاء الحنفية. كان مدرّسًا في إستانبول. له: «حاشية على أنوار التنزيل للبيضاويّ»، قال الحاج خليفة: «وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة»، و«شرح الوقاية» في الفقه، و«شرح الفرائض السراجية»، و«شرح المفتاح للسكاكيّ»، و«شرح البردة»، و«حاشية على مشارق الأنوار للصاغانيّ». توفّي سنة ٩٥١ هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٧، ص٩٩).

(٢) يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسينيّ، الأَرْمَيُوْنيّ، المصري، الشافعيّ، جمال الدين، فاضل، من تلاميذ السيوطي، و«أرميون» قرية بغربية مصر. له كتب، منها: «أربعون حديثا تتعلّق بسورة الإخلاص»، و«أربعون حديثًا تتعلّق بآية الكرسيّ»، و«المعتمد، في تفسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»، و«رسالة في تجويد القرآن»، و«تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين». توفّي سنة ٩٥٨ هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٨، ص٢٤٠، ٢٤١).

٤٩- الشيخ أحمد بن غنيم النفراوي المالكي الأزهري (ت ١١٢٦هـ) في كتابه «**الفواكه الدواني**» قال ما نصه[١]: «استوى أي استولى بالقهر والغلبة استيلاء ملك قاهر وإلـٰه قادر، ويلزم من استيلائه تعالى على أعظم الأشياء وأعلاها استيلاؤه على ما دونه».

٥٠- الشيخ المفسر سليمان بن عمر الشهير بالجمل[٢] الشافعي (ت ١٢٠٤هـ) نقل في «**حاشيته على تفسير الجلالين**» [٣] عن شيخه ما نصه: «طريقة الخلف التأويل بتعيين محمل اللفظ فيؤولون الاستواء بالاستيلاء».

٥١- الحافظ اللغوي الفقيه محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) قال في «**شرح الإحياء**» ما نصه: «وإذا خيف على العامة لقصور فهمهم عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا الاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء صيانة لهم من المحذور، فإنه قد ثبت إطلاقه وإرادته لغة».

٥٢- الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد المدعو ابن كيران[٤] المالكي

---

(١) النفراوي، **الفواكه الدواني**، (ج١، ص٢١٤).

(٢) سليمان الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيليّ الأزهريّ، المعروف بالجمل، فاضل من أهل منية عجيل إحدى قرى الغربية بمصر. انتقل إلى القاهرة. له مؤلفات، منها: «الفتوحات الإلـٰهية»، و«المواهب المحمّدية بشرح الشمائل الترمذية»، و«فتوحات الوهّاب» حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعيّة. توفي سنة ١٢٠٤ هـ. الزركليّ، **الأعلام**، (ج٣، ص١٣١).

(٣) السيوطي والمحلي، **تفسير الجلالين**، (ج٢، ص٢٨٥).

(٤) محمّد الطيّب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كِيْرَان، فاضل مالكي، من فقهاء فاس. له تصانيف، منها: «شرح الحكم العطائية»، و«منظومة في المجاز والاستعارة»، ورسالة له في «دفع وصمة الشرك عن جمهور مسلمي العصر»، و«حاشية على أوضح المسالك». ولد سنة=

(ت ١٢٢٧هـ) في شرحه على «**المرشد المعين على الضروري من علم الدين**»[١] مفسرًا الاستواء على العرش بالقهر والغلبة لقوله:

فلما علونا واستوينا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله:

قد استوى بشر على العراق مـن غير سيف ودم مهراق

وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات، ومن استولى على أعظمها كان استيلاؤه على غيره أحرى».

٥٣- الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي[٢] (ت١٢٤١هـ) كما في شرحه على جوهرة التوحيد.

٥٤- المحدث أبو عبد الرحمن محمد بن درويش الحوت البيروتي الشافعي (ت١٢٧٦هـ) قال في رسالته «**الدرة البهية في توحيد رب البرية**» ما نصه: «وقد أول الخلف الاستواء بالقهر والاستيلاء على العرش».

٥٥- الشيخ إبراهيم محمد البيجوري الشافعي (ت ١٢٧٧هـ) كما في شرح «**جوهرة التوحيد**».

= ١١٧٢هـ، وتوفّي سنة ١٢٢٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص١٧٨).

(١) ابن كيران، **شرح المرشد المعين على الضروري من علم الدين**، (ج١، ص٤٤٨).

(٢) أحمد الصاوي المالكيّ، أحمد بن محمّد الخلوتيّ، الشهير بالصاوي، فقيه مالكي، نسبته إلى «صاء الحجر» في إقليم الغربية، بمصر، توفّي بالمدينة المنورة. من كتبه: «حاشية على تفسير الجلالين»، و«الفرائد السنيّة» شرح همزية البوصيريّ. ولد سنة ١١٧٥هـ، وتوفي سنة ١٢٤١هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٤٦).

٥٦- الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين[١] الدمشقي الحنفي (ت ١٣٠٦هـ) في كتابه «**الهدية العلائية**» قال ما نصه: «وقالوا: «استوى» بمعنى استولى».

٥٧- الشيخ محمد بن محفوظ الترمسي الأندنوسي (ت ١٣٣٨هـ) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٢]: «فالظاهر من ذلك ليس مرادًا اتفاقًا، ثم السلف يفوضون علم حقيقته على التفصيل إلى الله، والخلف يؤولونه إلى أن المراد من الاستواء الاستيلاء والملك على حد قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق».

٥٨- الشيخ الفقيه المفسر المتكلم محمد نووي الشافعي الجاوي (ت ١٣١٦هـ) في تفسيره.

٥٩- الشيخ إدريس بن أحمد الوزاني الفاسي[٣] (ت ١٣١٦هـ) في «**نشر الطيب**» قال: «الاستواء يطلق لغة على الاستقرار على الشيء ولكن لا يحمل على ظاهره كما تقول المشبهة بل المراد لازمه الذي هو

---

(١) ابن عابدين، محمّد علاء الدين بن محمّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الحسينيّ الدمشقيّ، فقيه حنفيّ، من علماء دمشق، وليَ كثيرًا من مناصب القضاء، وسافر إلى الآستانة. من كتبه: «قرّة عيون الأخيار»، أكمل به حاشية والده على «الدرّ المختار» في فقه الحنفية، وله «معراج النجاح شرح نور الإيضاح»، و«الهدية العلائية»، ورسالة في «زلّة القارئ». ولد سنة ١٢٤٤هـ، وتوفّي سنة ١٣٠٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢٧٠).

(٢) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٣) إدريس العلوي، إدريس بن أحمد بن أبي بكر بن أبي زكري الحسني العلوي، وعرفه بعضهم بالفضيلي، نسابة، له نظم، من فضلاء المغرب. مولده ووفاته بفاس. اشتهر بكتابه «الدرر البهية والجواهر النبوية». ولد سنة ١٢٦٠هـ، وتوفي سنة ١٣١٦هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج١، ص٢٧٨).

الاستيلاء بالقهر والغلبة».

٦٠- شيخ الأزهر في مصر الأستاذ سليم البشري[١] (ت ١٣٣٥هـ): قال في فتوى له نقلها الشيخ سلامة العزامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «**فرقان القرءان**»: «إن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما هو رأي الخلف».

٦١- الشيخ طاهر بن محمد الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨هـ) كما في كتابه «الجواهر الكلامية».

٦٢- الشيخ عبد المجيد الشرنوبي[٢] المصري الأزهري المالكي (ت ١٣٤٨هـ) كما في شرحه على «**تائية السلوك**» وفي «**تقريب المعاني**».

٦٣- الشيخ محمد بن محمد خطاب السبكي الأزهري (ت ١٣٥٢هـ) كما في كتابه «**إتحاف الكائنات**».

٦٤- الشيخ عثمان بن حسنين بري الجعلي المالكي (انتهى المؤلف من شرحه سنة ١٣٦٤هـ) قال في كتابه «**سراج السالك شرح أسهل المسالك**» ما نصه: «وتؤول الاستواء على العرش بالقهر والغلبة بمعنى أن الله تعالى مالك للعرش وما حواه».

---

(١) سليم البشريّ، سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البشريّ، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء المالكيّة. ولد في محلة بشر من أعمال شبرخيت بمصر، وتعلّم وعلّم في الأزهر، وتولّى نقابة المالكيّة، ثم مشيخة الأزهر مرتين، وتوفي بالقاهرة. له: «المقامات السنية في الردّ على القادح في البعثة النبوية». ولد سنة ١٢٨٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٥هـ. الزركليّ، **الأعلام**، (ج٣، ص١١٩).

(٢) عبد المجيد الشُّرنُوبيّ، أبو محمّد، فقيه مالكيّ مصريّ أزهريّ. له كتب، منها: «شرح مختصر ابن أبي جمرة» في الحديث، و«المحاسن البهية على متن العشماوية» في فقه المالكيّة، و«إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك»، و«شرح الأربعين النووية»، و«مختصر كتاب الشمائل المحمّدية». توفي سنة ١٣٤٨هـ. الزركليّ، الأعلام، (ج٤، ص١٤٩).

٦٥- الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني[1] (ت ١٣٦٧هـ) هو مدرس علوم القرءان والحديث في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر بمصر، قال في كتابه «**مناهل العرفان**» طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في دراسة تخصص الكليات الأزهرية ما نصه: «وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون: إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف لأن اللغة تتسع لهذا المعنى».

٦٦- الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) كان وكيل مشيخة الإسلام بالاستانة، ووافق في «**تكملة الرد على نونية ابن القيم**» الحافظ الفقيه السبكي على تأويل الاستواء بالاستيلاء.

٦٧- الشيخ سلامة القضاعي العزامي (ت ١٣٦٧هـ) كما في كتابه «**البراهين الساطعة**»، ورسالته «**فرقان القرءان**».

٦٨- كتاب «**العقيدة الإسلامية**»: التوحيد من الكتاب والسنة.

٦٩- الشيخ إبراهيم الدسوقي وزير الأوقاف سابقًا مصر.

٧٠- وكذا في كتاب «**مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم**» بدولة الإمارات العربية المتحدة.

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، و«بحث» في الدعوة والإرشاد. توفي سنة ١٣٦٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص٢١٠).

٧١- قال الشيخ محمد الحامد[١] في كتابه «**ردود على أباطيل**»[٢]: «وإن استواء الله على عرشه يجري فيه مذهبان للسلف والخلف، فالسلف يفوضون معناه إلى الله تعالى مع التنـزيه، والخلف يؤولونه بالاستيلاء على العرش وهو أعظم المكونات، فهو إذن مستول على غيره بالأولى من غير استعصاء سابق لا من العرش ولا من غيره».

٧٢- الشيخ عبد الكريم المدرس[٣] في كتابه «**الوسيلة**».

٧٣- الشيخ العلامة المحدث عبد الله الهرري الشافعي قال في «**شرح العقيدة الطحاوية**» ما نصه: «يفهم من الاستواء القهر والاستيلاء إذ هو أشرف معاني الاستواء، وهو مما يليق بالله تعالى لأنه وصف نفسه بأنه قهار، فلا يجوز أن يترك ما هو لائق بالله تعالى إلى ما هو غير لائق بالله تعالى وهو الجلوس والاتصال والاستقرار».

(١) محمد الحامد، مدرس وخطيب جامع السلطان بحماه.

(٢) محمد الحامد، **ردود على أباطيل**، (ج٢ ص١٩).

(٣) عبد الكريم البياري المدرس، مفتي العراق، إمام وخطيب جامع الأحمدي، والمدرس في الحضرة الكيلانية ببغداد.

بيان مسلك العلماء في تأويل ءاية الاستواء

اعلم أن لعلماء أهل الحق مسلكين كل منهما صحيح:

الأول: مسلك السلف وهم من كان من أهل القرون الثلاثة الأولى قرن أتباع التابعين وقرن التابعين وقرن الصحابة وهو قرن الرسول ﷺ، هؤلاء يسمون السلف، والغالب عليهم أن يؤولوا الآيات المتشابهة تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعيين معنى خاص كآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] وغيرها من المتشابه بأن يقولوا بلا كيف أو على ما يليق بالله، وهذا يقال له تأويل إجمالي، أي قالوا استوى استواء يليق به مع تنـزيهه عن صفات الحوادث، ونفوا الكيفية عن الله تعالى أي من غير أن يكون بهيئة ومن غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وغيرها مما هو صفة حادثة.

هذا مسلك غالب السلف ردّوها من حيث الاعتقاد إلى الآيات المحكمة كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ۝١١﴾[2]، وتركوا تعيين معنًى معيّن لها مع نفي تشبيه الله بخلقه.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله». يعني رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية الجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

---

(١) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

قال الحافظ البيهقي في «**الأسماء والصفات**» ما نصه[1]: «فأما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في أمثال ذلك».

وقال في موضع ءاخر ما نصه[2]: «وحكينا عن المتقدمين من أصحابنا ترك الكلام في أمثال ذلك، هذا مع اعتقادهم نفي الحد والتشبيه والتمثيل عن الله سبحانه وتعالى».

ثم أسند إلى أبي داود قوله[3]: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر، قال أبو داود: وهو قولنا. قلت: وعلى هذا مضى أكابرنا».

وقال في موضع ءاخر[4]: «حدثنا الأوزاعي عن الزهري ومكحول قالا: أمضوا الأحاديث على ما جاءت».

ثم قال: «سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه أي ظاهرها يوهم ذلك فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية».

وقال في موضع ءاخر[5]: «عن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٧).

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٢٦).

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٢٦).

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٥٣).

(٥) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٣٠).

تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه».

وقال الإمام مالك: «الرحمـٰن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع»، وفي رواية: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول». رواهما البيهقي في «الأسماء والصفات»[1].

وقال الإمام أحمد عندما سئل عن الاستواء[2]: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر».

والثاني: مسلك الخلف وهم الذين جاءوا بعد السلف، وهم يؤولونها تفصيلًا بتعيين معانٍ لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها أيضا كالسلف، فيقولون استوى أي قهر، ومن قال استولى فالمعنى واحد أي قهر، ولا بأس بسلوكه ولا سيما عند الخوف من تزلزل العقيدة حفظًا من التشبيه.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «**الاعتقاد**» ما نصه[3]: «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا يعني المتشابه ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب «الأسماء والصفات» في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب».

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٨).

(٢) الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد**، (ص١٧).

(٣) البيهقي، **الاعتقاد**، (ص٧٢).

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه «**الإنصاف**» ما نصه[1]: «إنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال ولا القيام ولا القعود لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۚ﴾[3]، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك.

فإن قيل أليس قد قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[4].

قلنا: بلى قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار ولا مكان أي لا نقول إن العرش مكان له لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان».

وقال البيضاوي في تفسيره ما نصه[5]: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾[6] استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منـزها عن الاستقرار والتمكن».

فالحاصل أن الذي لا يحمل الآيات المتشابهة على ظاهرها بل يقول لها

---

(١) الباقلاني، **الإنصاف**، (ص٦٤، ٦٥).

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

(٣) سورة **الإخلاص**، ءاية ٤.

(٤) سورة **طه**، ءاية ٥.

(٥) البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، (م٢، ج٣، ص١٢).

(٦) سوة **الأعراف**، ءاية ٥٤.

معان لا أعلمها تليق بالله تعالى غير هذه الظواهر فهذا سَلِمَ، وذلك كأن يقول: استواء الله على العرش له معنى غير الجلوس وغير الاستقرار وغير استواء المخلوقين لكن لا أعلمه، وهذا المسلك هو الغالب على السلف حيث لا يخوضون بتأويلها وتعيين معان لها مع اعتقادهم تنـزيه الله عن الجلوس والاستقرار. وكذلك الذي يقول استواء الله على العرش هو قهره للعرش سَلِمَ من التشبيه. فالأول هو التأويل الإجمالي أي يقول استوى استواء يليق به من غير أن يفسره بالقهر، والثاني هو التأويل التفصيلي أي يقول استوى معناه قهر، فمن شاء أخذ بذاك ومن شاء أخذ بهذا.

أما الوهابية فليسوا على ما كان عليه السلف ولا الخلف، بل هم على مسلك المجسمة المشبهة لأن الوهابية حملوا الاستواء على الاستقرار ومنهم من حمله على الجلوس فوقعوا في تشبيه الله بخلقه، فلا يقال عنهم «السلفيون» أو «السلفية» وإن سموا أنفسهم بذلك ليخدعوا الناس أنهم على مذهب السلف، وقد علمت أن مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنـزيه دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل:

وكـــل يـدعـي وصـــلا بليلى ولـيـلـى لا تـقـر لـهـم بـذاكـا

المبحث الثاني

تأويل قوله تعالى

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾[1]

الله تعالى وصف نفسه في القرءان بأنه قاهرٌ لعباده.

قال القشيري: «فالرب إذا موصوفٌ بالعلو وفوقيّة الرُتبة والعظمة، ومنزّهٌ عن الكون في مكان أو عن الكون بمحاذاة مكان». وقال: «لولا أنّ هؤلاء المشبهة ضللوا بعض الناس الذين ما تعلموا العلم ما كنتُ لطّختُ هذا الكتاب بذكرهم، وإنما ذكرتهم لأن هؤلاء أضر على الإسلام من اليهود والنصارى ومن المجوس وعبدة الأوثان لأن ضلالات هؤلاء ظاهرة يتجنّبُها المسلمون أما هؤلاء يُوردون آيات من القرءان ويفسّرونها تفسيرًا فاسدًا ليُضلّوا المسلمين، فإذا أخذ إنسان بأقوالهم من وصف الله سبحانه وتعالى بالأعضاء والجلوس والنزول من فوق إلى تحت والاتكاء والاستلقاء والتردد في الجِهات، من أخذ بكلامهم يعتقد في الله تبارك وتعالى الشَّبَه في المخلوقين ويتخيّل بخياله أشياءَ مخلوقة، يصف الله بها، فيعتقد الفضائح، فيأخُذُه السيل وهو لا يدري».

وفي هذا رد على الوهابية المجسمة أتباع ابن تيمية وابن القيم وابن باز[2]،

---

(١) سورة **الأنعام**، ءاية ٦١.

(٢) ابن باز (المجسم) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن، عَمِيَ وهو ابن ١٦ عامًا، وتلقى علومه من رؤوس المشبهة المجسمة في عصره، وبدأ بنشر سمومه وله الكثير من الرسائل التي تنضح بتشبيه الله تعالى، ومن كتبه: الكتاب المسمى «التحذير من البدع» وهو محشوّ بالبدع=

الذين زعموا أن معنى «الأعلى» في حق الله أنه علو بذاته، ونسبوا لله الجسم والحد، فجعلوا الله يسكن السماء ويجلس على العرش والعياذ بالله، وكل هذا تكذيب للقرءان والأحاديث الصريحة في تنزيه الله عن الجهة والمكان.

قالَ أهلُ الحقّ: «ليس الشأنُ في عُلوّ الجهةِ بل الشأنُ في علوّ القدرِ، والفوقية في لغةِ العربِ تأتي على معنيينِ فوقية المكانِ والجهةِ وفوقية القهرِ، قال الله تعالى إخبارًا عن فرعون ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[1] أي نحنُ فوقَهُم بالقوةِ والسيطرةِ لأنه لا يصحُّ أن يقالَ إن فرعونَ أرادَ بهذا أنه فوقَ رقابِ بني إسرائيلَ إلى جهةِ العلوّ إنما أرادَ أنهُم مقهورونَ لَهُ مغلوبونَ.

فقول الله تعالى إخبارًا عن فرعون الكافر معناه علو القهر. وكذا قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿٦١﴾﴾[2] أي فوقية القوة والسيطرة وليس فوقية المكان. فلهذا نص العلماء أن الفوقية والعلو إذا أطلق على الله فالمراد منه علو قدر وفوقية قهر سبحانه وتعالى وليس علو مكان وجهة لأن الله كان قبل الخلق والمكان والجهات بلا مكان كما أجمع كل علماء أهل السنة على ذلك ونص على ذلك ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري.

هذا وقد قال أبو عبد الله القرطبي[3]: «ومعنى ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة. وفي القهر معنًى زائدٌ ليس

= الغريبة، والكتاب المسمى «الفوائد الجلية في المباحثات الفرضية»، وغيرهما، توفي سنة ١٤٢٠هـ.

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ١٢٧.

(٢) سورة **الأنعام**، ءاية ٦١.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٦، ص٣٩٩).

في القدرة، وهو منع غيره من بلوغ المراد».

وقال أيضًا: «ومعنى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ۝٥٠﴾[1] أي عقاب ربهم وعذابه لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء. وقيل: المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم، ففي الكلام حذف، وقيل معنى يخافون ربهم من فوقهم يعني الملائكة يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة، ومع ذلك يخافون، فلأن يخاف من دونهم أولى. دليل هذا القول قوله تعالى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[2] يعني الملائكة»[3].

وقال البغوي في تفسيره: «﴿ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالب.. ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: هو صفة الاستعلاء[4] الذي تفرد به الله عز وجل»[5].

(١) سورة **النحل**، ءاية ٥٠.

(٢) سورة **التحريم**، ءاية ٦.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج١٠، ص١١٣).

(٤) ليس المراد بالاستعلاء الاستعلاء الحسي.

(٥) البغوي، **تفسير البغوي**، (ج٢، ص٨٩).

المبحث الثالث

تأويل قوله تعالى

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[1]

قال الحافظ النووي في «**شرح صحيح مسلم**» ما نصه[2]: «قال القاضي عياض المالكي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[3] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم».

وكذا قال المفسرون من أهل السنة والجماعة كفخر الدين الرازي في تفسيره[4] وأبي حيان الأندلسي في تفسيره «**البحر المحيط**»[5] وأبي السعود الحنفي في تفسيره[6] والمفسر محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره «**الجامع لأحكام القرءان**»[7] وفي كتاب «**صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي**

---

(١) سورة **الملك**، ءاية ١٦.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، (ج٥، ص٢٤). محمد خطاب السبكي، **إتحاف الكائنات**، (ص١٨). القاضي عياض، **إكمال المعلم**، (ج٢، ص٤٦٥).

(٣) سورة **الملك**، ءاية ١٦.

(٤) الرازي، **تفسير الرازي**، (ج٣٠، ص٩٩).

(٥) أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، (ج١٠، ص٢٢٦).

(٦) أبو السعود الحنفي، **تفسير أبي السعود**، (ج٩، ص٧).

(٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج١٧، ص٢١٥).

والأحاديث»[١] والإمام أبي القاسم القشيري في تفسيره المسمى «**لطائف الإشارات**»[٢] وإمام أهل السنة والجماعة الإمام أبي منصور الماتريدي في تفسيره «**تأويلات أهل السنة**»[٣] وعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي في «**حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**»[٤] وأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي في تفسيره المسمى «**روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني**»[٥] والشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري في «**تفسير الخطيب الشربيني**»[٦] والإمام الشيخ ميمون ابن محمد النسفي في كتابه «**بحر الكلام**»[٧] والشيخ شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن ابراهيم المعروف بالسمين الحلبي في كتابه «**الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**»[٨] والمفسر محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي في «**حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي**»[٩] وأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري في كتابه «**الوسيط في تفسير القرءان المجيد**»[١٠] وإمام الحرمين أبي المعالي

---

(١) القرطبي، **صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث**، (ص١٥٣).

(٢) القشيري، **لطائف الإشارات**، (ج٣، ص٣٣٩).

(٣) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، (ج١٠، ص١١٧).

(٤) القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي**، (ج١٩، ص٢٠).

(٥) الآلوسي، المسمى **روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني**، (ج١٥، ص١٧).

(٦) الشربيني، **تفسير الخطيب الشربيني**، (ج٤، ص٣٧٦).

(٧) أبو المعين النسفي، **بحر الكلام**، (ص١٢١).

(٨) السّمين، **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**، (ج٦، ص٣٤٥).

(٩) البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، (ج٨، ص٢٨٠).

(١٠) الواحدي، **الوسيط في تفسير القرءان المجيد**، (ج٤، ص٣٢٩).

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي في كتابه «**الشامل في أصول الدين**»[1] وعبارة القرطبي في تفسيره لهذه الآية قال: «قال ابن عباس: قيل هو إشارة إلى الملائكة وقيل إلى جبريل وهو الموكل بالعذاب».

وكن على ذكر لما نقله الإمام المفسر القرطبي أيضًا في كتابه «**صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث**»[2] الذي ذكرناه ءانفًا عن شيخه أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري أنه قال: «لا خلاف بين المسلمين قاطبة محدثهم وفقيههم ومتكلمهم ومقلدهم ونظارهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[3] ليست على ظواهرها وأنها متأولة عند جميعهم».

ثم قال الإمام القرطبي: «قلت: وكذا قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[4] أي ءأمنتم خالق من في السماء».

وعبارة الإمام الجويني كما في كتابه «**الشامل في أصول الدين**» هي[5]: «ومما يسألون عنه، قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[6] وهذا يقرب وجه الكلام في ما سبق».

ثم قال: «ويجوز أن يريد الله بقوله ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾[7] ملكًا، مسلطًا،

---

(١) الجويني، **الشامل في أصول الدين**، (ص٣١٩).

(٢) القرطبي، **صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث**، (ص١٥٣).

(٣) سورة **الملك**، ءاية ١٦.

(٤) سورة **الملك**، ءاية ١٦.

(٥) الجويني، **الشامل في أصول الدين**، (ص٣١٩).

(٦) سورة **الملك**، ءاية ١٦.

(٧) سورة **الملك**، ءاية ١٦.

على عذاب مستوجبِ العذاب، وقد حمله بعض المتأولين على جبريل، فإنه الذي جعله الله جعل قرى قوم لوط عاليها سافلها، واقتلعها من حيث أراد الله، واحتملها على قادمة جناحه إلى أعناق السماء. وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾[1]، وهو الموكل على القرون الخالية. وفي وجوه التأويل متسع».

وقد قال أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري في كتابه «**الوسيط**» في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «لاستحالة أن يكون الله في مكان أو موصوفًا بجهة. وأهل المعاني يقولون: من في السماء هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل».

(١) سورة **التكوير**، ءاية ٢٠.

المبحث الرابع

تأويل قوله تعالى

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[1]

أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه سبحانه وتعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل عليه وجوه: **أحدها** ما ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان، وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث، فيلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب يجب أن يكون محدَثًا مخلوقًا، والإلـٰه القديم يستحيل أن يكون كذلك.

وثانيها أن كل ما يصح عليه الانتقال من مكان إلى مكان فإما أن يكون في الصغر كالجزء الذي لا يتجزأ، وهذا على الله محال باتفاق العقلاء، وإما أن لا يكون كذلك بل يكون شيئًا كبيرًا فيكون أحد جانبيه مغايرًا للآخر فيكون مركبًا من الأجزاء والأبعاض، وكل ما كان مركبًا فإن ذلك المركب يكون مفتقرًا في تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه وكل واحدٍ من أجزائه غيره، فكل مركب هو مفتقرٌ إلى غيره، وكل مفتقرٍ لغيره هو ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته فهو محتاج في وجوده إلى المرجّح والموجد، فكل ما كان كذلك فهو محدث مخلوق مسبوق بالعدم، والإلـٰه القديم يمتنع أن يكون كذلك.

---

(١) سورة **الفجر**، ءاية ٢.

وثالثها أن كل ما يصح عليه الانتقال من مكان إلى مكان فهو محدود ومتناه، فيكون مختصًّا بمقدار معين، مع أنه كان يجوز في العقل وقوعه على مقدار أزيد منه وأنقص، فاختصاصه بذلك القدر المعين لا بد وأن يكون لترجيح مرجح، وتخصيص مخصص، وكل ما كان كذلك كان فعلًا لفاعل مختار، وكل ما كان كذلك فهو محدث مخلوق، فالإلـٰه القديم الأزلي يمتنع أن يكون كذلك.

رابعها أنّا إذا جوزنا في الشيء الذي يصح عليه المجيء والذهاب أن يكون إلـٰهًا قديمًا أزليًّا فحينئذٍ لا يمكننا أن نحكم بنفي الإلـٰهية عن الشمس والقمر، فمن جوّز المجيء والذهاب على الله تعالى فلم لم يحكم بإلـٰهية الشمس، وما الذي أوجب عليه الحكم بإثبات موجود آخر يزعم أنه إلـٰه؟

فالله تعالى يستحيل عليه أن يكون في مكان، ومن استحال عليه المكان استحال عليه المجيء والذهاب، فإذا عرفت هذا نقول:

قولُ الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يُقدَّرُ فيه مضافٌ، أي جاء أمرُ ربِّك. وهذا يقال له عند علماء البيانِ مجازُ الحذف.

قال ابن عطية في تفسيره ما نصه: «وقوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ معناه: وجاء قدره وسلطانه وقضاؤه»[1].

وقال البغوي: «قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه. وقال الكلبي: ينزل حكمه»[2].

---

(١) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (ج١٥، ص٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) البغوي، **تفسير البغوي**، (ج٤، ص٤٨٦).

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه[1]: «ومنهم من ذكر أن معنى قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[2]، وقوله ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴿٢١٠﴾﴾[3]، أي: أمر الله، دليله ما ذكر في سورة النحل قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾﴾[4]، فذكر مكان قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[5]: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾﴾[6]».

وهذا التأويل ورد عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه أجاب حين سئل عنها: «جاء أمره»، وفي رواية: «جاءت قدرته»، أي آثار قدرته، معناه الله يظهر يوم القيامة أهوالًا عظيمة. وهذا يدل على أن الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه يُجوّز التأويل الذي هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله ولغة العرب. ولو كان الإمام أحمد مجسما كأدعياء السلفية في هذا الزمان لما أوّل الآية ولكان أخذ بظاهرها. أما المجسمة أدعياء السلفية فيقولون: «التأويل تعطيل»، والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته فيكونون بذلك حكموا على أحمد بالكفر لأنهم جعلوه معطّلا، فكيف بعد ذلك يدّعون الانتساب إليه. أحمد بن حنبل يُنزه الله عن أن يكون متصوَّرًا، فقد ثبت عنه أنه قال: «مهما تصوّرت ببالك فالله بخلاف ذلك»، رواه أبو

---

(١) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، (ص٥٢٣).

(٢) سورة **الفجر**، ءاية ٢.

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ٢١٠.

(٤) سورة **النحل**، ءاية ٣٣.

(٥) سورة **الفجر**، ءاية ٢.

(٦) سورة **النحل**، ءاية ٣٣.

الحسن التميمي الحنبلي في كتابه المسمّى «اعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل»[1]، وقوله هذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «**لا فكرة في الرّبِّ**» رواه أبو القاسم الأنصاري[2].

وقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «جاءت قدرته»، أي آثار قدرته، أي العجائب التي تَظهَرُ يوم القيامة. منها أن سبعين ألف ملَك يَجُرُّون جُزءًا كبيرًا من جَهَنَّم بسبعين ألف سلسلة الله أعلم بضخامتها، يقربونها من أرض الموقف بحيث يبقى بينها وبين أرض الموقف مسيرة أربعين سنة، فيراها الكفار قبل أن يدخُلُوا جَهَنَّم، فيزدادون رعبًا وخوفًا وقلقًا واضطرابًا. ولو كان يوجد موت هناك لمات الكفار من شدّة هول ذلك المنظر لكن هناك في الآخرة لا يوجد موت. في الدنيا مَن اشتَدَّ عليه الألم قد يموت، أمَّا في الآخرة فلا يموت.

وكذلك في ذلك اليوم تَظهَرُ عجائبُ أخرى. منها أن الذهبَ الذي كان الشخصُ لا يُزكّيه في الدنيا يُعيدُهُ اللهُ فيُحَمى في نار جَهَنَّم يصير مثل الجمر ثم يكوى به جنب وجبهة وظهر ذاك الذي كان لا يُزَكّيه. ويُعيدُ اللهُ البقرَ الذي كان لا يُزَكّيه الشَّخصُ فتنطحه بقرونها وكذلك الإبل تدوس بخفافها الشخص الذي كان لا يُزَكّيها.

وفي يوم القيامة ينزلُ ملائكةٌ كثر يُحيطون بالإنس والجنّ فلا يستطيع أحد

---

(١) أبو الفضل التميمي، **اعتقاد الإمام أحمد**، (ج١، ص٣٠١).

(٢) أبو القاسم الأنصاري، **شرح الإرشاد**، (ص٥٨، ٥٩). البغوي، **تفسير البغوي**، تفسير الآية: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾، (ج٧، ص٤١٧). السيوطي، **الدر المنثور**، (ج٧، ص٦٦٢). المتقي الهندي، **كنز العمال**، (ج٣، ص٣٦٩). القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج١٧، ص١١٥).

أن يخرج من هذا المكان، وهؤلاء الملائكةُ يكونون في سبعة صفوف.

وفي موقف من مواقف القيامة الكافرُ يُنكرُ أَنَّهُ كان يعبُدُ غيرَ الله، فيَختمُ اللهُ على فم الكافر فتنطقُ أعضاؤه، تشهَدُ عليه أعضاؤه بما كان يَعمَلُ من الكفر، هذا من العجائب التي يُظهرُها اللهُ يومَ القيامة. كذلك الأرض التي كان عملَ عليها الانسانُ شرًّا أو خَيرًا، اللهُ يُنطقُها، هذا الجزءُ من الأرض يشهَدُ عليه بما فَعَلَ من السيئات ويشهَدُ للمؤمن بما فَعلَ من الخيرات.

وكذلك في ذلك اليوم تَظهَرُ عجائبُ أخرى. هذه العجائب اللهُ قالَ عنها: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[1].

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[3]، وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴿١٧٤﴾﴾[4]، وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار. قُلْنَا: الْقِيَامَةُ مَوَاطِنُ، فَمَوْطِنٌ يَكُونُ فِيهِ سؤال وكلام، وموطن لَا يَكُونُ ذَلِكَ فِيهِ، فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان. قال عكرمة: «القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها». وقال ابن عباس: «لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[5]». قال أهل

---

(١) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

(٢) سورة **المطففين**، ءاية ١٥.

(٣) سورة **القصص**، ءاية ٧٨.

(٤) سورة **البقرة**، ءاية ١٧٤.

(٥) سورة **الحجر**، ءاية ٩٢، ٩٣.

التأويل: «عن لا إلـه إلّا الله». وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دثارهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإِيمان خالفوها وعاندوها، فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها: عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم.

فالحاصل أنّ أهلَ السُّنَّة يقولون: « ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، أي ظهَرَت عجائبُ قُدرة الله»، لا يقولون جاء الله من فوق إلى تحت، بل يعتقدون أن هذا القول كفر. أمّا الوهابيةُ فيقولون: «الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق»، جَعلوا اللهَ سبحانه وتعالى كالملِك الذي يُقابلُ الرعية. واللهُ تعالى يُحاسب الخَلقَ بكلامه الذي ليس حرفًا ولا صوتًا من غير مقابلة، فاللهُ مُستحيل أن يكونَ بينَهُ وبين شيءٍ من خلقه مُقابلة، إنّما يُحاسبهم بكلامه يُسمِعُهم كلامَه الذي هو ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً فيَفهمون منه السُّؤال: أعطيتك كذا وكذا يوم كذا، أنا أنعمتُ عليك بكذا لم فعلتَ كذا؟ والوقوفُ بينَ يدي الله ليس مَعناه أنَّ الخَلقَ يكونون في مُقابلة مع الله يومَ القيامة، اللهُ موجودٌ بلا مكان ولا جهة لا هو قريبٌ بالمسافة ولا هو بعيدٌ بالمسافة. الجسمُ إمَّا أن يَكونَ قريبًا منك بالمسافة أو بعيدًا عنك بالمسافة، القُربُ بالمسافة للحجم ليس لله، الذي يَظُنُّ أنَّ الوقوفَ بين يدي الله يوم القيامة معناه القرب منه بالمسافة هذا ما عَرَفَ الله. وهذا دأبُ الوهابيةِ الذين يُفَسّرُون ءايات القرءان على الظاهر وهذا لا يجوز، فالذي يُفَسّر كُلّ ءايات القرءان على الظاهر يَكفر كما قالَ سيّدُنا أحمدُ الرّفاعي رَضيَ اللهُ عنه: «صونوا عقائدكم من التّمسّك بظواهر ما تشابه من الكتاب والسّنّة فإن

---

(١) سورة **الفجر**، ءاية ٢٢.

ذلك من أصول الكفر»، أي أوقع كثيرًا من الناس فى الكفر.

وليحذر من كلام خالد الجندي[1] فإنه يقول في شريطه المسمى «الإيمان بالملائكة» باللهجة المصرية العامية: «أول ما يعلن إنّو ربنا سبحانه وتعالى جاي، ولله المثل الأعلى هو القرءان قايلك كده في سورة الفجر ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[2]».

الرد:

هذا الكلام فاسد وهو قوله (إنو ربنا جاي) فإن الجاهل قد يتوهم أن الله أفرغ مكانًا وملأ ءاخر، يوهم أن الله جسم وكمية وأتى إلى أرض القيامة ويوهم أن الله له مكان في جهة فوق. ثم من يعلن على زعمه أن الله جاي، فإن كان فهمه ذلك من هذه الآية: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[3] فهذه مشكلته لأنه أساء فهم الآية ولم يعلم معناها على الوجه الصحيح، فلو رجع إلى تفسير الإمام المجتهد أحمد بن حنبل وهو من رؤوس السلف الذي أوّل تأويلًا تفصيليًّا لفهم المراد والصحيح ولنفع الناس بتأويل هذه الآية الشريفة.

(١) خالد عبد المحسن الجندي المصري، من مواليد القاهرة بمنطقة الحلمية الجديدة. يلبس زي أهل العلم حينًا وينزعه حينًا ءاخر وذلك لحسب ظروف العرض والطلب. له فتاوى كثيرة كذّب فيها القرءان الكريم وشذ بها عن إجماع الأمة الإسلامية، منها قوله «غير التقي لا ينتفع بالقرءان» وغيرها الكثير. أسامة السيد، **خالد الجندي في ميزان العقل والنقل**، (ص٤).

(٢) سورة **الفجر**، ءاية ٢.

(٣) سورة **الفجر**، ءاية ٢.

المبحث الخامس

تأويل قوله تعالى

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴿٣٧﴾﴾[1]

العين في كلام العرب تستعمل على معانٍ كثيرة، منها ما يراد به المشاهدة والرؤية، ومنها ما يراد به الحفظ والكلاءة، ومنها ما يراد به الجودة، ومنها ما يراد بها الدلالة، ومنها ما يراد بها الجارحة، فإذا أطلقت العين على الله فلا يكون المراد بها الجارحة كما تقدم لأن في ذلك مشابهة للمخلوقات، والله تبارك وتعالى تنزه عن أن يشابه خلقه بأيّ وجه من الوجوه.

فالعين بمعنى الجودة ففي قولهم «هذا عين مالي» و«هذا عين المتاع»، هذا «عين القلادة» أي جيده والمختار منه، والعين التي بمعنى الجارحة فظاهر المعنى في الاستعمال أنهم يقولون: «عين الركبة» وللحدقة «عين»، فإذا كان وصف الله بالجارحة مستحيلًا وجب أن تحمل العين على معانٍ تليق بالله تعالى.

وقد قال ابن عاشور[2]: «الفلك اسم يستوي فيه المفرد والجمع. وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴿١٦٤﴾﴾[3]. والباء في بأعيننا للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير ﴿وَٱصۡنَعِ﴾ والأعين استعارة للمراقبة والملاحظة. وصيغة الجمع في ﴿أَعۡيُنِنَا﴾ بمعنى المثنى،

---

(١) سورة **هود**، ءاية ٣٧.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج١٢، ص٦٦، ٦٧).

(٣) سورة **البقرة**، ءاية ١٦٤.

أي بعيننا، كما في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴿٤٨﴾﴾[1]، والمراد الكناية بالمعنى المجازي عن لازمه وهو الحفظ من الخلل والخطأ في الصنع. والمراد بالوحي هنا الوحي الذي به وصف كيفية صنع الفلك كما دل عليه عطفه على المجرور بباء الملابسة المتعلقة بالأمر بالصنع».

قال الرازي: «قوله ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ فهذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره من وجوه:

أحدها: أنه يقتضي أن يكون لله تعالى أعين كثيرة. وهذا يناقض ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[2].

وثانيها: أنه يقتضي أن يصنع نوح عليه السلام ذلك الفلك بتلك الأعين، كما يقال: قطعت بالسكين، وكتبت بالقلم، ومعلوم أن ذلك باطل.

وثالثها: أنه ثبت بالدلائل القطعية العقلية كونه تعالى منزهًا عن الأعضاء والجوارح والأجزاء والأبعاض، فوجب المصير فيه إلى التأويل، وهو من وجوه:

الأول: أن معنى ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾، أي: بعين الملك الذي كان يعرفه كيف يتخذ السفينة، يقال: فلان عين على فلان؛ نُصِّبَ عليه ليكون متفحصًا عن أحواله ولا تحول عنه عينه.

---

(١) قال البغوي في تفسير هذه الآية: «﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴿٤٨﴾﴾ أي بمرأى منا. قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك». البغوي، **تفسير البغوي**، (ج٤، ص٢٤٣).

(٢) قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: «معناه بمرأى مني». ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (ج١٠، ص٣٠). وكذا قال في تفسير ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴿١٤﴾﴾: «أي بمرأى منا، وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودة: عين الله عليك. وقال سفيان: بأمرنا». البغوي، **تفسير البغوي**، (ج٤، ص٢٦٠).

الثاني: أن من كان عظيم العناية بالشيء، فإنه يضع عينه عليه، فلما كان وضع العين على الشيء سببًا لمبالغة الاحتياط والعناية جعل العين كناية عن الاحتياط، فلهذا قال المفسرون: «معناه بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك». وحاصل الكلام أن إقدامه على عمل السفينة مشروط بأمرين:

أحدهما: أن لا يمنعه أعداؤه عن ذلك العمل.

والثاني: أن يكون عالـمًا بأنه كيف ينبغي تأليف السفينة وتركيبها ودفع الشر عنه.

وقوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾ إشارةٌ إلى أنه تعالى يوحي إليه أنه كيف ينبغي عمل السفينة حتى يحصل منه المطلوب»[1].

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية[2]: «﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ٣٧﴾[3] أي اعمل السفينة لتركبها أنت ومن آمن معك بأعيننا، أي بمرأى منا وحيث نراك، وقال الربيع بن أنس: «بحفظنا إياك حفظ من يراك»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «بحراستنا».

والمعنى واحد، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن الرؤية تكون بها، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير، كما قال تعالى ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾[4]،

---

(١) الرازي، **تفسير الرازي**، (ج١٧، ص٣٣٧).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٩، ص٣٠).

(٣) سورة **هود**، ءاية ٣٧.

(٤) سورة **المرسلات**، ءاية ٢٣.

﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾[1]، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[2]، وقد يرجع معنى الأعين في هذه الآية وغيرها إلى معنى عين كما قال ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾[3]، وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف، لا رب غيره، وقيل: المعنى بأعيننا، أي بأعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيونًا على حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا للتكثير على بابه، وقيل: بأعيننا، أي بعلمنا قاله مقاتل، وقال الضحاك وسفيان: «بأعيننا بأمرنا».

وقيل: بوحينا، وقيل: بمعونتنا لك على صنعها».

(١) سورة **الذاريات**، ءاية ٤٨.

(٢) سورة **الذاريات**، ءاية ٤٧.

(٣) سورة **طه**، ءاية ٣٩.

المبحث السادس

تأويل قوله تعالى

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]

معنى هذه الآية أنه يكشف يوم القيامة عن شدة شديدة وهولٍ شديد، أي عن أمر شديد بالغ في الصعوبة، خلافًا لما تقول المشبهة: «﴿عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[2] أي الله تعالى يكشف عن ساقه». قال ابن الجوزي في تفسيره «**زاد المسير**»[3]: «وقد روى عكرمة عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[4] قال: «يُكشَفُ عن شدَّةٍ، وأنشد: وقامت الحربُ بنا على ساق». وهذا قول مجاهد وقتادة».

قال تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴿٤٣﴾﴾[5] هذا السجود سجود امتحان حتى يتميّز[6] المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله تعالى عن نيّة وإخلاص من المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام ولم يكونوا مسلمين إنما كانوا يسجدون في الدّنيا مع المسلمين أحيانًا، أي حتى ينكشف أمر هؤلاء وينفضحوا، يأمر الله الناس بالسجود، فالمؤمنون يسجدون وأما المنافقون

---

(١) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٢) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٣) ابن الجوزي، **زاد المسير**، (ج٨، ص٣٤١).

(٤) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٥) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٦) أي حتى يظهر للخلق.

فلا يستطيعون لأن ظهورهم لا تطاوعهم على السجود فيفتضحون.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩﴾[1] أي ساق العباد بعضهم ببعض أي يوم القيامة من شدّة الزّحمة. قال الإمام الهرري في كتابه «**صريح البيان في الرد على من خالف القرءان**»[2]: «التأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضًا عن غير واحدٍ من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة، ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين، والإمام أحمد ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاري وغيره. أما ابن عباس فقد قال الحافظ ابن حجر في «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**»[3]: «أما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ٤٢﴾[4] قال: «عن شدة من الأمر»، والعرب تقول قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه:

قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق».

وقال طنطاوي[5] جوهري في قوله تعالى ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ٤٢﴾:

---

(١) سورة **القيامة**، ءاية ٢٩.

(٢) الهرري، **صريح البيان في الرد على من خالف القرءان**، (ص٧٩).

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٢٨).

(٤) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٥) طنطاوي جوهري، طنطاوي بن جوهري المصري، فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. ولد في قرية عوض الله حجازي، من قرى «الشرقية» بمصر، وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية. وعني بدراسة الإنكليزية. ومارس التعليم في بعض المدارس الابتدائية، ثم في مدرسة دار العلوم. وألقى محاضرات في الجامعة المصرية. وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتابًا في «نهضة الأمة وحياتها» نشره تباعًا في جريدة اللواء وانقطع للتأليف، فصنف كتبًا أشهرها «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»، و«جواهر العلوم»، و«النظام والإسلام»، و«التاج المرصع». ولد سنة ١٢٨٧ هـ، وتوفي سنة ١٣٥٨ هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٣، ص٢٣٠).

«العرب لا تذكر الساق إلا في المحن والشدائد العظام، ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق»[1].

وكذا قال الطبري: «قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد»[2].

ونقل البغوي في تفسيره: «﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[3] قيل عن أمرٍ فظيع شديد. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أشد ساعة في القيامة. قال سعيد بن جبير ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾ عن شدة الأمر»[4].

وقال الخطابي كما نقل البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[5]: تهيب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق، ومعنى قول ابن عباس إن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند البيهقي في الأسماء والصفات أيضًا الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه من الشعر، وذكر الرجز المشار إليه، وأنشد الخطابي في إطلاق الساق على الأمر الشديد: في سنة قد كشفت عن ساقها».

ومثل ذلك نقل الإمام المحدث الأصولي أبو بكر بن فورك في كتابه «**مشكل الحديث وبيانه**»[6] عن أبي موسى الأشعري وابن عباس.

---

(١) طنطاوي، **الوسيط**، (ج١، ص٤٣٩١).

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرءان**، (ج٢٣، ص٥٥٤).

(٣) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٤) البغوي، **تفسير البغوي**، (ج٤، ص٣٨١).

(٥) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٤٥).

(٦) ابن فورك، **مشكل الحديث وبيانه**، (ص٤٤٢).

وذكر البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[1]: قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة. وتابعه أبو كريب[2] عن ابن المبارك، وقال أبو سليمان وقال غيره من أهل التفسير والتأويل في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[3] أي عن الأمر الشديد».

وقال الحافظ المفسر ابن الجوزي في كتابه «**الباز الأشهب**»[4] في الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[5] ما نصه: «قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي[6] وقتادة وجمهور العلماء يكشف عن شدة، وأنشدوا: وقامت الحرب بنا على ساق.

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٤٥).

(٢) أبو كُرَيْب محمد بن العلاء بن كُرَيب الهَمْدَانيّ، الحافظ، الثقة، الإمام، شيخ المحدّثين، الكوفيّ. حدّث عن: أبي بكر بن عيّاش، وهُشَيْم، ويحيى بن أبي زائدة، وابن المبارك، وعبد الرحيم بن سليمان، وخلق كثير، روى عنه الجماعة الستة، ومحمد بن يحيى الذُّهْلِيّ، وأبو زُرْعة، وأبو حاتم، وابن أبي الدنيا، وعثمان بن خُرَّزاد، وموسى بن إسحاق، وأمم سواهم، وثّقه: النسائي وغيره، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال موسى بن إسحاق: سمعت من أبي كُرَيْب ١٠٠،٠٠٠ حديث، ولد سنة ١٦١هـ، وتوفي سنة ٢٤٨هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٨، ص٢٢٣-٢٢٥)، رقم الترجمة ٢٠٢٢.

(٣) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٤) ابن الجوزي، **الباز الأشهب**، (ص٤٨).

(٥) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٦) إبراهيم النَّخَعيّ، الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عِمْران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، اليماني، ثم الكوفيّ، أحد الأعلام، وهو ابن مُلَيْكَة، أخت الأسود بن يزيد، روى عن خاله، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلمانيّ، وأبي زُرْعَة البجَليّ، وخلق سواهم من كبار التابعين، وكان بصيرًا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن. روى عنه: الحكم بن عُتَيْبَة، وعمرو بن مُرَّة، وحمّاد بن أبي سليمان، وسماك بن حرب وآخرون، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبيّ في زمانهما. وقال مغيرة: «كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير». توفي سنة ٩٦هـ. الذهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٦١٧-٦٢٢)، رقم الترجمة ٧١٦.

وقال عاصم بن كليب: رأيت سعيد بن جبير غضب وقال: يقولون يكشف عن ساقه، وإنما ذلك عن أمر شديد».

تنبيه مهم: أنكر ابن تيمية المجاز فقال في كتابه المسمى «**الإيمان**» ما نصه[1]: «فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز، فلا مجاز في القرءان، بل وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف، والخلف فيه على قولين، وليس النزاع لفظيًا، بل يقال: نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا».

الجواب: أن المجاز ثابت عن الصحابة، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه حيث أنه استند إلى تفسير بعض الآيات الى بعض أشعار العرب التي ألفاظها بعيدة من المعنى الأصلي كتفسيره الساق في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[2] بالشدة فقال في فتح الباري[3]: عن شدة من الأمر، والعرب يقولون: قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه:

قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق».

وقد أسند الحافظ البيهقي في «**الأسماء والصفات**»[4] الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: «إذا خفي عليكم شيءمن القرءان فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب». وهذا هو عين المجاز.

وكذا أثبت المجاز من السلف المحدث المجتهد اللغوي أبو عبيدة

---

(١) ابن تيمية، الكتاب المسمى **الإيمان**، (ص٩٤).

(٢) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج١٣، ص٤٢٨).

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٣٤٥، ٣٤٦).

معمر بن المثنى فقد صنف كتاب المجاز. وليس من شرط المجاز أن يكون كل أئمة السلف عبروا بهذا اللفظ بل العبرة بالمعنى، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير حقيقته بمعنى يقتضي ذلك، فكلمة الساق معناها الأصلي بعيد جدًا من المعنى الذي فسر ابن عباس الآية، لكن أساليب لغة العرب لا تأبى ذلك بل توافق، فكثيرا ما ينقلون اللفظ عن معناه الأصلى إلى غيره. وما دفع ابن تيمية إلى إنكار المجاز إلا شدة تعلقه بعقيدة التشبيه، وما إنكاره المجاز إلا محاولة منه لإجراء النصوص المتشابهة على ظاهرها نسأل الله السلامة، وسيأتي الرد عليه مفصّلًا إن شاء الله.

وأما الحديث الذي رواه البخاري في كتاب «**التفسير**»[1]: «**وأما أهل النار فإنهم يلقون فيها فتقول: هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع فيها رجله**» فقد قال فيه الحافظ الأصولي أبو بكر ابن فورك في كتابه «**مشكل الحديث وبيانه**»[2] ما نصه: «اعلم أنا ذكرنا هذا الخبر في ما تقدم، وبينا تأويله، وذكرنا أنه يحتمل أن يكون المعنى فيه ما يضعه الله في النار من الكفار، وهم الخلق الكثيرون فتمتلئ جهنم بهم، وأنه سمي ذلك «رِجلًا» على عادة العرب في تسمية الجماعة «رِجلًا» لأنهم يقولون للجراد الكثير «رجل»، ويقولون: جاءت رجل من الجراد يعنون بذلك جمعًا كثيرًا. ويحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أراد بالرجل ههنا الخلق الكثير، وإضافته إلى الله تعالى على طريق الملك والفعل».

---

(١) البخاري، **التفسير**، باب «وتقول هل من مزيد»، (ج٧، ص٧٣٣)، حديث رقم ٤٨٥٠. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب «الجنة»، باب «النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء»، (ج٩، ص١٩٨).

(٢) ابن فورك، **مشكل الحديث وبيانه**، (ص٤٤٣، ٤٤٤).

وذكر المفسر القرطبي في كتابه «**صفات الله تعالى**» ما نصه[1]: «قال الترمذي[2]: وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية أن الناس يرون ربهم، وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء، والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع، وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، وقالوا: تُروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يُقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كيف جاءت، ويؤمن بها ولا تتوهم ولا يقال كيف؟ قال وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه».

وقال[3]: «قال أبو سليمان: وذكر القَدَمِ ههنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله للنار من أهلها فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار وكل شيء قدمتَه فهو قدم، كما قيل: لما هدمتَه هدم، ولما قبضتَه قبض. ومن هذا قوله عز وجل: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾[4] أي: ما قدموه من الأعمال الصالحة، وقد رُوي معنى هذا عن الحسن، ويؤيد هذا قوله في الحديث: «وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا» فاتفق المعنيان في أن كل واحدة من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفى بها عدة أهلها فتمتلئ عند ذلك.

قلت: على هذا التأويل أكثر العلماء وأن القدم، وإن كان الظاهر يوهم منها الجارحة فإن الله تعالى متعال عن ذلك والعرب تطلق القدم على السابقة في

---

(١) القرطبي، **صفات الله تعالى**، (ص٨١).

(٢) الترمذي، **جامع الترمذي**، (ج٣، ص٥٠).

(٣) القرطبي، **صفات الله تعالى**، (ص٨٢).

(٤) سورة **يونس**، ءاية ٢.

الأمر، يقال لفلان قدم صدق، أي أثرة حسنة».

وقال[1]: «وقال النضر بن شميل: في معنى قوله «**حتى يضع الجبار فيها قدمه**»[2] أي من يسبق في علمه أنه من أهل النار.

قال أبو سليمان الخطابي: «وقد تأول بعضهم الرِّجل على نحو من هذا. قال: والمراد به استيفاء عدد الجماعة الذين استوجبوا دخول النار. قال: والعرب تسمي الجراد رِجلًا، كما سموا جماعة الظباء سربًا، وجماعة النعام خيطًا، وجماعة الحمير عانة، قال: وهذا وإن كان اسمًا خاصًّا لجماعة الجراد فقد يستعار لجماعة الناس على سبيل التشبيه والكلام المستعار والمنقول من موضعه كثير، والأمر فيه عند أهل اللغة مشهور».

ويشهد لصحة ذلك ما جاء في «**صحيح مسلم**»[3] حدّثنا أحمد بن جنابٍ المصّيصيّ[4] حدّثنا عيسى بن يونس عن زكريّاء عن أبي إسحـٰق قال جاء رجلٌ إلى البراء[5] فقال: أكنتم ولّيتم يوم حنينٍ يا أبا عمارة فقال أشهد على

---

(١) القرطبي، **صفات الله تعالى**، (ص٨٤).

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ج٢، ص٢٩٩)، حديث ٧٣٥.

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، (ج٥، ص١٦٨)، **حديث** ٤٧١٦.

(٤) أحمد بن جناب بن المغيرة، الإمام الثقة، أبو الوليد المصيصي. حدث عن: عيسى بن يونس، والحكم بن ظهير وجماعة. وحدث عنه: مسلم، وأبو داود، وأحمد الأبار، وأبو يعلى، وعبد الله بن أحمد، وأحمد بن الحسن الصوفي، ومن القدماء: أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن سعيد الجوهري. وكان ثبتًا في عيسى بن يونس. قال صالح جزرة: «صدوق». وقال ابن أبي عاصم: توفي سنة ٢٣٠هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج١١، ص٢٥).

(٥) البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عُمَارَة الأنصاريّ، الحارثيّ، المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة. روى حديثًا كثيرًا، وشهد غزوات كثيرة مع النبيّ ﷺ، وله في «الصحيحين» اثنان وعشرون حديثًا وغيرها في بقية الكتب. توفّي سنة ٧٢هـ عن بضع وثمانين سنة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص١٠٢، ١٠٣)، رقم الترجمة ٣٩٧.

نبيّ اللّه ﷺ ما ولّى ولكنّه انطلق أخفّاء من النّاس وحسّرٌ إلى هذا الحيّ من هوازن وهم قومٌ رماةٌ فرموهم برشقٍ من نبلٍ كأنّها رجلٌ من جرادٍ».

قال الإمام الحافظ الهرري في كتابه «**الدليل القويم على الصراط المستقيم**» ما نصه: «وأما الساق فلم يرد مضافًا إلى الله في حديث صحيح. والرواية الصحيحة هي الموافقة لما جاء في الكتاب من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]. وقد فسَّر ابن عباس الساق بالكرب والشدة ولا يعول على رواية ساقه بالضمير.

وأما القَدَمُ والرِجلُ فمعناه الجماعة الذين يُقَدِّمهُم اللهُ للنارِ فتمتلئ بهم وذلك في ما رواه البخاري[2] وغيره[3]: «**لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع ربُ العزَّة فيها قدمه فتقول قط قط**».

وكذلك ما ورد أن النار لا تمتلئ حتى يضعَ اللهُ فيها رجله فتقول قط قط المراد بالرجل الفوج الذي يملأ الله بهم النار. ولغة العرب صالحة لهذا المعنى. ولا يجوز جعل القدم والرجل من باب الصفات بل الإضافة فيهما إضافة مِلْكٍ. فمن جعل لله قدمًا ورجلًا بمعنى الجزء فقد جعل الله مثل خلقه وذلك كفر، وكذَّبَ قول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾[4]. فقد أفهمنا أن كل شيء يَرِد النار فهو مخلوق ليس بإلـٰه».

---

(١) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، (ج٦، ص٢٤٥٣).

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، بابٌ النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (ج٨، ص١٥٢)، **حديث** ٢٨٢٤.

(٤) سورة **الأنبياء**، ءاية ٩٩.

وبعد هذه الأدلة الساطعة الناصعة في تنزيه الله عن حقيقة القدم والرِّجل من نصوص علماء الإسلام من الصحابة ومن بعدهم وعلماء اللغة، يتبيّن أن هذا الحديث مؤول، وليس على ظاهره كما قال دكتور مجسّم مشبّه من أهل هذا العصر من أتباع ابن تيمية الحراني «إن الله له رِجل حقيقية ويضعها في جهنم فلا تحترق كما أن ملائكة العذاب في جهنم لا يحترقون».

وما يقول هذا الدكتور المجسم في قول الله عز وجل ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾[1]، فإن كانت جهنم ستُملأ بالجن والإنس الكفار كما أخبر الله تعالى في القرءان، فأين تكون رِجل الله الجارحة والجسم بزعم هذا الكافر، والله تعالى لم يقل لأملأنَّ جهنم برجلي بل قال ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾، وبزعمه هذا يكون إبليس وفرعون وهامان وقارون وشداد بن عاد وأبو جهل وأبو لهب أقرب إلى ذات الله من الأنبياء الذين يكونون في الجنة، فعلى زعم المشبهة يكون جزء من الله في جهنم مع الكفار، والعياذ بالله من هذا التشبيه الصريح والتجسيم القبيح الذي وصل إليه الوهابية بسبب أفكار ابن تيمية الذي قال بإنكار ونفي المجاز، فحمَلوا الآيات والأحاديث المتشابهة على ظاهرها هو وأتباعه، فزاغوا فضلّوا وأضلوا.

ونقول لهم: ماذا تقولون في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه[2]، يقول الله فيه: «**فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورِجلَه التي يمشي بها**»؟ هل

---

(١) سورة **السجدة**، ءاية ١٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، (ج٥، ص٢٨٣٤)، **حديث** ٦١٣٧.

تزعمون أنه على ظاهره وتمنعون من تأويله فيكون الله على زعمكم رِجل هذا الولي؟! أم تزعمون أنه حالٌّ فيها؟! وإذا عَمِيَ هذا الولي أو شُلَّت يده أو قُطعَت رِجلُه، فهل تزعمون أن الله مات أو أصابَه ضرر أو تجزّأ، وإذا داس هذا الولي في النجاسة أو بال على رِجله صبيٌّ أو داس الناس بنعالهم على رِجل هذا الولي، فهل تزعمون أن الله خالط هذه النجاسات وأن البول عليه أو أنه تحت أقدام الناس ونعالهم لأنهم داسوا على رِجل هذا الولي؟! تنزه الله عن ذلك كله وهذا من أبشع الكفر، فيلزمكم التأويل هنا كما في حديث «**يضع رب العزة رِجله فيها**»، فوجب التأويل في الموضعين، ومعنى الحديث القدسي «**كنتُ سمعه**» أي أحفظ سمعَه من أن يسترسل به في المعاصي والمحرمات، فلا يستمع إلى ما حرَّم الله، وهكذا في البصر واليد والرِّجل[1].

قال الإمام أبو سليمان الخطَّابي في كتابه «**أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**»[2]: «قلتُ: وهذا الحديث مما قد تهيَّب القولَ فيه شيوخنا، فأَجْروهُ على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يُحيط العلم بكنهه من هذا الباب، وقد تأوَّله بعضهم على معنى قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[3]، فروي عن ابن عباس أنه قال عن شدّة وكرْب».

---

(١) وسيأتي الكلام في شرح هذا الحديث تفصيليًّا إن شاء الله.

(٢) الخطابي، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، (ج٣، ص١٩٣٠).

(٣) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

ونقله البيهقي عنه في كتابه «**الأسماء والصفات**» بقوله[1]: «هذا لفظ سعيد ابن أبي هلال[2]، وهو لفظ منكر».

قال الإسماعيلي في قوله «**عن ساقه**» نكرة، ثم ساق بطريق حفص بن ميسرة[3] بلفظ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[4] من غير ضمير، وقال: هذه أصح لموافقتها لفظ القرءان في الجملة، ولا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك».

ونقل قول الخطابي أيضًا محمد بن يوسف الكرماني في كتابه «شرح الكرماني على صحيح البخاري»[5].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**»[6]: «ووقع في هذا الموضع «**يكشف ربنا عن ساقه**» وهو من رواية

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، البيهقي، (ص٣٢٤، ٣٢٥).

(٢) سعيد بن أبي هلال، الإمام، الحافظ، الفقيه، أبو العلاء الليثيّ مولاهم، المصريّ، أحد الثقات. روى عن: نُعَيْم الـمُجْمِر، وعون بن عبد الله بن عُتْبَة، والقاسم بن أبي بَزَّة، وقتادة، وزيد بن أسلم، وعُمَارة بن غزيّة، وغيرهم. حدّث عنه: خالد بن يزيد، وعمر بن الحارث، وهشام بن سعيد، والليث بن سعد. قال أبو حاتم: «لا بأس به». ولد سنة ٧٠هـ، وتوفي سنة ١٣٥هـ. الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، (ج٥، ص٤٨١-٤٨٢)، رقم الترجمة ١٠٩٤.

(٣) حفص بن ميسرة، المحدث، الإمام الثقة، أبو عمر الصنعاني، العقيلي، نزيل عسقلان. يروي عن: زيد بن أسلم، وموسى بن عقبة، والعلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، ومقاتل بن حيان. حدث عنه: الثوري، وهو أكبر منه، وابن وهب، وآدم، وسعيد بن منصور، ومحمد بن أبي السري، والهيثم بن خارجة، وسويد بن سعيد. وثقه ابن معين، وأحمد. وقال أبو زرعة: «لا بأس به». وقال أبو حاتم: «محله الصدق». وقيل: «كان ناسكًا ربانيا». قال الفسوي: مات سنة ١٨١هـ. الذهبي، **سير علام النبلاء**، (ج٨، ص٢٣١).

(٤) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٥) الكرماني، **شرح الكرماني على صحيح البخاري**، (ج٩، ص١٦١).

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**، (ج٨، ص٥٣٢).

سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم[1] فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله «**عن ساقه**» نكرة. ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[2]، قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرءان في الجملة، لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء».

وكذا قال التَّاوُدي[3] في «**حاشية التَّاوُدي ابن سودة على صحيح البخاري**»[4].

وقال بدر الدين العيني الحنفي في كتابه «**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**»[5]: «قوله «**يكشف ربنا عن ساقه**» من المتشابهات، ولأهل العلم في هذا الباب قولان:

أحدهما: مذهب معظم السلف أو كلهم تفويض الأمر فيه إلى الله تعالى

---

(١) زيد بن أسلم، الإمام، الحجّة، القدوة، أبو عبد الله العَدَويّ، العمريّ، المدنيّ، الفقيه. حدّث عن والده، أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك، وخلق، وحدّث عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوريّ، والأوزاعيّ، وهشام بن سعد، وسفيان ابن عُيَيْنَة وغيرهم كثير، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، وله تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، وكان من العلماء العاملين. توفي في ذي الحِجّة سنة ١٣٦هـ، وظهر له أكثر من ٢٠٠ حديث. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٥، ص١٩٩، ٢٠٠)، رقم الترجمة ٩٠٣.

(٢) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٣) محمد التاودي، محمد بن الطالب بن سودة المري، الفاسي، التاودي، أبو عبد الله، فقيه، محدث، ولد بفاس. من تصانيفه: «حاشية على الجامع الصحيح للبخاري»، و«فتح المتعال فيما ينتظم منه بيت المال»، و«المنحة الثانية في الصلاة الفائتة»، و«تعليق على لامية الزقاق»، و«حاشية عن شرح مختصر الشيخ خليل للزُّرقاني». ولد سنة ١١٢٨هـ، وتوفي سنة ١٢٠٧هـ. عمر كحالة، **معجم المؤلفين**، (ج١٠، ص٩٦).

(٤) التاودي، **حاشية التَّاوُدي ابن سودة على صحيح البخاري**، (ج٤، ص٥٧٠).

(٥) العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج٩، ص٣٦٩، ٣٧٠).

والإيمان به، واعتقاد معنى يليق بجلال الله عز وجل.

والآخر: هو مذهب بعض المتكلمين أنها تتأول على ما يليق به، ولا يسوغ ذلك إلا لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، فعلى هذا قالوا: المراد بالساق هنا الشدة، أي: يكشف الله عن شدة وأمر مهول وكذا فسره ابن عباس».

وقال شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني في كتابه «**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**»[1]: «وأخرج الإسماعيلي من طريق حفص ابن ميسرة عن زيد بن أسلم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾[2] قال الإسماعيلي هذه أصح لموافقتها لفظ القرءان والله تعالى يتعالى عن شبه المخلوقين».

وقال ملا علي القاري الحنفي في كتابه «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**»[3]: «يُعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرِّجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يُفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره».

(١) القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج١١، ص١٧١).

(٢) سورة **القلم**، ءاية ٤٢.

(٣) القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (ص١٣٦).

المبحث السابع

تأويل قوله تعالى

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[1]

إن معنى هذه الآية أن جبريلَ عليه السلام اقتربَ من سيدنا محمدٍ ﷺ فتدلى إليه فكان ما بينهما من المسافة بمقدار ذراعين بل أقرب، وقد تدلَّى جبريلُ عليه السلام إلى محمد ودَنَا منه فَرَحًا به.

وليس الأمرُ كما يفتري بعضُ الناس أن الله تعالى دنا بذاته من محمدٍ فكان بين محمدٍ وبين الله كما بين الحاجِبِ والحاجِبِ أو قدرَ ذراعين لأن إثباتَ المسافةِ لله تعالى إثباتٌ للمكانِ وهو من صفاتِ الخلق وهو كفر صريح، أما الخالقُ فهو موجودٌ بلا كيف ولا مكان، لا يكون بينه وبين خلقِهِ مسافة. قال الحافظ البيهقي في كتابه «**الأسماء والصفات**»[2]: «عن مسروق[3] قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[4] قالت رضي الله عنها: كان جبريل عليه السلام يأتي

---

(١) سورة **النجم**، ءاية ٨، ٩.

(٢) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ج٢، ص١٧٩).

(٣) مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعيّ الهمْدانيّ، الإمام، القدوة، العلم، العلامة. قال أبو بكر الخطيب: «يقال إنه سُرِقَ وهو صغير ثم وُجِدَ، فسمّي مسروقًا». وأسلم أبوه الأجدع. حدّث عن: أبيّ بن كعب، وعمر، والصدّيق، وعن أم رومان وجَمْعٍ كبير، وحدّث عنه الشعبيّ، وإبراهيم النخعيّ، وأبو وائل، وأنس بن سيرين وغيرهم. وعداده في كبار التابعين، وروى عبد الملك بن أبجر عن الشعبيّ: «كان مسروق أعلم بالفتوى من شُرَيْح، وكان شُرَيْح أعلم منه بالقضاء». وقال ابن سعد: «كان ثقة، له أحاديث صالحة». توفي سنة ٩٢هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (ج٤، ص٣٣٤-٣٣٧)، رقم الترجمة ٥٢٠.

(٤) سورة **النجم**، ءاية ٨، ٩.

محمدًا ﷺ في صورة الرجل فأتاه هذه المرة قد ملأ ما بين الخافقين. رواه البخاري في «**الصحيح**»[1]».

ويقول[2]: «عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها في قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾[3] فقالت: أنا أول هذه الأمة قال لرسول الله ﷺ هذا، فقال ﷺ: **جبريل رأيته مرتين بالأفق الأعلى، ورأيته بالأفق المبين**».

ويقول[4]: «قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في تقدير قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[5] على ما تأوله عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما من رؤيته ﷺ جبريلَ عليه السلام في صورته التي خُلق عليها، والدنو منه عند المقام الذي رُفع إليه وأقيم فيه قوله ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[6] المعنيُّ به جبريل عليه السلام تدلى من مقامه الذي جُعل له في الأفق الأعلى فاستوى أي وقف وقفة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[7] أي نزل حتى كان بينه وبين المصعد الذي رُفع إليه محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى في ما يراه الرائي ويقدره المقدر».

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم ءامين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، (ج٣، ص١١٨١)، **حديث ٣٠٦٣**.

(٢) **الأسماء والصفات**، للبيهقي، (ص١٨١).

(٣) سورة **النجم**، ءاية ١٣، ١٤.

(٤) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص١٨٧).

(٥) سورة **النجم**، ءاية ٨، ٩.

(٦) سورة **النجم**، ءاية ٨.

(٧) سورة **النجم**، ءاية ٨.

ويقول[1]: «وروت عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ما دل على أن قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[2] المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته التي خُلق عليها». ويقول[3]: «قال أبو سليمان: والمكان لا يُضاف إلى الله».

قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني الشافعي في كتابه «الشامل في أصول الدين»[4] ما نصه: «ليس في هذه الآية تصريح بذكر الإلٰه وإضافة القرب إليه، فلِمَ ادّعيتم أنه سبحانه وتعالى هو المعني بمضمون الآية؟ ولِمَ وصفتم ربَّكم بالحد والمقدار بتوهم منكم وظن؟ ثم نقول: لعله ﷺ قرب من درجة لم يبلغها إلا أرفع الخلائق وأعلاهم شأنًا. ثم نقول: الدنو يُحمل على القرب والطاعة -القرب المعنوي لأن القرب المكاني والحسي محال على الله تعالى-، وذكر ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ ۝٩﴾[5] تأكيدًا له. وهو كما حُمل قوله في الحديث القدسي: «**إذا تقرب العبد مني ذراعًا، تقربت منه باعًا، على القرب والطاعة والرأفة**». رواه البخاري[6] بألفاظٍ متقاربة.

قال الشاعر:

«عَـائِـشـةٌ قَـدْ جَـاءهـا صَحَابي يَـسْـأَلُ عَمّا جَـاءَ في الكِتابِ

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص١٨٧).

(٢) سورة **النجم**، اية ٨.

(٣) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص١٨٨).

(٤) الجويني، **الشامل في أصول الدين**، (ص٣٢٩).

(٥) سورة **النجم**، اية ٩.

(٦) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، (ج٦، ص٢٧٤١).

قَالَ لها: مَنْ ذا الذي قَدِ اقْتَرَبْ ... في لَيْلَةِ المعْراجِ مِنْ خَيرِ العَرَبْ
قَالَتْ بِأنَّ مَنْ دَنا جِبريلُ ... أمّا دُنُوُّ اللهِ مُسْتَحِيلُ
واللهُ قَدْ جَلَّ عَنِ المسَافهْ ... والشّكْلِ والهَيئَةِ والكَثَافهْ
تَقَرُّبُ العَبْدِ إلى الرَّحمنِ ... ليسَ تَقرّبًا إلى مَكَانِ
وإنْ تَقَرّبنا فَبِالطّاعَاتِ ... ولَيْسَ بِالحَيزِ والجِهاتِ
والقُرْبُ في الإسْلامِ قُرْبٌ مَعْنَويْ ... مَنْ قَالَ حِسّيٌ فَليسَ بِالسّوِيْ
بَلْ كَافِرٌ قَدْ فَعَلَ المحْظُورا ... وَكَذّبَتْهُ ءايةٌ في الشُّورى
لَيسَ كَمِثْلِ اللهِ شيءٌ فاعْلَمِ ... قُلْ لَيْسَ مَنْ خَالفَها بِمُسْلِمِ».

قال الحافظ البيهقي في كتابه «**الأسماء والصفات**»[1]: «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه أي عن الله بقول النبي ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[2]. وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان».

أما ما رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أنكم دَلَّيتُم رجُلا بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله**» رواه الترمذي[3]، هو حديث ضعيف، والحديث الضعيف لا يُحتَج به في العقائد والأحكام ولا حاجة لتأويله، ولكن تأوَّله بعض علماء الحديث على أن علم الله شامل لجميع الأقطار وأنه منزه عن

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٠).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (ص١٠٤٤)، حديث ٢٧١٣.

(٣) الترمذي، **الجامع الصحيح**، (ج٥، ص٢٥٧).

المكان، فالشاهد هو في استدلال العلماء به على نفي المكان عن الله، فقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، فالتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى منزه عن الحلول في الأماكن، فالله سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن». نقله عنه تلميذه الحافظ السخاوي[1] في كتابه «**المقاصد الحسنة**»[2]، وذكره أيضًا الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد بن طولون[3] الحنفي[4] وأقرَّه عليه.

وقال القاضي عياض ما نصه[5]: «أكثر المفسرين على أن الدنو والتدلي منقسم بين النبي ﷺ وجبريل أو هما معًا من أحدهما إلى الآخر، أو من

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من سخا من قرى مصر، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة. ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مائتي كتاب أشهرها: «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، وله: «شرح ألفية العراقي»، و«المقاصد الحسنة»، و«القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع»، و«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ». ولد سنة ٨٣١هـ، وتوفي سنة ٩٠٢هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص١٩٤).

(٢) السخاوي، **المقاصد الحسنة**، رقم ٨٦، (ص٣٤٢).

(٣) محمد بن طولون، محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي، الصالحي، الحنفي، شمس الدين، أبو عبد الله، محدث، مسند، مؤرخ فقيه، نحوي، مشارك في التعبير والطب وغيرهما من العلوم. ولد بصالحية دمشق بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية سنة ٨٨٠هـ تقريبًا، وسمع وقرأ على جماعة، وتفقه بعمه الجمال بن طولون وغيره، وأخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة وآخرين من أهل الحجاز، وولي تدريس الحنفية بمدرسة ابي عمر وإمامة السليمية بالصالحية، وأخذ عنه جماعة. من تصانيفه الكثيرة: «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»، و«اللؤلؤ المنظوم في الوقوف على ما اشتغلت من العلوم»، و«الجواهر المضية في طب السادة الصوفية»، و«النفحات الأزهرية في الفتاوى العونية»، و«إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين». ولد سنة ٨٨٠هـ، وتوفي سنة ٩٥٣هـ. عمر كحالة، **معجم المؤلفين**، (ج١١، ص٥١).

(٤) ابن طولون، **الشذرة في الأحاديث المشتهرة**، (ج٢، ص٧٢).

(٥) القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (ج١، ص٢٤٢).

أحدهما إلى سدرة المنتهى».

وقال الحافظ البيهقي في كتابه «**الأسماء والصفات**»[1]: «والذي رُوِيَ في ءاخر هذا الحديث إشارةٌ إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء، لأن الله لا يوصف بالقرب والبعد بالمسافة وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، والباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان».

وقال العلامة الأُبِّي[2] في «**شرح صحيح مسلم**»[3] في تفسير قول الله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[4]: «ولما استحال عليه تعالى التخصيص بالجهة وجب التأويل».

وكذلك استدل به أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على سنن الترمذي[5] على أن الله موجود بلا مكان، فقال ما نصه: «والمقصود من الخبر أن نسبة البارئ من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت، إذ لا ينسب إلى الكون في واحدة منهما بذاته». أي أن الله منزه عن الجهة فلا يسكن فوق العرش كما تقول المجسمة، ولا هو بجهة أسفل لأن الله تعالى كان قبل الجهات الست،

---

(١) البيهقي، **الأسماء والصفات**، (ص٤٠٠).

(٢) ابن خلفة الأُبِّي، محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاني المالكي، عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى «أبة» من قراها. ولي قضاء الجزيرة، سنة ٨٠٨هـ. له: «إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم»، و«شرح المدونة» وغير ذلك. مات بتونس سنة ٨٢٧هـ. الزركلي، **الأعلام**، (ج٦، ص١١٥).

(٣) محمود خطاب السبكي، **إتحاف الكائنات**، (ص١٨).

(٤) سورة **النجم**، ءاية ٨.

(٥) ابن العربي، **عارضة الأحوذي**، (ج١٢، ص١٨٤).

ومن استحال عليه الجهة استحال عليه المكان، فالله تعالى لا يحُل في شيء ولا يشبه شيئًا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا».

ومن الأحاديث الدالة على تنزيه الله عن الجهة ما رواه مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**».

قال الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي في شرحه لسنن النسائي[2]: «قال البدر بن الصاحب في تذكرته: في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى».

ويدل أيضًا على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متَّى**» واللفظ للبخاري[3].

قال الحافظ المحدِّث الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في «**إتحاف السادة المتقين**» ما نصه[4]: «ذَكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي في كتابه «**المنتقى في شرف المصطفى**» لما تكلم على

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (ج٢، ص٤٩)، حديث ١١١١.

(٢) النسائي، **سنن النسائي**، (ج١، ص٥٧٦).

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾، (ج٣، ص١٢٥٤)، **حديث** ٣٢٣٢. ومسلمٌ في **صحيحه** بلفظ «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خير من يونس بن متّى**»، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، (ج٧، ص١٠٢)، **حديث** ٦٣١٠.

(٤) الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، (ج٢، ص١٠٥).

الجهة وقرر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»[1]، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس قعر البحر، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل ولَمَا نهى عن ذلك.

ثم أخذ الإمام ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لا بالمكان، هكذا نقله السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل». وابن زفيل هو ابن قيم الجوزية المبتدع تلميذ الفيلسوف المجسم ابن تيمية الذي قال مؤيدًا لعقيدة متأخري الفلاسفة: «إن الله لم يخلق نوع العالم»، وهذا كفرٌ بإجماع المسلمين كما ذكر العلامة الشيخ بدر الدين الزركشي في كتابه «**تشنيف المسامع**»[2].

وقال المفسّر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره «**الجامع لأحكام القرءان**» ما نصه[3]: «قال أبو المعالي: قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»[4] المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾، (ج٣، ص١٢٥٤).

(٢) قال بدر الدين الزركشي: «اتفق المسلمون على تكفيرهم وتضليلهم». الزركشي، **تشنيف المسامع**، (ج٤، ص٧٠).

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج١١، ص٣٣٣، ٣٣٤)، و(ج١٥، ص١٢٤).

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾، (ج٣، ص١٢٥٤).

في جهة». ومما يدل أيضًا على تنزيهه تعالى عن الجهة، ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء». أي أن النبي جعل باطن كفَّيْه إلى جهة الأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيِّزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السُّفل. وقد قال الحافظ العراقي في الأمالي: «أجمع السلف والخلف على كفر من أثبت الجهة لله»، فتبين فساد قول من يقول «إن الله دنا بذاته من محمد لما كان ليلة المعراج في السماء، أو دنا منه بالحس والمسافة أو بالمكان أو صار بينهما كالحاجب من الحاجب أو كالذراعين، أو أنه وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله، أو أُزيحت الستارة فدخل ورآه»، وكل ذلك تكذيب لله عز وجل لأنه نزه نفسه فقال ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ٧٤﴾[1]، وقال ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾[2]، ومن شبه الله بشيء من خلقه فقد شتمه وكذّبه، ومن كذّب الله كفر بإجماع الأمة الإسلامية.

(١) سورة **النحل**، ءاية ٧٤.

(٢) سورة **الشورى**، ءاية ١١.

المبحث الثامن

تأويل قوله تعالى

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ١٤٣﴾[1]

قال الله تعالى﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾[2]، قال ابن عباسٍ أَرِنِي أَعْطِنِي[3].

سيدنا موسى عليه السلام نبي رسول يعرف ما يجوز في حق الله وما يستحيل عليه، وقد سأل ربّه أن يُرِيَهُ ذاته، فدلَّ ذلك على جواز رؤية الله تعالى عقلا إذ لا يجوز أن يكون موسى جاهلًا بربه، فهو من أولي العزم من الرسل، وهم أعرف الناس بما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز، ويدل على ذلك أيضًا أن الله تعالى علّق حصول الرؤية على أمر جائز وهو استقرار الجبل فلَمّا علّقها على أمر جائز كانت الرؤية جائزة.

قال المفسر محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره[4] في شرحه لهذه الآية من سورة الأعراف ما نصه: «تبت إليك» وقيل: قال على جهة الإنابة إلى الله

---

(١) سورة **الأعراف**، ءاية ١٤٣.

(٢) سورة **الأعراف**، ءاية ١٤٣.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرءان، (ج٣، ص١٢٤).

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرءان**، (ج٧، ص٢٧٩).

والخشوع له عند ظهور الآيات. وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، وأيضًا عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة».

فموسى عليه السلام سأل ربه أمرًا جائزًا ولم يعصه فلا يقتضي ذلك أن يتوب مما ليس فيه ذنب.

المبحث التاسع

تأويل قوله تعالى

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ١٠﴾[1]

قال الله تعالى﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ٤﴾[2]، وقال جلّ ذكره ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ١٠﴾[3]، وقال أبو جمرة عن ابن عبّاسٍ: بلغ أبا ذرٍّ مبعث النّبيّ ﷺ فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرّجل الّذي يزعم أنّه يأتيه الخبر من السّماء وقال مجاهدٌ: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ ١٠﴾[4] يرفع الكلم الطّيّب يقال﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾[5] الملائكة تعرج إلى اللّه[6].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ١٠﴾[7] هو كقول نبي الله إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾[8] أي إني ذاهب إلى حيث أمرني ربي وقوله ﴿إِلَيۡهِ﴾[9] أي إلى حيث أمر الله الملائكة تصعد ومعلوم أن الملائكة

---

(١) سورة **فاطر**، ءاية ١٠.

(٢) سورة **المعارج**، ءاية ٤.

(٣) سورة **فاطر**، ءاية ١٠.

(٤) سورة **فاطر**، ءاية ١٠.

(٥) سورة **المعارج**، ءاية ٣.

(٦) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ٤﴾، (ج٦، ص٢٧٠١).

(٧) سورة **فاطر**، ءاية ١٠.

(٨) سورة **الصافات**، ءاية ٩٩.

(٩) سورة **فاطر**، ءاية ١٠.

تمّ الجزء الأول بحمد اللّه
يليه الجزء الثاني